

بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
قسم التفسير وعلوم القرآن

التفسير اللغوي في لسان العرب لابن منظور جمع وتوثيق ودراسة (حرف الذال والراء والزاي)

بحث مقدم لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه)
في التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذ الدكتور
الطاهر أحمد عبدالقادر

إعداد الطالبة
سامية عبدالباقي محمد أحمد

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

قال تعالى:

(وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى
قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)

(الشعراء: ١٩٢-١٩٥)

الإهداء

إلى كل طالب علم جعل علمه وسيلة لمرضاة الله سبحانه
وتعالى.. وإلى والديّ .. وإلى أسرتي الصغيرة ..
أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (١) .

فمن نعم الله تعالى على عبده أن يوفقه لخدمة كتابه العزيز وأن يفتح بصيرته على فهم كتابه الكريم .. وأن يهيء له من يساعده على السير في هذا الطريق ، فله الحمد أولاً وأخيراً (اللهم لا أحصي ثناءً عليك كما أثنت على نفسك فتقبل مني إنك أنت التواب الرحيم) (٢) .

الشكر لجامعة أم درمان الإسلامية التي أتاحت لي هذه السانحة وأخص بالشكر أسرة كلية الدراسات العليا وأسرة كلية أصول الدين وأسرة قسم التفسير ، والشكر الجزيل للأستاذ الإنسان الموجه البروفيسور الطاهر أحمد عبدالقادر جزاه الله عنا كل خير وتقبل منه .. والشكر أجزله للأستاذين الجليلين اللذين وافقا على تقويم هذه الرسالة : الدكتور قاسم بشرى حميدان والدكتور صلاح الدين عوض والشكر لكل الزملاء والزميلات والإخوة والأخوات الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل سواء أكان بالمشورة أو الدعاء والمراجعة والطباعة .. والشكر الخاص لوالديّ العزيزين فلولا دعاهما لما وفقت لعمل هذا البحث فلهما غالي الشكر وأطال الله عمريهما في طاعته . والشكر لزوجي الذي ساعدني بالصبر الجميل . والشكر لأبنائي اللذين عانوا كثيراً من إنشغالي عنهم طيلة سنوات البحث .

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٧

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، ٣٥٢/١ ، ٢٢٢

المقدمة

- ١/ أسباب اختيار الموضوع وأهدافه .
- ٢/ موضوع البحث .
- ٣/ حدود البحث .
- ٤/ مشكلات البحث .
- ٥/ الدراسات السابقة .
- ٦/ منهج وطريقة البحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين منزل الكتاب المبين الهادي إلى الصراط المستقيم ومرسل أفضل الخلق أجمعين محمد بن عبد الله سيد المرسلين وإمام الغر المحجلين المبعوث رحمةً للعالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

لا شك أن علم التفسير من أشرف العلوم وأجلها لأن موضوعه أصدق الكتب وأعذب الحديث ، ومنذ عهد الصحابة تدارس المسلمون كتاب الله ، وكثير من الصحابة كانت لهم مجالس ومدارس في تفسير كتاب الله ، مثل ابن عباس وغيره ، وظل المسلمون الأوائل ومن جاء بعدهم يهتمون بهذا العلم أيما اهتمام من تدبر معانيه ، ودراسة مفرداته ، واستنباط الأحكام والتشريعات فيتخلقون بأخلاقه ويطبقونه في حياتهم .. فقد كانوا ما إن ينزل شيء حتى يحفظوه ويطبقوه في الحال فبذلك كانوا قرآناً يمشي بين الناس لذلك أعزهم الله وأكرمهم فكانت لهم السيادة والكرامة ، وهذا ما يحتاجه المسلمون اليوم حتى يعود لهم مجدهم .

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)) (١) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي

(١) سورة الجن / ١ .

إلى صراط مستقيم(١) .

فالقرآن الكريم هو الكتاب المنزل على الثقلين المبين الفارق بين الشك واليقين، والذي أعجز الفصحاء وأعيا الأدباء ، أعجزت بلاغته البلاء عن المشاكلة فلا يستطيعون أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، قال تعالى (ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)(٢) . وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(٣) . وقد جعل الله فيه للعلماء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم استتباط ما نبه على معانيه وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد فيمتازون بذلك على غيرهم ويختصون بثواب اجتهادهم وقد برع الكثيرون في هذا الجانب ، وألفوا فيه الكتب ، فمنهم من تناول تخصصاً في جانب اللغة ومنهم من تخصص في الأحكام الفقهية ومنهم من اكتفى بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من أعمل رأيه ..

وفي هذه الدراسة سنقف على مجهودات عالم من علماء اللغة الأجلاء الذين اشتهروا في مجال اللغة ولم يعرفوا في مجال التفسير إلا من خلال استشهاده بالقرآن الكريم وفك ألفاظه ، وهو في هذا بحر من العلم يفرض نفسه على الناس ، ولهذا العالم الجليل مجهودات كبيرة ، حيث أنه جمع في كتابه (لسان العرب) أقوال عدد كبير من العلماء فكان كتابه موسوعة تناول فيها القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة والشعر والآثار وغيرها .. أسأل الله التوفيق لبتوضيح بعض الجوانب المختصة بالتفسير في كتاب لسان العرب لابن منظور ..

(١) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون) كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في فضل القرآن ، ١٧٢/٥ (٢٩٠٦) .

(٢) البقرة / ١ ، ٢ .

(٣) الإسراء / ٨٨ .

موضوع البحث :

موضوع هذا البحث هو كتاب لسان العرب للإمام جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقه بن منظور من الذين اختصهم الله بالعلم بما في كتاب الله ، ولما لكتابه (لسان العرب) من قيمة علمية كبيرة لذلك ستكون مادة هذه الدراسة واختارت الباحثة النصوص القرآنية في الجزئين المختصين بالحروف (الذال والراء والزين) .

أسباب اختيار الموضوع :

من دواعي اختيار هذا الموضوع :

أولاً إبراز أحد علماء اللغة والتعرف على مجهوده في استشهاده لتوضيح معاني مفردات اللغة العربية بالقرآن الكريم وكيفية الربط بين ما قاله العرب وما ذكر في القرآن الكريم ومدى توافقه واختلافه مع أقوال المفسرين ، فهذه الدراسة تهدف لتعريف الناس بمجهود ابن منظور في خدمة كتاب الله تعالى ومكانته العلمية .
ثانياً : جمع وتحقيق وتوثيق المادة العلمية في كتاب واحد تساعد الطلاب في تناول المادة العلمية في سهولة ويسر .

حدود البحث :

حدود البحث فرضتها نوع الدراسة لأنها دراسة تفسيرية لغوية أي ليست عقديّة أو فقهية لذلك ترى الباحثة أنه يمكنها الاستعانة بكل كتب التفسير المتاحة القديمة والحديثة على اختلاف اتجاهات المفسرين الفكرية وتنوع مدارسهم في التفسير .

مشكلات البحث :

هناك بعض المشكلات التي واجهت الباحثة أثناء هذه الدراسة ذلك أن ابن منظور استعان بأقوال عدد كبير من العلماء في مجال التفسير والحديث واللغة والآثار فالرجوع لكل هؤلاء سيكون صعباً خاصة وأن بعضاً منهم كتبهم غير موجودة مثل

أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب ، وأبو الحارث الليث سعد بن عبد الرحمن الفهمي واللحياني ، ثم أن هناك كتاب حواشي ابن بري بعض أجزاءه مفقودة .
لأن هذه الكتب اعتمد عليها اعتماداً أساسياً في كتابه لكن لا تستطيع الباحثة أن ترجع لها ، كذلك هناك بعض أبيات الشعر لم يردها ابن منظور إلى قائلها .
لكن ستبذل الباحثة ما استطاعت بعون الله وتوفيقه من جهد في تدليل هذه المشكلات .
الدراسات السابقة :

توجد العديد من الدراسات التي تناولت كتاب ابن منظور مثلاً :

- ١/ تهذيب لسان العرب لعبد الله إسماعيل الصاوي أعاد ترتيب اللسان على الحرف الأول واختصره ولم يكمله وصدرت منه خمسة أجزاء .
- ٢/ تصحيح لسان العرب لأحمد تمور وقصد به تصحيح أوهان اللسان وأخطاء السابقين .
- ٣/ تعليقات واستدراكات على لسان العرب الشيخ مصطفى المرضي .
- ٤/ تحقيقات وتنبيهات حول لسان العرب لعبد السلام هارون .
- ٥/ فهارس لسان العرب للدكتور خليل أحمد عمارة حيث جعل فهارس للآيات والأحاديث والأثر والأعلام والقبائل والشعراء والأقوال والأفعال والكتب والبلدان والوقائع والشعر ، طبع في سبع مجلدات كبار .
- ٦/ تخريج الأحاديث المرفوعة والموقوفة الواردة في لسان العرب (الجزء الأول تخريجاً ودراسة) ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الحديث النبوي بجامعة أم درمان الإسلامية ، إعداد الطالب حسين حسن أبكر ، إشراف الدكتور محمد موسى حماد ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ١٠/ تخريج الأحاديث المرفوعة والموقوفة الواردة في الجزء الثالث عشر في كتاب لسان العرب لابن منظور الأفريقي ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الحديث النبوي بجامعة أم درمان الإسلامية ، إعداد الطالب فائز عبد الفتاح أحمد أبو عمر ، إشراف الأستاذ الدكتور محمد عوض الكريم الدوش سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

١١/ تخريج الأحاديث المرفوعة والموقوفة في الجزء الرابع عشر من لسان العرب لابن منظور الأفريقي ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الحديث النبوي بجامعة أم درمان الإسلامية ، إعداد الطالب محمد عبد الرزاق الرعود ، إشراف الدكتور عبد الرحمن السراج سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

١٢/ تخريج الأحاديث المرفوعة والموقوفة في الجزء العاشر من كتاب لسان العرب لابن منظور الأفريقي ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الحديث النبوي بجامعة أم درمان الإسلامية إعداد الطالب علي مصطفى علي ، إشراف الدكتور محمد عوض الكريم الدوش سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

١٣/ تخريج الأحاديث الجزء الثالث من كتاب لسان العرب لابن منظور الأفريقي ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في السنة وعلوم الحديث بجامعة أم درمان الإسلامية إعداد أبو تركي الشيخ عبد القادر ، إشراف الدكتور عبد الرحمن محمد السراج سنة ١٩٩٦م-١٩٩٧م .

١٤/ التفسير اللغوي في كتاب ابن منظور الجزء الأول (حرف الهمزة والياء) ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، بجامعة أم درمان الإسلامية إعداد الطالب علي حمدان بن علي رحمن ، إشراف الدكتور عمر يوسف حمزة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

منهج وطريقة البحث :

تتقسم هذه الدراسة إلى قسمين قسم يتحدث عن حياة ابن منظور ، وقسم يتناول دراسة النصوص القرآنية التي استشهد بها ابن منظور .

فالقسم الذي يتحدث عن ابن منظور وحياته وآثاره فإن الباحثة ستتبع فيه المنهج الوصفي التاريخي .

أما القسم الثاني فستتبع فيه الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي وهو :

١/ إيراد النص القرآني الذي ذكره ابن منظور ، ورده إلى مكانه في المصحف الشريف ، وذلك بذكر اسم السورة التي وردت فيها الآية ، وذكر رقم الآية مع ذكر تمامها في الهامش ، وذلك حسب الرسم العثماني .

٢/ ذكر قول ابن منظور حول النص القرآني تحت مسمى (دراسة لغوية للنص) .

٣/ دراسة نص ابن منظور من كتب التفسير أولاً وقد اعتمدت الباحثة على ثلاثة كتب تفسير كأساس حسب الترتيب الزمني لتاريخ الوفاة وهم : ابن جرير الطبري ثم القرطبي ثم ابن كثير ، كما أن الباحثة اعتمدت كثيراً على قول الشوكاني لأنه كثيراً ما يتحدث عن الجانب اللغوي ولم تقف الباحثة عند هؤلاء وإنما تجولت في باقي كتب التفسير الأخرى بصورة متنوعة في النصوص كلها ، وإذا كان للزمخشري رأي في نص معين فكانت الباحثة تحرص على ذكره لأنه أيضاً يهتم بجانب اللغة في التفسير وكذلك ابن حيان .

٤/ كما أن الباحثة استعانت بكتاب مفردات القرآن للأصبهاني لتوضيح المعاني المختلفة للمفردة التي ذكرها ابن منظور ، وأيضاً كتاب التبيان للجواني .

٥/ وتتميماً للفائدة إذا كان في النص سبب نزول أو وجوه قراءات أو ناحية لغوية فكانت الباحثة تسعني بكتب علوم القرآن لتوضيحه .

٦/ كذلك إذا كان في النص أمر متعلق بالعقيدة أو الناحية الفقهية أيضاً قامت الباحثة بتوضيحه من كتب أحكام القرآن للشافعي والجصاص ، أو كتب العقيدة المختلفة .

٧/ ثم بعد ذلك تذكر الباحثة رأي أهل السنة مثل البخاري وغيره .

٨/ كما أن الباحثة استعانت بمعظم كتب اللغة المتاحة من كتاب تاج العروس للزبيدي ومختار الصحاح للرازي والعين للفراهيدي والمصباح المنير للفيومي ، وأيضاً أساس البلاغة للزمخشري وكتب أخرى .

٩/ كذلك قامت الباحثة برد أقوال كبار المفسرين من الصحابة الذين ذكرهم ابن منظور - وليس لديهم كتب - مثل ابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم إلى توثيق آرائهم من كتاب جامع البيان للإمام الطبري .

١٠/ أيضاً قامت الباحثة بتخريج معظم الأحاديث والآثار التي ذكرها ابن منظور من كتب الحديث المختلفة والمصنفات متبعة في ذلك الآتي : ذكر توثيق الكتاب كاملاً في المرة الأولى من ذكر اسم الكاتب ثم الكتاب ثم دار وكان النشر ثم رقم الطبعة وتاريخها إن وجد وأخيراً ذكر تخريج الحديث وذلك بذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الحديث وذلك مثل :

محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون) كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في فضل القرآن ، ١٧٢/٥ ، (٢٩٠٦) .

ثم إذا تكرر الكتاب مرة أخرى اكتفيت بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث .. وفي المصنفات مثل مسند أحمد أذكر الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث .
١١/ كذلك قمت برد أقوال العلماء الذين استعان بهم في معاني القرآن إلى كتبهم مثل الزجاج والفراء والأخفش وغيرهم .

١٢/ أيضاً علماء اللغة مثل الجوهري وابن سيده وابن الأثير أيضاً قمت برد أقوالهم إلى كتبهم ، وأما الذين لم يتيسر لي الحصول على كتبهم اكتفيت بالترجمة لهم .
١٣/ كذلك ردت الباحثة أبيات الشعر إلى دواوين قائلها مع ترجمة للشاعر ما أمكن ذلك .

١٤/ قامت الباحثة بالترجمة لمعظم الأعلام الذين ذكرهم ابن منظور حتى المشاهير منهم مثل الصحابة ولم أترجم للخلفاء الراشدين ولا العلماء المعاصرين .
١٥/ وانتهجت الباحثة في توثيق الكتب ذكر الكاتب فاسم الكتاب ثم دار النشر ومكانه ثم رقم الطبعة وتاريخها إن وجد ثم ذكر المحقق إذا وجد محقق للكتاب ثم ذكر الجزء ورقم الصفحة وإذا لم تذكر واحدة من هذه الأشياء فلأنها لم تذكر في الكتاب المعين .. وإذا تكرر الكاتب والكتاب اكتفيت بالاختصار مثل ، محمد بن جرير بن يزيد ، ابن

كثير ، الطبري أبو جعفر ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مؤسسة الرسالة ،
الرباني ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، (تحقيق أحمد محمد شاكر) .
إذا تكرر :

الطبري : جامع البيان ، ج/ص

١٦/ ولا يفوت الباحثة أنها تذكر المقارنة بين ابن منظور والمفسرين في نهاية كل
دراسة .

١٧/ كثيراً ما يستشهد ابن منظور بأكثر من آية للمفردة الواحدة ، فإن الباحثة تختار
الآية التي ذكرها ابن منظور أولاً وتجعلها موضوع الدراسة .. وباقي الآيات تشرحها
حسب ما يحتاج النص وذلك في كل الآيات التي استشهد بها ابن منظور .

١٨/ وفي نهاية دراسة كل نص تذكر الباحثة المعنى العام للنص موضوع الدراسة من
كتب التفسير المختلفة ، ولم التفت إلى دراسة الآيات التي لا تخص المفردة المعينة أو
التي لم يقم ابن منظور بتفسيرها .

١٩/ اشتملت الدراسة على أربعة وستين ومائة نصاً لغويّاً لابن منظور واثنان
وعشرين وثلاثمائة آية قامت الباحثة بدراستها .

هيكل البحث :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة .

المقدمة وفيها :

١/ أسباب اختيار الموضوع وأهدافه .

٢/ موضوع البحث .

٣/ حدود البحث .

٤/ مشكلات البحث .

٥/ الدراسات السابقة .

٦/ منهج وطريقة البحث .

التمهيد : وفيه التعريف بكتاب ابن منظور .

- القسم الأول : التعريف بابن منظور .
- الفصل الأول : عصره .
- المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية .
- المبحث الثاني : الحالة العلمية .
- الفصل الثاني : حياته ونشأته .
- المبحث الأول : اسمه ولقبه وكنيته ونسبه .
- المبحث الثاني : مولده ونشأته .
- المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .
- الفصل الثالث : آثاره العلمية .
- المبحث الأول : مصنفاته .
- المبحث الثاني : عقيدته وأقوال العلماء فيه .
- المبحث الثالث : شعره .
- المبحث الرابع : وفاته .
- القسم الثاني : دراسة النصوص القرآنية .
- الفصل الأول : دراسة حرف الذال .
- الفصل الثاني : دراسة حرف الراء .
- الفصل الثالث : دراسة حرف الزين .
- الخاتمة .

التوصيات

الفهارس العامة

المصادر والمراجع.

تهميد

تعريف بكتاب لسان العرب

يعتبر كتاب لسان العرب من أكبر معاجم اللغة العربية وأكثرها انتشاراً ، حيث جمع فيه مؤلفه مادةً لغويةً ثرةً ، فبلغ مجموع نسخه خمسة عشر مجلداً من المطبوع ، وقد عني به عنايةً فائقةً بشرح غريب الحديث والأثر وتفسير معاني القرآن العزيز ، وبيان الأحكام الفقهية والنحوية والمعاني اللغوية ، ولم يكتف بهذا بل إنه يستدل بالأبيات الشعرية وأحياناً بشرحها ، كما أنه كان يذكر الأماكن والبلدان وأسماء الرجال والنساء وذكر الحوادث المختلفة .

منهج المؤلف وسبب تأليف الكتاب :

ذكر المصنف في مقدمة كتابه سبب تأليفه ومنهجه الذي يسير عليه ، إذ كان يرمي إلى حفظ أصول قواعد اللغة العربية ، فقال : (إنما لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، وعليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغتهم يفخرون وصنعت ما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون وسميته لسان العرب) (١) .

ونمط ابن منظور في تصنيف لسان العرب نمطه في غيره من الكتب ، فهو لم يخرج من النقل لكنه يضيف بعض الأشياء أحياناً لكن النقل كان الطابع العام . وما نرى ابن منظور ادعى غير هذا فهو يقول في مقدمة الكتاب : (لا أدعي فيه دعوى ، فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت ، أو شددت الرحال أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالاً ، ولم يخليا لأحد مجالاً ، فإنهما عينا في كتابيهما عما روي ، وبرهنا عما حويا ، ونشر في خطبهما ما طويا ، ولعمري لقد جمعا فأوعيا ، وأتيا بالمقاصد ووفيا .. أ.هـ) (٢) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، (تحقيق أمين

محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي) ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، ٧/١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ١٣/١ .

وقد صرح ابن منظور أنه قد رجع إلى خمسة مصادر لتهديب الكلمة وهي (تهديب اللغة) لابن منصور الأزهري . (والمحكم) لابن سيده الأندلسي ، (الصاح) لابن نصر الجوهري ، (وحاشيته) لأبي محمد بن بري ، و(النهاية) لابن السعادات ابن الأثير الجزري ، وهناك مصدر لم يذكره في المقدمة مع استعانته به في الكتاب وهو (جمهرة اللغة) لأبي بكر بن دريد .

ونجده في كتابه قد وضع لكل حرف من حروف اللغة العربية باباً خاصاً وقسم الأبواب إلى فصول ، ورتب الكلمات ترتيباً عكسياً حيث بدأ بنهاية الكلمة وليس بأولها ، ثم ذكر بعضاً من صفات الحرف المذكور ، وجرى مجرى الجوهري في الصاح حيث بدأ بالهمزة معتمداً على الحرف الأخير من الكلمة^(١). والكتاب في جملته كتابٌ حافلٌ بشتى صروف المعرفة فهو كتاب لتفسير القرآن وكتاب لشرح الأحاديث وكتاب فقه وكتاب لغة بحق جمع فيه ثروة لغوية علمية وافية وبذل فيه مجهوداً جباراً يحتاج إلى مجموعة من البشر للقيام بهذا العمل وليس فرداً ، فهو بحق موسوعة هامة لا يستغنى عنها كل طالب علم .

(١) ابن منظور : لسان العرب ١/١٣ .

القسم الأول

التعريف بابن منظور

- الفصل الأول : عصره .
- المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية .
- المبحث الثاني : الحالة العلمية .
- الفصل الثاني : حياته ونشأته .
- المبحث الأول : اسمه ولقبه وكنيته ونسبه .
- المبحث الثاني : مولده ونشأته .
- المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .
- الفصل الثالث : آثاره العلمية .
- المبحث الأول : مصنفاًته .
- المبحث الثاني : عقيدته وأقوال العلماء فيه .
- المبحث الثالث : شعره .
- المبحث الرابع : وفاته .

الفصل الأول

عصره

المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية .

المبحث الثاني : الحالة العلمية .

الفصل الأول

عصر ابن منظور

المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية

قبل التعريف بابن منظور لابد من ذكر بعض ملامح العصر الذي عاش فيه ابن منظور . فقبل مولد ابن منظور في سنة ستمائة للهجرة جمع الفرنج خلقاً كثيراً ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم . وذلك أنهم في طريقهم إلى القسطنطينية وجدوا ملوكهم قد اختلفوا فيما بينهم فحاصروها حتى فتحوها قسراً ، وعاثوا فيها فساداً واحتمى أهلها بالكنيسة ولكن لم ينفع ذلك بل قتلوهم جميعاً وأخذوا ما كان في الكنيسة من الحلى والذهب والأموال .

وتحول الملك من الروم إلى الفرنج . ثم بعد ذلك قصد الفرنج بلاد الشام وأغاروا على الكثير من بلاد الإسلام ، وبعدها جرت حروب كثيرة وكانت فيها زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص^(١) .

كانت ولادة ابن منظور في عهد الدولة الأيوبية ، والتي استعادت فيها الأمة الإسلامية مجدها وعزها ، وعاش بعض شبابه في هذا العهد وبقية عمره كان في عصر دولة المماليك .

وهنا يمكن أن نلقي الضوء على بعض ملامح عصر الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ، وهو ينحدر من أصل تركي والذي بدأت سلطته بمصر في العام (٥٦٤هـ) ولكنه لم يسقط الخلافة الفاطمية إلا سنة (٥٦٧هـ)^(٢) . كان شجاعاً امتدّ حكمه في بقاع كثيرة وفتح بلاد الفرنج وقهرهم وأباد خضراءهم وأسر ملوكهم وكسرهم وافتتح القدس وعكا وطبرية وغير ذلك .

اتسم عهد صلاح الدين الأيوبي بالعدل بين الناس ومعاملتهم بكريم السجايا ونبيل الصفات ، وأظهر التسامح مع أتباع المذهب الشيعي الذي كان سائداً آنذاك ، كما أنه أتاح للأقباط حرية التدين فأحبوه حباً شديداً ، حتى أنهم وضعوا صورته

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ٣٦ / ١٣ .

(٢) شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م، تحقيق إحسان عباس ٣٧٦/٢ .

في كنائسهم . واتجه كذلك بجهوده نحو المصريين جميعاً فرفع عنهم الظلم وخفض الضرائب . وراح يهاجم الصليبيين في معانقهم فأبتدأ بذلك طور جديد في تاريخ الحروب الصليبية واصبح الفرنجة مدافعين وكانوا من قبل مهاجمين . وبهذا أقبل المصريون على صلاح الدين وأحبوه واتخذوه لهم زعيماً وقائداً لهم ، ناصروه والتفوا حول رايته وتهيأ له بذلك أن يخطو نحو أهدافه .

واتسم صلاح الدين بصفات عظيمة نادرة أهلته ليكون قائداً فهو كان وفيماً للأصدقاء ونبيلاً مع الأعداء فكان التسامح والعفو شيمته ، استطاع فتح الكثير من البقاع الإسلامية وتخليصها من العدو اتسم بالزهد والعفة وتوفى تاركاً ذكرى عطرة وسيرة زاهية^(١) .

ولد ابن منظور في خلافة المستنصر بالله الذي تولى الخلافة سنة (٦٢٣هـ) . وتوفى سنة أربعين وستمائة وكان جميل الصورة حسن السريرة جيد السيرة كثير الصدقات والبر والصلوات ، محسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه ، وعمل داراً للضيافة للفقراء سيما في رمضان ، وكان يعتق الجواني ويجهزهن ويزوجهن ، وكان يفرق المال على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام ثم بعد وفاته تولى ابنه المستنصر بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد . وقد عرف عنهم أنهم كانوا يسيرون في الأمة سيرة حسنة ، وقد سارت الأمور في عهده على السداد ، والاستقامة حتى قتله التتار بأمر هولاءكو بن جنكيز خان^(٢) سنة خمس وستمائة .

وقبل ذلك كان الصليبيون بعد موت صلاح الدين يستعيدون بعض البقاع العربية فكان بداية انحلال الدولة الأيوبية في سنة ٦٣٥هـ ، فقد حاول العادل أحد سلاطين الدولة الأيوبية استرداد بعض الحقوق المسلوبة ولكن لم يستمر ذلك طويلاً فقد تآمر عليه بعض الأمراء وولوا أخاه نجم الدين أيوب والذي في عهده فتح المجال لعصر جديد وهو عصر المماليك .

(١) انظر : أحمد شلي التاريخ الإسلامي ، مطبعة لجة التأليف والنشر ، القاهرة ، ص ١٥١ .

(٢) جنكيز خان : هو السلطان الاعظم للتتار والد ملوكهم وينتسبون إليه وهو الذي وضع لهم السياسة التي يتحاكمون إليها ويجكون بها ، وأكثرها مخالف لشرع الله تعالى . وهو في الغالب مجهول النسب وله عقل سياسي بارع . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية .

والمماليك جمع مملوك وهم جند كان يشتريهم السلطان ثم يجهزهم بالتدريب العسكري حتى يكونوا حراسه وجيشه الخاص . ونجح الصالح نجم الدين أيوب في قتال الصليبيين واسترد منهم بيت المقدس ، كما نجح في بسط سيطرته على معظم بلاد الشام ، وتزوج الملك الصالح من (شجرة الدر)^(١) . وهي جارية أرمنية كان قد أهداها له الخليفة العباس المستنعم بالله . ولما توفى أخفت خبر وفاته واستدعت توران شاه^(٢) وتولى السلطة سنة ٦٤٧هـ ومهدت له شجرة الدر الأمور وحثت رجال الدولة على طاعته ولكنه قتل في ظروف حرجة ، وبعد ذلك انتقل الحكم إلى المماليك ولكن لم يرضى الأيوبيون ذلك ودخلوا معهم في صراعات عظيمة وكان من نتائج هذا الصراع أن حل بمصر بلاء لا يوصف من قتل ونهب وسبي ، وقامت في هذا الوقت دولة المغول في عصر جنكيز خان في وسط آسيا .

وعاث التتار في الأرض فساداً واشتد فسادهم من أقصى الصين إلى أن وصلوا العراق وما حولها فملكوا الممالك إلا العراق والجزيرة والشام وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي قتلوا الرجال والنساء والأطفال وأتلفوا ونهبوا وقتلوا المسلمين شر تقتيل .

(١) شجرة الدر بنت عبدالله ، أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولدها منه خليل مات صغيراً ، كانت في خدمة الملك لا تفارقه حضراً وسفراً . ملكت مصر بعد مقتل ابن زوجها توران شاه ، وكانت مدة حكمها ثلاثة أشهر ثم تزوجت الملك المعز عز الدين أيوب التركاني أول ملوك الأتراك كان من أكبر مماليك الصالح نجم الدين أيوب وكان ديناً عفيفاً ، تنازلت له شجرة الدر عن الملك نحواً من سبع سنين ثم قتلتته ، وقتلها مناصروه ورموها في مزبلة غير مستورة الصورة ثلاثة أيام ثم دفنت . انظر عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٤٠١/١

(٢) توران شاه : هو الملك المعظم ابن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل ، كان كريماً شجاعاً عظيم الهبة كبير النفس واسع النفقة والعطاء ، كان صاحب حصن في حياة أبيه ، استدعته شجرة الدر بعد موت أبيه وملكته حكم مصر ولكنه كان يسكر ويتوعد بقتل المماليك البحرية ، فدبرت قتله في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وأربعين وستمائة . انظر أبو المحاسن الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٣٣هـ ١٤٤١/٤ ، عبدالرحمن حسن الجبري ، تاريخ عجائب الآثار والتراجم والأخبار ، دار الجليل ، بيروت ، ٢٨/١ .

ثم بعد تلك الأحداث كانت معركة عين جالوت والتي جاءت فيها البشارة بانتصار المسلمين على التتار . ذلك أن الملك المظفر قطر ملك مصر لما بلغه أن التتار فعلوا في الشام ما فعلوا وأنهم عازمون على دخول مصر ، بادروهم القتال قبل أن يبادروا واجتمعت له الكلمة حتى انتهت إلى الشام ، وكانت معركة عين جالوت فقاتلهم قتالاً عظيماً وكتب الله النصر للمسلمين . ولكن لم يدم الأمر طويلاً فوقع التناحر والخلاف بين ملوك مصر ، وسادت الشكوك بينهم إلى أن استقر الأمر بيد الملك الناصر والذي توفي ابن منظور في فترة حكمه^(١) .

هذه بعض ملامح العصر الذي عاش فيه ابن منظور من حروب ومؤامرات وانتصارات واخفاقات بين المسلمين والفرنج .

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ (١٢١-٣٥٧) .

المبحث الثاني

الحالة العلمية

في آخر القرن الثالث الهجري بدأ الفاطميون يكوّنون دولة في الشمال الأفريقي ثم زحفوا نحو مصر سنة ٣٥٩هـ ، وبدأوا ينشرون مذهب الشيعة ويقاومون منهج السنة ، وفي نفس الفترة كان البويهيون قد حققوا انتصاراً على بقايا الأتراك المماليك وبدأوا يفرضون سلطانهم على الخلافة العباسية سنة (٣٣٤هـ) وبالتالي عملوا على نشر التشيع ومقاومة المذهب السني ، وهكذا حقق الشيعة نجاحاً في الشرق والغرب وتقهقر أمام سلطانهم النفوذ السني . وجاء السلاجقة للحكم (٤٤٧هـ) فبدأوا يعيدون الأمور إلى نصابها ، وقام الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك بدور كبير في إحياء الدراسات السنية والقضاء على التشيع ، وتتنسب إلى هذا الوزير (المدارس النظامية) والتي كان لها نصيب كبير في تنشيط المذهب السني ومقاومة التشيع . واقتبس نور الدين زنكي^(١) هذا الاتجاه من نظام الملك فنشر في مملكته بحلب ودمشق مدارس كنتك التي أنشأها نظام الملك فكان بذلك امتداداً لأبيه عماد الدين في الانتصارات العسكرية . وجاء صلاح الدين فورث مملكة نور الدين في الأمرين جميعاً ، أي حل محله في مقاومة الصليبيين ، كما نقل اتجاهاته الثقافية إلى مصر فأنشأ بها مدارس لخدمة المذهب السني .

وفي عهد الدولة الأيوبية خدم صلاح الدين فن العمارة في القدس والقاهرة فقد كان له الفضل في تجديد المسجد الأقصى الذي اتخذ الصليبيون قصراً لهم وتزيينه بالفسيفساء والرخام ، وأقام فيه منبراً نفيساً لا يزال قائماً إلى اليوم ، أما في القاهرة فقد شيد القلعة الشاهقة المعروفة باسمه وبدأ في إنشاء السور الذي يصون القاهرة من كل هجوم يتعرض له .

(١) نور الدين زنكي هو قائد الجهاد ضد الصليبيين وفي عهده نشط العلم والجهاد ، فقد بنى داراً لتعليم الحديث وتولى التدريس فيها الحافظ ابن عساكر نفسه ، وكان نور الدين يحضر حلقات التدريس بنفسه وتخرج من هذه المدرسة كبار العلماء . انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ٤/١٣٢٧ .

وفي عهد المماليك ازدهرت الكثير من الصناعات كصناعة النسيج والأواني المعدنية والزجاج والجلود وأصبحت لمصر شهرة واسعة وازدهرت كذلك صناعة الأسلحة والسفن والصناعات الدقيقة وفن الزخرفة .

وأيضاً كان الاهتمام بالألعاب الفروسية وسباق الخيل ولعب الكرة بالصولجان لأنهم كانوا يعيشون في جو عسكري . وقد نهض فن العمارة نهضة واسعة فأنشأت المؤسسات العظيمة من مدارس ومساجد ومستشفيات ازدانت بها القاهرة والإسكندرية وغيرها^(١) .

كما أن السلاطين لعبوا دوراً هاماً في خدمة العلم ببناء المساجد والمدارس ، ففي بغداد وضع الخليفة المستنصر بالله المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب . وجعل لمستحقيها من الأطلعة والأشربة ما يحتاجون ووضع بها كتباً نفيسة فكانت هذه المدرسة جماً لبغداد وسائر البلاد. وكان السلاطين يحضرون مجالس العلم ، وكان للعلماء هيبه في ذلك العهد حيث كانوا ينصحون الأمراء ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وازدان عصر المماليك بنخبة ممتازة من الفحول في مختلف الميادين وإن اسم كل واحد منهم يحمل معاني كثيرة ويشير إلى تفوق ونضج في ميدان الثقافة والفكر فمن هؤلاء الفقهاء في القمة شيخ الحنابلة ابن تيمية (٧٢٨هـ)^(٢) وقد رفع صوته ضد تقديس الأولياء وتقديم النذور لهم وهو المذهب الذي اعتنقه الوهابيون فيما بعد ، ومنهم الإمام العز بن عبدالسلام (٦٦٠هـ)^(٣) وابن بنت الأعز الشافعي

(١) انظر أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي ، (١٤١-٢١٨) .

(٢) ابن تيمية : هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحاراني الدمشقي ، العالم العلامة الحافظ المحدث المفسر ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، المفيدة منها (مجموع الفتاوى) ، (القواعد النورانية الفقهية) وغيرها ، ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي سنة (٧٢٨هـ) . أبو الفلاح عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الحنبلي : الذليل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت ، ٣٨٧/٢ .

(٣) العز بن عبدالسلام : عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله وله مصنفات حسان منها : التفسير واختصار النهاية ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وكتاب الصلاة والفتاوى وغير ذلك ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة وسمع كثيراً ، وجمع علوماً كثيرة ، ولي قضاء مصر وتوفي (٦٦٠هـ) . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٥/١٣ .

(٦٦٥هـ) . ومنهم ابن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ) (١) وابن الصلاح (٦٦٠هـ) (٢) والنووي (٦٧٦هـ) (٣) وابن خلكان (٦٨١هـ) (٤) وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) (٥) وشيخنا ابن منظور الذي نحن بصدد دراسة وغيرهم كثير .
 فعصرٌ اجتمعت فيه هذه الكوكبة كان حرياً بأن يتسم بحركة علمية وساعة فقد بنيت الكتاتيب لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن ، كما بنيت المدارس التي تتنافس في نشر المذهب السني فعلى الرغم مما كان في ذلك العهد من الظلام فإن ظهور هؤلاء العلماء مصابيح هدى وكواكب عرفان وكان لهم باسم العلم سلطان عظيم (٦) . فقد كان لهؤلاء العلماء الأثر الكبير في إيقاظ الأمة وحثها على الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى .

(١) ابن الأثير : هو الإمام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الموصلية ، المعروف بابن الأثير ، مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة وكتاب الكامل في التاريخ وكان يتردد إلى بغداد إلى أن توفي بها عن خمس وسبعين سنة . ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٣٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ٨/٣٦٦ (٢) ابن الصلاح : هو الشيخ تقي الدين ابن الصلاح شيخ دار الحديث ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمئة ودفن بالصوفية . ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٦٧ .

(٣) النووي : هو الإمام العلامة شيخ الإسلام الفقيه الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي أو النواوي ، ولد في سنة إحدى وثلاثين وستمئة بسوريا ، له مصنفات كثيرة منها : الأربعون حديثاً النووية ، رياض الصالحين ، توفي في (٦٧٦هـ) . الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤/١٧٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٢٨٧ .

(٤) ابن خلكان : هو قاضي القضاة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي ولد بإبرل سنة ثمان وستمئة ، وكان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة ، بصيراً بالعربية له كتاب ، وفيات الأعيان وكتب أخرى . انظر الوافي في الوفيات ١/٩٨٤ .

(٥) ابن دقيق العيد : هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي الصعيدى المالكي والشافعي صاحب التصانيف ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وست مائة بقرب ينبع من الحجاز . الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١ .

(٦) البداية والنهاية ١٣/٣٣٢ . انظر أيضاً : جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، ص ٣١٩ .

الفصل الثاني

حياته ونشأته

المبحث الأول : اسمه وكنيته ولقبه ونسبه

المبحث الثاني : مولده ونشأته

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه

المبحث الأول

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه

هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري محمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين أبي الحسن علي بن أبي القاسم بن حبة بن محمد بن منظور بن معافى بن حمير بن ريام بن سلطان بن كامل بن قرة بن كامل ابن سرحان بن جابر بن رفاعة بن جابر بن رويغ بن ثابت بن مسكن بن عدي بن حارثة الأنصاري من بني مالك .

اشتهر بنسبته إلى جده السابع منظور إذ يقف عنده أكثر من ترجم له ، ثم يرفع نسبته إلى جده الأعلى رويغ^(١)^(٢) .
يكنى ابن منظور بأبي الفضل ويلقب بجمال الدين .

(١) رويغ : هو رويغ بن ثابت بن سكنت بن عدي بن حارثة بن عمرو بن زيد من بني مالك بن النجار ، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك مصر ، وولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين ، فغزا إفريقية وروى عن البخاري ، توفي ببرقة سنة ست وخمسين وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد . أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (٥٠١/٢) .

(٢) شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٦٢/٤ .
انظر أيضاً : بغية الوعاة للسيوطي ٣٠٤/٢ .

المبحث الثاني

مولده ونشأته

أجمع المترجمون لابن منظور على أن ولادته كانت سنة (٦٣٠هـ—)، وأنه ولد في أولها أي في الثاني والعشرين من محرم. الموافق الثامن من شهر نوفمبر ١٢٣٢م^(١) ورجح البعض أن تكون ودلاته في طرابلس الغرب^(٢) ، لأن جده الأعلى (رويفع بن ثابت) كان حاكماً عليها ، وفيها مات ودفن . وأسرتة ما زالت هناك إلى يومنا الحاضر ، ولا زال أعقابهم آل مكرم إلى اليوم بتاجوراء التابعة لطرابلس الغرب ، وابن منظور نفسه تولى قضاء طرابلس الغرب^(٣) .

أما نشأته فإن ابن منظور ينحدر من أسرة عظيمة عريقة عمل معظم أبنائها بالقضاء ، ولهم مكانة مرموقة في العلوم الدينية ، والأدبية فقد ذكر أنه كان يرى تردد العقلاء وتهافت الأدباء على والده . لذلك نشأ عالماً واسع الإطلاع والأفق والمعرفة ، مما أهله ليكون في ديوان الإنشاء كاتباً ، وبقي في هذا الأمر زمناً حتى أصبح قاضياً .

أما أسرته فلم تذكر المصادر إلا ابنه محمد بن محمد المذكور ضمن تلاميذه وكان ابن منظور يقضي معظم ليله ونهاره في اختصار الكتب وتهذيبها ، وكان يسكن ضاحية (نهيا) من أعمال الجيزة بمصر ، وهي منطقة يسكنها فقط الأغنياء والوجهاء ، وروي أن أباه ترك خمسمائة مجلد بخط يده . فهذا يرسم لنا أن ابن منظور تفتحت عيناه منذ الصغر في جو علمي وكتابه (لسان العرب) خير دليل على المنزلة العلمية العالية^(٤) .

(١) خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١٦ ، ٢٠٠٥م ، ١٠٨/٧ .
(٢) طرابلس الغرب واسمها بنارة وسيرت السوق القديم وهذا يدل على أن طرابلس اسم الكورة وأن بنارة قصبته ، وطرابلس معناها الثلاث مدن وهذا يدل على أنها ليست بمدينة بعينها وأنها كورة وينسب إلى طرابلس الغرب عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي . ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٥/٤ .
(٣) محمد بن مكرم المعروف بابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م (تحقيق روحية النحاس ، رياض عبد الحميد مراد ، محمد مطيع الحافظ) ، ص ١١ .
(٤) العلامة ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان (تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي)، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، ٧/١. انظر محمد بن مكرم : مختصر تاريخ دمشق ص ١١

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

مما يعيبه المترجمون على ابن منظور ، أنه لم يتعرض لأيّ من شيوخه في مصنفاته المختلفة ، ومما لا شك فيه أن هذه المكانة العلمية السامية ما كان له أن يصلها إلا بمساعد شيوخ أجلاء أعانوه ، حتى حقق ما يصبو له من هذا الشرف الرفيع . وما ذكره المترجمون من شيوخه هم يوسف بن الخيلي^(١) ، ومرتضى بن حاتم^(٢) ، وابن الفضل عبد الرحيم الدمشقي^(٣) وابن المغير^(٤) .

(١) هو أبو الفضل يوسف بن المعطر بن منصور بن نجامين منصور الغساني الأسكندراني بن الخيلي المالكي من كبراء أهل الثغر ومخبل من بلاد برقة ولد سنة ٥٦٨هـ سمع من السلفي وأبي الطاهر بن عوف وأبي الطيب الحنون توفي سنة ٦٤٢هـ .

الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا) ٢١٦/٥ .
الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ١١٦/٣ .

(٢) مرتضى بن العفيف أبو الجود حاتم بن مسلم بن أبي العرب سمع أبا طاهر والقاضي الحضرمي وإسماعيل الزيات وعبد الله بن بري ، حدث عن ابن النجار وأبي محمد المنذري وآخر من روى عنه حضوراً الجمال محمد بن مكرم الكاتب .

سير أعلام النبلاء (١١/٢٣) .

شذرات الذهب (١٦٨/١) .

(٣) أبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطفيل الدمشقي توفي بمصر في ذي الحجة (٦٣٧هـ -) ، وروى عن السلفي .

شذرات الذهب (١٨٥/٦) .

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى ، ٣٧/٥ .

(٤) ابن المغير هو أبو الحسن علي بن أبي عبيد الله الحسيني بن علي بن منصور بن المغير البغدادي المقرئ الحنبلي نزيل مصر سمع عبد الحق بن يوسف وأحمد بن الناعم والروشابي وابن شيرويه ، وكان كثير التهجد والصلاة والتلاوة ، صابراً على أهل الحديث ، مات سنة ٦٤٣هـ ، حدث عنه أئمة وحفاظ ، الدمياطي والسبتي ، وابن الجلال والمنذري والمعافري ومحمد بن مكرم وابن عساكر .

سير أعلام النبلاء ١١١/٢٣ .

شذرات الذهب ٢٢٣/٥ .

تلاميذه : وابن منظور الذي أهمل شيوخه لم يهمله تلاميذه ، فالمؤرخون لابن منظور يذكرون منهم السبكي^(١) والذهبي^(٢) ، وولده قطب الدين^(٣) . وربما كان له تلاميذ كثر وخلق لا يحصى يناسب علمه ومكانته .

(١) السبكي : هو الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام الخزرجي الأنصاري السبكي الشافعي المصري ولد سنة (٦٨٣هـ) سمع الحافظ الدمياطي وجماعة بمصر والأسكندرية ودمشق وعني بالحديث وكتب كثيراً عن سائر علوم الإسلام مات بالقاهرة سنة (٧٥٦هـ) .

أبو المحاسن الحسيني الدمشقي : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٣٣هـ-١٣٣٤هـ ، ص ٣٧ .

(٢) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي ولد سنة (٦٧٣هـ) بدمشق سمع من أبي حفص القداسي وابن عساكر وخلق ، وشيوخه في معجمه أزيد من ألف ومائتي نفس وألف وصنف وتوفي بدمشق (٧٤٨هـ) .

شذرات الذهب ١٥٣/٦ .

ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ .

(٣) محمد بن محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن منظور قطب الدين بن جمال الدين ، سمع من أبيه وابن الصواف وابن القيم والرضي والطبري ، مات سنة (٧٥١هـ) ، وقيل سنة (٧٥٢هـ) ببيت المقدس ، كانت له دار ملاصقة للمسجد الحرام . ابن حجر : الدرر الكامنة ص ٤١٥ .

الفصل الثالث

آثاره العلمية

المبحث الأول : مصنفاته

المبحث الثاني : عقيدته وأقوال العلماء عنه

المبحث الثالث : شعره

المبحث الرابع : وفاته

المبحث الأول

مصنفاته

لابن منظور كثير جداً من المصنفات والتي تعتمد بصورة أساسية على الاختصار ، وهو كما قال عنه مترجموه (اختصر كتباً وكان كثير النسخ ذا خط حسن ، وله أدب ونظم ونثر)^(١) . والناظر لكتبه يمكنه التمييز بين نوعين منها ، نوعٌ يعتمد على الأخبار وتبويبها إما تبويباً ألفبائياً كما في كتاب لسان العرب ، وإما تبويباً فكرياً كما في أخبار أبي نواس ، والثاني يعتمد على اختصار المطولات كالأغاني وتاريخ ابن عساكر والعقد الفريد^(٢) .

كما أنه يمكن تقسيم آثاره العلمية لثلاثة أقسام منها ما هو مطبوع مثل لسان العرب ، ومنها ما هو مخطوط مثل تواريخ الشعراء إسلاماً وجاهليةً ومنها ما هو مفقود مثل مختصر العقد الفريد .

وقال ابنه قطب الدين : (إنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة)^(٣) .

وأورد هنا ما ذكره المؤرخون من كتب اختصرها ابن منظور :

١/ كتاب الأغاني لابن الفرغ علي بن الحسن الأصفهاني (٣٥٦هـ) في عشرين جزءاً سماه (مختار الأغاني في الأخبار والتهاني) .

٢/ زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي تميم الحصري القيرواني (٤٥٣هـ) .

٣/ يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للشعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل النيسابوري (٤٢٩هـ) .

٤/ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جامع التواريخ) للنتوقي أبي علي الحسن ابن علي (٣٨٤هـ) .

٥/ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر أبي القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن عبد الله (٥٧١هـ) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ١١/١ .

(٢) محمد بن مكرم : مختصر تاريخ دمشق ، ص ١٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ٢٦٢/٤ .

- ٦/ تاريخ بغداد للسمعاني أبي مسعد عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ) .
- ٧/ صفوة (صفة) الصفوة لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ) .
- ٨/ مفردات ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي (٦٤٦هـ) .
- ٩/ فصل الخطاب للتيفاشي أحمد بن يوسف (٦٥١هـ) .
- ١٠/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام أبي الحسن علي (٣٠٣هـ) .
- ١١/ الحيوان للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) .
- فهذه جملة من الكتب التي اختصرها^(١) . ونلاحظ تنوع موضوعاتها بين أدبية وتاريخية وعلمية .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١١/١ .

المبحث الثاني

عقيدته وأقوال العلماء عنه

قال ابن حجر العسقلاني^(١) : (وعمر وكبر ، وحدث فاكثروا عنه الرواية . وقال السيوطي^(٢) : (كان صدراً رئيساً فاضلاً في الأدب مليح الإنشاء ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة ، صاحب نكت ونوادر وعنده تشيع بلا رفض) . وقال الصفدي^(٣) : (كان فاضلاً وعنده تشيع بلا رفض ، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة وأتى بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص في معانيه وأبهج به نفس من يعاديه ، وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ولا يولي عن مناقلتها ، لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً بطوله إلا وقد اختصره وروق عنقوده واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة)^(٤) .

(١) العسقلاني : هو أحمد بن علي بن محمد ، أبو الفضل الكتاني الشافعي ، المعروف بابن حجر العسقلاني ، حامل لواء السنة قاضي القضاة وأحد الحفاظ والرواة ، ولد بمصر في شعبان سنة ٧٧٣هـ ، وبها نشأ . له مؤلفات عديدة منها فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، والإصابة في أسماء الصحابة وغيرها ، توفي في ثامن عشر ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ . مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المشني ، بغداد ، ١٢٠/١ . انظر أيضاً حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٦٨ م ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ١٦٣/١ .

(٢) السيوطي : هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضير السيوطي ، العالم المحدث المفسر المتفنن الجامع المختصر ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثماني ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، والسيوطي يعد من الأئمة الذين حفظوا العلم للآخرين وسهلوا سبله ، من مصنفاته الإتقان في علوم القرآن والمزهر في أصول اللغة ، توفي سنة ٩١١هـ .

كشف الظنون ٨١/١ .

شذرات الذهب ٥١/٨ .

الأعلام الزركلي ٧١/٤ .

(٣) الصفدي : هو خليل بن أبيك بن عبد الله صلاح الدين الصفدي الإمام العلامة، الأديب البليغ، البارع المفنن، الناظم ، الناثر ، صاحب التاريخ الكبير وهو بخطه أكثر من خمسين مجلداً ولد سنة ١٦٦٩هـ وتوفي بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة ٧٩٣هـ . انظر : أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن معني شهبه : طبقات الشافعية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، تحقيق زار الحافظ عبد الحليم خان ٨٩/٣ .

أيضاً : صديق بن الحسن القنوجي : أجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م (تحقيق عبد الجبار زكار) ، ٩٦/٣ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ١٠/١ .

المبحث الثالث

شعره

كان كغيره من علماء اللغة ينظم الشعر ، وامتاز شعره بالبساطة ولم أجد له

ديوان شعر أو قصيدة طويلة ومن شعره :

ضع كتابي إذا أتاك إلى الأرض وقلبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه قبل قد وضعتهن تَوَما
كان قصدي بها مباشرة الأرض وكفيك بالتثامي إذا ما
وأيضاً :

الناس قد أتموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي أدرى وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم بأن نحقق ما فينا يظنوننا
حملي وحملك ذنباً واحداً ثقة بالعفو أجمل من إثم الورى فينا
وقال :

توهم فينا الناس أمراً وصممت على ذلك منهم أنفس وجلوس
وظنوا وبعض الظن إثم وكلهم لأقواله فينا عليه ذنوب
تعالى نحقق ظنهم لنريحهم من الإثم فينا مرة وذنوب
وأيضاً قال :

بأنه إن جرت بوادي الأراك وقبلت أغصانه الخضر فاك
أبعث إلى المملوك من بعضه فإني والله مالي سواك^(١)

(١) محمد بن شاعر الكتبي : فوات الوفيات ، دار صادر ، بيروت (تحقيق الدكتور إحسان عباس) ، ٣٩/٤ .

المبحث الرابع

وفاته

ما نقل عنه أنه عمل في ديوان الإنشاء بمصر ، ثم ولي قضاء دمشق^(١) ، ثم عاد إلى مصر وتوفى بها ، ودفن في القاهرة^(٢)(٣) .
وقد أجمع المؤرخون أن وفاته كانت في شعبان سنة (٧١١هـ—١٣١١م)
أي عاش اثنين وثمانين عاماً هجرياً أو تسعاً وسبعين سنة ميلادية^(٤) .

(١) دمشق : بكسر أوله وفتح ثانيه ، البلدة المشهورة في الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن العمارة والنضارة ، وكثرة فواكهها وكثرة المايه ، سميت بذلك لأنهم أسرعوا في بنائها وقيل بناها جبرون بن سعد بن عامر بن إرم بن سام بن نوح ، عليه السلام وسمها إرم ذات العماد . الحموي : معجم البلدان ، ٣٦٣/٢ .

(٢) القاهرة : مدينة يجنب الفسطاط يجمعها سور واحد ، وهي اليوم المدينة العظمى ، وبها دار الملك وسكن الجند ، وكان أول من أحدثها : جوهر غلام المعز أبي تميم سعد بن إسماعيل الملقب بالمنصور بن أبي القاسم نزار ، وهي الآن عاصمة مصر . انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٣٠١/٤ .

(٣) خير الدين الزركلي : الأعلام ، ١٠٨/٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ٢٨/١ .

القسم الثاني

الفصل الأول

حرف الذال

النص رقم (١)

قال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال أبو العباس أحمد بن يحيى (٢) ومحمد بن زيد (٣) : ذا يكون بمعنى هذا ، ومنه قول الله عز وجل : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) : أي من هذا الذي يشفع عنده . ويكون ذا بمعنى الذي . قال أبو الهيثم (٤) : (ذا اسم كل مشار إليه معاين يراه المتكلم والمخاطب) . وهو اسم مبهم لا يعرف ما هو حتى يفسر ما بعده كقولك ذا الرجل وذا الفرس . وقال الجوهري (٥) : (ذا اسم

(١) البقرة / ٢٥٥ .

(٢) أبو العباس : هو أحمد بن يحيى الشيباني تغلب مولاهم الكوفي أبو العباس ، نحوي ، لغوي ، توفي ببغداد سنة ٢٩١هـ . من تصانيفه : المصون في النحو ، اختلاف النحويين ، ومعاني القرآن وغيرها . سير أعلام النبلاء ، ١٣٩/٩ .

ياقوت الحموي الرومي : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ١٠٢/٥ .

(٣) محمد بن زيد : هو محمد بن زيد الكلاعي أبو سعيد ويقال أبو يزيد ويقال أبو إسحاق الواسطي مولى خولان شامي الأصل روى له جماعة من الرجال وقالوا عنه ثقة . وقيل مات سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل تسعين وقيل غير ذلك .

انظر : خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري : الطبقات ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م (تحقيق أكرم ضياء الحق) ، ص ٣٢٦ .

أيضاً : الحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف) ٣٠/٢٧ .

(٤) أبو الهيثم : هو أسد بن كرز بن عامر بن عبقر أبو الهيثم البجلي القسري الدمشقي أمير مكة والحجاز ، داره بدمشق في مربعة القز وتعرف اليوم بدار الشريف اليزيدي وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما . إسماعيل بن عمر بن كثير : البداية والنهاية ، ١٧/١٠ .

(٥) الجوهري : هو إسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب الصحاح ، أصله من بلاد الترك ، وكان إماماً في اللغة والأدب صنف كتاباً في العروض ومقدمة في النحو والصحاح في اللغة ، وفاته حدود ال ٤٠هـ .

يشار به إلى المذكر وذي بكسر أي المؤنث) (١) . وقال ابن سيده (٢) : (ذا إشارة إلى المذكر ويقال ذا وذاك وقد تزداد اللام فيقال ذلك) (٣) . ومنها قوله تعالى : (ذلك الكتاب) (٤) قال الزجاج (٥) : (معناه هذا الكتاب) (٦) . وقد تدخل ذا ها التنبيه فيقال هذا . ومنه قوله تعالى : (إن هذان لساحران) (٧) فأصبح تثنية ذا ، دان . وقد استعملت ذا مكان الذي كقوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون) (٨) أي ما الذي ينفقون . وقال الأزهري (٩) : (إشارة إلى ما يقرب منك) (١٠) (١١) .

جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، (٤٤٦/١) .

(١) أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ — ١٨٤٦/٢ ، م ١٩٩٨

(٢) ابن سيده : هو أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي كان إماماً حافظاً في اللغة ، ضرير البصر ، أخذ علم العربية واللغة من والده الذي كان ضريراً أيضاً ، له المحكم في مجلدات عديدة ، وله شرح الحماسة في ست مجلدات وغير ذلك . توفى في ربيع الأول وله ستون عاماً ، ويقال أنه توفى في سنة ثمان وأربعين .

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م (دائرة المعرفة النظامية) الهند (٢٠٥/٤) .

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م (تحقيق عبد السلام أحمد فراج) ، ٨٢/١١ .

(٤) البقرة / ٢ .

(٥) الزجاج : هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج أبو إسحاق النحوي ، اللغوي المفسر ، من تصانيفه معاني القرآن ، مختصر النحو ، الاشتقاق وغيرها ، توفى سنة ٣٩١هـ وقيل غير ذلك .

شذرات الذهب (٥٩/٢) .

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن السري : معاني القرآن وإعرابه ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م (تحقيق : د. عبد الجليل عبده شعبي) ٦٧/١ .

(٧) طه / ٦٣ .

(٨) البقرة / ٢١٩ .

(٩) الأزهري : هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي ولد بمراة سنة ٢٨٢هـ . أسر في فتنة القرامطة سنة ٣١٢هـ . دخل بغداد ثم عاد إلى هراة واشتغل بالفقه الشافعي صنف كتابه تهذيب اللغة وله كتب أخرى ، توفى ٣٧٠هـ ، وقال البعض ٣٧١هـ .

شذرات الذهب ٧٢/٣ ، معجم الأدباء ١٦٤/١٧ .

(١٠) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (تحقيق عبد السلام محمد هارون) ٤٦/١٥ .

(١١) ابن منظور : لسان العرب ٨/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري^(١) : (يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم)^(٢) .

وأما قول القرطبي^(٣) في هذه الآية فهو : ((من) رفع بالابتداء (وذا) خبره ، (والذي) نعت ل(ذا) وإن شئنا بدل ولا يجوز أن تكون ذا زائدة)^(٤) .

وقال ابن كثير^(٥) : هذا من عظمته وجلاله لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد إلا بإذنه^(٦) .

وأيضاً جاء في تفسير هذه الآية : أن (من) مبتدأ وهو استنهام معناه النفسي ولذا دخلت إلا في قوله إلا بإذنه والخبر ذا والذي نعت أو بدل منه على أن ذا اسم

(١) الطبري : هو محمد بن جرير بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ولد في آخر سنة أربع وأول سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان أسمر فصيح اللسان ، وكان حافظاً للقرآن بصيراً بالمعاني . ومن تصانيفه كتاب التاريخ وكتاب التفسير وتهذيب الآثار ، توفي في الثامن من شوال سنة عشر وثلاثمائة بخراسان .

كشف الظنون

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : طبقات المفسرين ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، ٨٢/١ .

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن الطبري أبو جعفر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، الرياض (تحقيق أحمد محمد شاكر) ، ٨/٣ .

(٣) القرطبي : هو الشيخ الإمام العالم الفقيه المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة ، له كتب كثيرة في التفسير والحديث والقراءات وما وراء الطبيعة وغيرها أشهر كتبه الجامع لأحكام القرآن ، توفي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ ، ودفن بالمغرب في صعيد مصر .

كشف الظنون ٥٣٤/١ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ٢٠٨/١ .
(٥) ابن كثير : الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ولد سنة إحدى وسبعمائة ، وله الكثير جداً من المصنفات منها البداية والنهاية وتفسير القرآن العظيم وغيرها ، توفي في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة .

سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٨/٥ .

(٦) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، دار البيان الحديثة ، ط ١ ، ٣٦٠/١ .

إشارة وفيه تعد لأن الجملة لم تستغل بمن مع ذا ولو كان خبراً لاستغل ولم يحتج إلى الموصول فالأولى أن (من) ركبت مع ذا للاستفهام^(١) .

فلاحظ اتفاق المفسرين وابن منظور على أن ذا بمعنى الذي .

وأيضاً قد تصبح ذا ذاك وذلك كما في قوله تعالى (ذلك الكتاب) فتكون بمعنى هذا . فقال الطبري في (ذلك) : (معناه هذا الكتاب ، فإن قيل كيف يكون ذلك بمعنى هذا وهذا إشارة إلى حاضر معين وذلك إلى غائب ، قيل جاز ذلك لأن كل ما تقصى وقرب تقصيه من الأخبار فهو وإن صار بمعنى غير الحاضر ، فكالحاضر عند المخاطب ، فكأنه جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد أعلم أن ما تضمنته سور الكتاب التي قد أنزلتها إليك هو الكتاب الذي لا ريب فيه أي لا شك فيه)^(٢) .

ووافق القرطبي قائلاً : ((ذلك) قيل المعنى هذا الكتاب ، (وذلك) قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر ، وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب)^(٣) .

وذكر الماوردي^(٤) ثلاث تأويلات في معنى الآية (ذلك الكتاب) :

أحدهم : يعني التوراة والإنجيل ليكون إخباراً عن ماضي .

الثاني : يعني به ما نزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة .

والثالث : يعني هذا الكتاب ، فقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى حاضر وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب^(٥) .

(١) عبد الرحمن بن حمد الجزائري المالكي المعروف بالثعالبي : جواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٩٦/١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٤٣/١ .

(٤) الماوردي : هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي ، ولد في ٣٦٤هـ في البصرة وتوفي ٤٥٠هـ .

تذكرة الحفاظ ٤/٤٤١ .

شذرات الذهب ٤/١٦ .

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : النكت والعيون في تفسير الماوردي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، ١٦٧/١ .

وقيل إن الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد فيه الإشارة وقعت للتعظيم^(١) .
فيكون المعنى أن هذا القرآن لا شك فيه أنه صدق وحق ولا ريب فيه
وخصص الهدى فيه للمتقين دلالة على أنه ليس يهدي غيرهم^(٢) .
وقد تدخل هاء التنبيه على (ذا) فتصبح (هذا) وتنثيته (هذان) ، فاتفق ابن
منظور مع الطبري أن المقصود ب(هذان) المثنى أي موسى وهارون ساحران
يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما^(٣) .
وأيضاً قال ابن كثير أن هذه لغة لبعض العرب (إن هذان ..) جاءت على
إعرابها وهذه هي اللغة المشهورة^(٤) .

وفي هذه الآية اختلاف في القراءة فالبعض قرأها (إن هذين ..) وحجتهم أن
تنثية المنصوب والمجرور بالياء في لغة فصحاء العرب . وقرأ آخرون (إن
هذان ..) بالألف وحجتهم أنها مكتوبة هكذا في الإمام مصحف عثمان^(٥) .
إذاً (ذا) تنثى على ذان وتصبح هذان عند دخول هاء التنبيه .

فالمعنى أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه يعنون
موسى وهارون ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان أن يغلباكم
ويخرجاكم من أرضكم^(٦) .

وأيضاً ذا تكون بمعنى الذي في قوله تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون) حيث
تظهر لنا موافقة ابن منظور للطبري بقول الطبري : من قرأ رفعاً جعل من ما
صلة ذا ورفعوا (العفو) فيكون معنى الكلام حينئذ ما الذي ينفقون ، قل الذي
ينفقون (العفو) ولو نصب (العفو) ثم جعل ما ذا حرفين بمعنى يسألونك ماذا ينفقون

(١) الإمام محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري : تفسير الخطيب الشربيني المسمى (السراج المنير في الإعانة على
معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٢٤/١

(٢) علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٩٠/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤٢٩/٨ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٧٦/٥ .

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة : حجة القراءات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-
١٩٨٢م ، (تحقيق سعيد الأفغاني) ٤٥٤/١ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٧٦/٥ .

قل : ينفقون العفو(١) .

واتفق القرطبي مع الطبري في أنها تقرأ رفعاً ونصباً والمعنى وانفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم(٢) .

وكذلك قال ابن كثير أنها قرئت بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن ، والعفو ما يفضل عن أهلك(٣) .

وفي سبب نزول هذه الآية روى ابن عباس(٤) أن نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما ندري ما النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها ؟ فأنزل الله : يسألونك ماذا ينفقون قل العفو. وأيضاً أن معاذ بن جبل(٥) وثعلبة(٦) أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا فأنزل الله هذه الآية(٧).

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٦٩/١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٠/٣ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٠١/١ .

(٤) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلاميذه مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناقبه كثيرة ، توفي بالطائف سنة ثمان وستين . الإصابة ، ابن حجر العسقلاني أحمد بن يحيى : الإصابة في تمييز الصحابة ، دار النهضة ، مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ضبط علي محمد البجاوي ، ٣٣٠/٢ .

(٥) معاذ بن جبل : هو عمرو بن أوس بن عابد الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني ، صحابي جليل القدر ، كان طوالاً حسن الشعر والثغر براق الثنايا لم يولد له ، وقيل له ، شهد بدرًا وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام . وأقام باليمن ثم هاجر للشام ومات في غور نيسان سنة ثمان عشرة . أنظر أيضاً : أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة ، خالد بن محمد بن عثمان ٣١٠/٢ .

(٦) ثعلبة : هو ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نايي بدري ، من بني جشم بن الخزرج ، استشهد بالخندق . سيرة ابن هشام ، ٣٠٩/٢ . أنظر أيضاً : أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة ، خالد بن محمد بن عثمان .

انظر أيضاً : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، العجائب في بيان الأسباب ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، تحقيق عبدالحكم محمد الأنييس ، ١٣٧/١ .

(٧) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل : لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٣٧/١ .

إذا المقصود أن ينفقون ما زاد عن حاجتهم ونسخت هذه الآية بآية الزكاة :
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها^(١) .

إذا ذا اسم إشارة للبعيد وقد يأتي للقريب كما في الآية السابقة دلالة على
التعظيم وقد يأتي بمعنى الذي كما أوضحنا . وذا يمكن أن تضاف لها هاء التنبيه
فتكون (هذا) وتنتى فتصبح هذان .

المعنى العام للنص :

في هذه الآية يوضح سبحانه وتعالى أنه يأذن لمن يشاء له في الشفاعة ،
وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة ، وغيرهم ممن كرمهم وشرفهم الله ،
ومن عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده
إلا بإذنه^(٢) .

النص رقم (٢)

قال تعالى : (مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن الأنباري^(٤) : قال ابن قتيبة^(٥) في قوله عز وجل (مثلهم كمثل الذي
استوقد ناراً) معناه كمثل الذين استوقدوا ناراً . فالذي قد يأتي مؤدياً عن الجمع في
بعض المواضع . واحتج بقوله : إن الذي حانت بفلج دماؤهم . ومعنى حانت
دماؤهم لم يؤخذ لهم بديّة ولا قصاص وفلج موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري أبو الفرج : نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ٨٣/١

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٨/١ .

(٣) البقرة / ١٧ . (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

(٤) ابن الأنباري : هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر بن
الأنباري ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين . وكان فاضلاً صدوقاً دينياً بين أهل السنة وكان أعلم الناس بالنحو
والأدب وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث وغير ذلك وكان زاهداً متواضعاً .

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ،
١٣٥٨ هـ ، ٣١١/٦

(٥) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الكاتب نزيل بغداد صاحب التصانيف ،
مولده سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة ٢٦٧ هـ ، كان ثقة ديناً فاضلاً ولي قضاء الدينور وكان رأساً في اللغة العربية
والأخبار وأيام الناس . الوافي في الوفيات ٢٥٠٢/١ .

قال أبو بكر^(١) احتجاجه على الآية بهذا البيت غلط لأن الذي في القرآن اسم واحد وربما أدى عن الجمع فلا واحد له ، والذي في البيت جمع واحده اللذ ، وتثنيته اللذا وجمعه الذي ، والعرب تقول جاءني الذي تكلموا ، وواحد الذي اللذ ، وأنشد :

يا رب عيسى لا تبارك في أحد
في قائم منهم ، ولا فيمن قعد
إلا الذي قاموا بأطراف المسد

أراد الذين . قال أبو بكر : والذي في القرآن واحد ليس له واحد والذي في البيت جمع له واحد^(٢) .

قال والذي يكون مؤدياً عن الجمع وهو واحد لا واحد له في مثل قول الناس أوصي بمالي للذي غزا وحج ، معناه للغازين والحجاج . وقال الله تعالى : (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن)^(٣) .

قال الفراء^(٤): تماماً على المحسنين أي تماماً للذين أحسنوا ، أي أنه تمم كتبهم بكتابه ، ويجوز أن يكون المعنى تماماً على ما أحسن أي تماماً للذي أحسنه من العلم وكتب الله القديمة^(٥) ، قال : ومعنى قوله تعالى : (كمثل الذي استوقد ناراً) أي مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل كان في ظلمة لا يبصر من أجلها ما عن يمينه وشماله وورائه وبين يديه وأوقد ناراً فأبصر بها ما حوله من قذى وأذى ،

(١) أبو بكر هو ابن الأنباري ، سبق ترجمته ص ٣٠ .

(٢) أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدنيوري : أدب الكاتب ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٦٣م ، تحقيق محي الدين عبد الحميد .

(٣) الأنعام / ١٥٤ .

(٤) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد عبد الله بن منظور الديلمي ، نسبة إلى ديلم وهو إقليم في البلاد الفارسية والفراء لقبه ولد الفراء بالكوفة سنة ١٤٤هـ ، ونشأ بها وتربى على شيوخها وكان شديد الحفظ ، له الكثير من المؤلفات منها معاني القرآن وغيره توفي ٢٠٧هـ .

ابن خلكان ٢٥/٥ . أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٥٢/٤ . معجم الأدباء ٩/٢٠ .

(٥) أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٥٥م تحقيق علي النجار وآخرون ، ٣٦٥/١ .

فبينما هو كذلك طفئت ناره فرجع إلى ظلمته الأولى ، فكذلك المنافقون كانوا في ظلمة الشرك ثم أسلموا فعرفوا الخير والشر بالإسلام ، كما عرف المستوقد لما طفئت ناره ورجع إلى أمره الأول^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري إن العرب توحد الذي والتأويل على الذين إذا أرادت به الكل ، وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود^(٢) أنه كان يقرأ (تماماً على المحسنين) وكان مجاهد^(٣) وبه تأويل الكلام ومعناه أي أن الله جل ثناؤه أخذ عن موسى أنه أتاه الكتاب فضيلة على ما أتى المحسنين من عباده^(٤) .

(أتينا موسى الكتاب) أي كنا قد أتينا موسى الكتاب وهو التوراة تماماً لكرامته على إحسانه في الدنيا .

وفي روح المعاني : أتينا موسى الكتاب تماماً كاملاً على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب والأحسنية بالنسبة إلى غير دين الإسلام وغير ما عليه القرآن^(٥)

ففي الرأي الأول يوافق اختيار ابن منظور رأي الطبري وفي الرأي الثاني يوافق ما ورد في روح المعاني فالذي قد تأتي مقصود بها الواحد أو الجمع . أما قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٩/٥ .

(٢) عبد الله بن مسعود : هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبد الرحمن كان من السابقين الأولين ومن مهاجرة الحبشة ، شهد بدرًا وله مناقب كثيرة توفي رضي الله عنه بالمدينة في آخر سنة اثنتين وثلاثين .

أسد الغابة ٣/٣٨٤ .

الاستيعاب ٢/٣١٦ .

(٣) مجاهد : هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب أبو الحجاج ، من كبار التابعين قال عن نفسه : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أسأله عن كل آية فيم نزلت وكيف نزلت . سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٥/٣٩٨ .

(٥) محمود الألوسي أبو الفضل : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٦/٨ .

قال أبو جعفر : ((مثلهم) كناية جمع من الرجال أو الرجال والنساء ،
(والذي) دلالة على واحد من الذكور . ففي هذا الموضع يمثل ربنا جل ثناؤه
جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لأفعالهم فجائز حسن ، فتمثيل الجماعة من
المنافقين بالمستوقد الواحد فإنما جاز ، لأن المراد من الخبر عن مثل المنافقين
الخبر عن مثل استنصاتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار ، وهم لغيره
مستبطنون من اعتقاداتهم الرديئة^(١) .

وقال القرطبي : (الذي) يقع للواحد والجمع ، والمعنى كمثل الذين استوقدوا
ناراً ولذلك قال تعالى : (وذهب الله بنورهم) فحمل أول الكلام على الواحد وآخره
على الجمع^(٢) .

وتقدير هذا المثل ذكره ابن كثير ، أن هؤلاء شبههم سبحانه وتعالى بمن
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ، وانتفع بها ، وأبصر بها عن يمينه وشماله
تأنس بها فبينما هو كذلك إذ طفت ناراه ، وصار في ظلام لا يبصر ولا يهتدي .
فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة بالهدى ، واستحبابهم الغي
عن الرشد^(٣) .

وفي فتح القدير يقول إن هذا مثلٌ ضربه الله للمنافق ، أما النور فهو إيمانهم
الذي يتكلمون به ، وأما الظلمة فهو ضلالهم^(٤) .

فضرب العرب للأمثال واستحضر العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي
في إبراز المعاني^(٥) .

إذاً اتفق ابن منظور مع المفسرين في أن المقصود بالذي الواحد ، ولكن قد
يأتي مؤدياً عن الجمع .

(١) الطبري : جامع البيان ١/١٧٤ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١/١٦٨ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ١/٧١ .

(٤) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، ١/٧٤ .

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري : تفسير الكشاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١

، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ١/٧٩ .

المعنى العام للنص :

لما بين سبحانه وتعالى حقيقة المنافقين ، أعقبها بضرب الأمثال ، لما له في إبراز خفيات المعاني .. فهؤلاء صفتهم في نفاقهم ، فمثل الذي أوقد ناراً في ظلمة، فلما أنارت فأبصر ، واستدفاً ، وأمن ممن يخافه ، أطفأها الله وتركهم متحيرين خائفين فكذاك هؤلاء آمنوا بإظهار الإيمان ، فعاشوا بين المسلمين مؤمنين .. فلما ماتوا جاءهم الخوف والعذاب^(١) .

النص رقم (٣)

قال تعالى : (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور قال أبو الهيثم : إذا بعد المشار إليه من المخاطب وكان المخاطب بعيداً ممن يشير إليه زادوا كافاً فقالوا ذاك أخوك . والنصب والرفع والخفض في قوله ذا سواء . فلما ثنوا زادوا في التثنية نوناً وأبقوا الألف فقالوا ذان أخواك ، وذانك أخواك ، قال الله تعالى : (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) ومن العرب من يشدد هذه النون فيقول ذانك أخواك وقال الفراء اجتمع القراء على تخفيف النون من ذانك وكثير من العرب تقول فذانك قائمان وهذان قائمان^(٣) . وقال الأخفش^(٤) قرأ بعضهم (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ) أي ادخلوا التثنية للتأكيد^(٥) . وذانك تثنية

(١) جلال الدين محمد بن أحمد الحلبي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ٥/١ .

(٢) القصص / ٣٢ . (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٣٠٧/٢ .

(٤) الأخفش : هو ابن مسعدة البلخي الجاشعي ، ولد في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة ألف عدداً من الكتب بلغت تسعة عشر كتاباً منها تفسير معاني القرآن ، توفي بعد سنة سبع ومائتين .

شذرات الذهب ٣٦/٢ . كشف الظنون ١٤٦٣ .

(٥) الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي الجاشعي : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م (تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد) ٦٥٣/٢ .

ذلك وقال أبو إسحاق فذائك تثنية وذلك ذانك تثنية ذلك^(١)(٢) .

دراسة النص :

تحدث الطبري عن الاختلاف في قراءة (ذائك) . والتي وافقه فيها ابن منظور ، فقال (ذائك) قراءة عامة الأمصار بتخفيف النون ، والبعض قرأها بتشديدها ، ثم ذكر (برهانان) أي آتيان وحجتان وأصل البرهان البيان . أي هات بيان صدقك^(٣) .

وافقه أيضاً القرطبي حيث قال (البرهانان) اليد والعصا وفي لغة هذيل (فذانيك) بالتخفيف والياء ولغة قريش (فذانك)^(٤) .

وقال ابن كثير : المقصود إلقاء العصا ، وجعلها حيةً تسعى وإدخاله يده في جيبه ، وخروجها بيضاء من غير سوء ، دليلان قاطعان واضحان على قدرة الله سبحانه وتعالى^(٥) .

وفي الجواهر الحسان : قال ذاك مقصود بها المثني ، أي اليد والعصا^(٦) . وأحياناً يكون اسم الإشارة مذكر مع أن المشار إليه مؤنث كما في هذه الآية (فذانك) مذكر (برهانان) اليد والعصا مؤنث^(٧) . والمذكر ذان يثنى بالألف رفعاً^(٨) .

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٠٨/٤ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ١٠/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٦٩/١٠ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٤/١٣ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٨٨/٦ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف التعالي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٧٦/٣ .

(٧) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ٥٥٥/١ .

انظر أيضاً : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٥ م (تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله) ٨٨٨/١ .

(٨) أبو محمد عبد الله بن جمال الدين بن هشام الأنصاري : شرح قطر الندى وبل الصدى ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ص ٩٩/١ .

إذاً (ذانك) اسم إشارة من اسم الإشارة ذلك وهي تدل على المثني ، كما ذكر ابن منظور والمفسرون .

وقد اختلف في قراءة (ذانك) قيل يقرأ بتشديد النون وتخفيفها ، واختلف أهل العربية في وجه تشديدها فقال بعض نحويي البصرة : ثقل النون للتوكيد ، وقال بعض نحويي الكوفة : شددت فرقاً بينها وبين النون التي تسقط للإضافة لأن هاتان وهذان لا تضاف . وقيل زيدت النون ليفصل بينها وبين الأسماء المتمكنة ، والتشديد في النون في ذانك من لغة قريش^(١) .

المعنى العام للنص :

والمعنى يكون فهذان اللذان أرتيكهما يا موسى من تحول العصا حية — وبذلك وهي سمراء بيضاء ، تلمع من غير برص برهانان أي آيتان وحجتان إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين .

النص رقم (٤)

قال تعالى (ها أنتم أولاء تحبونهم)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال المنذري^(٣) : سمعت أبا الهيثم يقول ها وألا حرفان يفتتح بهما الكلام لا معنى لهما إلا افتتاح الكلام بهما . وقال أولاء ممدودة مقصورة اسم لجماعة ذا وذو . ثم قالوا مع أولاء هؤلاء .

(١) الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله : الحجة في القراءات السبع ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ (تحقيق د. عبد العال سالم مكرم) ، ٢٧٧/١ .

(٢) آل عمران / ١١٩ . تنمة الآية (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) .

(٣) رشيد الدين أبو بكر بن الحافظ الكبير زكي الدين المنذري ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ، أكب على طلب العلم ورحل وسمع بدمشق وحلب وكان ذكياً فطناً حافظاً روى عنه رفيقه الحافظ أبو محمد الدمياطي وتوفي شاباً سنة أربع وأربعين وستمائة . الوافي في الوفيات ٤٠٣/١ .

المنذري : هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد أبو محمد المنذري الحافظ الكبير الإمام الثبت شيخ الإسلام الشامي ثم المصري ولد في غرة شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسائة ، له عدة مؤلفات منها عمل المعجم في مجلد واختصر صحيح مسلم وصنف الأربعين وغيرها ، قيل عنه كان عالماً بصحيح الحديث وسقيمه ومعلوله وطرقه . توفي في رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة . سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٠/٢٣ .

وقال الفراء في قوله تعالى : (ها أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ) العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا وهذان وهؤلاء فرقوا بين ها وبين ذا وجعلوا الممكن بينهما ، وذلك في جهة التقريب لا في غيرها . ويقولون: أين أنت ؟ فيقول : ها أنا ذا . وكذلك التنبيه في الجمع ، كما في الآية(١) . وأيضاً توصل ها بذا وهذا وهؤلاء فيقولون ها أنت ذا قائماً وها أنتم هؤلاء ، قال تعالى : (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا)(٢) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر : (وقال (ها أنتم أَوْلَاءُ) ولم يقل هؤلاء أنتم ففرق بين ها وأولاء بكناية اسم المخاطبين لأن العرب كذلك تفعل في هذا إذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج إلى تمام الخبر . وذلك في مثل أن يقال لبعضهم : أين أنت فيجيب ها أنا ذا . فتفرق بين التنبيه وذا بمكنى اسم نفسه)(٣) .

وأما القرطبي فلم يتكلم في الناحية اللغوية في هذه الآية وإنما ذكر تفسير الآية قائلاً المقصود المنافقون والمحبة هنا بمعنى المصافاة أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يضافونكم لنفاقهم ، والمعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون الكفر(٤) .

وأيضاً ابن كثير لم يذكر شيئاً عن الناحية اللغوية وإنما قال أي أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهره لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطناً ولا ظاهراً(٥) .

وقال البيضاوي : (أي أنتم أَوْلَاءُ الخاطئون في موالاته الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم)(٦) .

(١) الفراء : معاني القرآن ، ٢٣١/١ .

(٢) النساء / ١٠٩ . ابن منظور : لسان العرب ١٠/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٤١٠/٣ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٤ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٢٨/١ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٨٥/١ .

وأما قوله تعالى : (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) فإنها نزلت في رجل من الأنصار ، استودع طعمة بن أبرق مشربة له فيها درع ، وخرج فغاب فلما قدم الأنصاري فتح مشربته ، فلم يجد الدرع ، فسأل عنها طعمة بن أبرق، فرمي بها رجلاً من اليهود يقال له زيد بن السمين ، فتعلق صاحب الدرع بطعمة في درعه ، فلما رأى قومه ذلك ، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فكلّموه ليدراً عنه، فنزلت الآية^(١) .

ومعناها كما قال الطبري : ها أنتم الذين جادلتم يا معشر من جادل عن بني أبرق (في الحياة الدنيا) فمن ذا يخاصم الله عنهم يوم القيامة^(٢) .

وجاء في التحرير والتنوير : (ها) من قوله (ها أنت) تنبيه وأصل الكلام أنتم حاجتم ، وإنما يجيء مثل هذا التركيب في محل التعجب ، والتنكير ، والتنبيه، ونحو ذلك ، ولذلك يؤكد غالباً باسم إشارة بعده ، فيقال ها أنا ذا وها أنتم أولاء أو هؤلاء^(٣) .

وقال الراغب الأصفهاني^(٤) : ها للتنبيه في قولهم : هذا ، وهذه وقد ركب مع ذا وذه وأولاء حتى صار معها بمنزلة حرف منها (وها) استفهام^(٥) . وذكر الفراهيدي^(٦) : والهاء قبل الهمزة لا تحسن إذا جاءت إلا في أول

(١) انظر : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٣٣م (تحقيق حميد بن عبد المجيد السلف) ٩/١٩ . وأيضاً الطبري : جامع البيان ، ٤/٢٦٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٤/٢٧٢ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م ، ١/٧٦٧ .

(٤) الراغب الأصفهاني : هو مفضل بن محمد الأصفهاني (الأصبهاني) أبو القاسم الراغب كان ظهوره في أوائل المائة الخامسة وكان عالماً بأنواع العلوم ومهراً في التفسير ومن مصنفاته : مفردات القرآن ، وكتاب الأخلاق ، وغيره ، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء ، ٨/١٢٠ . بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢٩٧ .

(٥) أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : مفردات القرآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١/١٥٤٥ .

(٦) الفراهيدي : هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري ، صاحب العربية والعروض ، أحد العلماء ، أخذ عنه النحو سيبويه ، والأصمعي ، وغيرهما ، كان خيراً متواضعاً ، ذا زهد وعفاف ، صنّف كتاب العين في اللغة ، مات سنة سبعين وقيل غير ذلك ، الوافي بالوفيات ، ١/١٨٨٢ .

بناء الكلمة ، فإذا فصل ما بينهما بحرف لازم حسننا حيثما وقعتا . وأهل الحجاز يقولون في الإجابة ها خفيفة وفي هذا المعنى يقولون ها بدل من ألف الاستفهام تقول ها إنك زيد معناه إنك زيد ، أو يقصد فيقال هانك زيد وها تنبيه يفتح بها^(١) إذا ها وآلا حرفان و(ها) للتنبيه وتكون في أول الكلام والبعض قال للاستفهام أو للتعجب وما ذكره ابن منظور كان موافقاً لما قاله الطبري .

المعنى العام للنص :

قال ابن عباس في هذه الآية : كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود ، والخطاب بهذه الآية للمؤمنين ، ومعنى الكلام ها أنتم تحبونهم فنهوا عن مصافاتهم . وقيل المنافقين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ، وإذا لقوا محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا . (وإذا خلوا) فيما بينهم (عضوا عليكم الأنامل) أي أطراف الأصابع من الغيظ قبل موتوا بغیظكم أي على سبيل التقرير والإغاظه . إن الله عليم بذات الصدور^(٢) . والكل مراد .

النص رقم (٥)

قال تعالى : (ذَوَاتَا أَفْئَانٍ)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال الليث^(٤) : ذو اسم ناقص وتفسيره صاحب ذلك ، كقولك : فلان ذو مال أي صاحب مال ، والتثنية ذوان ، والجمع ذون وقال ابن

(١) أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال (تحقيق مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي) ١٠/٤ .

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، ٤٤٧/١ .

(٣) الرحمن / ٤٨ .

(٤) الليث : هو أبو الحارث سعد بن عبد الرحمن الفهمي أصله فارسي أصبهاني ، ولد بمصر سنة أربع وتسعين ونشأ بالديار المصرية وكان جيد الذهن ، إماماً ثقة واسع العلم وكان إماماً في الفقه والحديث والعربية ومناقبه كثيرة ، توفي في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة .

البداية والنهاية ١٠/١٦٦ - العبر ١/٤٩ .

كيسان^(١) : ذو من الأسماء التي رفعها بالواو ونصبها بالألف وخفضها بالياء^(٢) .
وقال الليث : في تأنيث ذو ذات تقول هي ذات مال . وهما ذواتا مال ، كما في
قوله تعالى : (ذواتا أفنان) والجمع الذون . وفي التنزيل العزيز : (فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم)^(٣) . قال أبو العباس : أراد الحالة التي للبين . وقال
أبو إسحاق : (معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم أي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على
أمر الله ورسوله)^(٤) . وقال ابن سيده : (ذو كلمة صيغت ليتوصل بها إلى
الوصف للأجناس ، فنقول مررت برجل ذي مال وبامرأة ذات مال وبرجلين ذوي
مال)^(٥) وفي التنزيل : (واشهدوا ذوي عدل منكم)^(٦) . (وذواتا) للتثنية . وقال
الأخفش في قوله تعالى : (واصلحوا ذات بينكم) إنما أنثوا لأن بعض الأشياء قد
يوضع له اسم مؤنث ولبعضها اسم مذكر^(٧) . وقال ابن الانباري في معنى قوله
تعالى : (إنه عليم بذات الصدور)^(٨) معناه بحقيقة القلوب ، فتأنيث ذات لهذا
المعنى^(٩) ، كما قال تعالى : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)^(١٠) فأنيث
على معنى الطائفة ، وقوله عز وجل : (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كفهم
ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال)^(١١) أريد ذات الجهة^(١٢) .

(١) ابن كيسان : هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي ، كان أحد الموصوفين بالفهم ، وكان يحفظ
مذهب البصريين والكوفيين معاً في النحو ومات سنة تسع وتسعين ومائتين . المنتظم (١١٤/٦) .

(٢) البقية : أبوك ، أخوك ، فوك ، هنوك ، وحموك .

(٣) الأنفال / ١ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرايه ٣٢٤/٢ .

(٥) ابن سيده : المحكم ٨٢/١١ .

(٦) الطلاق / ٢ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ، ٥٤١/٢ .

(٨) لقمان / ٢٣ .

(٩) الشوكاني : فتح القدير ٧٦١/٤ .

(١٠) الأنفال / ٧ .

(١١) الكهف / ١٧ .

(١٢) ابن منظور : لسان العرب ١١/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري : أي ذوات ألوان من الفاكهة ، أو ذوات أغصان(١) .
وقال القرطبي : ذوات ظل وأغصان(٢) .
وقال ابن كثير : ذوات أفنان يعني سبقها ، وفضلها ، ومزيتها(٣) .
وأما البيضاوي(٤) فقال : أنواع الأشجار والثمار ، وهي جمع فنن ، أي أغصان . وفنن هي الغصنة التي تنتشعب من فرع الشجرة ، وتخصيصها بالذكر لأنها التي تؤرق وتثمر وتمد الظل(٥) .
وذكر الألوسي(٦) : ((ذوات أفنان) صفة لجنتان وهي تثنية ذات بمعنى صاحبة ، فإنه إذا تثنى فيه لغتان ذاتا على لفظة وهو الأقيس ، كما يثنى مذكره ذوا والأخرى ذواتا بردها إلى أصلها فإن التثنية ترد الأشياء إلى أصولها وقد قالوا أصل ذات ذوات لكن حذفوا الواو تخفيفاً وفرقاً بين الواحد والجمع والتثنية(٧)) .
وجاء في مفردات القرآن ذو على وجهين : أحدهما يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس والأنواع ويضاف إلى الظاهر دون المضمرة ويثنى والجمع ويقال في المؤنث : ذات وفي التثنية ذواتا وفي الجمع ذوات ، ولا يستعمل شئ منها إلا

(١) الطبري : جامع البيان ٦٣/١١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١٧ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ٣٥٣/٤ .

(٤) البيضاوي : هو أبو سعيد ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، كان إماماً عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق له تصانيف كثيرة ، منها (أنوار التزويل وأسرار التأويل) . تاج الدين علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، هجر للنشر والطباعة ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ٥٩/٥ . الأعلام للزركلي ١١٠/٤ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٨/١ .

(٦) الألوسي : هو الشاء السيد محمود شهاب بن العلامة صلاح الدين السيد عبد الله رئيس المدرسين في بغداد ، ومدرس المدرسة العظمى في جامع الإمام الأعظم متمكن في العلم عريض في الأدب ، قرأ في علم الكلام له مؤلفات كثيرة منها : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ونزهة الألباب وشرح درة الغواص في أوهام الخواص . انظر خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، لجنة التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١ م ، ص ٤٧-٥٢ .

(٧) الألوسي : روح المعاني ١١٧/٢٧ .

مضافاً ، والثاني لفظ ذو : لغة طي يستعملونه استعمال الذي (١) .

نلاحظ أن الطبري والقرطبي لم يتعرضا لمعنى (ذواتا) منفصلاً ولكن ابن منظور اتفق معهما في المعنى العام أن المقصود جمع المثنى واتفق أيضاً مع ابن كثير في ذلك، أما الألويسي فقد أعطى شرحاً مفصلاً لكلمة (ذواتا) اتفق فيه مع ابن منظور وفي قوله تعالى : (واشهدوا ذوي عدل منكم) اتفق ابن منظور مع القرطبي أيضاً فقال القرطبي (نوي) مذكر وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث ، إذاً ذوي للوصف ، أي أنها لا تؤدي معنى بمفردها فألحقت عدل منكم (٢) .

ومعنى الآية : الأمر هنا للمسلمين في حال الطلاق إذا بلغ النساء المطلقات أجلهن أي شارفن آخر عدتهن فامسكوهن بمعروف بحسن معاشرة وإنفاق لائق أو فارقوهن بمعروف بإيتاء الحق وانتقاء الضرر بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً للعدة، واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعاً للتنازع (٣) .

وأما (ذات) في قوله تعالى (إن الله عليم بذات الصدور) فقال الطبري المقصود أن الله عليم بما تكنه صدورهم (٤) . وقال القرطبي : إنه عام بما في قلوب العباد وقيل خاص ، والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذباً وطبع في قلبك لعلمه (٥) . ولم يختلف معهما ابن كثير في أن المقصود (بذات الصدور) بما هو مضمرة في الصدور (٦) ، وبذا يتم الاتفاق بين المفسرين وابن منظور في معنى هذه الآية .

فيكون معنى الآية : (ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور) .

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥١٨/١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١١٢/١٨ . انظر أيضاً : الزمخشري : الكشاف ١٢٦٥/١ .

(٣) محمد بن محمد العماري أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٦١/٨ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٩٩/١٠ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤/١٦ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم : ١٤٢/٤ .

أي يا محمد من كفر فلا يحزنك كفره فإنه لا يضررك في الدنيا والآخرة
لأنهم إينا مرجعهم ، أي في الدارين ، فننبئهم بما عملوا ، أي بالإهلاك والتعذيب ،
لعلم الله بما في صدورهم فيجازيهم عليه^(١) .

وأما ذات في قوله تعالى : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) فإن
ابن منظور ذكر أنها أنثت على معنى الطائفة فاتفق مع الطبري الذي قال : (ذات)
أنثت لأنها مراد بها الطائفة ومعنى الكلام : تودون أن الطائفة التي هي غير ذات
الشوكة تكون لكم دون غيرها^(٢) .

وفي معنى الآية قال القرطبي : (الشوكة) السلام أي تودون أن تظفروا
بالطائفة التي ليس لها سلاح^(٣) . وكذلك قال ابن كثير (غير ذات الشوكة) : ود
المسلمون غير ذات الشوكة أي الطائفة التي ليس لها حد ، ولا منعة ، ولا قتال ،
تكون لهم وهي العير ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، أي هو يريد أن يجمع
بينهم ، وبين الطائفة التي لها الشوكة ، والقتال ، ليظفركم بهم ، وينصركم عليهم ،
ويظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالباً على الأديان^(٤) .

والشوكة ، واحدة الشوك المعروف ، واستعيرت هنا للشدة والحدة ، وتطلق
على السلاح^(٥) .

وأيضاً ذكر ابن منظور أن (ذات) تأتي بمعنى الجهة كما في قوله تعالى :
(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال)
قال الطبري : المقصود (بذات) في هذه الآية الجهة ، أي المعنى : وإذا
غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم ، وإذا طلعت تعدل عن كفهم ، فتطلع
عليه من ذات اليمين ، لئلا تصيب الفتية ، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم
وثيابهم ، وإذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم^(٦) .

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٣٥٠/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٨٣/٦ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٧ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٨/٢ .

(٥) الألوسي : روح المعاني ١٧١/٩ . انظر أيضاً : الشوكاني : فتح القدير ٤١٩/٢ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١٩١/٨ .

وأيضاً ذكر القرطبي أن (ذات) مقصود بها الجهة ، فالشمس تميل عن الكهف ذات اليمين إذا طلعت ، وتمر بهم ذات الشمال إذا غربت ، فلا تصيبهم في ابتداء النهار ولا في آخره (١) .

وقال ابن كثير : هذه قصة أصحاب الكهف ، وهي من آيات الله سبحانه وتعالى وهي من الأدلة التي يستدل بها أولوا الألباب على عظيم قدرته وسلطانه ، وذكر أنهم كانوا يقلبون مرتين في العام ، لأنهم لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض (٢) .
نخلص مما سبق أن (ذو) توصف بها الأجناس والجهات وأنها تكون ذا للمذكر وذات للمؤنث ، وتثنى ذواتا وتجمع ذوات ولا يستعمل شئ منها إلا مضافاً
المعنى العام للنص :

قوله تعالى (ذواتا أفنان) هذه صفة للجنتان والأفنان الأغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طويلاً أو الألوان أي أنهما ذواتا فضل وسعة على ما سواهما (٣) .

النص رقم (٦)

قال تعالى : (مَذْعُومًا مَدْحُورًا) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

ذأم الرجل يذأمه ذأماً : حقره وذامه وعابه ، وقيل حقره وطرده ، فهو مذعوم ، قال أوس بن حجر (٥) :
فإن كنت لا تدعو إلى غير نافع فذرني وأكرم من برأ لك وأذأم (٦)

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٢٠/١٠ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٣/٣ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ١٩٩/٥ .

(٤) الإسراء / ١٨ تنمة الآية : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومةً مدحوراً) .

(٥) أوس بن حجر : هو أوس بن حجر الأسلمي ، أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يسكن العرج وكنيته أبو تميم . أسد الغاية ٩٢/١ .

(٦) ديوان أوس بن حجر : (تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم - الجامعة الأمريكية ، بيروت) دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، ص ١٢٠ .

وذامه ذاماً طرده ، وفي التنزيل العزيز (اخرج منها مذؤوماً مدحوراً) ويكون معناه مذموماً ويكون مطروداً . وقال مجاهد : مذؤوماً منفيماً ، ومدحوراً مطروداً^(١) . وذامه ذاماً : أخزاه . والذأم : العيب ، يهمز ولا يهمز . وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت لليهود عليكم السأم والذأم^(٢) . والذأم العيب ولا يهمز ويروى بالبدال المهملة . أبو العباس : ذأمته عبته وهو أكثر من ذمته^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (مذؤوماً) : معيباً والذأم العيب يقال منه : ذأمه بذأمه ذاماً فهو مذؤوم ويتركون الهمز فيقولون : ذمته أذيمه ذيماً وذاماً والذأم والذيم أبلغ في العيب من الذم^(٤) .

وأخرج منها (مذؤوماً مدحوراً) : أي لعيناً منفيماً .

وقال القرطبي : (مذؤوماً) : أي مذموماً والذأم العيب بتخفيف الميم ، ومذؤوماً ومذووماً سواء يقال : ذأمته وذمته وذمته بمعنى واحد^(٥) .

وقال ابن كثير في هذه الآية أكد تعالى عليه ، اللعنة والطرده والإبعاد والنفي عن محل الملاء الأعلى^(٦) .

وقال البغوي^(٧) : أي معيباً والذأم أشد العيب^(٨) .

(١) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٧/٧ .

(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي : الجامع الصحيح المختصر ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (تحقيق د. مصطفى ديب البغا) ، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، ٢٢٤٢/٥ (٥٦٧٨) .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ١٨/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٤٤٧/٥ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٧/٧ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٧٥/٢ .

(٧) البغوي : هو الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد الفقيه الشافعي صاحب (التهذيب في الفقه وشرح السنة) في الحديث (والمعالم) في التفسير والمصايح وغير ذلك تفقه على القاضي حسين صاحب التعليقة وحدث عنه . (الإصابة ٤٠٥/٧) (تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٥٧/٤) .

(٨) الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد : معالم التنزيل ٢١٩/١ .

إذاً اتفق ابن منظور والمفسرون في أن الذأَم الطرد وهو أشد العيب وذام تأتي مهموزةً وغير مهموزةً .

المعنى العام للنص :

هذه الآية خبر من الله تعالى ذكره عن إحلاله بالخبيث عدو الله ما أحل به من نقمته ، ولعنته وطرده إياه، إذ عصاه وخالف أمره ، وراجعته من الجواب لما لم يكن له مراجعته به ، (أخرج منها) أي من الجنة (مذؤوماً مدحوراً) معيباً لعيناً منفيّاً^(١).

النص رقم (٧) :

قال تعالى : (وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذباب هو الأسود الموجود في البيوت الذي يسقط في الإناء والطعام والواحدة ذبابة لا تقل ذبانة ، وفي التهذيب : واحد الذبان ذباب بغير هاء فلا يقال ذبابه^(٣) . وفي الآية فسروه للواحد والجمع أذبة في القلة مثل غراب وأغربة وفي الحديث : (عمر الذباب أربعون يوماً والذباب كله في النار)^(٤) قيل كونه في النار ليس لعذاب وإنما ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم . وقال الجوهري : معروف ، الواحدة ذبابة وجمع القلة أذبة والكثير ذبان^(٥) قال النابغة^(٦) :

(١) الطبري : جامع البيان ٤٤٧/٥ .

(٢) الحج / ٧٣ . (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) .

(٣) الأزهرى : التهذيب ٤١٣/١٤ .

(٤) ذكره الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود ٢٠٨/١٠ (١٠٤٨٧) .

وأيضاً : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي : مسند أبي يعلى التميمي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (تحقيق حسين سليم أسد) ٢٣٠/٧ (٤٢٣١) . عن أنس بن مالك .

(٥) الجوهري : الصحاح ١٥١/١ . وأيضاً : ابن سيده : المحكم ٥٤/١٠ .

(٦) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن ذبيان ويكنى أبا أمامة . ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ٥١/١ .

ضرابة بالمشفر الأذبة^(١)(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : الذباب واحد وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان نظير
غراب الجمع في القلة أغربة وفي الكثرة غرابان^(٣) .
وقال القرطبي : الذباب اسم واحد للذكر والأنثى والجمع القليل أذبة والكثير
ذبان . وخص الذباب لأربعة أمور تخصه : لمهنته وضعفه واستقذاره وكثرته^(٤) .
وقال ابن كثير : الذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها^(٥) . وأما الشوكاني فقد
قال : الذباب اسم للواحد يطلق على الذكر والأنثى وجمع القلة أذبه والكثرة ذبان^(٦) .
وقال البيضاوي : (الذباب) من الذب لأنه يذب وجمعه أذبه وذبان . وفي
مفردات القرآن الذباب يقع على المعروف من الحشرات الطائرة وعلى النحل
والزنابير^(٧) .

والذباب واحد من عشرة أجناس من الطير ذكرت في القرآن الكريم^(٨) .
وقد وصفه الإمام الغزالي^(٩) قائلاً : (وانظر إلى الذباب كيف خلق أعضائه ،
وخلق حدقتيه مكشوفتين بلا أجفان ، إذ لا يحتمل رأسه الصغير الأجفان . وخلق
له بدلاً من الأجفان يدين زائدتين ، فله سوى الأربع يدان زائدتان تراه إذا وقع

(١) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ٢٠/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٨٩/٩ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٩/١٢ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣١٦/٣ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٧٣/٣ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٤٠/١ .

(٨) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ،
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ٣٧٩/٢ .

(٩) الغزالي : هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف والذكاء
المفرط ، تفقه ببلده أولاً ثم تحول إلى نيسابور ، لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه . توفي سنة ٥٠٥هـ . سير أعلام
النبلاء ٣٢٣/١٩ .

على الأرض لا يزال يمسح حدقتيه بيديه يصقلهما عن الغبار)(^١) .
ذكر ابن منظور معاني(^٢) كثيرة للذباب ، لكنه اتفق مع المفسرين في أن
المقصود بالذباب في هذه الآية الذباب الأسود المعروف الموجود في البيوت والذي
يجمع جمع قلة على أذبه وجمع كثرة على ذبان .

المعنى العام للنص :

قال السدي(^٣) : كانوا يجعلون للأصنام طعاماً فيقع عليه الذباب فيأكله ،
فالمعنى أنه إذا أخذ الذباب شيئاً لا يستطيعون تخليصه منه ، لكمال عجزهم ،
وفرط ضعفهم ، والاستنقاذ والإنقاذ التخلص . فإذا عجزوا عن خلق مثل هذا
الحيوان العاجز ، فهم لسواه أعجز ، فالصنم كالتالاب من حيث يطلب خلق الذباب،
أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه ، والمطلوب الذباب(^٤) . وهذا مثل ضربه سبحانه
وتعالى لأهل مكة . لأنهم كانوا يعبدون الأصنام .

النص رقم (٨) :

قال تعالى : (مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ)(^٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذبذبة : تردد الشئ المعلق في الهواء ورجل مذذب
ومتذبذبٌ متردد بين أمرين أو بين رجلين ، ولا تثبت صحبته لواحد منهما . وفي
التنزيل العزيز في صفة المنافقين : (مذذببين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى

(^١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : جواهر القرآن ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ م ، (تحقيق محمد رشيد رضا قباني) ص ٦٦ .

(^٢) معاني الذباب الأخرى منها : ذباب أسنان الإبل حدها ، وذباب السيف طرفه الذي يضرب به وذباب العين إنسانها والذبابة البقية من الدين وذب النهار لم يبق منه شئ . لسان العرب ٢٠/٥ .

(^٣) السدي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، صاحب التفسير والمغازي والسير ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، توفي رحمه الله سنة ٢٨هـ وله كثير من الآثار . طبقات ابن أسد ٣٢٣/٦ . الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١١٠/١ .

(^٤) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٤٧/٣ .

(^٥) النساء / ١٤٣ .

هؤلاء) المعنى مطرودين مدفوعين عن هؤلاء وعن هؤلاء . وفي الحديث (تزوج وإلا فأنت من المذبذبين)(^١) أي المطرودين عن المؤمنين لأنك لم تقتد بهم . وعن الرهبان لأنك تركت طريقتهم ، وأصله من الذب وهو الطرد ، قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون من الحركة والاضطراب(^٢) . والتذبذب التحرك . والذبذبة نؤس الشئ المعلق في الهواء . وتذبذب الشئ ناس واضطرب وذذببه هو ، أنشد ثعلب :

وحوقل ذذببه الوجيف ظل لأعلى رأسه رجيف

وفي الحديث فكأنني انظر إلى يديه تذبذبان، أي تتحركان وتضطربان يريد كميهِ(^٣)، وفي حديث جابر كان علي بردة لها ذباب(^٤) أي أهداب وأطراف ، واحداها ذبذب(^٥) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر : (مذبذبين) : أي مرددين ، وأصل التذبذب التحرك

والاضطراب(^٦) .

وقال القرطبي : المذبذب المرتد بين أمرين والذبذبة الاضطراب وذكر قول

(^١) انظر أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ١٦٣/٥ (٢١٤٨٨) . وأيضاً مسند أبي يعلى ٦٠/٢ (٦٨٥٦) .

(^٢) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الأثر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م (تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي) ٣٨٣/٢ .

(^٣) انظر : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي : سنن أبي داود ، دار الفكر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، كتاب العباس ، باب من كرهه ، ٤٤٥/٢ (٤٠٤٧) . وأيضاً : مسند أحمد بن حنبل ٢٢٩/٣ (١٣٤٢٤) نص الحديث عن أنس بن مالك أنه قال : إن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها وكأني انظر إلى يديها تذبذبان من طولهما فجعل القوم يقولون يا رسول الله أنزلت عليك هذه من السماء فقال وما يعجبكم منها فولذي نفسي بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خيراً منها ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لم أعطكها لتلبسها قال فما اصنع بها قال أرسل بها إلى أخيك النجاشي .

(^٤) انظر سنن أبي داود : كتاب الصلاة ، باب إذا كان الثوب ضيقاً يترز به ، ٢٢٧/١ (٦٣٤) .

محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٢ ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م ، في ذكر وصف قيام المأموم من الإمام إذا أراد الصلاة في جماعة ، ٧٢/٥ (٢١٩٧) .

(^٥) ابن منظور : اللسان ٢٢/٥ .

(^٦) الطري : جامع البيان ٣٣٤/٤ .

ابن جني^(١) : أن المنافقين مترددين بين المؤمنين والمشركين لا مخلصين الإيمان ولا مصرحين بالكفر^(٢) .

وذكر ابن كثير : أن المقصود هنا المنافقين مخيرين بين الكفر والإيمان ، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً ، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين . ومنهم من يعتريه الشك فتارة يكون مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء^(٣) .

وقال الشوكاني^(٤) : (مذبذبين) إما على الحال أو على الذم والإشارة (بين ذلك) بين الكفر والإيمان أي لا منسوبين إلى المؤمنين ، ولا إلى الكافرين ، ومحل الجملة نصب على الحال أو البديل^(٥) .

وقال الزمخشري^(٦) : وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يزداد ويدفع فلا يقر في جانب واحد ، كما لا يقال فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذة منها تكرير ليس في الذب فكأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه^(٧) . وقال ابن

(١) ابن جني : هو عثمان بن جني أبو الفتح النحوي اللغوي ، له كتب مصنفه في علم النحو ، سكن بغداد ، ودرس بها العلم إلى أن مات وكانت وفاته سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة . المنتظم ٢٢١/٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤٠٢/٥ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٥٥/١ .

(٤) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين بعد مائة وألف ، كان متبحراً في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها من مؤلفاته (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار) و(فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير) وغيرها كثير ، توفي سنة خمسين بعد المائتين وألفاً . انظر : الشوكاني : البدر الطالع في محاسن بعد القرن السابع ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٤٨هـ ، ٢١٤/٢ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٩٩/١ .

(٦) الزمخشري : محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم ، النحوي اللغوي ، المتكلم المعتزلي المفسر لقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً ، من أهل خوارزم وزمخشري إحدى قرأها ، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة ولقى العلماء الأفاضل وكان له حفظ في علم الأدب واللغة وصنف التفسير الكبير (الكشاف) وغريب الحديث ، أقام بخوارزم مدة وبالجزيرة مدة وورد بغداد غير مرة كان يتظاهر بالاعتزال ، توفي بخوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : طبقات المفسرين ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، ١٠٤/١ .

(٧) الزمخشري : الكشاف ٥٩٠/١ .

حيان^(١) : أي : مقلقلين^(٢) .

فالمذبذبين هم المطرودون وأصله من الذب وهو الطرد^(٣) .

وفي تاج العروس : مذبذبين : مترددين بين أمرين وذكرها تعالى في صفة المنافقين بمعنى مطرودين مدفوعين عن هؤلاء ، وعن هؤلاء وأصله من الذب وهو الطرد^(٤) .

إذا المتذبذب المتحير ، أو المتردد بين أمرين ، وتوافق رأي المفسرين وابن منظور على هذا المعنى وزاد الطبري أصله من الحركة والاضطراب .

المعنى العام للنص :

المقصود بهذه الآية أن المنافقين متحIRON في دينهم ، لا يرجعون إلى اعتماد شئ على صحة فهم لا مع المؤمنين على بصيرة ، ولا مع المشركين على جهالة ، ولكنهم حيارى بين ذلك ، فمثلهم المثل الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه : (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين غنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع)^(٥)(٦) .

وانظر أيضاً : شهاب الدين أحمد بن محمد الهاشم المصري ، (الحياني) : التبيان في تفسير غريب القرآن ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة ، ط ، ١٩٩٢م تحقيق د. فتحي أنور الداوي ، ١/١٢٧ .

(١) أبو حيان هو : أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ، الحياني ، الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤هـ ، كان ملماً بالقراءات صحيحها وشاذها ، وكان ينظم الأشعار والموشحات ، كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة وكان الإمام المطلق في النحو والتصريف ، له الكثير من المؤلفات منها : تفسير البحر المحيط ، وغريب القرآن ، ونهاية الإعراب وغيرها ، توفي بمصر سنة ٧٤٥هـ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤/٣٢٠ .

(٢) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية ، ٣/٣٩٤ .

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر : غريب الحديث لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، د. عبد المعطي أمين قلعجي ، ١/٣٥٧ .

(٤) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، ١/٤٨٧ .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ، ٤/٢١٤٦ (٢٧٨٤) . وأيضاً أخرجه أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ،

كتاب الإيمان وشرائعه ، باب أحب الدين لله عز وجل ، ٦/٥٣٨ (١١٧٦٨) .

(٦) الطبري : جامع البيان ٤/٣٣٤ .

النص رقم (٩) :

قال تعالى (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذبح : قطع الحلقوم من باطن عند النصيل وهو موضع الذبح من الحلق . والذبح : مصدر ذبحت الشاة ، يقال ذبحه يذبحه ذبحاً فهو مذبوح ذبيح من قوم ذبى وذباحى .

قال الأزهري : الذبيحة اسم لما يذبح من الحيوان ، وأنت لأنه ذهب به مذهب الأسماء (٢) . وفي حديث القضاء من ولي قاضياً فكأنما ذبح بغير سكين (٣) . وفي التنزيل (يذبحون أبناءكم) (٤) وقد قرئ يذبحون أبناءكم ، قال أبو إسحاق : القراءة المجتمع عليها بالتشديد ، والتخفيف شاذ ، والقراءة المجتمع عليها بالتشديد أبلغ لأن يذبحون للتكثير ، ويذبحون يصلح أن يكون للقليل والكثير ، ومعنى التكثير أبلغ (٥) .

والذبح : اسم ما ذبح ، وفي التنزيل : (وفديناه بذبح عظيم) يعني كبش إبراهيم عليه السلام ، الأزهري : معناه أي بكبش يذبح ، وهو الكبش الذي فدي به إسماعيل بن خليل الله صلى الله عليه وسلم (٦) (٧) .

دراسة النص :

قال مجاهد : (وفديناه بذبح عظيم) أي بكبش متقبل (٨) .

(١) الصافات / ١٠٧ .

(٢) الأزهري : التهذيب ١/ ١٨٧ .

(٣) سنن أبو داود ، كتاب الأفضية ، باب في طلب القضاء ، ٣٢٢/٢ (٣٥٧١) .

(٤) البقرة / ٤٩ . هذه الآية تتحدث عن قوم فرعون حيث أن فرعون رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر ، فأولت له على أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيكون خراب ملكه على يديه ، فكان يذبح أبناء إسرائيل . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣١٣/١ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١١٩/١ .

(٦) الأزهري : التهذيب ، ٤٧١/٤ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، ٢٢/٥ .

(٨) مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج : تفسير مجاهد ، المنشورات العلمية ، بيروت ، تحقيق عبد الرحمن محمد السورقي ، ٥٤٥/٢ .

وأما الطبري فقال : وفدينا إسحاق^(١) بذبح عظيم ، والفداء الجزاء يقول :
جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم وأنقذناه من الذبح ، والعظيم :
المتقبل ، وقيل له عظيم لأنه ذبح على دين إبراهيم^(٢) .

والقرطبي : ذكر أن الذبح اسم المذبوح وجمعه مذبوح (وعظيم) عظيم القدر
لأنه فدي به الذبيح أو لأنه متقبل ، والعظيم في اللغة يكون للكبير والشريف ،
وأضاف قول ابن عباس أنه هو الكبش الذي تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى
حتى فدى الله به إسماعيل^(٣) . وقال ابن كثير : الصحيح أنه كبش وقال ابن
عباس : وعل^(٤) .

وذكر الشوكاني : أن الذبح اسم المذبوح ، وعظيم عظيم القدر وليس الجثة
، وقال ما عليه أكثر المفسرين : أنزل كبش قد رعي في الجنة أربعين خريفاً فعليه
يكون معنى الآية : جعلنا الذبح فداء له^(٥) .

وفي مفردات القرآن ، أصل الذبح شق حلق الحيوانات والذبح : المذبوح^(٦)
وأما كتب اللغة فقد تحدثت عن معنى الذبح فجاء في تاج العروس : الذبح
بالكسر اسم ما يذبح من الأضاحي وغيرها من الحيوان ، (وفديناه بذبح عظيم)
يعني كبش إبراهيم عليه السلام^(٧) .

(١) اختلف في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم عليه السلام فقال بعضهم إسماعيل وقال بعضهم هو إسحاق فمن
قال إسحاق فلقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) والمبشر به هو إسحاق ، وفي ذات الآية قيل كيف يأمر الله بذبحه
وفيه موعود ، حيث قال تعالى (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) وأيضاً : وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق
يعقوب) وكذلك يقول الجمهور أن المفدي به هو إسماعيل عليه السلام لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسمى
ابن الذبيحين ولم ينكر ذلك ، وأيضاً أن قرنا الكبش كانت معلقة بالبيت الحرام حتى العام الذي احترق فيه البيت
فهذا دليل على أنه إسماعيل . انظر الطبري : جامع البيان ١٥٠/٧ ، وأيضاً القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،
٧٣/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٥١٠/١٠ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩٥/١٥ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ٢٠/٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ٥٧٧/٤ ، انظر أيضاً : البغوي : تفسير البغوي ٥٠/١ .

(٦) الراغب الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٠٢/١ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ١٥٧٧/١ .

وفي مختار الصحاح قال : الذبح معروف وبابه قطع ، والذبح بالكسر ما يذبح ومنها قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) والذبيح المذبوح والأنتى ذبيحة(١) .
وذكر في كتاب أنيس الفقهاء قال : الذبح قطع الأوداج وهي جمع ودج ، وهو عرق في العنق ، وقيل قطع الحلقوم ، وهو الحلق وهو منفذ النفس من باطن(٢) .

فعلى هذا فإن معنى الذبح هو قطع الحلقوم كما ذكر ابن منظور والذبح اسم المذبوح ، كذلك ذكر المفسرون .

المعنى العام للنص :

معنى الآية : أن الله سبحانه وتعالى فدى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بكبش عظيم ، لأن إبراهيم امتثل لأمر الله بذبح ابنه وأن إسماعيل تقبل الأمر بالرضا حيث قال (يا أبتى افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)(٣) .

النص رقم (١٠) :

قال تعالى : (وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : دخر الشيء : يذخره ذخراً وأذخره ذخاراً : اختاره ، وقيل : اتخذه ، وكذلك أذخرته ، وهو افتعلت . وفي حديث الضحية : كلوا واذخروا(٥) ، وأصله اذخره فتقلت التاء التي للافتعال مع الذال فقلبت ذالاً وادغمت فيها الذال الأصلية فصارت ذالاً مشددة ، ومثله الاذكار مع الذكر ، وقال الزجاج في قوله تعالى (تدخرون في بيوتكم) أصله تترخرون لأن الذال حرف

(١) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (تحقيق محمود خاطر) ٢٢٦/١ .

(٢) قاسم بن عبد الله بن أمير علي القنوي : أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، دار الوفاء ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ (تحقيق د. أحمد عبد الرازث الكبيسي) ٢٧٧/١ .

(٣) (بعض العلماء قالوا هي منسوخة واحتجوا بقوله قال يا أبت افعل ما تؤمر) وأن بعده وفديناه بذبح عظيم) . انظر الطبري : جامع البيان ٥٠٦/١٠ .

(٤) آل عمران / ٤٩ . (..وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ..)

(٥) صحيح البخاري : كتاب الأضاحي ، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها ، ٢١١٥/٥ (٥٢٤٩) .

مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه والتاء مهموسة ، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها وهو الدال فصار تذخرون ، وأصل الأدغام أن تدغم الأول في الثاني^(١) . قال : ومن العرب من يقول تذخرون بذال مشددة وهو جائز والأول أكثر^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : (ما تذخرون) : أي ما ترفعونه فتخبأونه ولا تأكلونه . (وأصل يدخرون من الفعل يفتعلون من قول القائل : ذخرت الشيء بالذال فأنا اذخره ثم قيل : يذخر كما قيل يذكر من ذكرت الشيء يراد به يزجر فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتان في المخرج ثقل إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، وصيرتا دالاً مشددة صيروها عدلاً بين الذال والتاء ومن العرب من يغلب الذال على التاء فيدغم التاء في الذال فيقول : وما تذخرون وهو مذخر لك وهو مذكر)^(٣) .

وقال القرطبي : قرأ مجاهد^(٤) : (وما تذخرون) بالذال المعجمة وقال إنه سئل أن يخبرهم بما أكلوا وما يدخروا لغد فأخبرهم^(٥) .

وأما ابن كثير فقد قال (وما تذخرون) أي ما هو مدخر لغد^(٦) .

وجاء في التبيان : الأصل في (تذخرون) أن الذال مجهوره والتاء مهموسة فلما اجتمعا فأبدلت الذال دالاً لأنها من مخرجها لتقرب من الذال ثم أبدلت الذال دالاً وأدغمت ومن العرب من يقلب التاء ذالاً ويدغم ويقراً بتخفيف الذال وفتح الحاء وماضيه نخر^(٧) .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٩/١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ٢٨/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٢٧٣/٣ .

(٤) تفسير مجاهد ١٢٧/١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩٤/٤ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٨٥/١ .

(٧) الجلياني : التبيان ١٣٦/١ .

نلاحظ الاتفاق بين ما أورده ابن منظور بخصوص القراءة والمعنى وما ذكره المفسرون حيث اتفقوا أن تدخرون أصلها تدخرون ومعناها ما تخبئون .

المعنى العام للنص :

أن من حجة عيسى عليه السلام على نبوته وصدقه ، أنه يخبرهم بما يأكلون وما يخبئونه لغد ، بعد أن ذكر لهم من خلق الطير ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، فقد ذكر السدي : أن عيسى عليه السلام كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ، ويقول للغلام : انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ، ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله ، ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء ، فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى ، فحبسوا صبيانهم عنه (١) .

ويذكر أبو جعفر تساؤلاً هنا فيقول : وما كان في هذا القول من الحجة على صدقه ، وقد رأينا المتجمة والمنكهنة تخبر بذلك كثيراً فتصيب ؟ فيقول إن المتجمة والمتكهن معلوم عند من يخبرانه ذلك أنهما ينيبان عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه ، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ، ومن سائر أنبياء الله ورسله (٢) .

النص رقم (١١) :

قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ذراً في صفات الله عز وجل ، الذاري وهو الذي ذراً الخلق أي خلقهم ، وذراًنا معناها : خلقنا ، وذراً الله الخلق يذروهم ذراً : خلقهم . وفي حديث الدعاء : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرا (٤) . وكان الذرة مختص بخلق الذرية . وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) انظر : البغوي : معالم التنزيل ٣٩/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٢٧٣/٣ .

(٣) الأعراف/١٧٩. (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا..)

(٤) رواه مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي ، مصر (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعدد ، ٩٥١/٢ (١٧٠٦) . وأيضاً مسند أحمد بن حنبل ٤١٩/٢ (١٥٤٩٨) .

كتب إلى خالد وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ، يعني خلقها الذين خلقوا لها .
 وقال تعالى : (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه) (١) .
 قال أبو إسحاق : المعنى يذروكم به أي يكثركم بجعله منكم ومن الأنعام أزواجاً (٢)
 وقال ثعلب (يذروكم فيه) معناه يكثركم فيه أي في الخلق ، والذرية هي نسل
 الثقلين وجمعها ذراري . قال ابن بري (٣) : جعل الجوهرية الذرية أصلها ذرية
 بالهمز (٤) . قال ووزن الذرية على ما ذكره فصيله من ذرأ الله الخلق (٥) .

دراسة النص :

قال مجاهد : ذرأنا معناها خلقنا (٦) .

قال الطبري : يقول تعالى ذكره (ولقد خلقنا جهنم كثيراً من الجن والإنس)
 يقال منه ذرأ الله خلقه يذروهم ذرءاً وإنما قال ذلك لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون
 إليها بكفرهم بربهم (٧) .

وذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان
 ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم (٨) .

(١) الشورى ١١/ . (يذروكم) أي يكثركم ، يجعلكم أزواجاً لأن ذلك سبب النسل . انظر فتح القدير للشوكاني ٧٥١/٤
 (٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٠/٤ .

(٣) ابن بري : هو عبد الله بن أبي الوحش بن بري عبد الجبار بن بري ، ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة له عدة
 مؤلفات منها التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح وغيرها ، وكان قيماً بالنحو واللغة والشواهد ، ثقة ، وينعته ابن
 حجر بشيخ العربية بمصر ، توفي سنة اثنين وثمانين وخمسائة . (كشف الظنون ١/٢١٣ ، ٤٨٤) معجم الأدباء ١٢/٥٦ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن بري المصري : كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ،
 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٦/١ (تحقيق مصطفى حجازي) . الجوهرية : الصحاح ١/٥١ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ٢٩/٥ .

(٦) مجاهد تفسير مجاهد ٢٠١/١ .

(٧) الطبري : جامع البيان ١٢٩/٦ .

(٨) الحديث ضعيف ذكره الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني : ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ،
 المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م ، ١/١٩٩ (٤١٧) . وذكر حديث (ليس على ولد الزنا
 من وزر أبويه شيء) ولا تذر وزارة وزر أخرى ، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وقال حديث حسن محمد
 ناصر الدين الألباني : السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ٥/٢١٨ (٢١٨٦) وقد ذكر الحديث الثاني
 في مستدرک الحاكم : محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، دار الكتب
 العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ - ١٩٩٠ م (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا) ٤/١١٢ (٧٠٥٣) .

وقال القرطبي : ذراً : يذراً ذراً أي خلق^(١) .
 وأيضاً قال ابن كثير : إن (ذراً) معناها خلقنا^(٢) .
 وكذلك الشوكاني قال : ذراً خلق يقال ذراً الله الخلق يذروهم ذراً خلقهم ،
 فهو ذارئ ومنه الذرية وهي نسل الثقلين وذراًنا خلقنا^(٣) .
 وقال الإمام البغوي في هذه الآية : أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن
 والإنس للنار ، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأرزلية بالشقاوة ومن خلقه الله لجهنم
 فلا حيلة له في الخلاص منها^(٤) .
 وفي مفردات القرآن ذكر أن الذرة : إظهار الله تعالى ما أبدأه يقال : ذراً
 الله الخلق : أي أوجد أشخاصهم ، ومنها قوله تعالى (ولقد ذراًنا لجهنم كثيراً من
 الجن والإنس)^(٥) .

وفي شرح العقيدة الطحاوية قال : خلق لهما أهلاً - أي للجنة أهلاً وللنار
 أهلاً - وذكر حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من
 عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه فقال : أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق
 للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في
 أصلاب آبائهم^(٦) . فالموجودات نوعان : أحدهما مسخر بطبعه والثاني متحرك
 بإرادته وهذا النوع الثاني تكون هدايته تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره فكما
 أنه لا موجود إلا بإيجاده ، فلا هداية إلا بتعليمه ، وذلك كله من الأدلة على كمال

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٧/٧٩ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢/٣٥٦ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ٢/٣٨٩ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ١/٣٠٦ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٠٦ .

(٦) الحديث أخرجه مسلم كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار
 وأطفال المسلمين ٤/٢٠٥٠ (٢٦٦٢) . وأيضاً ذكره ابن ماجه : كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب
 القدر ١/٣٢ (٨٢) .

قدرته وثبوت وحدانيته وتحقيق ربوبيته سبحانه وتعالى^(١) .

وذكر الإمام النسفي^(٢) في قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم ..) قال : (هم الكافرون من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر ، وخلق فيهم ذلك وجعله مصيرهم جهنم لذلك . ولا تنافي بين هذا وبين قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)^(٣) لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده وأما من علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه ، فالحاصل أن من علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك ، وكم من عام يراد به الخصوص .

وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أي لما كانت عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فراراً من إرادة المعاصي عدول عن الظاهر)^(٤) .

إذاً كلمة (ذرأ) المقصود بها خلق ، واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى (وذرأنا لجهنم) أي خلق الله لها أهلاً استحقوها في أذل علمه .

المعنى العام للنص :

قال ابن كثير : يقول تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) أي خلقنا وجعلنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون ، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم ، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق

(١) ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١ هـ ، ٤٢٠/١ .

(٢) النسفي : هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد النسفي ، نجم الدين أبو حفص ، كان إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً فقيهاً حافظاً ، نحوياً لغوياً ذكياً فطناً ، أحد الأئمة الأربعة المشهورين بالحفظ الوافر من العلوم والقبول عند العام والخاص وكان أستاذاً له تصانيف قليلة منها : التيسير في التفسير ، ولد بنسف سنة إحدى وستين وأربعمائة وتوفي بسمرقند سنة سبع وثلاثين وخمسمائة . كشف الظنون ١/٥١٩ . سير أعلام النبلاء ٢/١٢٦ .

(٣) الذاريات / ٥٦ .

(٤) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي : تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ٤٧/٢ .

السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء^(١) .
 وقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) يعني ليس ينتفعون بشئ من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية ، فهم كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس إلا في الذي يعيشها في ظاهر الحياة الدنيا (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) أي هم أضل من الأنعام التي قد تستجيب لراعيها إذا أنس بها وإن لم تفقه كلامه^(٢) وكذلك لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها .

النص رقم (١٢) :

قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)^(٣) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : وذر الله الخلق في الأرض : نشرهم . والذرية فعلية منه ، وهي منسوبة إلى الذر الذي هو النمل الصغار ، وكان قياسه ذرية بفتح الـ ذال ، لكنه نسب شاذ لم يجئ إلا مفهوم الأول . وقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) وذرية الرجل : ولده ، والجمع الذراري والذريات . وفي التنزيل العزيز : (ذرية بعضها من بعض)^(٤) ، قال : أجمع القراء على ترك الهمزة في الذرية ، وقال أبو إسحاق النحوي : الذرية غير مهموز ، قال : ومعنى قوله عز وجل : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر حين أشهرهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى شهدوا بذلك^(٥) . وقال بعض النحويين : أصلها ذرورة هي فعلولة ، ولكن التضعيف لما كثر أبدل من الراء الأخيرة ياء فصارت ذروية ، ثم أدغمت الواو

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو ذكره مسلم في صحيحه : كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، ٢٠٤٤/٤ (٢٦٥٣) . وأيضاً الترمذي في كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ٤٥٨/٤ (٢١٥٦) وفي مسند أحمد بن حنبل ، ١٦٩/٢ (٦٥٧٩) .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٥٦/٢ .

(٣) الأعراف / ١٧٢ .

(٤) آل عمران / ٣٣ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٢ .

في الياء فصارت ذرية قال : وقول من قال إنه فعلية أقيس وأجود عند النحويين ، وقال الليث : ذرية فعلية ، وفي الحديث : (إنه رأى امرأة مقتولة فقال : ما كانت هذه تقاتل ! الحق خالداً فقل له : لا تقتل ذرية ولا عسيماً)^(١) ، الذرية اسم يجمع نسلًا من الإنسان من ذكر وأنثى ، وأصلها الهمز لكنهم حذفوه فلم يستعملوها إلا غير مهموز وقيل : أصلها من الذر بمعنى التفريق لأن الله تعالى ذرهم في الأرض ، والمراد بها في هذا الحديث النساء لأجل المرأة المقتولة . ومنه حديث عمر : حجوا بالذرية لا تأكلوا أرزاقها وتذروا أرباقها في أعناقها أي حجوا بالنساء .

وذراً الله الخلق ذرواً : خلقهم ، لغة في ذراً . والذرو والذرا والذرية الخلق وقال الليث : الذرية تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء . قال تعالى : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون)^(٢) أراد آباءهم الذين حملوا مع نوح في السفينة . وقوله عز وجل : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) ثم قال : (ذرية بعضها من بعض) المعنى أن الله اصطفى ذرية بعضها من بعض ، قال الأزهري : فقد دخل فيها الآباء والأبناء^(٣) ، وقوله عز وجل : (ألحقنا بهم ذرياتهم)^(٤) يريد أولادهم الصغار^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : ذرية بضم الذاو وتشديد الياء . (وإذ أخذ ربك ..) أي استخرج من ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض^(٦) وأما القرطبي فقد ذكر الاختلاف في القراءات وقال ذرية تقع للواحد

(١) الحديث رواه أبو داود في المغازي : باب قتل النساء ٦/٢ .

وأيضاً في سنن ابن ماجه : كتاب الجهاد ، باب القارة والبيات وقتل النساء والصبيان ، ٩٤٨/٢ (٢٨٤٢) . ومسند أحمد بن حنبل : ٤٨٨/٣ (١٦٠٣٥) .

(٢) يس/٤١ .

(٣) الأزهري : التهذيب ، ٥/١٥ .

(٤) الطور / ٢١ .

(٥) ابن منظور : اللسان ، ٣٣/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ١١٠/٦ .

والجمع . وفي هذه الآية أن الله أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألسنت بربكم قالوا بلى^(١) .
وذكر الشوكاني : أن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرها بين يديه ثم كلمهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا^(٢)

وقال الزمخشري : (هذا من باب التمثيل والتخييل والمعنى أن الله نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وأبصارهم)^(٣) .
وأما السيوطي فقد أوضح أن الله أخرجهم مثل الذر فركب فيهم العقول ثم استنطقهم فقال لهم ألسنت بربكم قالوا جميعاً : بلى فأقروا بألسنتهم وأسر بعضهم الكفر في قلوبهم يوم الميثاق^(٤) .

وقال الثعالبي^(٥) : تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أن الله عز وجل استخرج من ظهر آدم عليه السلام نسمة بنيه ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل ، وقال بعضهم أنها الأرواح جعلت لها مثالات ، وأنهم أخذوا من ظهر آدم كما يؤخذ المشط من الرأس ، وجعل لهم عقولاً كمنلة سليمان ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله إلا الله ، فأقروا بذلك والتزموه وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض وشهد الله عليهم وملائكته^(٦) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٥/٧ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ٣٨٣/٢ .

(٣) الزمخشري : الكشاف ٤٣٥/١ .

(٤) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي : الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ٥٠٨/٣ .

(٥) الثعالبي : هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المقرئ المالكي ، أخذ عن البرزلي ، وحج وأخذ عن الولي العراقي ، وكان إماماً علامة مصنفاً ، اختصر تفسير ابن عطية في جزئين وصنف التفسير المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، وكانت وفاته في سنة ست وسبعين وثمانمائة . أحمد بن محمد الأذوري : طبقات المفسرين ، مكة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، تحقيق سليمان صالح الخزي ، ص ٣٤٢ .

(٦) الثعالبي : تفسير الثعالبي ٦٤/٢ .

وقال ابن حزم^(١) : في هذه الآية دليل جلي إنه عز وجل خلق أنفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لأن الأجساد حينئذ بلا شك كانت تراباً وماء وأيضاً فإن المكلف المخاطب إنما هو النفس لا الجسد فعلم يقيناً أن نفوس كل من يكون من بني آدم إلى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك^(٢) .

يتضح أن الذرية هي ولد آدم ، والذرية تطلق على الآباء والأبناء .. كما قال القرطبي في قوله تعالى : (وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ) وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون والذرية الآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية^(٣) .

ولفظ الولد يطلق على الولد والمولود فالوالد يسمى والد لأنه ولد والمولود يسمى ولداً لأنه ولد كالذرية فإنها من ذراً ثم تطلق على المولود وعلى الوالد^(٤) . ومعنى هذه الآية ذكرها النسفي : أن الفلك المشحون أي المملوء والمراد بالذرية الأولاد ، ومن يهتمهم حملة وكانوا يبعثونهم إلى التجارات في بر أو بحر ، أو الآباء لأنها من الأضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام ، حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلاهم ذرياتهم ، وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتتان^(٥) .

وقال الزمخشري : أن اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها^(٦) .

(١) ابن حزم : هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الفقيه الظاهري صاحب التصانيف ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ونشأ في نعمة ورياسة اشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية وقال الشعر كان شافعيّاً ثم تحول إلى مذهب الظاهر وكان واسع الحفظ جداً . أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : لسان الميزان ، ١٩٨/٤ .

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتب الخانجي ، القاهرة ، ٧٤/٣ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٥ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧/٦ .

(٥) النسفي : تفسير النسفي ٩/٤ .

(٦) الزمخشري : الكشاف ١٠٥/١ .

وأما قوله تعالى : (ذرية بعضها من بعض) فقد قال الطبري : ذرية دين بعضها دين بعض ، كلمتهم واحدة وملتهم واحدة في توحيد الله وطاعته^(١) . وقال القرطبي : أي ذرية بعضها ولد بعض^(٢) .

وفي زاد المسير قال في معنى البعضية قولان أحدهما : بعضهم من بعض في التناصر والدين لا في التناسل كما قال ابن عباس وقتادة^(٣) . والثاني أنه في التسلسل لأن جميعهم ذرية بعضها من بعض أن الأبناء ذرية للأبء والآباء ذرية للأبء^(٤) .

وهكذا يتضح دخول الأبء والأبناء في معنى الذرية^(٥) .

وفي قوله تعالى (ألحقنا بهم ذرياتهم) : قال الطبري : معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ، ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة ، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم ، تكرمة لأبائهم المؤمنين ، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم شيئاً^(٦) .

وفي هذه الآية بشرى لمن كان له سلف صالح ، أو خلف صالح ، أو زوج صالح ، ممن تحققت فيهم هذه الصلات إنه إذا صار إلى الجنة لحق بصالح أصوله أو فروعه أو زوجه وما ذكر الله هذا إلا لهذه البشرية^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ٢٣٤/٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦٦/٤ .

(٣) قتادة : هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي ، أبو الخطاب ، عالم أهل البصرة كان آية في الحفظ وذا باع في اللغة وأيام العرب ، توفي رحمه الله سنة ١١٧هـ . (شذرات الذهب ١/١٥٣) .

(٤) عبد الرحمن الجوزي : زاد المسير ، ٣٧٥/١ .

(٥) انظر : الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٠٧/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ٤٨٧/١١ .

(٧) ابن عاشور : التحرير والتنوير ٢٢٤٢/١ .

انظر أيضاً : محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله : أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ — (تحقيق عبد الغني عبد الخالق) ١١٨/١ .

وقال ابن عباس : أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) النجم/٣٩ .

انظر : مرعي يوسف بن أبي بكر الكري : قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٤٠٠هـ (تحقيق سامي عطا حسن) ١٩٨/١ .

إذاً يتضح أن الذرية من هذه الآية يقصد بها الأولاد الصغار . وفي الآية السابقة يقصد بها الآباء والأبناء وفي الحديث يقصد بها النساء وفي قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) يقصد بها الخلق ، أي جميع بني آدم ، واتفق ابن منظور والمفسرون حول هذه المعاني .

وفي قوله تعالى : (من ظهورهم ذرياتهم) يقرأ بالتوحيد والجمع لمن وحد جعله موحداً في اللفظ مجموعاً في المعنى ودليله قوله تعالى (أو الطفل) والحجة لمن جمع أنه طابق بذلك بين اللفظين بقوله من ظهورهم^(١) .

وقرأ نافع^(٢) وابن عامر^(٣) وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم على الجمع وحثتهم أنها مكتوبة في مصاحفهم بالألف وقرأ الباقر ذريتهم على التوحيد وحثتهم أن الذرية تكون جمعاً وتكون واحداً فالواحد (هب لي من لدنك ذرية)^(٤) والجمع قوله (ذرية ضعافاً)^(٥)^(٦) .

المعنى العام للنص :

قال القرطبي : هذه آية مشكلة ومعناها أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض ، ومعنى أشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم دلهم بخلقه على توحيده لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً (الست بربكم) أي قال : فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم والإقرار كما قال تعالى في السموات والأرض (قالنا أتينا طائعين) . قالوا (بلى) أي إن ذلك واجب عليهم بأنه الرب وأن هذا العهد يلزم

(١) ابن خالويه : الحجة في القراءات ١٦٧/١ .

(٢) نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ويقال أبو نعيم ويقال أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وهو مولى بن جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب ، أحد القراء السبعة . انظر شذرات الذهب ١٢٧٠/١ . الأعلام للزركلي ٣٧/٨ .

(٣) ابن عامر : هو أبو عيسى سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب الحنفي مولاهم الكوفي ، المقرئ المفسر ، صاحب حمزة الزيات ، وأخص تلامذته ، وأخذ منهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة ، ولد سنة ١٣٠هـ ، وتوفي سنة ١٨٨هـ . الذهبي : معرفة القراء الكبار ، ١٣٨/١ .

(٤) آل عمران/٣٧ .

(٥) النساء/٩ .

(٦) ابن زنجلة : حجة القراءات ٦٠٠/١ .

البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة .

وذكر قول عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال : إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار(١) .

النص رقم (١٣) :

قال تعالى : (وَالذَّرِّيَّاتِ ذُرُوءًا)(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ذرا : ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواً وذريا وأذرته وذرته أطارته ونسفته وأذهبتة ، وقيل حملته فأثارتته وأذرتته إذا ذرت التراب وقد ذرا هو نفسه وفي حرف ابن مسعود(٣) وابن عباس : تذريه الريح ، ومعنى أذرتته قلعتته ورمته أي طيرته ، قال ابن بري شاهد ذروته بمعنى طيرته قول ابن هرمة(٤) :

يذرو حبيك البيض ذرواً يختلى غلف السواعد في طراق العنبر

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/٧ . والحديث في مسند أحمد بن حنبل : ٤٤/١ (٣١١) .

(٢) الذاريات ١/ .

(٣) ابن مسعود : يكنى أبا عبد الرحمن من أوائل الذين دخلوا الإسلام ، هاجر المجرتين وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أجود الناس ثوباً ومن أطيب الناس ريحاً ، ولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبيقع ، جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي : صفوة الصفوة ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، القاهرة ، ١٥٣/١ . (الإصابة ٤/١٩٨) .

(٤) ابن هرمة : هو إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري المدني الشاعر المعروف بابن هرمة كان شيخ الشعراء في زمانه ، ويقال أنه ولد سنة سبعين وكانت وفاته بعد المائة والخمسين تقريباً ودفن بالبيقع . (الوفاء بالوفيات ١/٧٤٠) .

وفي الحديث : إن الله خلق في الجنة ريحاً من دونها باب مغلق لو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والأرض ، وفي رواية لذرت الدنيا وما فيها^(١) .
يقال ذرته الريح وأذرته تذروه وتذريه إذا أطارته . وفي الحديث : أن رجلاً قال لأولاده إذا مت فأحرقوني ثم ذروني في الريح^(٢) ، ومنه حديث علي كرم الله وجهه : يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم أي يسرد الرواية كما تتسف الريح هشيم النبات . وأنكر أبو الهيثم أذرتة بمعنى طيرته . وفي التنزيل العزيز : (والذاريات ذرواً) أي الرياح . وفي موضع آخر (تذروه الرياح)^(٣)(٤) .
دراسة النص :

قال الطبري : (والذاريات ذرواً) الرياح التي تذرو التراب ذرواً ويقال ذرت الريح التراب وأذرت . وعن أبي الطفيل^(٥) قال سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الذاريات ذرواً فقال الريح^(٦) .
وقال القرطبي : المراد بالواو هنا القسم (والذاريات ذرواً) الرياح يقال ذرت الريح التراب تذروه ذرواً وتذريه ذرياً . وذكر قولاً آخر قال : قيل : الذاريات النساء الولودات لأن في ذرايتهن ذرو الخلق لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباد الصالحين^(٧) .

(١) الحديث ذكره علي بن حسام الدين المتقي الهندي : كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، خلق السماء والسحاب ، ٢٢٢/٦ (١٥١٨٨) .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، ٤/٥ ، (٢٠٠٥١) .

(٣) الكهف/٤٥ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ٤٠/٥ . والآية من سورة الكهف /٤٥ . نص الآية (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاحتلظ به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) .

(٥) أبو الطفيل : هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكتاني صحابي وهو آخر من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وفاة بالإجماع . وكان من أنصار علي بن أبي طالب شهد معه حروبه كلها ، وقيل أنه مات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً . أسد الغابة ١/١٢٠ . والإصابة في تمييز الصحابة ٥٢٩/٢ .

(٦) الطبري : جامع البيان ٤٤١/١١ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٧٠ .

وكذلك قال ابن كثير ثبت من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا انبأتكم بذلك فلما سئل عن معنى (والذاريات ذرواً) قال هي الريح (١) .

وجاء في فتح القدير : يقال ذرت الريح التراب تذروه ذرواً وأذرته تذريه ذرياً أقسم سبحانه بالرياح التي تذري التراب وانتصاب ذرواً على المصدرية والعمل فيها اسم الفاعل والمفعول محذوف (٢) .

وأيضاً قال البغوي : يعني الرياح التي تذرو التراب ذرواً يقال ذرت الريح التراب وأذرت (٣) .

وفي تاج العروس قال هي الرياح (٤) .

وأما قوله (تذروه الرياح) فمعناه تطيره وتفرقه يقال منه : ذرته الريح تذروه ذرواً وذرته ذرياً وأذرته تذريه إزاء (٥) .

فقد أجمع المفسرون أن معناه تحمله وتفرقه (٦) ومعنى الآية (واضرب لهم) يا محمد أي لقومك (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح عن قريب) (هشيماً) يابساً (تذروه الرياح) أي تثيره وتفرقه ، (وكان الله على كل شيء مقتدرًا) أي هو قادر على هذه الحال . وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل (٧) .

إذا اتفق ابن منظور والمفسرون على أن الذاريات هي الرياح التي تذرو التراب أي تفرقه أو تطيره .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ٤/٢٩٥ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٥/١١٦ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ١/٣٧١ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ١/٨٣٩٠ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٨/٢٢٨ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٠/٣٥٦ . وأيضاً تفسير ابن كثير ٣/١١٦ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ١/١٧٤ .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى : (والذاريات ذروا) يعني الرياح يقال ذرت الريح التراب تذروه ذرواً إذا فرقته . والذاريات مجرورة على القسم والمعنى أحلف بالذاريات إنما توعدون لصادق . وقال قوم ورب الذاريات^(١) . وأقسم سبحانه وتعالى بهذه الذاريات تنبيهاً وتشريفاً لها .

النص رقم (١٤) :

قال تعالى : (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن الإعرابي^(٣) : مذعنين مقرنين خاضعين ، وقال أبو إسحاق : جاء في التفسير مسرعين^(٤) قال : والإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة ، تقول أذعن لي بحقي ، معناه طأوعني لما كنت التمسه منه وصار يسرع إليه ، وقال الفراء : مذعنين مطيعين غير مستكرهين ، وقيل : مذعنين منقادين^(٥) . وأذعن لي بحقي : أقر ، وكذلك أمعن به أي أقر طائعاً غير مستكره ، والإذعان : الانقياد وأذعن الرجل : انقاد وسييس ، وبنأؤه ذعن يذعن ذعنأً وأذعن له أي خضع وذل ، وناقاة مذعان سلسلة الرأس منقادة لقائدها^(٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : مذعنين منقادين لحكمه مقرنين به طائعين غير مكرهين ، يقال منه : قد أذعن فلان بحقه : إذا أقر به طائعاً غير مستكره وانقاد له وسلم^(٧) .

(١) ابن الجوزي : زاد المسير ٢٧/٨ .

(٢) النور / ٤٩ .

(٣) ابن الإعرابي : هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد ابن الإعرابي البصري ، سكن مكة وصار شيخ الحرم ، أسند الحديث وصنف كتباً للصوفية ، توفي بمكة سنة (٣٤١هـ) . (المنتظم ٣٧١/٦) .

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، ١٢٨/١٠ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ٥٠/٤ .

(٥) الفراء : معاني القرآن ، ٢٥٧/٢ .

(٦) ابن منظور : اللسان ٤٥/٥ .

(٧) الطبري : جامع البيان ٣٤٠/٩ .

وقال القرطبي : مذعنين : منقادين يعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق يقال :
أذعن فلان لحكم فلان يذعن إذعاناً^(١) .
وقال ابن كثير : مذعنين : سامعين مطيعين^(٢) .
وقال أبو حيان : مذعنين مستسلمين من الإنقياد والدخول في الطاعة^(٣) .
وفي فتح القدير : قال : قال الزجاج : الإذعان الإسراع مع الطاعة يقال
أذعن لي بحقي أي طاعوني لما كنت التمس منه وصار يسرع إليه^(٤) .
وكذلك في الجلالين : مسرعين طائعين^(٥) .
وفي مفردات القرآن : مذعنين منقادين وناقاة مذعان : منقادة^(٦) .
وأيضاً قال الفراهيدي : أذعن إذعاناً وذعن يذعن أي انقاد وسلس وناقاة
مذعان سلسلة الرأس منقادة لقائدها^(٧) .
اتفق المفسرون وابن منظور في أن الإذعان هو الانقياد أو الإسراع مع
الطاعة ، وهذا ما كان يفعله المنافقون فإن كان لهم الحق أتوا مسرعين إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم أنه يحكم بالحق .
وقال المفسرون نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين يقال له بشر كان
بينه وبين يهودي خصومة ، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليحكم بينهما ، فقال المنافق لليهودي إن محمداً يحيف علينا ولكن بيني وبينك
كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية^(٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٢ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٣٩٨/٣ .

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٦٩/٧ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٦٥/٤ .

(٥) تفسير الجلالين ٤٦٦/١ .

(٦) الأصبهاني : مفردات القرآن ٥٠٨/١ .

(٧) الفراهيدي : العين ، ١٠٠/٢ .

(٨) ابن الجوزي : زاد المسير ٥٤/٦ .

المعنى العام للنص :

أي هؤلاء المنافقون إذا دعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكم لهم، وإن يكن لهم الحق أتوا منقادين مسرعين لعلمهم بأنه يحكم لهم^(١) .

النص رقم (١٥) :

قال تعالى : (يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجْدًا)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

ذقن : الجوهرى : ذقن الإنسان مجتمع لحيته^(٣) ، ابن سيده : الذقن والذقن مجتمع اللحيين من أسفلهما^(٤) ، قال اللحياني^(٥) : هو مذكر لا غير ، قال : وفي المثل : مثل منقل استعان بذقنه وذقنه ، يقال هذا لمن يستعين بمن لا دفع عنده ، وبمن هو أدل منه ، وقيل : يقال للرجل الذليل يستعين برجل آخر مثله ، وأصله أن البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض ، فيعتمد بذقنه على الأرض ، والجمع أذقان ، واستعاره امرؤ القيس^(٦) للشجر ووصف سحاباً فقال :
وأضحى يسح الماء على كل فيقة يكب على الأذقان دوح الكنهيل^(٧)

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/١٦٦ .

(٢) الإسراء/١٠٧ .

(٣) الجوهرى : الصحاح ٥/٢١١٩ .

(٤) ابن سيده : المحكم ٦/٢٠٣ .

(٥) اللحياني : هو علي بن المبارك اللحياني ، وقيل علي بن حازم ، ويكنى أبا الحسن ، من بني لحيان بن هذيل ، وقيل سمي اللحياني لعظم لحيته ، صاحب كتاب النوادر ، انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/٢١٠ .

(٦) امرؤ القيس : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي صاحب إحدى المعلقات السبع قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل مذکور في الدنيا منسى في الآخرة شريف في الدنيا حامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار . الإصابة ٢/٣٩٠ ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق ، ١/٤٧٢ .

البيت : فأضحى يسح الماء حول كتيفه يكب على الأذقان دوح الكنهيل

انظر ديوان امرؤ القيس ، حققه وشرحه حنا الفاخوري ، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٥٢

(٧) ابن منظور ، السان ٥/٤٧ . والكنهيل صنف من الطلح قصار الشوك واحدها كنهيلة وهي شجر عظيم معروف . انظر ابن منظور : اللسان ، ١١/٦٠٣ .

دراسة النص :

قال الطبري : اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله : (يخرون للأذقان) فقال بعضهم عني به : الوجوه ، وقال آخرون عني بذلك اللحي ، والأذقان في كلام العرب : جمع ذقن وهو مجمع اللحيين^(١) .

وأما القرطبي فقد ذكر قول ابن عباس قال هي الوجوه وإنما خص الأذقان بالذكر لأن الذقن أقرب شئ من وجه الإنسان ، وقال : وقيل : ولا يجوز السجود على الذقن لأن الذقن هاهنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشئ عما جاوره وبيعضه عن جميعه^(٢) .

وقال ابن كثير : الأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه^(٣) .

وقال الشوكاني : (يخرون للأذقان) أي يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه وإنما قيد الخرور وهو السقوط بكونه للأذقان : أي عليها لأن الذقن وهو مجتمع اللحيين أول ما يحاذي الأرض . وقيل المراد تعفير اللحية في التراب فإن ذلك غاية الخضوع وإيثار اللام في للأذقان للدلالة على الاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور أو خصصوا الخرور بأذقانهم^(٤) .

وذكر الكلبي^(٥) : الأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية^(٦) .

وفي الوجيز : قال ابن عباس المعنى للوجوه وقيل اللحي والأذقان أسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض لا سيما

(١) الطبري : جامع البيان ١٦٣/٨ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٦/١ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ٩٤/٢ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٣٧٧/٣ .

(٥) الكلبي : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي بن سعيد بن جزي الكلبي أبو عبد الله من أهل غرناطة كان أبوه من أعلام الغربيين برز في الأدب وابتدأ في جمع تاريخ غرناطة فحصل منه جملة مستكثرة وكان من سعة الحفظ وثقوب الفهم فوق الوصف مات سنة ٧٥٦هـ ، وله ست وثلاثون سنة . انظر الدرر الكامنة ٢٨٢/٤ .

(٦) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ١٨١/٢ .

عند سجوده^(١) .

كما أنه جاء في مفردات القرآن أن الواحد ذقن وقد ذقنته : ضربت ذقنه وناقاة ذقون : تستعين بذقنها في سيرها ودلو ذقون ضخمة مائلة^(٢) .
إذا مما سبق اتفق المفسرون وابن منظور أن الأذقان جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين أي أسفل الوجه والمعنى يخرون للوجه فاكتفى بالذقن كما يكتفي البعض من الكل وردت آثار كثيرة تدل على أن هذه الآية نزلت بسبب وقد النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليروه ويعرفوا حاله فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، فبكوا وآمنوا ، ورجعوا إلى النجاشي فأمن ولم يزل مؤمناً حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) .

المعنى العام للنص :

(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) هذا على طريق الوعيد والتهديد ، (إن الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنو أهل الكتاب ، وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلموا بعد مبعثه ، مثل : زيد بن عمر بن نفيل ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر وغيرهم ، وقيل هم ناس من اليهود وقيل هم أمة محمد . (إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجداً) أي يسقطون على الأذقان أي على وجوههم كناية عن غاية الوله والخوف والخشية^(٤) .

النص رقم (١٦) :

قال تعالى : (وَادْكُرُوا مَا فِيهِ)^(٥) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : الذكر : الحفظ للشئ تذكره ، والذكر أيضاً : الشئ يجري

(١) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ٤٩١/٣ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٥٩/١ .

(٣) النعالي : تفسير النعالي ٤٨٢/١ .

(٤) انظر : الرازي : التفسير الكبير ٥٨/٢١ . وأيضاً : النغوي : تفسير النغوي ١٣٦/١ .

(٥) البقرة ٦٣ . تنمة الآية (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)

على اللسان . (واذكروا ما فيه) قال أبو إسحاق : معناه ادرسوا ما فيه^(١) . والاسم الذكرى ، قال الفراء : يكون الذكرى بمعنى الذكر ، ويكون بمعنى التذكر^(٢) في قوله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)^(٣) والذكر والذكرى نقيض النسيان . وقال تعالى : (وادكر بعد أمة)^(٤) أي ذكر بعد نسيان وأصله ادتكر فادغم . قال ابن سيده : أما أذكر وادكر فإبدال ادغام^(٥)(٦) .

دراسة النص :

قال القرطبي : (واذكروا ما فيه) أي تدبروه واحفظوا أو امره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه^(٧) .

وأيضاً قال ابن كثير : اقرأوا ما في التوراة واعملوا به^(٨) . وكذلك قال البيضاوي : ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به^(٩) . وقال النسفي : (واذكروا ما فيه) احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون^(١٠) .

وأما قوله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) فقد قال الإمام الطبري في هذه الآية وعظي يا محمد من أرسلت إليه فإن العظة تنفع المؤمنين^(١١) . وأيضاً قال (القرطبي) (وذكر) أي بالعظة^(١٢) .

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٣٤/١ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٤٣/١ .

(٣) الذاريات / ٥٥ .

(٤) يوسف / ٤٥ .

(٥) ابن سيده : / المحكم ٤٨٩/٦ ، ٤٦٦ .

(٦) ابن منظور : اللسان ٤٨/٥ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٥١/١ .

(٨) ابن كثير : التفسير العظيم ١٤٩/١ .

(٩) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٣٥/١ .

(١٠) النسفي : تفسير النسفي ٤٨/١ .

(١١) الطبري : جامع البيان ٤٧٤/١١ .

(١٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥٠/١٧ .

وقال الشوكاني : أنه لما أمره بالإعراض عنهم أمره بأن لا يترك التذكير
والموعظة بالتي هي أحسن(١) .

وكذلك قال الكلبي : (وذكر) معناها عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن
الذكرى تنفعهم .

وجاء أيضاً في معنى الذكرى أي كثرة الذكر(٢) .

ونلاحظ في هذه الآية أن ابن منظور اكتفى بالقول أن الذكرى نقيض
النسيان ، وقال المفسرون ، بأن معناها الوعظ ، فإن كان الظاهر الاختلاف في
المعنى لكن ضمناً يكون المعنى أن الذكرى تكون بالوعظ أي بالتذكير .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أنه لما نزلت (فتول عنهم فما أنت بملوم)
اشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا أن الوحي قد انقطع
وأن العذاب قد حضر فأنزل الله (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)(٣) .

وقيل أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : (فتول عنهم فما أنت بملوم)(٤) .

على هذا يكون المعنى العام لهذه الآية : أنها مرتبطة بالآية التي قبلها (فتول
عنهم) أي أعرض عن جدالهم ، فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا فما أنت بملوم على
التولي بعد ما بذلت المجهود ، وجاوزت الإبلاغ . (وذكر) افعل التذكير والموعظة
ولا تدعهما بالمرّة فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم أو
الذين آمنوا بالفعل ، تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين(٥) .

وأما قوله تعالى: (وادكر بعد أمة) فقد وافق ابن منظور الطبري والقرطبي،

(١) الشوكاني : فتح القدير ١٣٠/٥ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥١٠/١ .

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل : لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ،
بيروت ، ٢٠٠/١ .

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ (تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري) ٥٨/١ . انظر أيضاً : الناسخ والمنسوخ
للكرمي ١٩٥/١ .

(٥) أبي السعود : تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم ، ١٤٤/٨ .

فقد قال الطبري : (وادكر) أي تذكر ما كان نسي من أمر يوسف^(١) . وقال القرطبي : معناها اذتكر فادغم ، وأن معنى ادكر ذكر وأخبر^(٢) . وأن أصل ادكر اذتكر والذال قريبة المخرج من التاء ولم يجز ادغامها فيها لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة ، فلو ادغموا ذهب الجهر ، فابدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً وهو الدال فصار اذدكر فادغموا الذال في الدال لرخاوة الدال ولينها^(٣) .

أما المعنى العام لهذه الآية فقد قال الشوكاني : (وقال الذي نجا منهما) أي من الغلامين وهو الساقى الذي قال له يوسف (اذكرني عند ربك) . (وادكر بعد أمة) أي تذكر الساقى يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا بعد حين أو بعد زمن أمة^(٤) .

إذاً الذكرى هي الحفظ للشئ وهي نقيض النسيان وفي قوله تعالى (واذكروا ما فيه) كان معناها ادرسوا ما فيه وهذا المعنى ذكره ابن منظور وكذلك المفسرون
المعنى العام للنص :

يخاطب سبحانه وتعالى قوم موسى فيقول واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة ، فقد روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظله عليهم حتى قبلوا فكان الأمر لهم خذوا ما آتيناكم بقوة أي بجد وعزيمة واذكروا ما فيه أي احفظوه ولا تتسوه أو تتفكروا فيه لعلكم تتقون^(٥) .

النص رقم (١٧) :

قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)^(٦) .

(١) الطبري : جامع البيان ٢٢٤/٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٧١/٩ .

(٣) أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، إحياء الكتب العربية (تحقيق علي محمد الجاوي) ٥٤/٥ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٥/٣ .

(٥) أبي السعود : تفسير أبي السعود ١٠٩/١ .

(٦) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور الذكر : الصيت والثناء ، ابن سيده : الذكر الصيت يكون في الخير والشر^(١) . والذكر : الشرف والصيت . ورجل ذكر : جيد الذكر والحفظ . والذكر : الشرف . وفي التنزيل (وإنه لذكر لك ولقومك) أي القرآن شرف لك ولهم . وقوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك)^(٢) أي : شرفك . وقيل معناه : إذا ذكرت ذكرت معي . والذكر : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل . وكل كتاب من الأنبياء عليهم السلام ذكر والذكر : الصلاة لله والدعاء إليه والثناء عليه . وفي الحديث : (كان الأنبياء عليهم السلام إذا حزبه أمر فزعوا إلى الذكر)^(٣) . (ولذكر الله أكبر)^(٤) فيه وجهان : أحدهما أن ذكر الله تعالى إذا ذكره العبد خير للعبد من ذكر العبد للعبد ، والوجه الآخر أن ذكر الله ينهي عن الفحشاء والمنكر أكثر مما تنهى الصلاة . وقول الله عز وجل : (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)^(٥) قال الفراء فيه : وفي قول الله عز وجل (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ)^(٦) قال : يريد يعيب آلهتكم . وقوله تعالى : (ص والقرآن ذي الذكر)^(٧) أي ذي الشرف . وفي الحديث : (أن الرجل يقائل ليذكر ويقائل ليحمد) أي ليذكر بين الناس ويوصف بالشجاعة ، والذكر : الشرف والفخر . وفي صفة القرآن : الذكر الحكيم أي الشرف المحكم العاري من الاختلاف^(٨) .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير قوله تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك) أي أن القرآن

(١) ابن سيده : المحكم ٤٨٩/٦ .

(٢) سورة الشرح الآية ٤ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب دعاء الكرب ، ٢٠٩٢/٤ (٢٧٣٠)

(٤) العنكبوت / ٤٥ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٦٠ .

(٦) الفراء : معاني القرآن ، ٢٠٦/٢ والآية ٣٦ من سورة الأنبياء

(٧) سورة ص الآية ١ .

(٨) ابن منظور : اللسان ج ٥ ، ص ٥٠ .

شرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومه^(١) .

وكذا قال القرطبي : أن الذكر في هذه الآية المقصود به الشرف^(٢) . أما ابن كثير فقد قال : أي تذكير لك ولقومك^(٣) .

وقال الشوكاني : المراد بالذكر القرآن وسمي ذكراً لما فيه من الموجبات للذكر والاعتبار ، وقيل المراد بالذكر الشرف^(٤) .

وقال البغوي: شرف لك ولقومك^(٥) . وأيضاً قال الأصفهاني: ذكر له أي شرف لك^(٦) . وأيضاً في المعجم الكبير عن ابن عباس (ذكر له) أي شرف لك ولقومك^(٧) وكذا في كتب اللغة^(٨) .

إذا وافق ابن منظور المفسرين وعلماء اللغة أن المقصود بالذكر في هذه الآية هو الشرف أي أن القرآن شرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه . ما عدا ابن كثير فقال إن المقصود أن القرآن فيه تذكير للرسول صلى الله عليه وسلم ولقومه . وأما الشوكاني فقد ذكر الرأيين .

والذكر في قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) فقد ذكر الطبري قال : قال الله تعالى : لا اذكر إلا ذكرت معي وذلك قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٩) .

وذكر القرطبي قول مجاهد : بالتأذين ، وعن ابن عباس قال : يقول له لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر^(١٠) .

(١) الطبري : جامع البيان ٦٧/١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٧/١ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ١٦٣/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٧٩٣/٤ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن

(٧) الطبراني : المعجم الكبير ٢٥٦/١٢ .

(٨) انظر الزبيدي : تاج العروس ٢٨٦٤/١ . وأيضاً الفراهيدي : كتاب العين ٣٤٦/٥ .

(٩) الطبري : جامع البيان ٩٨/١٢ .

(١٠) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩٨/٢ .

وأيضاً قال ابن كثير : قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله^(١) .

وقال الأصفهاني : (العلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقوده وآثارهم في القلوب موجودة) هذا في العلماء الذين هم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم فكيف هو وقد رفع الله عز وجل ذكره ، وجعله خاتم الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام؟^(٢) .

إذاً المقصود بالذكر في هذه الآية رفع صيت الرسول صلى الله عليه وسلم باقتران اسمه باسم الله جلا و علا .

والمعنى لهذه الآية (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة ، وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالى في كلمتي الشهادة ، وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته ، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ، وخاطبه بالألقاب وإنما زاد (لك) ليكون إبهاماً قبل إيضاح فيفيد المبالغة^(٣) .

وأما قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) فقد قال الطبري : اختلف أهل التأويل فقال بعضهم^(٤) معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم . وقال آخرون^(٥) بل معنى ذلك : ولذكر الله أفضل من كل شئ . وقال ابن عباس لها وجهان : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أو لذكر العبد في الصلاة أكبر من ذكر الصلاة^(٦) .

وقال الأصفهاني : في الآية حث على الإكثار من ذكره أي ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد له^(٧) .

وأيضاً يكون الذكر بمعنى الشرف كما في قوله تعالى (ص والقرآن ذي الذكر) فقد أوضح النسفي قائلاً (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ٤/٦٧٧ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٨٥ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/٥٠٥ .

(٤) ابن عباس ، عكرمة ، عطية وغيرهم .

(٥) أم الدرداء ، قتادة وغيرهما .

(٦) الطبري : جامع البيان ٩/٣٩ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥١٠ .

سبيل التحدي ، والتتبيه على الإعجاز ، ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر، أي ذي الشرف إنه لكلام معجز^(١) .
وكما أن الذكر يجئ بمعنى الشرف ، فقد يجئ بمعنى العيب ، أي يكون بذكر ما يعيبهم . كما في قوله تعالى (سمعنا فتى يذكرهم) حيث قال الطبري : يعيب^(٢) . وقال القرطبي : يصيبهم ويسبهم^(٣) .

وقال البغوي شارحاً هذه الآية : (قالوا) يعني الذين سمعوا قول إبراهيم (تالله لأكيدن أصنامكم) (سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم ويسبهم (يقال له إبراهيم) هو الذي نطن فعل هذا فبلغ ذلك النمرود الجبار وأشرف قومه^(٤) .

إذاً ذكر يجئ لمعاني متعددة ، كما ذكرنا آنفاً مثل الحفظ للشئ ، وجري الشئ على لسانك ، والذكر الكتاب والذكر الشرف والصوت .
المعنى العام للنص :

إن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بياناً ، بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم^(٥) .
النص رقم (١٨) :

قال تعالى : (وَمَا أَكَلِ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ)^(٦) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذكا : ذبحه على التمام . والذبح : إنه التمام والتذكية : الذبح . والذكاء والذكاة: الذبح . عن ثعلب: والعرب تقول:(ذكاة الجنين ذكاة أمه)^(٧)

(١) النسفي : تفسير النسفي ٣٢/٤ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٣٩/٩ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١١ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٣٢٤/١ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٢٣٣/٩ .

(٦) المائدة / ٣ . تنمة الآية (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ..) .

(٧) الحديث صحيح . انظر : مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م ، تحقيق تقي الدين الندوي ، كتاب الضحايا وما يجزئ منها ، باب السمك يموت في الماء ٦١٣/٢ (٦٥٠) .

أي إذا ذبحت الأم ذبح الجنين وابن الأثير يقول : التذكية الذبح والنحر^(١) . يقال : ذكيت الشاة تذكية والاسم : الذكاة . والمذبوح ذكي . ويقول ابن سيده : ذكاء الحيوان ذبحه^(٢) . وقوله تعالى : (وما أكل السبع إلا ما ذكيتم) قال أبو إسحاق : معناه إلا ما أدركتم ذكاته^(٣) . وكل ذبح ذكاة . ومعنى التذكية أن تدركها وفيه بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أدركت ذكاته ، وأهل العلم يقولون : إن أخرج السبع الحشوة ، أو قطع الجوف قطعاً تخرج معه الحشوة فلا ذكاة لذلك . وتأويله أن يصير في حالة ما لا يؤثر في حياته الذبح ، وفي حديث الصيد : (كل ما أمسكت عليه كلابك ذكي وغير ذكي)^(٤) وأصل الذكاة في اللغة كلها إتمام الشئ^(٥) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر (إلا ما ذكيتم) إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً^(٦) . وقال القرطبي : الذكاة في كلام العرب الذبح قاله قطرب^(٧)^(٨) . وقال ابن

وأيضاً : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني : سنن ابن ماجة ، دار الفكر ، بيروت (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) كتاب الذبائح ، باب ذكاة الجنين ذكاة أمه ، ١٠٦٦/٢ (٣١٩٩) .
وذكره الترمذي في كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في ذكاة الجنين ، ٧٢/٤ (١٤٧٦) .

وأبو داود في كتاب الذبائح ، باب ما جاء في ذكاة الجنين ، ١١٤/٢ (٢٨٢٨) .

(١) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٤١١/٢ .

(٢) ابن سيده : المحكم

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٧/٢ .

(٤) أبو داود ، كتاب الصيد ، باب في الصيد ، ١٢٣/٢ (٢٨٥٧) . ومسنند أحمد بن حنبل ١٨٤/٢ (٦٧٢٥) .

انظر أيضاً : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، المجتبى من السنن ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، تحقيق عبد الفتاح أبو غرة ، ١٩١/٧ (٤٢٩٦) .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ٥٢/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

(٧) قطرب : هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري ، أبو علي ، لغوي ، نحوي ، أخذ النحو عن سيبويه وغيره من علماء البصرة ، أخذ من النظام علم الكلام توفي ببغداد سنة ٢٠٦هـ ، ومن تصانيفه معاني القرآن ، العلل في النحو ، والاشتقاق وغيرها . (وفيات الأعيان ١/٦٢٥) (شذرات الذهب ١٥/٢) (الكامل في التاريخ ٦/١٢٩) .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ص ٤٦ .

كثير: (إلا ما ذكيتم) أي إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكي^(١) .
وقال الشوكاني : (إلا ما ذكيتم) أي ذبحتم من ذلك وبه روح فكلوه^(٢) . وذكر في
الجلالين : (إلا ما ذكيتم) أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتوه^(٣) .
وجاء في التبيان : (إلا ما ذكيتم) أي قطعتم أوداجه ونهرتم دمه وذكرتم اسم
الله تعالى . واصل الذكاء في اللغة تمام الشيء^(٤) .

إذاً اتفق المفسرون أن الذكاة هي الذبح وهي تمام الذبح ، وهذا نفس رأي
ابن منظور .

وفي هذا النص يقول الجصاص^(٥) : وأما قوله تعالى (إلا ما ذكيتم) فإنه
معلوم أن الاستثناء راجع إلى بعض المذكور دون جميعه ، لأن قوله حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، لا خلاف أن الاستثناء غير راجع
إليه وأن ذلك لا يجوز أن تلحقه الذكاة . وقد ثبت أن الاستثناء راجع إلى جميع
المذكور من قوله والمنخقة (إلا ما ذكيتم) استثناء منقطع^(٦) بمنزلة قوله لكن ما
ذكيتم^(٧) .

المعنى العام للنص :

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن لا يتعاونوا على الإثم والعدوان
ويتعاونوا على البر والتقوى ، بين ما كان يأكل أهل الجاهلية ، فقال حرمت عليكم

(١) ابن كثير : التفسير ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٣) الجلالين : تفسير الجلالين ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٤) شهاب الدين المصري : التبيان في تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

(٥) الجصاص : هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي الإمام الكبير الشأن المعروف الجصاص ، وهو لقب له
وكان مولده سنة خمس وثلاثمائة سكن بغداد ، وأخذ عنه فقهاؤها له من المصنفات أحكام القرآن في التفسير وشرح
مختصر الطحاوي ، ومؤلفاته كثيرة ، وكانت وفاته سنة سبعين وثلاثمائة ، وكان مشهوراً بالزهد . سير أعلام النبلاء
٣٤٠/١٦ . طبقات الأندلس ص ٨٤ .

(٦) وحيث وقعت ما في القرآن قبل إلا فهي تفيد النفي إلا في هذا الموضع فتعني التوكيد . انظر البرهان ٤/٤٠٧ ،
الإتقان ١/٥١٥ .

(٧) أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر : أحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ —
(تحقيق محمد الصادق قمحاوي) ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

الميتة أي البهيمة التي تموت حتف أنفها ، والدم أي المسفوح ، وهو السائل ولحم الخنزير ، وكله نجس وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود ، وما أهل لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزة عند ذبحه . والمنخقة التي خنقوها حتى ماتت ، والموقوذة التي اثنوها ضرباً حتى ماتت ، والمتردية التي تردت من جبل أو في بئر فماتت والنطيحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح ، وما أكل السبع بعضه ومات بجرحه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته ، وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء^(١) يرجع إلى المنخقة وما بعدها ، فإذا أدركها وفيها حياة فذبحها وسمى عليها حلت^(٢) .

النص رقم (١٩) :

قال تعالى : (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذل : نقيض العز ، ذل يذل ذلاً وذلة وذلالة ومذلة ، فهو

ذليل بين الذل والمذلة من قوم أذلاء وأذلة وذلال .

قال عمرو بن قميئة^(٤) :

وشاعر قوم أولى بغضة قمعت فصاروا لئاماً ذلالاً^(٥)

(١) وأما الاستثناء ففيه قولان أحدهما أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله والمنخقة . والثاني أنه يرجع إلى ما أكل السبع خاصة والعلماء على الأول . انظر عبد الرحمن الجوزي : زاد المسير ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٢) النسفي : تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٣) الآية (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم..) سورة الأعراف الآية ١٥٢ .

(٤) عمرو بن قميئة : هو عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، شاعر جاهلي أقدم من امرؤ القيس ولد حوالي ٤٣٩هـ . وكان شاباً جميلاً حسن الوجه وهو من أسرة معظم أفرادها من الشعراء ، عاش عيشة هائلة توفر فيها الغنى والسيادة ، دخل مع امرؤ القيس بلد الروم ومات بها سنة ٥٣٠هـ ، لذا سمي عمراً الضائع لموته في الغربة .

انظر : أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف بمصر ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م (تحقيق عبد السلام محمد هارون) ص ٣٢٠ . وأيضاً : علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا : الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ٣/٣٧٩ ..

(٥) ديوان عمرو بن قميئة : تحقيق (حسن كامل الصيرفي) ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م ص ٢٠٦ ، قمع الرجل : قهر وذلة .

ويجمع الذليل من الناس أذلة وذلاتاً ، والذل : الخسة وتذلل له أي خضع .
وفي أسماء الله تعالى : المذل هو الذي يلحق الذل بمن شاء من عباده وينفي عنه
أنواع العز جميعها ، وفي الآية قيل : الذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم ، وقيل
الذلة أخذ الجزية . وقال الزجاج : الجزية لم تقع في الذين عبدوا العجل لأن الله
تاب عليهم بقتل أنفسهم^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري:(الذلة) هي الهوان لعقوبة الله إياهم في عاجل الدنيا قبل أجل
الآخرة،ونفى أن تكون الذلة هي الجزية لأنها لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذرياتهم^(٢).
وقال القرطبي : الغضب من الله العقوبة وذلة في الحياة الدنيا لأنهم أمروا
بقتل بعضهم بعضاً ، وقيل الذلة الجزية وفيه بعد لأن الجزية لم تؤخذ منهم وإنما
أخذت من ذرياتهم^(٣) .
وقال البغوي : الذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم ونقل أيضاً قول ابن عباس
الذلة : الجزية^(٤) .

وقال البيضاوي : الذلة هي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية^(٥) .
وقال أبو السعود : (ذلة في الحياة الدنيا) هي ذلة الاغتراب ، والذلة التي
اختص الله بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس^(٦) .
وجاء في معاني القرآن : المعنى إن الذين اتخذوا العجل إلهاً حذف لعلم
السامع ، وقيل معنى وذلة في الحياة الدنيا إنها الجزية ، وقيل هو ما أمروا به من
أن يقتل بعضهم بعضاً ، وأضاف وهذا القول أصح من الأول لأن الجزية لم تؤخذ
منهم وإنما أخذت من ذرياتهم^(٧) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٥٥ . وقول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٧/٢

(٢) الطبري : جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٧٠ .

(٣) القرطبي : الجامع ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٦٢٠ .

(٦) أبو السعود : تفسير أبو السعود ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٧) النحاس : معاني القرآن الكريم ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، (تحقيق محمد علي الصابوني) ، ج ٣ ، ص ٨٤

وجاء في شعب الإيمان عن سفيان^(١) بن عيينة : (لا تجد مبتدعاً إلا وجدته ذليلاً ألم تسمع إلى قول الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَبَذَلَتْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))^(٢) .

إذا اتفق المفسرون وابن منظور أن المقصود ب(الذلة) الهوان ، وتنوعت الآراء حول كيفية العقوبة بين من قال (الذلة) بقتل بعضهم بعضاً وبين من قال أن الذلة هي الجزية وبعضهم قال أن (الذلة) هي الاغتراب ، وأرجح قول أبو جعفر أن العقوبة هي قتل بعضهم بعضاً لأن الجزية والاغتراب لم يكونا في عبدة العجل وإنما في ذرياتهم .

المعنى العام للنص :

إن الذين اتخذوا العجل يريد عبدة العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك بهم في عهد موسى عليه السلام فالغضب والذلة هو أمرهم بقتل أنفسهم ، وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول أن الغضب والذلة بقيت في عقب هؤلاء^(٣) .

النص رقم (٢٠) :

قال تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) ^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذل بالكسر : اللين وهو ضد الصعوبة ، والذل والذل ضد الصعوبة . ذل يذل ذلاً وذلاً فهو ذلول يكون في الإنسان والدابة . وفي الحديث : (اللهم اسقنا ذلل السحاب)^(٥) هو الذي لا رعد فيه ولا برق وهو جمع

(١) سفيان بن عيينة : هو أبي عمران الإمام المجتهد الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ، محدث الحرم ، ولد سنة سبع ومائة وطلب العلم في صغره ، وكان أعلم الناس بمحدث أهل الحجاز ، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة . تذكرة الحفاظ ، ٢٦٢/١ . العبر ، ٣٢٦/١ .

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، تحقيق السعيد بسبيوني زغلول ، ج ٧ ، ص ٧٢ .

(٣) الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٤) الإسراء / ٢٤ .

(٥) الحديث (اللهم اسقنا غيثاً مريئاً..). انظر سنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء ، ٤٠٤/١ (١٢٦٩) ، ومسنند أحمد بن حنبل : ٢٣٥/٤ (١٨٠٩١)

ذلول من الذل بالكسر ضد الصعب . والذل والذل : الرفق والرحمة . وفي صفة المؤمنين (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)(^١) قال ابن الإعرابي : رحماء رفقاء على المؤمنين أعزة على الكافرين غلاظ شداد على الكافرين . وقوله تعالى (ذلت قطوفها تذليلاً)(^٢) أي سويت عناقيدها ودليت . وقوله تعالى : (فاسلكي سبل ربك ذللاً)(^٣) فسرته ثعلب فقال : يكون الطريق ذليلاً وتكون هي ذليلة . وقال الفراء : ذلاً نعت السبل(^٤) ، يقال : سبيل ذلول وسبل ذلل . ويقال : إن الذلل من صفات النحل أي ذلك ليخرج الشراب من بطونها(^٥) .

دراسة النص :

قال مجاهد : يطيعهما فيما أمراه ولا يمتنع من شئ أراداه(^٦) . قال الطبري: في معنى هذه الآية وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية ولا تخالفهما فيما أحبا(^٧) .

وأيضاً قال وخفض جناح الذل رحمة بهما والتحنن عليهما والرافة بهما والدعاء بالخير لهما وما أشبه ذلك من الأفعال التي ندب الله عباده أن يفعلوا بها(^٨) . وقال القرطبي : أي تواضع لهما ، وذكر أيضاً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، استعارة في الشفقة والرحمة بهما ، والتذلل لهما تذلل الرعية للأmir ، والعبيد للسادة . وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر ، حين ينتصب بجناحيه لولده والذل هو اللين(^٩) .

(١) المائة/ ٥٤ .

(٢) الإنسان / ١٤ .

(٣) النحل / ٦٩ .

(٤) الفراء : معاني القرآن ١٩/٢ .

(٥) ابن منظور اللسان ، ٥٦/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٦١/٨ .

(٧) مجاهد : تفسير مجاهد ٣٦/١ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ٤٣٢/١ .

(٩) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/٨ .

وقال ابن كثير : أي تواضع لهما بفعلك ، وهذه وصية بالرأفة والرحمة والإحسان^(١) . وقال الشوكاني : وخفض الجناح كناية عن التواضع ، ولين الجانب وفي الوالدين يلين لهما حتى لا يمتنع من شئ أحباه^(٢) .

وقال البغوي : خفض الجناح لم يرد به الهوان وإنما جانبهم لين^(٣) . وجاء في مفردات القرآن : الخفض ضد الرفع ، والخفض الدعة ، واليسر واللين . وقوله عز وجل : (واخفض لهما جناح الذل) فهو حث على تليين الجانب والانقياد^(٤) وكذلك قال البخاري^(٥) : لا تمتنع عن شئ أحباه^(٦) .

قال جميع المفسرين أن المقصود بالذل هنا التواضع ولين الجانب وهذا ما قاله ابن منظور في هذه الآية أن الذل يعني الرحمة والرأفة بالوالدين . وذكر السيوطي في الإتقان : أن هذه الآية (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أنها مثال للمؤول في القرآن ، فإنه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون آدمي له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق^(٧) .

وفي البرهان ذكر أنه يرد في القرآن التشبيه وحقيقته أن تستعار الكلمة من شئ معروف بها ، إلى شئ لم يعرف وحكم ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ، كما في هذه الآية ، لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ، فاستعير للولد أولاً جانب ثم للجانب جناح وتقدير الاستعارة القريبة . واخفض لهما

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٠/٣ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٣/٣ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ، ٦٩/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٤٢٥/١ .

(٥) البخاري : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردية ، وقيل ابن الأحنف الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري ولد في شوال سنة (١٩٤هـ) وتوفي سنة (٢٥٦هـ) ، طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر ، وكان حسن المعرفة ، حسن الحفظ ، وكان يتفقه . انظر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ،

(٦) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي : الأدب المفرد ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، باب لين الكلام لوالديه ، ١٧/١ (٩) .

(٧) السيوطي : الإتقان ٨٤/٢ .

جانِب الذل وهذا لأجل حسن البيان^(١) . وأيضاً تعد هذه الآية من البديع في القرآن^(٢) .

وقال قتادة : هذه الآية نسخ منها حرف واحد ، وهو لا ينبغي لأحد أن يستغفر لوالديه وهما مشركان ، ولا يقول ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ولكن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، ويصاحبهما في الدنيا معروفاً . وذلك قوله تعالى : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى)^(٣) هذه الآية نسخت ذلك الحرف^(٤) .

وقيل نسخ بعض معاني ألفاظ الآية ، وقال بعض المفسرين نسخ من دعائها أهل الشرك ، وهي قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) هذا محكم . وقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) هذا واجب إلى قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) هذا في أهل القبلة وغير أهل القبلة ، وكذلك قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) وذلك أن جميع الآيتين محكم إلا بعض معانيها في أهل الشرك ، وهو إذا مات الأبوان على الشرك فليس للولد أن يترحم عليهما ولا يدعو لهما^(٥) .

وقرأ الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلاً وذلة ومذلة فهو ذال وذليل ، وقرأ سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير الذل بكسر الذال^(٦) .

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ٤٣٣/٣ .

(٢) الباقلائي : أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم : إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، تحقيق السيد أحمد صقر .

(٣) التوبة / ١١٣ .

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب : الناسخ والمنسوخ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - تحقيق د. حاتم صالح الضامن) ٤٤/١ .

(٥) هبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ : الناسخ والمنسوخ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ (تحقيق زهير الشاويش ، محمد كنعان) ١١٥/١ . انظر أيضاً : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر : الناسخ والمنسوخ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ (تحقيق د. محمد عبد السلام محمد) ، ٤٥/١ .

(٦) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١٠ .

وأيضاً الذل يكون بمعنى الرحمة والتواضع ولين الجانب وذلك في صفة المؤمنين كما في قوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فقد ذكر الطبري أن (أذلة) معناها أرقاء رحماء بهم، من قول القائل: ذل فلان لفلان إذا خنع واستكان^(١) وقال القرطبي: (أذلة) نعت لقوم وكذلك (أعزة) أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم من قولهم: دابة ذلول أي تتقاد سهلة وليس من الذل في شيء^(٢) وابن كثير قال: هذه صفات المؤمنين الكمل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعزراً على خصمه وعدوه^(٣).

وذكر الشوكاني: الأذلة جمع ذليل لا ذلول، أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين^(٤).

وأيضاً قال الإمام البيضاوي: عاطفين عليهم متذللين لهم، جمع ذليل لا ذلول^(٥). وجاء في التبيان: (أذلة على المؤمنين) أي يلينون لهم، من قولهم دابة ذلول، أي منقادة لينة سهلة وليس هذا من الهوان وإنما هو من الرفق^(٦).

وهكذا اتفق ابن منظور والمفسرون أن المقصود بأذلة الرحمة والرفق واللين. ونلاحظ أنه جلا وعلا في هذه الآية لم يقتصر على وصفهم بالذلة وهي السهولة، لأنه لو اقتصر لتوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع ولهذا عدى الذل (بعلى) لتضمنه معنى العطف^(٧). وأيضاً يسمى هذا بالاحتراس وهو أن يؤتى بكلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم^(٨). عليه فالمعنى العام لقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) قال الإمام

(١) الطبري: جامع البيان ٤/٦٢٢.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٠٦.

(٣) ابن كثير: التفسير العظيم ٢/٩٧.

(٤) الشوكاني: فتح القدير ٢/٧٥.

(٥) البيضاوي: تفسير البيضاوي ١/٣٣٦.

(٦) شهاب الدين المصري: التبيان ١/١٨٤.

(٧) الزركشي: البرهان، ٣/٦٥.

(٨) السيوطي: الإتيقان، ٢/١٩٩.

الواحدي^(١) : علم الله تعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم تعالى أنه سوف يأتي بقوم يحبهم ويحبونه وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة (أدلة على المؤمنين) كالولد لوالده والعبد لسيدته ، (أعزة على الكافرين) غلاظ عليهم كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وكل ذلك بفضل الله عليهم^(٢) .

وأيضاً التذليل من السهولة كما في قوله تعالى : (ذلت قطوفها تذليلاً) فقد ذكر الطبري : المقصود ذلل لهم اجتناء ثمر شجرها كيف شاءوا قعوداً وقياماً ومتكئين^(٣) . وقال القرطبي : ليست مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان^(٤) . وقال ابن كثير : أي لا تمتنع ممن تناولها بل تحنوا إليه من أغصانها^(٥) . وكذلك قال الشوكاني : المعنى أنها سخرت ثمارها لمتناولها تسخيراً كثيراً بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك^(٦) . وأيضاً ذكر الجلالين : أنها أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع^(٧) .

عليه يكون المعنى الذي قصده المفسرون هو ذات المعنى الذي ذكره ابن منظور ، أنها سويت عناقيدها ودلّيت .

والمعنى العام للآية أنها سخرت ثمارها لمتناولها ، وسهل أخذها من الذل ، وهو ضد الصعوبة والجملة حال ، أن تدنو ظلالها عليهم مذلة لهم قطوفها ، أو معطوفة على دانية^(٨) .

(١) الواحدي : هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، كان أستاذاً عصره في التفسير والنحو ، صاحب المؤلفات ، له عدد من الكتب منها (البيسط) و(الوسيط) و(الوجيز) ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة ، وله كتاب في أسباب نزول القرآن وشرح ديوان المتنبي ، وكان تلميذه الثعلبي المفسر وأخذ عنه علم التفسير توفي سنة ٤٦٧هـ بمدينة نيسابور . انظر (أجد العلوم للقنوجي ١٤٦/٣) .

(٢) الواحدي : الوجيز ، ٣٢٤/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٣٦٤/١٢ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٧٠/١٧ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٣٥٥/٤ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ٤٩١/٥ .

(٧) الجلالين : تفسير الجلالين ٧٨٢/١ .

(٨) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٧٣/٩ .

وأما قوله تعالى (فاسلكي سبل ربك ذللاً) قال الطبري : أي اسلكي طرق ربك ذللاً جمع ذلول^(١) . وقال القرطبي : أي طرق ربك وذلك : جمع ذلول وهو المنقاد أي مطيعة مسخرة (فذللاً) حال من النحل أي تتقاد ، وتذهب حيث شاء صاحبها . وقيل المراد : السبل أي مذل طرقها سهلة للسلوك عليها^(٢) . وقال ابن كثير : مطيعة^(٣) .

وقال البغوي : هي نعت الطرق ، يقول : هي مذللة للنحل سهلة المسالك^(٤) . وقال البيضاوي : (ذللاً) جمع ذلول وهي حال من السبل أي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي ، أي وأنت ذلل منقاداً لما أمرت به^(٥) . فالمفسرون على رأيين بعضهم قال ذلل نعت للطرق كالطبري والبغوي وبعضهم قال حال للنحل مثل ابن كثير ، وبعضهم جمع الرأيين مثل القرطبي والبيضاوي . وابن منظور ذكر الرأيين دون ترجيح .

وترى الباحثة أن نعت الطرق هو المعنى الأقرب ، حسب ما يفهم من الآية فاسلكي أيتها النحل سبل ربك ذللاً أي ميسرة لك سهلة .

والمعنى كما ذكره النسفي : أي أيتها النحل كلي من كل ثمرة تشتهيها (واسلكي سبل ربك) أي فادخلي الطرق التي ألهمك لها الله ، وأفهمك في عمل العسل ، أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك ، فاسلكي سبل ربك راجعة لا تضلين فيها لأن الله ذللها وسهلها لك^(٦) .

إذا الذل هو الصعوبة واللين ، استعمل في القرآن حقيقة ومجازاً ، فحقيقة كما في الآيات السابقة في ثمار الجنة وطرق النحل ، وأيضاً فيما ذكر في صفة المؤمنين بعضهم البعض ومجازاً في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) .

(١) الطبري : جامع البيان ٦١٣/٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٢٠ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ٧٥٩/٢ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٩/١ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٠٨/١ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ٢٦٢/٢ .

المعنى العام للنص :

(واخضض لهما جناح الذل) أي ألن جانبك لهما ، واخضع لهما (من الرحمة) أي من رقتك عليهما وشفقتك (وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيراً) مثل رحمتها إياي في صغري حين ربياني صغيراً^(١) .

النص رقم (٢١) :

قال تعالى : (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

ذمامة : حرمة وحق . والذمة والذمام بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق . وسمي أهل الذمة ذمه لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم)^(٣) قال أبو عبيدة : الذمة الأمان ههنا . ولهذا سمي المعاهد ذمياً لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه . وفي الآية الذمة العهد والإل الحلف^(٤) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر:الإسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد والحلف ، والقراية وهو أيضاً بمعنى (الله) فيكون المعنى لا يرقبون في مؤمن إلا ولا قراية ولا عهداً ولا ميثاقاً.والذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم . وأيضاً قال : قال ابن عباس : الإل يعني القراية والذمة : العهد^(٥) . وقال القرطبي : (ولا ذمة) أي عهداً ، وهي كل حرمة يلزمك إذا ضيعتها ذنب . وجمع ذمة ذمم . وأهل الذمة أهل العقد^(٦) .

(١) الواحدي : الوجيز ١/٦٣٢ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الجهاد ، باب في السرية ترد على أهل العسكر ، ١٩/٢ (٢٧٥١) . وسنن النسائي : كتاب القسامة ، باب سقوط القود عن المسلم للكافر ، ٨/٢٤ (٤٧٤٦) .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

(٦) القرطبي : الجامع ، ج ٨ ، ص ٧٤ .

وقال ابن كثير : الإل القرابة ، والذمة العهد^(١) . وقال الشوكاني : الإل : العهد والذمة : العهد ومن فسر الإل بالعهد كان التكرير للتأكيد مع اختلاف اللفظين^(٢) . وقال البغوي : (ولا ذمة) : أي عهداً^(٣) . وقال البيضاوي : ولا ذمة : عهداً^(٤) . اتفق ابن منظور والمفسرون في أن المقصود بالذمة العهد ، وإن قال قائل ما فائدة التكرار في قوله تعالى : (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) الآية (٨) وقوله تعالى : لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) (الآية ١٠) . الأول للكفار والثاني لليهود ، وقد ذكر الأول وجعل جزاءً للشرك ، ثم أعاد ذلك تقبيحاً لهم ، فقال ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فلا يكون تكرار محضاً^(٥) . وأيضاً قال النسفي : لا تكرار في الآيتين ، لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم ، والثاني على العموم ، لأنه قال في مؤمن^(٦) .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى : (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) نفى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق ، وهذا في اليهود إذ في الأعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم^(٧) . فلا يراعوا قرابة ولا عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا^(٨) .

النص رقم (٢٢) :

قال تعالى : (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ)^(٩) .

(١) ابن كثير ، التفسير ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٥) محمد بن حمزة بن نصر الكرمانى : أسرار التكرار في القرآن ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٦هـ — ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ، ٨٠/٢ .

(٧) أبو السعود : تفسير أبو السعود ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(٨) الجلالين : تفسير الجلالين ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٩) الشعراء / ١٤ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذنب الإثم والجرم والمعصية ، والجمع ذنوب وذنوبات جمع الجمع ، وقد أذنب الرجل ، وقوله عز وجل في مناجاة موسى عليه السلام (ولهم علي ذنب) عني بالذنب قتل الرجل الذي وكزه موسى عليه السلام ، فقضى عليه ، وكان ذلك الرجل من آل فرعون ، والذنوب في كلام العرب على وجوه ، من ذلك قوله تعالى (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم)(^١) قال الفراء : الذنوب في كلام العرب : الدلو العظيمة(^٢) . ولكن العرب تذهب به إلى النصيب والحظ وبذلك فسر قوله تعالى : (فإن للذين ظلموا..) أي أشركوا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي حظاً من العذاب(^٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : المقصود بالذنب هنا أي ولقوم فرعون علي دعوى أذنبت إليهم ، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم(^٤) .
وأيضاً قال القرطبي : الذنب هنا قتل القبطي(^٥) . وقال أبو حيان : الذنب هو قتله القبطي وهي تبعة ذنب وليس ذنباً كما سمي جزاء السيئة سيئة(^٦) .
وقال أبو السعود : (ولهم علي ذنب) أي تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم ، وليس هذا تعللاً وإنما هو استدفاع البلية المتوقعة قبل وقوعها(^٧) .
وأيضاً قال النسفي : الذنب هنا قتل القبطي(^٨) .

(١) الذاريات / ٥٩ .

(٢) الفراء : معاني القرآن .

(٣) ابن منظور : اللسان ٦٤/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٤٣٥/٩ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٣ .

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ، ٩/٧ .

(٧) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٢٣٧/٦ .

(٨) النسفي : تفسير النسفي ٢٩١/٦ .

نلاحظ أن المفسرون فسروا الآية كما ذكر ابن منظور بأن الذنب هو قتله القبطي ، دون أن يذكر المعنى اللغوي لكلمة ذنب .
وفي هذه الآية تساءل الزمخشري قائلاً : (فإن قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر ، فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعقل ، وقد علم أن الله من ورائه ؟ قلت : قد امتثل وتقبل ، ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاوننا على تنفيذ أمره ، وتبليغ رسالته ، فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ، ثم التمس بعد ذلك وتمهيداً العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر : ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه ، وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل)(^١) .

وقد كرر هذا الطلب (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) أيضاً في قوله تعالى : (إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون)(^٢) .
وقال السيوطي : (على) حرف جر له معان أشهرها الاستعلاء حساً أو معنى ، نحو هذه الآية(^٣) . (وعلى) يستعمل حقيقة نحو قوله تعالى : (وعلى الفلك يحملون)(^٤) ومجازاً كما في هذه الآية (ولهم علي ذنب..)(^٥) .
وكما ذكر ابن منظور (أن الذنوب في كلام العرب على وجوه) فنجد أن لها معنى يختلف تماماً عن المعنى السابق وذلك في قوله تعالى : (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم) .

قال الطبري : الذنوب وهي الدلو العظيمة ، وهو السجل أيضاً ، إذا ملئت أو قاربت الملء وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع الحظ والنصيب(^٦) .
وقال القرطبي : أي نصيباً من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.

(^١) الزمخشري : الكشاف ١/ ٨٧٥ .

(^٢) الكرمانى : أسرار التكرار ، ١/ ١٤٠ . والآية من سورة القصص / ٣٣ .

(^٣) السيوطي : الإتقان ، ١/ ٤٤٧ .

(^٤) المؤمنون / ٢٢ .

(^٥) الزركشي : البرهان ٤/ ٢٨٤ .

(^٦) الطبري : جامع البيان ١١/ ٤٧ .

وأصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك الأنصباء فقيل للذنوب نصيب^(١) . وقال ابن كثير : (ذنوباً) نصيباً من العذاب^(٢) .
وقال الشوكاني : (الذنوب) في الآية مأخوذة من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبير فهو تمثيل جعل الذنوب مكان الحظ والنصيب^(٣) .
وجاء في الجلالين : (ذنوب) نصيب^(٤) .

وفي مفردات القرآن : (الذنوب) الدلو التي لها ذنب واستعير للنصيب^(٥) .
اتفق المفسرون على أن (الذنوب) هي الدلو العظيمة وأن المقصود بها في هذه الآية النصيب ، لأن التسمية تعود إلى أنهم كانوا يقتسمون الماء فيسمون النصباء ذنوباً ، ووافقهم ابن منظور الرأي .

وقال البغوي في تفسير هذه الآية (فإن للذين ظلموا) أي كفروا من أهل مكة نصيباً من العذاب ، مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود ، فلا يستعجلون بالعذاب أي أنهم أخرجوا إلى يوم القيامة^(٦) .

المعنى العام للنص :

في هذه الآية طلب موسى عليه السلام أن يكون معه أخوه نبياً ومعيناً لأن أخاه أفصح منه لساناً ولأنهم يمسكون عليه ذنب ، فيلتمس العون من الله في تبليغ الرسالة ، وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ، وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل (ولهم علي ذنب) أي تبعة ذنب بقتل القبطي ، فأخاف أن يقتلوني به قصاصاً ، فاستجاب له ربه بقوله : (كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون)^(٧) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥١/١٧ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٣٠٣/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ١٣١/٥ .

(٤) الجلالين : تفسير الجلالين ٦٩٦/١ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥١٤/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٣٨١/١ .

(٧) انظر النسفي : تفسير النسفي ١٨١/٣ .

النص رقم (٢٣) :

قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : والذهب معروف ، وربما أنت ، غيره الذهب : التبر ، القطعة منه ذهبه ، وعلى هذا يذكر ويؤنث ، على ما ذكر في الجمع الذي لا يفارقه واحدة إلا بالهاء ، وفي حديث علي كرم الله وجهه : فبعث من اليمن بذهبيه (٢) . قال ابن الأثير : وهي تصغير ذهب ، وادخل الهاء فيها لأن الذهب يؤنث ، والمؤنث الثلاثي إذا صغر ألحق في تصغيره الهاء نحو قويسه وشميسه ، وقيل هو تصغير ذهبية على نية القطعة منها فصغرناها على لفظها ، والجمع الأذهاب والذهب (٣) ، وفي حديث علي كرم الله وجهه : لو أراد الله أن يفتح لهم كنوز الذهبان لفعل ، هو جمع ذهب ، وأذهب الشيء : طلاه بالذهب ، والمذهب : الشيء المطلي بالذهب ، قال لبيد (٤) :

أو مذهب جدد على ألواحه الناطق المبروز والمختوم (٥)

وأهل الحجاز يقولون : هي الذهب ، ويقال نزلت بلغتهم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) قال الأزهري : الذهب مذكر عند العرب ولا يجوز تأنيثه إلا أن تجعله جمعاً لذهبة ، وأما قوله عز وجل (ولا ينفقونها) ، ولم يقل ولا ينفقونه ، ففيه أقاويل : أحدها أن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا

(١) التوبة / ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ٤/١٥٨١ (٤٠٩٤) . وأيضاً في سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب في قتال الخوارج ، ٢/٦٥٦ (٤٧٦٤) .

(٣) ابن الأثير : النهاية ، ٢/٤٣١ .

(٤) لبيد : هو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف ، أسلم وحسن إسلامه وترك الشعر بعد أن أسلم ولم يقل في الإسلام إلا قوله : الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً ، وكان شريفاً في الإسلام والجاهلية ، قيل أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل غير ذلك . (الاستيعاب ١/٤١٤) . محمد سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، دار المدني ، جدة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ١/١٢٣ .

(٥) بيت الشعر : أبرز الكتاب أي أخرج ونشره فهو مبرز أما مبروز فإنه شاذ على غير قياس . انظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة : تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، وزارة الإرشاد ، ١٩٦٢ م ، ص ١١٩ .

ينفقون الكنوز في سبيل الله ، وقيل : جائز أن يكون محمولاً على الأموال فيكون ولا ينفقون الأموال ، ويجوز أن يكون ولا ينفقون الفضة ، وحذف الذهب كأنه قال : يكنزون الذهب ولا ينفقونه والفضة ولا ينفقونها ، فاختصر الكلام^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري في هذه الآية : بشر الكثير من الأحيار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة ، وعني بقوله (ولا ينفقونها في سبيل الله) لا يؤدون زكاتها ، وأضاف أن كل مال أدت زكاته فليس بكنز^(٢) ، يحرم على صاحبه اكتنازه ، وإن كثر ، وإن كان كل ما لم يؤد زكاته فصاحبه معاقب ، مستحق وعيد الله إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه^(٣) .

وأما القرطبي فقال : (الكنز أصله في اللغة الضم والجمع ، ولا يختص ذلك بالذهب والفضة ألا ترى قوله عليه السلام (ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة)^(٤) . وخص الذهب والفضة بالذكر لأنه مما لا يطلع عليه ، بخلاف سائر الأموال) . وأما قوله (ولا ينفقونها) ولم يقل ينفقونها فذكر فيه عدة أقوال ، أولها : قصد بذلك الفضة لأنها الأغلب والأعم . والثاني قال : ينفقونها للذهب ، والثاني معطوفاً عليه والذهب تؤنثه العرب وقد يذكر والثالث الضمير للكنوز ، والرابع : للأموال المكنوزة ، والخامس : للزكاة ، والسادس : الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الآخر^(٥) .

(١) ابن منظور : اللسان ٦٦/٥ .

(٢) موطأ الإمام مالك : كتاب الزكاة ، باب صدقة البقر ، ١٤٥/٢ (٣٤٠) .

وأيضاً صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكنز ٥٠٨/٢ . انظر علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي : سنن الدار قطني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكنز ، ١٠٥/٢ (١) .

(٣) الطبري : جامع البيان ٣٥٧/٦ .

(٤) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ٥٦٧/١ ، (١٤٨٧) .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١١٢/٨ .

وقال الشوكاني : المقصود بالآية المتقدم ذكرهم من الأخبار والرهبان وأنهم كانوا يصنعون هذا الصنع وقيل : هم من يفعل ذلك من المسلمين والأولى حمل الآية على العموم فهو أوسع ، وأصل الكنز في اللغة الضم والجمع ولا يختص بالذهب والفضة^(١) .

وقال البغوي : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم^(٢) .

فجميع المفسرين لم يتحدثوا عن معنى الذهب ، وبذلك وافقوا ابن منظور حيث قال (الذهب معروف) وإنما تحدثوا عن جوانب أخرى من الآية كما موضح (والذهب والتبر مترادفان وإن كان التبر أعم)^(٣) .

واختلف الصحابة في المراد بهذه الآية فذهب معاوية^(٤) أن المراد بها أهل

الكتاب وقال أبو ذر^(٥) المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين .

روى البخاري عن زيد^(٦) بن وهب قال : مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر

فقلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلف أنا ومعاوية في (الآية)

(١) الشوكاني : فتح القدير ٥١٧/٢ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ، ٨٩/١ .

(٣) انظر الزبيدي : تاج العروس ٥٠٠/١ .

(٤) معاوية : هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه وكان أحد كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنه الكثير ولي الشام واحتال على الحسن بن علي فتنازل له عن العراق وبقي في أمارته حتى مات بدمشق في رجب سنة ستين وهو ابن ثمانين وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧١هـ-١٩٧٢م ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٢٠٤/١ . وانظر : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : الثقات ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد ، ٣٠٥/٢ .

(٥) أبا ذر الغفاري : هو جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري واختلف في اسمه وذكرت روايات عديدة فيه أمه رملة بنت وقيلة من بني غفار ، كان إسلام أبي ذر قديماً ، رجع إلى قومه بعدما أسلم ثم عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى أن مات ، استقدمه عثمان بن عفان بعد شكوى معاوية وأسكنه بالريذة إلى أن مات بها ، سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود رضي الله عنهما . الاستيعاب ٧٥/١ .

(٦) زيد بن وهب : هو زيد بن وهب الجهني أدرك الجاهلية يكنى أبا سليمان وكان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحل إليه في طائفة من قومه فبلغته وفاته في الطريق وهو معدود في كبار التابعين بالكوفة . الاستيعاب ١٦٦/١

فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت : نزلت فينا وفيهم وكان بيني وبينه ذلك فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها ، فكثرت علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت(١) .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : (ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً ، يمر علي ثلاثة أيام وما عندي منه شيء إلا دينار أرصده لدين)(٢) . قال ابن كثير : فهذا والله أعلم هو الذي حدا بأبي ذر على القول بهذا(٣) وفي تفسير مجاهد : أن رجلاً قال لأبي ذر إنما هذه الآية لأهل الكتاب وليست فينا ، فقال هي فينا ورفعهم فوالله لا أدع ما قلت ولو أمر علي عبداً حبشياً ما عصيته(٤) .

قال الإمام الشافعي(٥) : في قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ..) أبان أن في الذهب والفضة زكاة وقول الله عز وجل في سبيل الله ، يعني والله تعالى أعلم في سبيله التي فرض في الزكاة وغيرها(٦) . وقيل خص الذهب والفضة بالذكر ، لأن سائر الأشياء إذا كثرت لا تجب فيها الزكاة ، وإنما تجب فيها الزكاة إذا كانت مرصدة للنماء ، والذهب والفضة تجب فيهما وإن كانا مكنوزين غير مرصدين للنماء(٧) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكثر ، ٥٠٩/٢ (٣٤١) .

(٢) الطبراني في الأوسط ٢٣٣/٤ .

(٣) ابن كثير التفسير العظيم ٤٦١/٢ .

(٤) مجاهد : تفسير مجاهد ٢٧٧/١ .

(٥) الشافعي : هو محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله القرشي الإمام العالم العلامة المجتهد المطلق ، أحد الأئمة الأربعة ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها (الأم) في الفقه (والرسالة) في الأصول . (تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٢٩/١) .

(٦) محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله : أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ (تحقيق عبد الغني عبد الخالق) ١٠١/١ .

(٧) أحكام القرآن للجصاص ٤٤/٥ .

وقال الإمام الزركشي^(١) : هذه الآية لا يصلح الاحتجاج بها في إيجاب الزكاة في قليل الذهب والفضة وكثيره ، وفي المتنوع منهما من الحلي وغيره ، لأن من ملك دون النصاب غير داخل في الوعيد . إذاً القصد من الآية إثبات الحكم في ترك أداء الواجب من الزكاة منهما وفيها دليل على وجوب الزكاة وليس فيها بيان مقدار ما يجب من الحق فيهما^(٢) .

وقال ابن حزم : قوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ..) منسوخة بآية الزكاة الواجبة : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)^(٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال إعرابي أخبرني قول الله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) قال ابن عمر رضي الله عنهما : إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال^(٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة) كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضي الله عنه : أنا أفرج عنكم فانطلق فقال : يا نبي الله إنه كان كبر على أصحابك هذه الآية فقال : إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم وإنما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال : فكبر عمر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته^(٥) .

(١) الزركشي : هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ وتوفي سنة ٧٩٤هـ ، وله عدة مؤلفات منها (البرهان في علوم القرآن) (البحر المحيط في أصول الفقه) حبايا (والزباب في الفقه) . انظر الدرر الكامنة للعسقلاني ٧/٤ .

(٢) الزركشي : البرهان ١٨/٢ .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٠/١ . والآية من سورة التوبة / ١٠٣ .

انظر أيضاً هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزي : ناسخ القرآن ومنسوخه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ (تحقيق د. حاتم صالح الضامن) ٣٥/١ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكثر ٥٠٨/٢ (٣٣٩) .

(٥) سنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب في حقوق المال ، ٥٢٢/١ (١٦٦٤) . انظر أيضاً مستدرک النيسابوري ٥٦٧/١ (١٤٨٧) .

إذا فالكنز كل ما كان مجموعاً من الذهب والفضة لم تؤد زكاته فهو كنز ،
والوعيد يتناول المسلمين وأهل الكتاب ، وذكر الرازي^(١) (أن الوعيد يتناول
الرجال دون النساء)^(٢) أي الرجل الذي يتخذ الحلي لنسائه .

المعنى العام للنص :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ) : يا أيها الذين صدقوا
الله ورسوله ، وأقروا بوحدانية ربهم ، إن كثيراً من العلماء والقراء من بني
إسرائيل من اليهود والنصارى أي من فقهاء أهل الكتاب وعلمائهم ، ليأكلون أموال
الناس بالباطل ، يعني ما يأخذونه من الرشى في أحكامهم (ويصدون عن سبيل الله)
ويصرفون الناس عن الإيمان بمحمد عليه السلام ثم أنزل في مانعي الزكاة من أهل
القبلة (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) لا يؤدون زكاتها
(فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم أن لهم عذاباً أليماً^(٣) .

النص رقم (٢٤) :

قال تعالى : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ذهل : الذهل تركك الشيء تنساه على عمد أو يشغلك عنه
شغل ، تقول : ذهلت عنه وذهلت وأذهلني كذا وكذا عنه ، وفي قوله تعالى : (يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تسلو عن ولدها ، ابن سيده : ذهل
الشيء وذهل عنه وذهله وذهل بالكسر عنه يذهل فيهما ذهلاً وذهولاً تركه على عمد
أو غفل عنه أو نسيه لشغل^(٥) ، وقيل الذهل السلو وطيب النفس عن الألف ، وقد

(١) الرازي : هو أبو عبد الله عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري القرشي الرازي الملقب بالفخر
الرازي والمعروف بابن الخطيب الشافعي ، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها وصار مقصداً للعلماء ، له مصنفات
عديدة منها (مفاتيح الغيب) (والحصول في الأصول) وغيرها ، توفي سنة ٧٠٧هـ . (طبقات الشافعية الكبرى لابن
السبكي ٣٣/٥) . وأيضاً الأذنري : طبقات المفسرين ، ٢/٢١٥ .

(٢) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية ،

(٣) انظر : الواحدي : الوجيز ١/٤٦٢ .

(٤) الحج / ٢ .

(٥) ابن سيده : المحكم ٤/٢٠٩ .

أذهله الأمر وأذهله عنه^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري : (وتذهل) تنسى وتترك من شدة كربها يقال : ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولاً وذهلت أيضاً) وتأويل الكلام يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك كل والدة مولودٍ ترضع ولدها عما أرضعت^(٢) .

والإمام القرطبي قال : الذهول : الغفلة عن الشيء بطروء ما يشغل عنه من هم أو وجع أو غيره ، والمعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها^(٣) .

وقال ابن كثير : تشتغل عن أحب الناس إليها لهول ما ترى^(٤) . وقال الشوكاني : أي وقت رؤيتكم لها تذهل كل ذات رضاع عن رضيعها وتغفل عنه . وقال : تذهل : تشتغل ، وقيل تنسى ، وقيل تلهو وقيل تسلو ، وأضاف الشوكاني : تذهل عن الإرضاع ، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة في الدنيا إذ ليست بعد القيامة حمل وإرضاع إلا أن يقال : من ماتت حاملاً فتضع حملها للهول ، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك^(٥) .

وقال البيضاوي : الذهول الذهاب عن الأمر بدهشة ، والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألغمت الرضيع نديها نزعه من فيه وذهلت عنه^(٦) .

وجاء في معاني القرآن : (تذهل) أي تسلو عنه وتتركه وتحير لصعوبة ما هي فيه^(٧)) وأيضاً في مفردات القرآن جاء (الذهول) شغل يورث حزناً ونسياناً يقال: ذهل عن كذا وأذهله كذا^(٨) .

(١) ابن منظور : اللسان ٦٨/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ١٠٤/٩ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٨/١٢ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ٢٧٣/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٢٣/٣ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١١٣/١ .

(٧) النحاس : معاني القرآن ٣٧٢/٤ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥١٦/١ .

وقال الزبيدي^(١) : ذهل ذهلاً وذهولاً تركه على عمد^(٢) .

نلاحظ مما ذكرناه أن الطبري قال تذهل تنسى ، والقرطبي قال الغفلة عن الشيء وابن كثير والشوكاني قالوا تشتغل عنه وهكذا .. وكل هذه التعبيرات ذكرها ابن منظور في معنى الذهول .

المعنى العام للنص :

قال السيوطي هذا بدء يوم القيامة ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، أي تترك ولدها للكرب الذي نزل بها وفي هذا اليوم تذهل المرضع عن رضيعها لغير فطام ، وتلقي الحوامل ما في بطونها لغير تمام ، وترى الناس سكارى من الخوف ، ما هم بسكارى من الشراب^(٣) .

النص رقم (٢٥) :

قال تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً ، فالذواق والمذاق يكونان مصدرين ويكونان طعماً ، كما تقول ذواقه ومذاقه طيب ، والمذاق : طعم الشيء . والذواق : هو المأكول والمشروب ، وفي الحديث (لم يكن يذم ذواقاً)^(٥) ويقع على المصدر والاسم ، وما ذقت ذواقاً أي شيئاً وتقول : ذقت فلاناً وذقت ما عنده أي خبرته ، وكذلك ما نزل بالإنسان من مكروه فقد ذاقه . وجاء في الحديث : (إن الله لا يحب الذواقين والذواقات)^(٦) يعني السريعي النكاح

(١) الزبيدي : هو محمد مرتضى الزبيدي

(٢) الزبيدي : تاج العروس ٧٠٧٨/١٠ .

(٣) السيوطي : الدر المنثور ٧/٦ .

(٤) النحل / ١١٢ . تتمه الآية (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .

(٥) الطبراني : المعجم الكبير ، ١٥٥/٢٢ (٤١٤) . والبيهقي في شعب الإيمان ١٥٤/٢ (١٤٣٠) .

(٦) الطبراني : المعجم الأوسط ، ٢٤/٨ (٧٨٤٨) . انظر أيضاً : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم

الطبراني ، مسند الشاميين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ، تحقيق حمدي بت عبد المجيد

السلفي ، ٢٦٧/٣ (٢٢٣٠) .

السريعي الطلاق ، والذواق : الملول . والذوق يكون فيما تكره وتحمد . قال الله تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي ابتلاها بسوء ما خبرت من عقاب الجوع والخوف ، وفي الحديث (كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون إلا عن ذواق) وقال ابن الإعرابي في قوله تعالى (فذوقوا العذاب)(^١) قال : الذوق يكون بالفم وبغير الفم . وقال تعالى : (فذاقت وبال أمرها)(^٢) أي خبرت وأذاقه الله وبال أمره ، قال طفيل(^٣) :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في أكبادنا والتحوب(^٤)

وقوله تعالى : (ذق إنك أنت العزيز الكريم)(^٥) وفي حديث أحد : أن أبا سفيان لما رأى حمزة رضي الله عنه مقتولاً قال له : ذق عقق(^٦) أي : ذق طعام مخالفتك لنا فجعل إسلامه عقوقاً وهذا من المجاز أن يستعمل الذوق وهو ما يتعلق بالأجسام في المعاني كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وقوله عز وجل (فذاقت وبال أمرها)(^٧) .

دراسة النص :

قال الطبري : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها وذلك أنه سلب عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الخوف

(^١) الأنعام / ٣٠ ، الأعراف / ٣٩ ، الأنفال / ٣٥ .

(^٢) الطلاق / ٩ .

(^٣) طفيل : هو طفيل بن عوف ، واحد من الشعراء الفرسان الذين اقترن اسمهم بالخيال لكثرة عنايته واهتمامه بها ، ويعد شعره معجماً للخيال وصفاتها .

انظر ديوان طفيل الغنوي (شرح الأصمعي): تحقيق حسان فلاح أرغلي. دار صادر، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص ٤٦

(^٤) البيت :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في أجوفنا والتحوب

ومحجر : مكان الواقعة التي كانت بين طيء وغيث ، وذلك أن غني أغارت على طيء وسبت نسايتها كما فعلت بهم طيء من قبل فقيل لهذا البيت .

(^٥) الدخان / ٤٩ .

(^٦) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٨/٤ ، وأيضاً : سيرة ابن هشام ، ٤٢/٤ .

(^٧) ابن منظور : اللسان / ٧٢/٥ .

فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم^(١) .

لم يذكر الطبري معنى أذاق وإنما ذكر معنى الآية ، أما القرطبي فقال :
الذوق هنا مستعار ، وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان وهي في هذا كله
مستعارة ، وأضاف ذقت القول ذواقاً بمعنى اختبرته وفي هذه الآية أي ابتلاهم الله
به فسمي ذلك ذوقاً والخوف لا يذاق على الحقيقة لأن الذوق في الحقيقة بالفم دون
غيره من الجوارح^(٢) .

وأما البغوي فوافق القرطبي في قوله أذاقها : أي ابتلاهم الله بالجوع سبع
سنين والخوف^(٣) .

والبيضاوي قال : استعار الذوق لإدراك أثر الضرر ، واللباس لما غشيهم
واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر ، أي المستعار^(٤) .
وفي معاني القرآن قال: واصل الذوق بالفم، ثم استعمل للابتلاء والاختبار^(٥)
وقال الأصفهاني : الذوق : وجود الطعم بالفم ، وأصله فيما يقل تناوله دون
ما يكثر فإن ما يكثر منه يقال له في الأكل واختير في القرآن لفظ الذوق في
العذاب مثل هذه الآية . وقد جاء في الرحمة نحو : (ولئن أذقنا الإنسان منا
رحمة)^(٦) . ويعبر به عن الاختبار فيقال : أذقته كذا فذاق . فاستعمل الذوق مع
اللباس في هذه الآية من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار أي : فجعلها بحيث
تمارس الجوع والخوف ، وقيل : إن ذلك على تقدير كلامين كأنه قيل : أذاقها طعم
الجوع والخوف وألبسها لباسهما . وجعل الجوع والخوف لباساً على التجسيم
والتشبيه تصويراً له^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ٦/٦٥٥ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٨٠ ، ١١/١٤٩ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ١/٤٨ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/٤٢٣ .

(٥) النحاس : معاني القرآن ٤/١٠٩ .

(٦) هود / ٩ .

(٧) الأصفهاني / مفردات القرآن ١/٥١٧ .

وفي الآية استعارة تجريدية ، وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له ، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه ، فالمستعار في الآية اللباس ، والمستعار له الجوع ، فجرد الاستعارة بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعار له وهو الجوع لا المستعار وهو اللباس ، ولو أراد ترشيحها لقال وكساها لباس الجوع وفي هذه الآية مراعاة المستعار له الذي هو المعني وهو الجوع والخوف لأن ألمهما يذاق ولا يلبس^(١) . وقال الفيروزآبادي^(٢) : (فأذاقها الله لباس الجوع) لما بلغ بهم الجوع الغاية ضرب له اللباس مثلاً لاشتماله^(٣) .

وجاء في تاج العروس : تأمل كيف جمع الله الذوق واللباس حتى يدل على مباشرة الذوق وإحاطته وشموله فأفاد الإخبار عن إذاقته ، أنه واقع مباشر غير منتظر فإن الخوف قد يتوقع ولا يباشر ، وأفاد الإخبار عن لباسه أنه محيط شامل كاللباس للبدن .

والذوق : مباشرة الحاسة الظاهرة ، أو الباطنة ، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن ولا في لغة العرب^(٤) .

وأما في قوله تعالى (فذوقوا العذاب) قال الطبري : يقول تعالى ذكره (ويوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة ، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة ، على نار جهنم يقال لهم حينئذ : أليس هذا العذاب الذي تعذبونه اليوم ، وقد كنتم تكذبون به في الدنيا بالحق ؟ توبيخاً من الله على تكذيبهم به كان في الدنيا (قالوا بلى وربنا) يقول : فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك بأن يقولوا بلى هو الحق والله قال : (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يقول : فقال لهم المقرر بذلك فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا وتكفرونه

(١) الزركشي : البرهان ٤٣٨/٣ ، انظر أيضاً : السيوطي : الإتيان ١٢٣/٢ .

(٢) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي أبو الطاهر مجد الدين صاحب القاموس ، ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة ومن تصانيفه : القاموس المحيط في اللغة الدر التنظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، ومصنفاته عديد وقيمة ، وفاته سنة ست عشر وثمانمائة . كشف الظنون ، ٢٤٦/١ . بغية الوعاة للسيوطي ، ٢٧٣/١

(٣) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٧٣٨/١ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ٦٣٢٢/١ .

وتأون الإقرار إذا دعيتم إلى التصديق به^(١) . ويضيف (فذوقوا) : أي أطعموا وليس بذوق فم ولكنه ذوق بالحس ، ووجود طعم ألمه بالقلوب ، يقول لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون^(٢) .

وأما قوله تعالى (فذاقت وبال أمرها) فيتحدث سبحانه (وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله) أي عصت يعني القرية والمراد أهلها (فحاسبناها حساباً شديداً) أي جازيناها بالعذاب في الدنيا بالجوع ، والقحط ، والسيف ، والخسف ، والمسح ، وسائر المصائب ، (وعذبناها عذاباً نكراً) في الآخرة (فذاقت وبال أمرها) أي عاقبة كفرها^(٣) .

وفي قوله (ذق إنك أنت العزيز الكريم) هذه مخاطبة على معنى التقرير والتكهم ، حيث يقول تعالى للملائكة خذوه يعني الأثيم فاعتلوه والعتل السوق بعنف وإهانة ، كما يساق مرتكب الجرائم فيقول تعالى ذق ما كنت تكذب به أو ما تستحقه من العذاب^(٤) .

إذاً (أذاقها) أصلها أن تكون حسية بالفم ، لكنها استعيرت لمعنى معنوي هو الابتلاء والاختبار كما ذكر ابن منظور موافقاً القرطبي والبغوي وغيرهما من المفسرين واللغويين .

المعنى العام للنص :

قال الواحدي : (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة) ذات أمن لا يغار على أهلها (مطمئنة) قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق (يأتيها رزقها من كل مكان) أي يجلب إليها من كل بلد (فكفرت بأنعم الله) حين كذبوا رسوله (فأذاقها الله لباس الجوع) عذبهم بالجوع سبع سنين (والخوف) من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم (بما كانوا يصنعون)

(١) الطبري : جامع البيان ٣٠٢/١١ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٨/٦ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٢٢/١٨ .

(٤) الثعالبي : تفسير الثعالبي ١٤١/٤ .

من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه^(١) .

النص رقم (٢٦) :

قال تعالى : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الذيع : أن يشيع الأمر ، يقال : أذعناه فذاع وأذعت الأمر وأذعت به ، وأذعت السر إذاعة إذا أفشيت وأظهرته . وذاع الشئ والخبر يذيع ذيعاً وذيعاناً وذيوعة : فشا وانتشر وقوله تعالى : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) يقصد بها جماعة من المنافقين وضعفة من المسلمين قال : ومعنى أذاعوا به أي أظهروه ونادوا به في الناس^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري:(أذاعوا به) أفشوه وبثوه^(٤). وقال القرطبي: أفشوه وأظهروه^(٥) وابن كثير قال في الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها^(٦) .

وذكر كل من السيوطي والبيضاوي وغيرهما أفشوه كما يفعل ضعفة المسلمين^(٧) .

وقال النحاس^(٨) هم المنافقون أو ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا المنافقين

(١) انظر الوجيز للواحدى ٦٢١/١ .

(٢) النساء / ٨٣ . تنمة الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ٧٤/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ١٨٢/٤ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٥ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ٧٠٣/١ .

(٧) انظر السيوطي : الدر المنثور ٦٠٠/٢ ، وأيضاً البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٢٥/١ .

(٨) النحاس : هو أبو جعفر أحمد بن محمد المرادي المصري المعروف بالنحاس ، المفسر ، النحوي ، اللغوي ، الأديب ، وله مصنفات كثيرة في تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ ، وشرح المعلقات ، توفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٤٠١/١٥ . البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٢/١١ .

يفشون أخبار النبي صلى الله عليه وسلم توهموا أنه ليس عليهم في ذلك شيء فأفشوه فعاقبهم الله على ذلك^(١) .

وفي تاج العروس : ذاع الشئ والخبر يذيع ذيعاً وذيوعاً بالضم وذيوعة كشيخوخة وذيعاناً محركة : فشا وانتشر ، والمذيع بالكسر من لا يكتم السر أو من لا يستطيع كتم خبره والجمع المذاييع^(٢) .

إذاً اتفق ابن منظور والمفسرون أن المقصود ب(أذاعوا) أفشوا ونشروا وهذه الآية المقصود بها المنافقين ، وبعض ضعفة المسلمين الذين كانوا ييئون الأراجيف بين المسلمين .

وفي هذه الآية ذكر الإمام الجصاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مكلفاً باستنباط الأحكام ، والاستدلال عليها بدلائلها لأنه تعالى أمر بالرد إلى الرسول وإلى أولي الأمر ، ثم قال لعلمه الذين يستنبطونه ولم يخص أولي الأمر بذلك دون الرسول وفي ذلك دليل على أن للجميع الاستنباط ، والتوصل إلى معرفة الحكم بالاستدلال^(٣) .

وفي سبب نزول هذه الآية : روى مسلم^(٤) عن عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه فنزلت هذه الآية ، فكنت أنا استنبط ذلك الأمر^(٥) .

(١) النحاس : معاني القرآن ١٤١/٢ .

(٢) الزبيدي : تاج العروس ٥٢٢٤/١ .

(٣) الجصاص : أحكام القرآن ١٨١/٣ .

(٤) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، ينسب إلى نيسابور بلد بخراسان ويذكر أنه ولد بعد المائتين ، وكان من الأئمة الأعلام في عصره وكل العصور له الكثير من المؤلفات طلب العلم ورحل له وكان دقيقاً في تناوله للحديث مات في رجب سنة إحدى وستين ومائتين وعمره خمس وخمسون .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الطلاق ، باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى وإن تظاهرا عليه . ١١٠٥/٢ (١٤٧٩) . انظر السيوطي : لباب النقول ٦٤/١ .

المعنى العام للنص :

قوله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث سرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى (وإذا جاءهم) يعني المنافقين (أمر من الأمن) أي الفتح والغنيمة (أو الخوف) القتل والهزيمة ، (أذاعوا به) أشاعوه وأفشوه (ولو ردوه إلى الرسول) أي لو لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به (وإلى أولي الأمر) أي : ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وهم العلماء^(١) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٢٥٤/١ .

المبحث الثاني

حرف الراء

النص رقم (٢٧)

قال تعالى : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رأف : الرأفة والرحمة ، وقيل : أشد الرحمة ، رأف به يرأف ورئف ورؤف ورأفة ورأفة . وفي التنزيل : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) قال الفراء : الرأفة والرأفة مثل الكأبة والكأبة (٢) ، وقال الزجاج : أي لا ترحموهما فتسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد (٣) . ومن صفات الله عز وجل الرؤوف ، وهو الرحيم لعباده ، العطوف عليهم بألطافه ، والرأفة أخص من الرحمة وأرق . وفيه لغتان قرئ بهما معاً : رؤوف على فعول ، قال كعب بن مالك الأنصاري (٤) :

نطيع نبينا ونطيع رباً هو الرحمن كان بنا رؤوفاً

ورؤف على فعل قال جرير (٥) :

يرى للمسلمين عليه حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم (٦)

وقد رأف يرأف إذا رحم . والرأفة أرق من الرحمة ، ولا تكاد تقع في

(١) النور / ٢ . تنمة الآية : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٢٤٥/٢

(٣) الزجاج : معان القرآن وإعرابه ، ٢٣/٤ .

(٤) كعب بن مالك الأنصاري : يكنى أبا عبد الله وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة علي ابن أبي طالب بعد أن كف بصره ، وهو أحد السبعين الذين بايعوا بالعقبة ، شهد المشاهد كلها إلا بدرأ . انظر (ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ٢٢٢/١) .

(٥) جرير : هو جرير بن عطية الخطفي ولد بعد نيف وثلاثين عاماً من الهجرة . وأن أمه كانت رجاسة شاعرة ، ويروى أنه عمر نيفاً وثمانين سنة ومات سنة ١١١ هـ ، شاعر فصيح ، قدم اليمامة ، ومدح المأمون وقواده . انظر ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ٢٩٧/٢ .

(٦) محمد بن إسماعيل عبد الله الصاوي : شرح ديوان جرير ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ م ، ص ٥٠٧ .

الكراهة ، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة ، أبو زيد^(١) : يقال : رؤفت بالرجل ، أرؤف به رأفة ورأفة ورأفت أرأف به ورئفت به رأفاً كل من كلام العرب . ابن الإعرابي : الرأفة الرحمة . وقال الفراء : يقال رئف بكسر الهمزة ورؤف^(٢) . ابن سيده : ورجلاً رؤفاً ورؤوفاً ورأف^(٣)^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) أي لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة وهي رقة الرحمة . والرأفة أعلى معاني الرحمة وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة . (في دين الله) أي في طاعة الله فيما أمركم به من الحد عليهما .

ويذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في المنهي عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم إقامة الحد وقال آخرون الضرب والجلد . ورجح الطبري قول من قال هي إقامة الحد لدلالة قول الله بعده (في دين الله)^(٥) . وأما القرطبي فيقول الرؤوف من صفات الله تعالى أي : العطوف الرحيم . (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) : أي لا تمتنعوا عن إقامة الحد شفقة على المحدود ولا تخففوا الضرب من غير إيجاع . ويورد قول الشعبي^(٦) والنخعي^(٧) وسعيد بن جبير حيث قالوا (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) أي في الضرب والجلد .

(١) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد الأنصاري الحنفي ، أبو زيد البصري اللغوي ، توفي سنة ٢١٥هـ ، له العديد من المصنفات ، منها (تخفيف الجر الواحد) ، (غريب الأسماء) (وكتاب الأمثال) ، وكتاب (اللغات) وغيرها . انظر : القسطنطي : كشف الظنون ، ٣٨٧/٥ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٢٤٥/٢

(٣) ابن سيده : المحكم ، ٢٨٢/١٠ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ٨٢/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٢٥٦/٩ ، أيضاً ٨/٢ .

(٦) الشعبي : هو عامر بن شرحبيل بن ذي كبار ، أبو عمرو رأى علياً وصلى خلفه ، وحدث عن جمع من الصحابة ، وكان حافظاً متقناً توفي سنة (١٠٥هـ) (تذكرة الحفاظ ٧٤/١) (تهذيب التهذيب ١١٤/٢)

(٧) النخعي : هو أبو عمران بن إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن سعد بن مالك بن النخع النخعي الكوفي اليماني الإمام الحافظ الفقيه العراقي ، أحد الأئمة المشاهير ، تابعي روى عن مسروقاً وعلقمة ، توفي سنة ٩٦هـ وله تسع وأربعون سنة . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٥/١) (سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٠/٤)

وقال : قال أبو هريرة^(١) رضي الله عنه : (إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة)^(٢) ثم قرأ هذه الآية . والرافة أرق الرحمة^(٣) .

وابن كثير قال : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) أي في حكم الله ، أي لا ترحموهما وترأفوا بهما في شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية عن إقامة الحد وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك^(٤) .

وقال الشوكاني : يقال رأف يرأف على وزن فعله ورأفة على وزن فعالة مثل النشأة والنشأة وكلاهما بمعنى الرقة والرحمة وقيل هي أرق الرحمة^(٥) .

وقال الواحدي : أي رقة ورحمة فتعطلوا الحدود وتخففوا الضرب حتى لا يؤلم^(٦) . وقال أبي حيان : (والنهي في الظاهر للرأفة والمراد ما تدعو إليه الرأفة وهو تعطيل الحدود)^(٧) .

وفي مفردات القرآن رأف:الرأفة: الرحمة وقد رؤف فهو رؤف ورؤوف^(٨) نلاحظ اتفاق ابن منظور والمفسرين على أن الرأفة هي أرق الرحمة وأن المقصود هنا في الآية عدم الرأفة بالزانين في إسقاط الحد . وأن الرؤوف من صفات الله سبحانه وتعالى .

وقال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى ، الرؤوف يقال : إن الرأفة والرحمة واحد وقد فرقوا بينهما أيضاً ، وذلك أن الرأفة هي المنزلة الثانية يقال

(١) أبو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر ، قيل ابن عامر ، الصحابي ، راوي الحديث المشهور ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن وكناه بأبي هريرة ، لأنه حمل الهرة في كفه ، وكان أكثر الصحابة في رواية الحديث وحفظه ، أسلم بين الحديبية وخيبر توفي سنة ٥٧هـ وقيل ٥٨هـ . انظر (الإصابة لابن حجر ٣٤٧/٧) .

(٢) سنن النسائي : كتاب قطع السارق ، الترغيب في إقامة الحد ، ٧٦/٨ (٤٩٠٥) .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٤٣/١٢ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٤٨/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٧/٤ .

(٦) الواحدي : الوجيز ، ٧٥٦/١ .

(٧) ابن حيان : البحر المحيط ، ٣٩٤/٦ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٦٠٣/١ .

رحيم فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف^(١) .

وذكر ابن الأثير رَأْف من أسماء الله تعالى (الرؤف) هو الرحيم بعبادة العطف عليهم بالطفاه ، والرأفة أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة . وقد رأفت به أرأف ورؤفت أرؤف فأنا رؤوفاً^(٢) .

وأيضاً ذكر أن الرؤوف هي من صفات المعاني القائمة بذات الله جلا وعلا فنجد أنه وصف نفسه بأنه رؤوف رحيم وقال : (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ) ووصف بعض المخلوقين بذلك قال في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)^(٣) .

وقوله تعالى : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) يقرأ بإسكان الهمزة وفتحها وهي مصدر في الوجهين فالحجة لمن أسكن أنه حذا بها طرفاً بطرف طرفاً والحجة لمن فتح أنه حذا بها كرم يكرم كرمًا وأدخل الهاء دلالة على المرة الواحدة^(٤) .

وعن قتادة (وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ... أَوْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) . (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا) . قال كان هذا بدء عقوبة الزنا كانت المرأة تحبس فيؤذيان جميعاً فيعيران بالقول جميعاً في الشتيمة ، ثم أن الله نسخ ذلك في سورة النور فجعل لهن سبيلاً فقال (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) وصارت السنة فيمن أحصن جلد مائة ثم الرجم بالحجارة وفيمن لم يحصن جلد مائة ونفي سنة هذا سبيل الزانية والزاني^(٥) .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد : تفسير أسماء الله الحسنى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤م (تحقيق أحمد يوسف الدقاق) ، ص ٦٢ .

(٢) ابن الأثير : النهاية ، ٤٤٤/٢ .

(٣) محمد الأمين الشنقيطي : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، الدار السلفية الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠٤هـ ، تحقيق عطية محمد سالم ص ٢٦ . والآيات من سورتي النحل /٧ ، والتوبة /١٢٨ على الترتيب .

(٤) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ، ص ٢٦٠ . انظر أيضاً ابن زنجلة : حجة القراءات ، ص ٤٩٥ .

(٥) الناسخ والمنسوخ لقتادة ٣٩/١ .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) أي رحمة في دين الله وطاعته وإقامة حده ، فتعطلوه أن تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) (١) إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، لأن الإيمان يقتضي إقامة الحد في طاعة الله تعالى والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهيج . وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التكيل ، فإن التفضيح ينكل أكثر مما ينكل التعذيب . وأما الطائفة فهي الفرقة ممكن أن تكون حافة حول شئ من الطوفان وأقلها ثلاثة وقيل واحد واثان والمراد جمع يحصل به التشهير (٢) .

النص رقم (٢٨)

قال تعالى : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رأى الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين ، يقال رأى زيدا عالماً ، ورأى رأياً . وقال ابن سيدة : الرؤية النظر بالعين والقلب (٤) . والبعض يضع الهمز فيجعلها رأى ويرأى والبعض يترك الهمز . واجتمعت العرب الذين يهمزون والذين لا يهمزون على ترك الهمز ، كقولك : يرى وترى ونرى وأرى . وبها نزل القرآن نحو قوله عز وجل : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغَى) (٥) (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ) (٦)

(١) سنن النسائي ، كتاب قطع السارق ، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين في المخزومية التي سرقت ، ٧٤/٨ ، (٤٩٠١) .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ١٧٢/١ .

(٣) المائدة/٥٢ . تتمة الآية (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) .

(٤) ابن سيدة : المحكم ، ٧/١٢ .

(٥) الحاقة /٧ .

(٦) الصافات /١٠٢ .

(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (١) (٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : فترى يا محمد المنافقين يسارعون في موالاتة اليهود والنصارى (٣) وقال معظم المفسرون (٤) : أن مرض معناها نفاق ، ولم يذكروا شيئاً عن كلمة (فترى) . إلا النسفي الذي قال (يسارعون) حال أو مفعول ثانٍ لاحتمال أن يكون (فترى) من رؤية العين أو القلب (٥) .

وأما قوله تعالى : (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) فإن ترى عند المفسرين تأخذ نفس المعنى الذي ذكره ابن منظور ، فوجد الطبري يقول : (فترى يا محمد قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام الحسوم صرعى قد هلكوا) (٦) . والشوكاني يقول : (الخطاب لكل من يصلح له على تقدير أنه لو كان حاضراً حينئذ لرأى ذلك) (٧) . ففي هاتين الآيتين اتفق ابن منظور والمفسرون على أن المعنى الأول لكلمة فترى بأنه الرؤية بالعين . وفي معنى هذه الآية قال ابن كثير : أي بقوا أبداناً بلا رؤوس وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتله وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشرخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً (٨) .

أما المعنى الثاني والذي يأخذ معنى (العلم) فوجدته في قول الله تعالى : (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فلم يتحدث الطبري عن معنى يرى وإنما قال : عن الله

(١) سبأ / ٦ . تنمة الآية (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) .

(٢) ابن منظور : اللسان ، ٨٤/٥ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ٦٤/٦ انظر أيضاً : ابن كثير : التفسير العظيم ، ٩٤/٢ ، وتفسير الألوسي ١٥٧/٦ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٦١٨/٤ .

(٥) النسفي : تفسير النسفي ، ٢٨٧/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٢٠٨/١٢ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٩١/٥ .

(٨) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٥٥/٣ .

بالذين أوتوا العلم : مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان ، فقال تعالى ذكره : ويرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة ، الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق^(١) .

وأيضاً القرطبي لم يذكر شيئاً عن كلمة (ويرى) وإنما تحدث عن من هم المراد من قوله تعالى (أوتوا العلم) بين من قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ومن قال هم من أسلم من أصحابه بالمدينة^(٢) .

وأما ابن كثير فقد تضمن كلامه معنى العلم فقد قال : (أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين) ^(٣) فيقال (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) والعزيز هو المتبع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع .

وذكر الشوكاني أن (يرى) أي يعلمون هم الصحابة ، وقال مقاتل^(٤) : هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل جميع المسلمين ، والذي هو المفعول الأول ليرى والمفعول الثاني الحق (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق)^(٥) . والبيضاوي ذكر أن (يرى) بمعنى علم فيكون معنى الآية ويعلم أولوا العلم من الصحابة ومن شابههم من الأمة أو مسلمي أهل الكتاب (الذي أنزل إليك من ربك) أي القرآن هو الحق . (وهو) مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي (يرى)^(٦) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٤٧/١٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٣٠/١٤ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٩٣/٣ .

(٤) مقاتل : هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني أبو الحسن كان مشهوراً بالتفسير وله تفسير مشهور . توفي سنة

خمسين ومائة. انظر محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ٣٧٣/٧

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٤/٤ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٣٩١/١ .

وبذا ظهر تمام الاتفاق مع ابن منظور في المعنى الثاني بمعنى العلم وأنه يتعدى إلى مفعولين .

وأما قوله تعالى : (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) ، قال القرطبي : قال مقاتل : رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات ، وأضاف القرطبي قائلاً : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله أيقاظاً وورقوداً ، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) (١) ، وقال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحي واستدل بهذه الآية . ويقال أن إبراهيم رأى في ليلة التروية كأن قائلاً يقول : إن الله يأمرك بذبح ابنك ، فلما أصبح روى في نفسه أي فكر أهدأ اللحم من الله أم من الشيطان ؟ فسمى يوم التروية ، فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضاً وقيل له الوعد ، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر (٢) .

وهذه الآية تتحدث عن معنى آخر لم يذكره ابن منظور وهو الرؤية في النوم ، والتي قد تكون من الله فنكون رؤية حق . وقد تكون من الشيطان فتسمى حلم ، وسيأتي ذكر هذا لاحقاً .

المعنى العام للنص :

قال الألويسي مرض أي نفاق ، كأمثال عبد الله بن أبي سلول (٣) وأضرابه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ففي الآية بيان لكيفية توليهم وإشعار بسببه

(١) مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، رواية محمد بن الحسن ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، تحقيق د. تقي الدين الندوي، أبواب الصلاة ، باب قيام شهر رمضان وما فيه من الفضل، ٣٥٣/١ ، (٢٣٩) (٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٨/١٥ . انظر أيضاً : ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٨/٧ . وأيضاً النسفي : تفسير النسفي ، ٢٤/٤ .

(٣) عبد الله بن أبي سلول : رأس الفتنة من المنافقين وهو الذي تولى كبره في حادثة الإفك كانت له جارية اسمها معادة ، كان يكرهها على البغاء وكانت مسلمة فاعتقت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم بيعة النساء . مرض قبل موته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فلما مات صلى على قبره فزلت الآية (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) (التوبة: من الآية ٨٤) . انظر (الإكمال لابن ماكولا ٢٢٧/٥) . (الثقات لابن حبان ١١٢/٢) .

وبما يؤول إليه أمرهم ، والفاء للإيذان بترتبه على عدم الهداية وهي للسببية المحضة^(١) .

(ويسارعون فيهم) أي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائر) أي يدور الدهر علينا إما بقحط فلا يميزوننا ولا يفضلوا علينا ، وإما بظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أي نخشى أن يدور الأمر ويدل عليه قوله عز وجل : (فعسى أن يأتي الله بالفتح) أي فتح مكة ، (أو أمر من عنده) وقيل هي الجزية أو فضح أمر المنافقين أو السعة للمسلمين ، (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) أي فيصبحوا نادمين على توليهم الكفار إذ رأوا نصر الله للمؤمنين ، وإذا عيانوا عند الموت فبشروا بالعذاب^(٢) .

النص رقم (٢٩)

قال تعالى : (هُمُ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرئي ، والرواء والمرأة : المنظر . وفي الحديث حتى يتبين له رئيهما^(٤) وهو بكسر وسكون الهمزة أي منظرهما وما يرى منهما . وأما قوله عز وجل : (هُمُ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا) قرئ رئيا بوزن رعياء . وقرئت رياء . قال الفراء : الرئي المنظر^(٥) . وقال الأخفش : الرئي ما ظهر عليه مما رأيت^(٦) . وقال الفراء : أهل المدينة يقرؤونها رياء بغير همز^(٧) . وقال

(١) الألوسي : روح المعاني ٦/١٥٧ .

(٢) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦/٢٠٤ .

(٣) مريم / ٧٤ الآية (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا) .

(٤) الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) قال فكان الرجل إذا أراد الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رئيهما فأنزل الله بعد ذلك من الفجر فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار . صحيح مسلم : كتاب الصوم ، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر ، ٢/٧٦٧ (١٠٩١) .

(٥) الفراء : معاني القرآن ، ٢/١٧١ .

(٦) الأخفش : معاني القرآن ، ٢/٦٢٦ .

(٧) الفراء : معاني القرآن ، ٢/١٧١ .

الزجاج : من قرأ رياء بغير همز ، فله تفسيران أحدهما أن منظرهم مرتو من
النعمة كأنه النعيم بين معهم ويكون على ترك الهمز من رأيت^(١). وقال لجوهري:
من همزه جعله من المنظر من رأيت^(٢)(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (ورثيا) أحسن منظراً وأجمل صوراً . (ورثيا) بهمزها
بمعنى رؤية العين كأنه أراد : أحسن متاعاً ومرآة . وقال أبو جعفر : (وأولى
القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأ (أثاثاً ورثيا) بالراء والهمز لإجماع الحجة
من أهل التأويل على أن معناه : المنظر وذلك هو من رؤية العين لا من الروية
فلذلك المهموز أولى به ومن قرأ بترك الهمز وهو يرى هذا المعنى فغير مخطئ
في قراءته)^(٤) .

وقال ابن كثير : أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً ومناظر وأشكالاً وأمتعة
 . وأورد أقوال مجموعة من العلماء منهم مجاهد وابن كثير أن معنى (أثاثاً ورثيا)
أكثر أموالاً وأحسن صوراً^(٥) .

وتحدث الشوكاني عن القراءات التي وردت ومعنى كل قراءة ، فقال
بعضهم قرأ بياء مشددة (ورثيا) وبعضهم قرأ بهمز (ورثيا) . فمن همز جعله من
المنظر من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . ومن لم يهمز
يكون من رويت ألوانهم أو جلودهم رياء ، أي امتلأت وحسنت^(٦) .

وقال البيضاوي (وهم أحسن) صفة ، وتمتعهم هذا استدراج وليس إكرام
وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة^(٧) .

وجاء في مفردات القرآن : (ورثيا) من لم يهمز جعل المعنى من روي كأنه

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرايه ، ٢٧٩/٣ .

(٢) الجوهري : الصحاح ١٧٠٩/٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٨٧/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٣٧١/٨ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ١٨١/٣ .

(٦) فتح القدير : الشوكاني ٤٩٦/٣ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٠/١ .

ريان من الحسن ومن همز جعله من المنظر . والرّي اسم لما يظهر منه والرواء منه . وقيل هو مقلوب من رأيت^(١) .

وفي الإتيان قال : الأثاث المتاع ، والرئي الشراب^(٢) .
وذكر في غريب الحديث : أن الرئي المنظر إذا رأيت رجلاً ذا رواء .
وهو ما رأيت العيون من حال حسنه^(٣) .

وكذلك في مختار الصحاح قال الرازي من همزه جعله من المنظر من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . ومن لم يهمزه فإما يكون على تخفيف الهمزة أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم رياء أي امتلأت وحسنت .
وتقول للمرأة أنت ترين وللجماعة أنتن ترين^(٤) .

نلاحظ موافقة ابن منظور للطبري أن معنى (رئياً) المنظر . وذكر ابن منظور القراءتين (رئياً ورياً) دون ترجيح وأما الطبري فرجح القراءة الأولى رغم أنه لم يخطئ من قرأ بالثانية . وأيضاً وافق ابن منظور ابن كثير في المعنى ، ووافقه الشوكاني في إيراد القراءتين والمعنى .

وجوه القراءات في :

قوله تعالى (أثاثاً ورئياً) يقرأ بالهمز وتخفيف الياء وبترك الهمز وتشديد الياء . فالحجة لمن همز أنه أخذه من رؤية المنظر والحسن والحجة لمن شدد أنه أخذه من الرّي وهو امتلاء الشباب وتحير مائه في الوجه أو يكون أراد الهمز فتركه وعوض التشديد منه^(٥) .

المعنى العام للنص :

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٠٧/١ .

(٢) السيوطي : الإتيان ٣٥٠/١ .

(٣) إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق : غريب الحديث للحربي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ (تحقيق دكتور سليمان إبراهيم محمد العابد) ٧٦٢/٢ .

(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م ، تحقيق محمود خاطر ، ص ٢٦٧ .

(٥) ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ٢٣٩/١ .

يتحدث سبحانه وتعالى في هذه الآية عن الكافرين الذين يظنون أن المؤمنين أقل حظاً في الدنيا منهم ، وذلك لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فرد عليهم سبحانه وتعالى أنه أهلك كثيراً من القرون التي كانت قبلهم وأفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية ، كعاد وثمرود وأضرابهم من الأمم السابقة أهلكهم سبحانه وتعالى بفنون العذاب ، فلو كان مما آتاهم لكرامتهم عنده ما فعل بهم ذلك . والآية فيها من التهديد والوعيد(١) .

النص رقم (٣٠)

قال تعالى : (بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : راءيت الرجل مرآة ورياء : أريته أنني على خلاف ما أنا عليه . وفي التنزيل (بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) وفيه (الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ) (٣) يعني المنافقين أي إذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراؤونهم أنهم على ما هم عليه . وفلان مرآة وقوم مراؤون . والاسم الرياء . ويقال فعل ذلك رياء وسمعة(٤) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر في هذه الآية : أن تأويل الكلام هو : ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك إخلاص العمل لله واحتساب الأمر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطراً ومرآة الناس(٥) .

وقال الشوكاني : كان خروجهم بطراً وأشراً وطلباً للثناء من الناس وللتمدح إليهم والفخر عندهم وهو الرياء(٦) .

(١) أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ٢٧٧/٥ .

(٢) الأنفال / ٤٧ . تنمة الآية (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

(٣) الماعون / ٦ .

(٤) ابن منظور : اللسان / ٨٨/٥ .

(٥) الطبري : تفسير الطبري ، ٦٦٢/٦ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٥٧/٢ .

وقال البغوي : الرياء إظهار الجميل ليرى وإبطان القبيح^(١) .
وذكر في الجلالين : (بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) حيث قال المشركون لا نرجع
حتى نشرب الخمر ، وننحر الجذور ، وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك
الناس^(٢) .

و(الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ) هم المنافقون ، حيث قال الطبري إن المنافقين لا
يعملون شيئاً من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرب بها إلى
الله لأنهم غير موقنين لميعاد ولا ثواب ولا عقاب ، وإنما يعملون ما عملوا من
الأعمال الظاهرة إبقاء على أنفسهم^(٣) .

وأضاف قائلًا : (والذين هم يراؤون) أي يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلوا
لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب وإنما يصلون ليراهم
المؤمنون فيظنونهم منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم وهم المنافقون
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام^(٤)
وقال القرطبي : إن المنافق إذا صلى رياءً ، وإن فاتته لم يندم^(٥) .

وذكر ابن كثير في هذه الآية : (إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة
الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو مردود عليه ، وهذا حال المرئيين
والمنافيقين)^(٦) .

وقال الواحدي : هم المنافقون يصلون في العلانية ويتركون الصلاة في
السر^(٧) . إذا المرأؤون هم المنافقون .

وفي فضائل القرآن لابن كثير قال : والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح
ظاهر وطعمها مر هو المرئي بتلاوته كما قال تعالى (يرأؤون الناس)^(٨) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/٣٦٥ .

(٢) الجلالين : تفسير الجلالين ١/٢٣٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤/٣٣٢ .

(٤) الطبري : جامع البيان ١٢/٧٠٩ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٢/٧٠٩ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١/٢١٤ .

(٧) الواحدي : الوجيز ، ١/١٢٣٥ .

وبذلك اتفق المفسرون أن معنى الرياء إظهار خلاف ما هم عليه من الكفر والنفاق ، وذلك هو رأي ابن منظور .

وقيل في سبب نزول هذه الآية : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف وقالوا لا نعود حتى نشرب الخمر ونغني ونرقص فأُنزل الله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) (٢) .

المعنى العام للنص :

نهى الله المؤمنين أن تكون حالهم كحالة هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم بطلاً ورياء الناس وهم قريش فإنهم خرجوا يوم بدر ليحفظوا العير التي مع أبي سفيان ، ومعهم القيان والمعازف ، فلما بلغوا الجحفة بلغهم أن العير نجت وسلمت فلم يرجعوا بل قالوا لا بد لنا من الوصول إلى بدر لنشرب الخمر وتغني القيان وتسمع العرب (٣) .

النص رقم (٣١)

قال تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرؤيا : ما رأيت في منامك ، وقال ابن جني : قال بعضهم في تخفيف رؤيا ريا ، بكسر الراء (٥) . ورأيت عنك رؤى حسنة ، حلمتها وأراى الرجل إذا كثرت رؤاه ، بوزن رعاة ، وهي أحلامه ، جمع الرؤيا . ورأى في منامه رؤيا ، على فعلى بلا تنوين ، وجمع الرؤيا روى ، قال ابن بري وقد جاء الرؤيا في اليقظة (٦) قال الراعي (٧) :

(١) ابن كثير : فضائل القرآن ، ١٧٣/١ .

(٢) السيوطي : لباب النقول ، ١٠٦/١ .

(٣) انظر : الشوكاني : فتح القدير ٤٥٧/٢ .

(٤) الإسراء / ٦٠ .

(٥) ابن جني : الخصائص ، ١٠/٣ .

(٦) انظر حواشي ابن بري باب الألف فصل الراء ٧/١ .

(٧) الراعي : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، النميري ، أبو جندل ، من فحول الشعراء المحدثين ، كان من جلة قومه ، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكانوا بنو نمير أهل بيت وسؤدد ، وقيل كان راعي إبل من أهل

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساً كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ..
التهديب : الفراء في قوله عز وجل : (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (١) ، إذا تركت
العرب الهمز من الرؤيا قالوا الرؤيا طلباً للخفة (٢) ، فإذا كان من شأنهم تحويل
الواو إلى الياء قالوا : (لا تقصص ريبك في الكلام وأما في القرآن فلا يجوز) (٣) .
دراسة النص :

قال مجاهد المقصود ما رأى صلى الله عليه وسلم حين أسري به (٤) وذكر
الطبري وابن كثير حديث ابن إسحاق (٥) عن الحسن (٦) أن هذه الآية نزلت (وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ويقول الله في الخبر عن إبراهيم إذ قال
لابنه (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) (٧) ثم مضى على
ذلك ، فعرفت أن الوحي يأتي الأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً . وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : (تتام عيني وقلبي يقظان) (٨) (٩) .

بداية البصرة عاصر حريراً والفرزدق ، وكان يفضل الفرزدق فهجاه حريراً هجاءً مرّاً من أصحاب الملحمت وسماه
بعض الرواة حصين بن معاوية ، ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٢٩٨/٢ .
(١) يوسف / ٤٣ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٤٦/٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٨٨/٥ .

(٤) مجاهد : تفسير مجاهد ، ٣٦٥/١ .

(٥) ابن إسحاق : هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهني الأزدي أصله من
البصرة له تأليف منها : موطأه ، والقراءات وغيرها ولد سنة تسع وتسعون ومائة ومات سنة اثنتين ومائتين ، وهو
من حفاظ الحديث . الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ٦٢٥/٢ .

(٦) الحسن : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون النقاش الموصلي البغدادي ، المقرئ ، المفسر ،
وكان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير قرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش ، وابن أبي مهران ، وصنف
التفسير وسماه (شفاء الصدور) وله الإشارة في غريب القرآن ، والموضح في معاني القراءات ودلائل النبوة ،
والقراءات بعللها ، توفي سنة ٤٦٠هـ ، انظر : عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : طبقات المفسرين ، مكتبة وهعبه
، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، ٩٤/١ .

(٧) الصافات / ١٠٢ .

(٨) الحديث (إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) سبق ذكره .

(٩) انظر : الطبري : جامع البيان ١٢/٨ ، وأيضاً : ابن كثير : التفسير العظيم ٣٣/٣ .

وقال القرطبي : (وما جعلنا الرؤيا ..) سماها رؤيا وقال سبحانه في مطلع الآية (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) ولا يقال في النوم أسرى . وأيضاً فقد يقال لرؤية العين رؤيا^(١) .

وقال البغوي : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس^(٢) .

وأيضاً وقال السيوطي : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس وليست رؤيا منام^(٣) . وكذلك في الجلالين^(٤) .

وفي مفردات القرآن الرؤيا ما يرى في المنام وهو فعلى وقد يخفف فيه الهمزة فيقال بالواو ورو^(٥) .

وكذلك في كتب السنة المطهرة قال البخاري : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالرؤيا ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات ، فلما ذكرها للناس أنكروا بعضهم وكذبوا فكانت فتنة لهم واختباراً للمسلمين وازداد المخلصون بها إيماناً^(٧) .

إذاً رجح كل المفسرين القول الذي يقول إن (الرؤيا) في هذه الآية مقصود بها رؤيا اليقظة وليست رؤيا المنام لأن الإسراء لو كان مناماً لما كان معجزة لأن النائم يمكن أن يرى أي شئ . ولكن في المعنى العام تأخذ كلمة (رؤيا) معنى ما يرى النائم وذلك كما في قوله تعالى : (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) فقد ذكر

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٨٠ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ١/٥٧ .

(٣) السيوطي : الدر المنثور ٥/٣٠٨ .

(٤) الجلالين : تفسير الجلالين ١/٣٧٢ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٦٠٦ .

(٦) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب المعراج ٣/١٤١٢ (٣٦٧٥) . انظر أيضاً : أحمد بن الحسين

البيهقي : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٠ ، ١٤٠١ هـ ، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، ١/٣٠٣ .

(٧) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، ١/٢٢١ (١٩١٦) .

القرطبي عن مقاتل : رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات . وقال ابن عباس رؤيا الأنبياء وحي واستدل بهذه الآية^(١) .

فهذا مما يدل على أن الرؤيا تأتي أيضاً بمعنى الحلم كما ذكر ابن منظور . وقوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) جمع الرؤية رؤى أي أخبروني بحكم هذه الرؤيا . (وتعبرون) مشتقة من عبور النهر فمعنى عبرت النهر بلغت شاطئه فعابر الرؤيا يعبر عما يؤول إليها أمرها ، واللام في (للرؤيا) للتبيين أي إن كنتم تعبرون ثم بين فقال للرؤيا . وأيضاً قال القرطبي : الرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة ، قال صلى الله عليه وسلم : (لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو ترى له)^(٢) .

وفي أسباب نزول هذه الآية قالت أم هانئ^(٣) أنه صلى الله عليه وسلم لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزءون به فطلبوا منه آية فوصف بيت المقدس وذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة^(٤) : هذا ساحر فأنزل الله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)^(٥) .

المعنى العام للنص :

قال ابن عاشور : (الرؤيا أشهر استعمالها في رؤيا النوم ، وتستعمل في رؤيا العين ، كما نقل عن ابن عباس في هذه الآية قال : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس ، ويؤيد هذا الوجه قول (التي

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٥/١٥ . سبق ذكره

(٢) القرطبي : جامع البيان ، ١٦٩/٩ . والحديث ذكره البيهقي في شعب الإيمان ، في الرؤيا التي هي نعمة من نعم الله تعالى ، ١٨٤/٤ (٤٧٥٠) .

(٣) أم هانئ : هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل اسمها فاختة وقيل اسمها فاطمة وقيل هند والأول أشهر ، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائد المخزومي ، فرق بينهما الإسلام ، خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت لأن لها صبيان . (الإصابة ٣١٧/٨) ، (الاستيعاب ٦٢٣/١) .

(٤) الوليد بن المغيرة زوج لبابة الصغرى وهي أم خالد بن الوليد . وكان المغيرة من سادات قريش . انظر (أسد الغابة ١٤٠٩/١) .

(٥) السيوطي : لباب النقول ١٣٥/١ .

أريناك) فإنه وصف للرؤيا ليعلم أنها رؤية عين ، وقيل رأى أنه يدخل مكة في سنة الحديبية ، فرده المشركون فلم يدخلها فافتتن بعض من أسلم ، فلما كان العام المقبل دخلها . كما قيل هي رؤيا مصارع صناديد قريش في بدر أريها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، أي بمكة وعلى هذين القولين فهي رؤيا نوم ورؤيا الأنبياء وحي(١) .

ويقول الطبري : (والصواب عندي أن الله أسرى بعبدته محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حين أتاه وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات(٢) .

النص رقم (٣٢)

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : (ألم تر) معناه : ألم تعلم أي ألم ينته علمك إلى هؤلاء ومعناه أعرفهم يعني علماء أهل الكتاب ، أعطاهم الله علم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وقال بعضهم ألم تر ألم تخبر ، وتأويله سؤال فيه إعلام وتأويله أعلن قصتهم . وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء ، وعند تنبيه المخاطب كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ) (٤) أي ألم تعجب لفعالهم ، أو لم ينته شأنهم إليك(٥) .

دراسة النص :

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١/٢٤٧٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٢/٨ .

(٣) تنمة الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ) (النساء: ٤٤) .

(٤) البقرة/ ٢٤٣ . تنمة الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) .

(٥) ابن منظور : اللسان ٦/٩٠ .

يقول الإمام الطبري (ألم تر) : يا محمد (إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) الذين أعطوا حظاً من الكتاب ، فيقول في تفسير هذه الآية أن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبذا يوافق ابن منظور الطبري في أن معنى (ألم تر) أي ألم تخبر^(١) .

أما القرطبي فتحدث عن أسباب نزول هذه الآية فقال فيها نزلت في يهود المدينة وما والاها . قال ابن إسحاق : وكان رفاعة بن زيد بن تابوت^(٢) من عظماء اليهود إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه فأنزل الله عز وجل (ألم تر)^(٣) .

أما الشوكاني وأبو السعود فقد وافقا ابن منظور بأنها كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء . فقال الشوكاني : فيها تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من تصح منه الرؤية من حال هؤلاء وهم أخبار اليهود ، والمعنى أن اليهود استبدلوا الضلالة وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح الحجة على صحبة نبينا صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وقال أبو السعود : فيها تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الرؤية من حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من أن اختلافهم في الإسلام إنما كان بعد ما جاءهم العلم حقيقة أي ألم تنظر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب^(٥) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٢١٧/٣ .

(٢) رفاعة بن زيد بن تابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهناً للمنافقين ، يوم موته هبت ريح شديدة تخوفها الناس فقال صلى الله عليه وسلم لا تخافوا إنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . انظر سيرة ابن هشام ٦٠/٣ . محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ١١٠/٢ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٣٢/٧ .

(٤) فتح القدير ٤٩٥/١ . وقال السيوطي أنها نزلت في رفاعة بن زيد بن تابوت ، وكروم بن زيد ، وحيي بن Xط ، انظر : السيوطي : الإتقان ، ٣٧٢/٢ ، وأيضاً : السيوطي : لباب النقول ، ٦٤/١ .

(٥) تفسير أبو السعود ٢٠/٢ .

وأما البيضاوي فخالف الرأي بقوله : (ألم تر) من رؤية البصر أي ألم تنتظر إليهم أو القلب^(١) .

وقد ذكر ابن منظور أن (الم تر) تأتي أيضاً لتنبية المخاطب كما في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) .

قال الطبري في هذه الآية : (الم تر) ألم تعلم يا محمد ؟ وهو من رؤية القلب لا رؤية العين لأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر ورؤية القلب ما رآه علمه به فمعنى ذلك : ألم تعلم يا محمد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ؟^(٢) .

وقال البغوي : (ألم تر) ألم تعلم بإعلامي إياك وهو رؤية القلب . وقال هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم^(٣) .

وقال ابن كثير : في تفسير هذه الآية : (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون قالوا : نأتي أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله (موتوا) فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم^(٤) .

المعنى العام للنص :

قال أهل التفسير المقصود بهذه الآية اليهود لأن عندهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية يخاطب سبحانه نبيه بقوله (ألم تر) أي ألم ينته علمك إلى هؤلاء اليهود . ومعنى يشترون الضلالة أي يلزمون لها وقد صاروا بمنزلة المشتري لها والعرب تقول لكل من رغب في شئ قد اشتراه ومعنى ويريدون أن تضلوا السبيل أي يريدون أن تضلوا طريق الحق^(٥) .

النص رقم (٣٣)

(١) تفسير البيضاوي ١٩٥/١ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ٦٠٠/٢ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٢٩٢/١ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٠/١ .

(٥) النحاس : معاني القرآن الكريم ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ (تحقيق محمد علي الصابوني) ٩٩/٢ . انظر أيضاً : تفسير الواحدي ٢٦٦/١ .

قال تعالى : (لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (١) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : الرأي معروف وجمعه آراء ، وأراء أيضاً مقلوب ،

ويقال فلان من أهل الرأي أي أنه يرى رأي الخوارج (٢) ومذهبهم . والمحدثون يسمون أصحاب القياس أصحاب الرأي يعنون أنهم يأخذون بأرائهم فيما يشكل من الحديث أو ما لم يأت فيه حديث ولا أثر . والرأي الاعتقاد ، اسم لا مصدر والجمع آراء ، حكى اللحياني في جمعه أراء . ويقال فلان يتراءى برأي فلان إذا كان يرى رأيه ويميل إليه ويقنّدي به .

ويقول ابن سيده (رأى) تكون من رؤية العين وهي البصر وتكون من رؤية القلب وهي العلم وتكون بمعنى الرأي والاعتقاد كقولك فلان يرى رأي الشراة (٣) أي يعتقد اعتقادهم (٤) . ومنه قوله تعالى : (لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) فحاسة البصر ههنا لا تتوجه ولا يجوز أن يكون بمعنى أعلمك الله لأنه لو كان كذلك في

أراك ، والثاني الضمير المحذوف للغائب أي أراكه (٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : (لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ) لتقضي بين الناس (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) أي بما

أنزل الله إليك من كتابه (١) .

(١) النساء / ١٠٥ تنمة الآية (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا) .
(٢) الخوارج : خرجوا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما زالت تخرج منهم على المسلمين طائفة بعد طائفة ومنهم شذمة باقية إلى الآن يقال لهم الإباضية بأطراف الهند لا يزالون يخرجون على المسلمين في برهم وبحرهم . انظر : محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤م (تحقيق جماعة من العلماء) ص ٥٥ . لمعرفة معتقداتهم انظر : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧م ، ص ٥ . وأيضاً : ابن حزم : الفصل ، ٩٠/٢ .

(٣) ويسمى الخوارج بالشراة متأولين فيه قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) البقرة ٢٠٧ . فمن يشري : يبيع فصار ذلك كقوله (إن الله اشترى) التوبة ١١١ . انظر الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٧٦٤ .

(٤) ابن سيده : المحكم ٩/١٢ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٩١/٥ .

وقال البغوي : بما علمك ، وأوحى إليك^(٢) .

وأيضاً قال الواحدي : أي فيما علمك الله^(٣) .

وكذلك قال أبو السعود والنسفي قالا : بما عرفك وأوحى إليك^(٤) . ووافق أبو حيان ابن منظور قائلاً : (بما أراك الله ، أي بما أعلمك من الوحي ، وقيل بالنظر الصحيح فإنه محروس في اجتهاد معصوم في الأقوال والأفعال ، وقيل بما ألقاه في قلبك من نور المعرفة ، وصفاء الباطن^(٥)) .

وجاء في مفردات القرآن : (والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عند غلبة الظن وعلى هذا قوله (يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) ^(٦) أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثلهم تقول فعل ذلك رأي عين والروية والتروية : التفكير في الشيء والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي والمرتبئ والمروي والمتفكر وإذا عدي رأيت بالي اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار نحو (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ)^(٧) وقوله (بما أراك الله) أي : بما أعلمك^(٨) .

نلاحظ أن المفسرين أجمعوا على قولهم بما علمك الله وأوحى إليك به . وقال ابن منظور (بما أراك) أي بما تعتقد ، فنكون الموافقة بين ابن منظور والمفسرين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم لما يعتقد وأن اعتقاده مبني على ما علمه الله وأوحى به إليه ، (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)^(٩) .

(١) الطبري : جامع البيان ٢٦٥/٤ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٢٨٣/١ .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ٢٨٧/١ .

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٢٢٩/٢ . انظر أيضاً النسفي : تفسير النسفي ٢٤٦/١ .

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٥٨/٣ .

(٦) آل عمران / ١٣ .

(٧) الفرقان / ٤٥ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٠٦/١ .

(٩) النجم / ٤-٣ .

وقال الشافعي رضي الله عنه : (كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن)(١) .

والإمام الجصاص يقول هذه الآية ربما احتج بها من يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول شيئاً من طريق الاجتهاد وأن أقواله وأفعاله كلها كانت تصدر عن النصوص ، وأنه كقوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) وليس في الآيتين دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول شيئاً من طريق الاجتهاد ، وذلك لأننا نقول ما صدر عن اجتهاد فهو بما أراه الله وعرفه إياه وبما أوحى به إليه أن يفعله ، فليس في الآية دليل على نفي الاجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم في الأحكام .

وكان توجيه الله إليه بترك الميل إلى أحد الخصمين وصار أصلاً في أن الحاكم لا يكون له ميل إلى أحد الخصمين على الآخر وإن كان أحدهما ذا حرمة والآخر لا(٢) .

وقال الثعالبي : في هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض إليه ، وتفويم أيضاً على الجادة في الحكم وتأييب على قبول ما رفع إليه في أمر بني أبيرق بسرعة . وقوله تعالى (بما أراك الله) معناه على قوانين الشرع إما بوحى ونص أو نظر جار على سنن الوحي، وقد تضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة(٣) . وذكر أيضاً ابن منظور في هذه الآية أنه لا يجوز أن نقول بما أعلمك الله لعدم وجود مفعول ثالث .. في حين ذكر المفسرون أن (أراك الله) معناها أعلمك . وجاء في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً سرق درعاً من حديد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم طرحه على يهودي فقال اليهودي : والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طرحت علي وكان الرجل الذي سرق له جيران يبرئونهم ويطرحونه على اليهودي ويقولون يا رسول الله إن هذا اليهودي خبيث يكفر بالله وبما جئت به حتى مال عليه النبي صلى الله عليه وسلم ببعض القول فعاتبه الله في

(١) السيوطي : الإتيان ٤٦٧/٢ .

(٢) الجصاص : أحكام القرآن ٢٦٤/٢ .

(٣) الثعالبي : تفسير الثعالبي ٤١٠/١ .

ذلك فقال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (١) .

المعنى العام للنص :

قال أبو جعفر يعني جل ثناؤه بقوله : إنا أنزلنا إليك يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (لتحكم بين الناس) لتقضي بين الناس فتفصل بينهم (بما أراك الله) : يعني بما أنزل إليك من كتابه (ولا تكن للخائنين خصيماً) يقول : ولا تكن لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله (خصيماً) تخاصم عنه وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه (٢) .

النص رقم (٣٤)

قال تعالى : (يُرَاوُونَ النَّاسَ) (٣) وقوله (يُرَاوُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : (يُرَاوُونَ النَّاسَ) و(يُرَاوُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) ليس من المشاورة ولكن معناه إذا أبصرهم الناس صلوا وإذا لم يروهم تركوا الصلاة ، ومن هذا قول الله عز وجل : (بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) (٥) وهو المرئي كأنه يري الناس أنه أنه يفعل ولا يفعل بالنية . وأرأى الرجل إذا أظهر عملاً صالحاً رياءً وسمعة .

وأما قول الفرزدق (٦) يهجو قوماً ويرمي امرأة منهم بغير الجميل :

وبات يراها حصاناً ، وقد جرت لنا برتاها بالذي أنا متأكده (٧) (٨) .

(١) السيوطي : لباب النقول ٧٩/١ . انظر أيضاً : الدر المنثور للسيوطي ٦٧٣/٢ .

(٢) انظر الطبري : جامع البيان ، ٢٦٠/٤ . سبق دراستها .

(٣) تنمة الآية : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: ١٤٢) .

(٤) سورة الماعون الآية ٦ .

(٥) سبق ذكرها وشرحها .

(٦) الفرزدق : واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، يكنى أبا فارس ، بيته من أشرف بيوت بني تميم وكان غالب أبوه جواداً شريفاً وحده صعصعة هو الذي منع وأد البنات بعد إسلامه وأمه لبنة بنت قرظة العينية ، وقال الشعر أربعاً وسبعين سنة ، وتوفي سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك ، وكان الفرزدق سيداً جواداً فاضلاً وجيهاً عند الخلفاء والأمراء هاشمي الرأي . انظر سيرة ابن هشام ١٨٠/١ .

دراسة النص :

قال الطبري في هذه الآية عن سعيد عن قتادة : والله لولا الناس ما صلى المنافق ولا يصلي إلا رياء وسمعة^(٣) .

وقال القرطبي : أي يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين الله تعالى بالرياء^(٤) .

وذكر ابن كثير أن هذا هو حال المرائين والمنافقين ، وقال تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)^(٥) .
وقال البغوي : (يُرَآؤُونَ النَّاسَ) أي يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله . وذكر قول ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا^(٦) .

اتفق ابن منظور والمفسرون أن معنى (يُرَآؤُونَ النَّاسَ) أي يظهرون الأعمال الصالحة بين الناس رياء وسمعة ، يخفون القبيح الذي هو حقيقتهم وهذا هو حال المنافقين ، فإن من أشرك مع الله أحداً تركه الله وشركه .

وقال ابن رجب^(٧) : وأعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضاً فلا يراد به سوى مراعاة المخلوقين لغرض كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى : (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ)^(٨) وكذلك

(١) تصحيح البيت : ويحسبها باتت حصاناً وقد جرت لنا برتاها بالذي أنا شاكره وبرتاهما بخلخالها ، ومعنى يراها يعني : هكذا وقوله برتاها ، أي أمكنته من رجلها . انظر ديوان الفردوق ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ص ٢١٢ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٩٢/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٣٣٢/٤ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٣/١ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢١٤/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٣٠٢/١ وأيضاً ٥٥٢/١ .

(٧) ابن رجب : هو عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي ، العالم الفاضل الحافظ الشيخ زين الدين ، صنف الاستغناء بالقرآن ، وكانت وفاته في سنة خمس وتسعين وثمانمائة . انظر طبقات المفسرين - الأذنوي ٣٥٣/١ .

(٨) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ٤٦٧/١ .

وصف الله الكفار بالرياء في قوله : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا
وَرِئَاءَ النَّاسِ) .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن عبادة بن نسي^(١) قال : دخلت على شداد
بن أوس^(٢) رضي الله عنه في مصلاه وهو يبكي فقلت : يا أبا عبد الرحمن ما
الذي أبكاك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :
وما هو ؟ قال : بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيت بوجهه أمراً
ساعني فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك ؟ قال : أمر أتخوفه
على أمتي بعدي ؟ قلت : وما هو ؟ قال : الشرك وشهوة خفية : قال : قلت يا
رسول الله أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : يا شداد أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا
قمرًا ولا وثناً ولا حجراً ولكن يراؤون الناس بأعمالهم ، قلت : يا رسول الله الرياء
شرك هو ؟ قال : نعم ، قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : يصبح أحدكم صائماً
فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر^(٣) .

المعنى العام للنص :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ) أي يعملون عمل المخادع بما يظهر
ويبتغون خلفه (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) مجازيهم جزاء خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً
كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا قليلاً أطفأ نورهم وبقوا في الظلمة (وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ) مع الناس (قَامُوا كُسَالَى) متناقلين (يُرَآؤُونَ النَّاسَ) ليرى ذلك الناس لا
لاتباع أمر الله يعني : ليراهم الناس مصليين لا يريدون وجه الله (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
إِلَّا قَلِيلًا) لأنهم يعملون رياء وسمعة ولو أرادوا وجه الله لكان كثيراً^(٤) .

(١) هو عبادة بن نسي ثقة شامي ، انظر أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي : معرفة الثقات ،
مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي ١٨/٢ .

(٢) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، ويكنى أبا يعلى وقيل أبا
عبد الرحمن ، وكان ممن أوتي العلم والحلم ، نزل البيت المقدس بالشام وروى عنه أهل الشام توفي سنة إحدى
وأربعين وقيل أربع وستين . (الاستيعاب ٢٠٩/١) (أسد الغابة ٤٩٩/١) .

(٣) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين ، ٣٦٦/٤ ، وقال الحقيق : هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) الوجيز للواحد ٢٩٧/١ .

النص رقم (٣٥)

قال تعالى : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرب هو الله عز وجل وهو رب كل شئ أي مالكة ، وله الربوبية على جميع الخلق ، لا شريك له ، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك ، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة . قال ويقال الرب ، بالألف واللام لغير الله ، وقد قالوه في الجاهلية للملك ، قال الحارث بن حلزة (٢) :

وهو الرب والشهيد على يوم الحيازين والبلاء بلاء (٣)

رب كل شئ مالكة ومستحقه ، وقيل : صاحبه ، ويقال فلان رب هذا الشئ أي ملك له . وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، يقال : هو رب الدابة ، ورب الدار ، وفلان رب البيت ، ويقال رب مشدد ، ورب مخفف .

فالرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (لا يقل المملوك لسيدته ربي) (٤) . كره أن يجعل مالكة رباً له ، لمشاركة الله في الربوبية ، فأما قوله تعالى : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونهم به . وأما قوله تعالى : (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (٥) قال ابن منظور : معناه والله أعلم : ارجعي إلى صاحبك الذي خرجت منه ، فادخلي فيه ، وقوله :

(١) يوسف / ٤٢ . تتمة الآية (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) .

(٢) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن بدين بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن حشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . وهو من شعراء الجاهلية في ربيعة . انظر ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . ١٥١/١ .

(٣) ديوان الحارث بن حلزة : شرح مجيد طراد ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٣٠ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقولن أحدكم عبدي وأميتي ولا يقول المملوك ربي وربيتي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل . سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب لا يقول المملوك ربي وربيتي ، ٧١٢/٢ (٤٩٧٥) .

(٥) الفجر / ٢٨-٢٩ .

(إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال الزجاج : إن العزيز صاحبني أحسن مثواي ، قال : ويجوز أن يكون الله ربي أحسن مثواي^(١) . وقال ابن الانباري : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب المالك ويكون الرب السيد المطاع ، قال الله تعالى : (فَيْسِقِي رَبَّهُ خَمْرًا)^(٢) أي سيده^(٣) .

دراسة النص :

قال ابن منظور في قوله تعالى : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) أن الرب هنا السيد أو الملك . فقال مجاهد : اذكرني للملك وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد رب^(٤) . وكذلك قال أبو جعفر : اذكرني عند سيدك وأخبره بمظلمتي وأني محبوسٌ بغير جرم^(٥) . وقال القرطبي : أي سيدك^(٦) .

وأيضاً قال ابن كثير : اذكر قصتي عند ربك وهو الملك^(٧) . وقال الشوكاني (ربك) : ملك الأرض^(٨) . وذكر السيوطي أنه الملك (ريان بن الوليد^(٩)) .

وأيضاً ، في قوله تعالى : (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال القرطبي : أي صاحبي وهو العزيز ، ويقال لكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه رب^(١٠)(^١) .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٨٢/٣ .

(٢) يوسف / ٤١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٩٥/٥ .

(٤) مجاهد : تفسير مجاهد ٣١٦/١ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٢١٩/٧ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٩ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ٦٣٠/٢ .

(٨) الشوكاني : فتح القدير ٤٢/٣ .

(٩) السيوطي : الإتقان ، ٣٨٨/٢ .

وريان : هو ريان بن الوليد بن ثروان من العماليق ينتهي نسبه إلى نوح عليه السلام ، وكان ملك مصر وهو صاحب يوسف الذي رأى الرؤيا التي فسرها يوسف عليه السلام ، فأخرجته من السجن وجعله على خزائن مصر وزوجه زوجة العزيز بعد وفاته . انظر تاريخ الطبري ٢٣١/١ ، البداية والنهاية ٢٠٣/١ .

(١٠) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٥/٩ .

ولا يطلق الرب على غيره تعالى إلا مقيد كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى : (فَيَسْتَقِي رَبَّهُ خَمْرًا) (٢) .

فالرب أساساً يطلق على الله ، كما نجده في الآية التي استشهد بها ابن منظور : (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) وافق ابن منظور الطبري ، فقد ذكر الطبري ، هذه الآية خبر من الله تعالى لنفس المؤمن أن ترجع إلى صاحبها ، وعني بالرد هنا صاحبها (٣) وذكر القرطبي أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومة ، وقيل نزلت في خبيب بن عدي (٤) الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فحول الله وجهه نحو القبلة والله أعلم ، فمعنى إلى ربك أي صاحبك وجسدك والمعنى ارجعي إلى الله (٥) . وأما ابن كثير فقال في شرح هذه الآية أنها في النفس الزكية المطمئنة فيقال لها : (يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك) أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي عن نفسها (ومرضية) أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها (فادخلي في عبادي) أي في جملتهم ، (وادخلي جنتي) وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة ، إذا هنا ربك يعني صاحبك (٦) .

(١) قال القرطبي : لا تتخذ هذه الأسماء عادة فترك الأولى والأحسن ، وقد قيل : أن قول الرجل عبدي وأمّي يجمع معنيين أحدهما : أن العبودية بالحقيقة إنما هي لله تعالى ، ففي قول الواحد لمملوكه عبدي وأمّي تعظيم عليه وإضافة له إلى نفسه بما أضافه الله تعالى به إلى نفسه وذلك غير جائز . والثاني : أن المملوك يدخله من ذلك شيء في استصغاره بتلك التسمية فيحمله ذلك على سوء الطاعة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقل العبد ربي وليقل سيدي) لأن الرب من أسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق ، وفي الآية يحتمل أن يكون ذلك جائز في شرع يوسف عليه السلام . المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود ، ١٣/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٥٨١/١٢ .

(٤) خبيب بن عدي : كان فيمن أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغدرهم القوم فقتلوا أصحابه وباعوه هو وزيد بن الدثنة إلى بنو الحارث فقالت بنت الحارث : ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب فقد رأيت يأكّل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة . فقتلوه وصلى ركعتين قبل القتل وهو أول من سن صلاة الركعتين قبل القتل ثم قال اللهم أحصهم عدداً . انظر (الثقات لابن حبان ، ١٠٩/٣) وأيضاً سنن أحمد بن حنبل ٣١٠/٢ (٨٠٨٢) .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٣/٢٠ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٥٧/٤ .

إذا اتفق ابن منظور مع المفسرين أن المقصود بالرب الله وأنه يمكن أن تطلق على المخلوق إذا أضيفت كما هو مذكور في الآيات من سورة يوسف .

المعنى العام للنص :

(وَقَالَ) يعني يوسف عليه السلام عند ذلك (لِلَّذِي ظَنَّ) علم أنه (أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا) وهو الساقى ، (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) أي سيدك الملك وقل له : إن في السجن غلاماً محبوساً ظلاماً طال حبسه (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ) ذكره لربه (فَلَبِثَ) أي مكث (في السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ) وهي ما بين الثلاث والسبع وبعضهم قال غير ذلك ، عقاباً له لأنه سأل الملك ولم يسأل الله^(١) .

النص رقم (٣٦)

قال تعالى : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الربى والرباني : الحبر ، ورب العلم ، وقيل : الرباني الذي يعبد الرب ، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب . وقال سيبويه : زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره ، وقال ابن الإعرابي : الرباني العلم المعلم الذي يغزو الناس بصغار العلم قبل كبارها . وقال محمد بن علي بن الحنفية^(٣) لما مات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : اليوم مات رباني هذه الأمة . والرباني : العالم الراسخ في العلم والدين ، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله ، وقيل : العالم ، العامل ، المعلم ، وقيل : الرباني العالي الدرجة في العلم . وقال أبو عبيد^(٤) : وأحسب الكلمة ليست بعربية ، إنما هي عبرانية أو

(١) انظر البغوي : تفسير البغوي : ٢٤٣/١ .

(٢) تنمة الآية : (مَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران: ٧٩) .

(٣) محمد بن علي بن الحنفية وكان يكنى أبا القاسم وكان رجلاً صالحاً تابعياً ثقةً مديناً وابناه الحسن وعبد الله ثقتان . (العجلي : الثقات ٢/٢٤٩) .

(٤) أبو عبيد : هو القاسم بن سلام الهروي ، عالم كبير ، متفقه أديب ، ولد بخراسان ، وعمل بها مؤدياً ثم انتقل إلى بغداد وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر يهديه وينال من جوائزهم وألف كتباً قيمة في الحديث وعلوم القرآن ، والنحو وأدب القضاء ، ابن خلكان ١/٤١٨ .

سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين ، قال أبو عبيدة :
إنما عرفها الفقهاء وأهل العلم^(١) ، وكذلك قال شمر : يقال لرئيس الملاحين رباني
وأنشد : صعل من الشام ورباني^(٢) .
والرباني المتأله ، العارف بالله تعالى^(٣) .
دراسة النص :

قال أبو جعفر في (الربانيين) أنهم جمع رباني وأن الرباني المنسوب إلى
الربان الذي يرب الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها . قالربانيون
هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا . ولذلك قال مجاهد : وهم فوق
الأخبار لأن الأخبار هم العلماء والرباني الجامع إلى العلم والفقه والبصر بالسياسة
والتدبير ، والقيام بأمر الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم^(٤) .
وقال القرطبي : الربانيون واحد رباني منسوب إلى الرب ، والرباني
الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير
الأمر . روى معناه ابن عباس قال بعضهم كان في الأصل ربي فأدخلت الألف
والنون للمبالغة كما يقال للعظيم اللحية لحياني ولعظيم الحجة حجاني ولغليظ الرقبة
رقباني^(٥) . وقال أبو حيان الرباني الحكيم العالم أو الفقيه العالم^(٦) .
وقال الشوكاني : الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة
والرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره فكأنه يقتدي بالرب سبحانه
في تيسير الأمور^(٧) .

(١) أبو عبيدة : مجاز القرآن ، ٩٧/١ .

(٢) هو عمرو بن الحارث بن أبي شمر الجني جاهلي ، انظر : أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى الزريابي ، معجم
الشعراء ، دار صادر ، بيروت ، تحقيق د. فاروق أسلم ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، ١٩/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٩٨/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٢٢٢/٣ .

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١١٩/٤ .

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ، ٥٢٩/٢ .

(٧) تفسير الشوكاني ٥٣٦/١ - انظر البخاري : كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، ٣٧/١ .

وقال البخاري : أي كونوا فقهاء حلماء والرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كبارهم . وجاء في سنن الدارمي عن سعيد بن جبير قال : كونوا ربانيين قال علماء فقهاء^(١) .

ورباني الأمة هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان رباني الأمة وحبرها^(٢) . والرباني من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وربما لقب به العالم فيقال العالم الرباني قال الجوهرى^(٣) وهو المتأله والعارف بالله تعالى قال تعالى : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)^(٤) .

هكذا اتفق المفسرون والعلماء على أن معنى الرباني منسوب إلى الرب وهو العالم الذي يربي الناس ، وأن الألف والنون زائدتان للمبالغة ، وهذا جملة ما ذكره ابن منظور .

المعنى العام للنص :

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وما ينبغي لأحد من البشر - والبشر جمع بني آدم لا واحد من لفظه - (أن يؤتیه الله الكتاب) يقول أن ينزل الله عليه كتابه (والحكم) يعني يعلمه فصل الحكمة (والنبوة) يقول ويعطيه النبوة (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) يعني ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب

(١) عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي : سنن الدارمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ —

(تحقيق فواز أحمد زمرى ، خالد السبع العلي) ١٠٧/١ . وقال إسناده صحيح .

(٢) أبا منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النعالي : ثمار القلب في المضاف والمنسوب ، دار المعارف ، القاهرة ،

ط ١ ، ١٩٦٥ م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١١٣/١ .

(٣) الجوهرى : الصحاح ، ١٥٤/١ .

(٤) أحمد بن علي القلقشندي : صحيح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧ م (تحقيق د. يوسف علي

طويل) ١٣/٦ .

وبكونهم دارسيه وقيل إن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتدعوننا إلى عبادتك^(١) .

وقال الواحدي في هذه الآية : لما ادعت اليهود أنهم على دين إبراهيم عليه السلام وكذبهم الله تعالى غضبوا وقالوا : ما يرضيك منا يا محمد إلا أن نتخذك رباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نأمر بعبادة غير الله . ونزلت هذه الآية (ما كان لبشر) أي الجمع بين هذين : بين النبوة وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله (ولكن) يقول (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) أي يقول : كونوا معلمي الناس لعلمكم ودرسكم ، علموا الناس وبينوا لهم وكذا كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود لأنهم كانوا أهل كتاب يعلمون ما لا تعلمه العرب^(٢) .

النص رقم (٣٧)

قال تعالى : (وَكَايِّنُ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

الرب : الفرقة من الناس ، قيل هي : عشرة آلاف ونحوها والجمع رباب . والربي : واحد الربيين : وهم الألو ف من الناس ، والأر به من الجماعات : واحدها ربة . وهي في التنزيل العزيز : (وَكَايِّنُ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ) .

قال الفراء : الربيون الألو ف^(٤) . وقال الأخفش : الربيون منسوبون إلى الرب^(٥) . قال أبو العباس : ينبغي أن تفتح الراء على قوله ، قال : وهو على قول الفراء من الربة وهي الجماعة ، وقال الزجاج : ربيون بكسر الراء وضمها ، وهم الجماعة الكثيرة^(٦) وقيل : الربيون العلماء الأتقياء الصبر ، وكلا القولين حسن

(١) الطبري : جامع البيان ، ٢٢٢/٣ .

(٢) الواحدي : الوجيز ، ٢٢٠/١ .

(٣) تنمة الآية : (وَكَايِّنُ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ١٤٦) .

(٤) الفراء : معاني القرآن ٢٣٧/١ .

(٥) الأخفش : معاني القرآن ٤٢٣/١ .

(٦) الزجاج : معاني القرآن ٤٠٠/١ .

جميل . وقال أبو طالب : الربيون الجماعات الكثيرة ، الواحدة رب والرباني :
العالم ، والجماعة الربانيون^(١) .

وقال أبو العباس : الربانيون الألف ، والربانيون : العلماء . وقرأ الحسن :
ربيون بضم الراء ، وقرأ ابن عباس : ربيون بفتح الراء^(٢) .
دراسة النص :

قال الطبري : الربيون عندنا الجماعات الكثيرة واحدهم ربي وهم
الجماعة^(٣) . وقال القرطبي : (الربيون) بكسر الراء قراءة الجمهور وقراءة علي
رضي الله عنه بضمها وابن عباس بفتحها ثلاث لغات . والربيون الجماعات

الكثيرة عن مجاهد وقتادة وغيرهم^(٤) .

وذكر ابن كثير أقوالاً كثيرة من العلماء منهم ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد وسعيد بن جبير كلهم قالوا (ربيون) أوف أو جماعات كثيرة^(٥) .
واتفق البغوي مع ابن كثير بذكره عدداً من العلماء اجمعوا على القول بأن
معنى (ربيون) جماعات كثيرة . وأضاف قائلاً : هم الآتباع والربانيون الولاية
والربيون الرعية ، وقيل : منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب^(٦) .
وقال البيضاوي (ربيون) ربانيون علماء أتقياء أو عابدون لربهم وقيل
جماعات والرب منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة^(٧) . وقال الألويسي :
(ربيون) جموع كثيرة^(٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٣/٤ .

(٢) ابن منظور : اللسان ١٠٠/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤٦٠/٣٠ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/٤ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٤٣/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ١١٦/١ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٠٠/١ .

(٨) الألويسي : تفسير الألويسي ٨٣/٤ .

وبذا نلاحظ اتفاق ابن منظور والمفسرين في معنى (الرييون) هم الجماعات الكثيرة ، أو الألوف من الناس .

وقال الجصاص : (في الآية ترغيب في الجهاد في سبيل الله والحض على سلوك طريق العلماء من صحابة الأنبياء والأمر بالاعتداء بهم في الصبر على الجهاد) (١) .

المعنى العام للنص :

يقول الطبري : عاتب الله عز وجل بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح : إن محمداً قد قتل فذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال ، فقال : أفئن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟ (٢) .

إذاً معنى الآية يكون (وكأين) وكم من نبي قاتل معه جموع كثيرة فما وهنوا جبنوا (لما أصابهم) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ، وما ضعفوا عن الجهاد (وما استكانوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي ، والله يحب الصابرين على البلاء أي يثيبهم على صبرهم وتحملهم (٣) .

الآية رقم (٣٨)

قال تعالى : (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ..) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال النحويون : رب من حروف المعاني ، والفرق بينها وبين كم أن رب للتقليل وكم وضعت للتكثير ، إذا لم يرد بها الاستفهام ، وكلاهما يقع على النكرات ، فيخفصها .

(١) الجصاص : أحكام القرآن ، ٣٢٦/٢ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٤٦٠/٤ .

(٣) انظر تفسير الجلالين ٨٥/١ .

(٤) سورة الحجر الآية ٢ .

قال أبو حاتم : من الخطأ قول العامة : ربما رأيت كثيراً وربما إنما وضعت للتقليل^(١) . ورب : كلمة تقليل يجر بها . فيقال رب رجل .

وقال الجوهري : ورب حرف خافض ، لا يقع إلا على النكرة يشدد ويخفف^(٢) . ويدخل عليه ما يمكن أن يتكلم بالفعل بعده ، فيقال ربما ، كما في الآية . وبعضهم يقول ربما بالفتح . وإذا صغرت ردت إلى أصلها فيقال ربيب .

قال الزجاج : من قال إن رب يعني بها التكثير ، فهو ضد ما تعرفه العرب ، فإن قال قائل : فلم جازت رب في قوله عز وجل : (رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) ورب للتقليل ؟ فالجواب في هذا : أن العرب خوطبت بما تعلمه في التهديد . والرجل يتهدد الرجل فيقول له : لعلك ستندم على فعلك ، وهو لا يشك في أنه يندم ، ويقول : ربما ندم الإنسان من مثل ما صنعت ، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيراً . ولكن مجازاً أن هذا لو كان مما يود في حال واحدة من أحوال العذاب ، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشيء لوجب عليه اجتنابه^(٣) ، والدليل على أنه على معنى التهديد قوله عز وجل : (ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا)^(٤) . والفرق بين رب وربما أن رب لا يليه غير الاسم ، وأما ربما فإنه زيدت ما مع رب ليليتها الفعل تقول رب رجل جاعني ، وربما جاعني زيد . وأكثر ما يليه الماضي ، ولا يليه من الغابر إلا ما كان مستيقناً كما في الآية ، كأنه قد كان فهو بمعنى ما مضى ، وإن كان لفظه مستقبلاً^(٥) .

دراسة النص :

(١) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥/١٠ . وأبو حاتم هو محمد بن حيان أبو حاتم البستي الحافظ صاحب الأنواع ومؤلف كتاب الجرح والتعديل وغير ذلك كان من أئمة زمانه وطلب العلم على رأس سنة ثلاثمائة كان عارفاً بالطب والنجوم والكلام والفقهاء رأساً في معرفة الحديث . (ابن حجر : لسان الميزان ٥/١١٢) .

(٢) الجوهري : الصحاح ١/١٥٥ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن ، ٣/١٤١ .

(٤) الحجر / ٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٥/١٠١ .

قال الطبري : اختلف القراء في قراءة قوله (ربما) فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين (ربما) بتخفيف الياء وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها .

والصواب عند الطبري : أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .
وتكلم الطبري عن (ما) التي مع رب فقال : قال نحويو البصرة : ادخل مع رب ليتكلم بالفعل بعدها .

فكان الكسائي والفراء يقولان : لا تكاد العرب توقع رب على مستقبل وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل . وجاء في القرآن مع المستقبل لأن ما كان في القرآن من وعد ووعد فهو حق . وعلى ذلك يكون من معنى الآية : ربما يود الذين كفروا بالله فجدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين^(١) .

إذا اتفق ابن منظور مع الطبري في الجزء الذي يتحدث عن أن (ربما) يتحدث بها عن الفعل بعدها وأنها للماضي وذكرت هنا في القرآن تتحدث عن المستقبل ويتفق ابن منظور مع القرطبي في أن القرطبي ذكر (ربما) تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين .
وقال (ربما يود) إنما تكون لما وقع لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان .

وذكر القرطبي قولاً آخر يخالف به قوله الأول حيث قال : وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا الموضع لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب والله أعلم^(٢) .

ولم يختلف الشوكاني عن الطبري والقرطبي في شيء فقد ذكر أن ربما تقرأ بالتخفيف والتشديد وأن أصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير^(٣) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٤٨٨/٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥/١٠ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ١٧٣/٣ .

وقال البيضاوي (ربما) : فيها ثمان^(١) لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل^(٢) . وهذا لم يذكره ابن منظور .

قال الزمخشري : ربما وربما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت : لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت : لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه^(٣) . وقال أبو حيان أن ربما قد تدخل المستقبل لكنه قليل بالنسبة إلى دخولها على الماضي ، لأن المستقبل إذا كان في كلام الله فهو محقق وقوعه كالماضي^(٤) . وجاء في مفردات القرآن أن (رب) : يعني بها استغلال الشيء ولما يكون وقتاً بعد وقت . وأن ما إذا أدخلت على (رب) أصبحا ربما كافة . ويود هنا من المودة التي تقتضي معنى التمني^(٥) .

واتفق ابن منظور مع الزركشي بذكره قول الزجاج . فقد قال الزركشي : (لما كان القرآن قد نزل بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض فنقول لا تتعرض لما يسخطني فلعلك إن تفعل ذلك ستندم وإنما مراده أنه يندم لا محالة ولكنه أخرجه مخرج الشك تحرير للمعنى ومبالغة فيه أي أن هذا الأمر لو كان مشكوكاً فيه لم يجب أن

(١) فصلها السيوطي في كتابه الإتقان قاتلاً : (رب) حرف في معناه ثمانية أقوال : أحدها أنها للتقليل دائماً وعليه الأكثرون . والثاني للتكثير دائماً كقوله تعالى (ربما يود..) الآية فإنه يكثر منهم ثمي ذلك . وقال الأولون هم مشغولون بغمرات الأهوال فلا يفيقون بحيث يتمنون ذلك إلا قليلاً . والثالث : أنهما على السواء . الرابع : للتقليل غالباً والتكثير نادراً وهو اختياري . والخامس : عكسه . والسادس : لم توضع لواحد منهما بل هي حرف إثبات لا تدل على تكثير ولا تقليل وإنما يفهم ذلك من خارج . السابع : للتكثير في موضع المباهاة والافتخار وللتقليل فيما عداه . والثامن : لميهم العدد تكون قليلاً وتكثيراً وتدخل عليها ما فتكفها عن عمل الجر وتدخلها على الجمل والغالب حينئذ دخولها على الفعل الماضي لفظاً ومعنى ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة . انظر : الإتقان ، ٤٧٤/١ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٦٠/١ .

(٣) الزمخشري : الكشف ، ٦٣٧/١ .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٣٢/٥ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٢٣/١ ، ٤٠٣/١ ، ١٥٦٥/١ .

نتعرض له فكيف وهو كائن لا شك فيه وبنحو هذا فسر الزجاج قوله تعالى (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)^(١) .

اتفق ابن منظور مع المفسرين في أن (رب) تذكر للتقليل وأنها يمكن أن تكون للتكثير كما في الآية . وأنها تذكر في الماضي وفي الآية ذكرت للمستقبل لأن كلام الله حق ويأخذ معنى التأكيد بأنه سيقع ، وذكر ابن منظور أنها حرف خافض يقع على النكرات وهذا القول لم يتعرض له أحد من المفسرين .

وأما وجوه القراءات في الآية فقد قرأ نافع وعاصم (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالتخفيف وقرأ الباقر بالتشديد ، وقال الكسائي هما لغتان والأصل التشديد لأنك لو صغرت رب لقلت ربيب فرددت إلى أصله . وموضع ما في ربما قيل فيه وجهان أحدهما أن تكون ما نائبه عن اسم منكور في موضع جر بمعنى شيء . والثاني أن تدخل كافه نحو هذه الآية^(٢) .

المعنى العام للنص :

في الآية إخبار عن أن الكفار سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مسلمين وقيل إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة . وقوله (ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) تهديد شديد لهم ووعيد أكيد^(٣) .

وجاء في سنن الترمذي روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قالوا إذا أخرج أهل التوحيد من النار وادخلوا الجنة ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين^(٤)

النص رقم (٣٩)

قال تعالى : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) (١) .

(١) الزركشي : البرهان ، ١٥٩/٤ .

(٢) ابن زنجلة : حجة القراءات ، ٣٨٠/١ .

(٣) انظر ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٧١٩/٢ .

(٤) سنن الترمذي ٢٣/٥ . كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، ٢٣/٥ (٢٦٣٨) . وصححه ابن حبان : ذكر الأخبار بأن من أدخل الجنة بعد أن عذب في النار بذنوبه سمي الجهنميين يدعون رهم فيذهب الله ذلك الاسم عنهم ٤٥٧/١٦ (٧٤٣٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ربح : الربح والربح والرباح : النماء في التجر . وربح في تجارته يربح ربحاً وربحاً ورباحاً أي استشف .

الأزهري : ربح فلان وربحته ، وهذا بيع مربح إذا كان يربح فيه^(٢) .
والعرب تقول : ربحت تجارته إذا ربح صاحبها فيها . وتجارة رابحة : يربح فيها ، وقوله تعالى : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) قال أبو إسحاق : معناه ما ربحوا في تجارتهم ، لأن التجارة لا تربح ، إنما يربح فيها ويوضع فيها^(٣) .
وقال الأزهري : جعل الفعل للتجارة وهي لا تربح وإنما يربح فيها^(٤) .
دراسة النص :

قال أبو جعفر : إنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم لا فيما اشتروا ولا فيما شروا ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عرباً فسلك في خطابه إياهم مسلكهم في خطاب بعضهم بعضاً مثل خاب سعيك ونام ليلك وخسر بيعك فخاطبهم بقوله (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) : أي فما ربحوا في تجارتهم^(٥) .
وقال القرطبي : أسند تعالى الربح إلى التجارة على عادة العرب في قولهم: ربح بيعك وخسرت صفقتك ، والمعنى ربحت وخسرت في بيعك^(٦) .
واتفق البغوي مع القرطبي بقوله : أضاف الربح إلى التجارة لأن الريح يكون فيها كما تقول العرب : ربح بيعك وخسرت صفقتك^(٧) .
وقال البيضاوي : والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء ، والربح : الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا وإسنادة إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث أنها سبب الربح والخسران^(٨) .

(١) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٢) الأزهري : التهذيب ، ٣/١١ .

(٣) الزجاج : معان القرآن ، ٨٨/١ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ١٠٣/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٤٩/١ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٥٥/١ .

(٧) البغوي ، تفسير البغوي ، ٦٨/١ .

وجاء في زاد المسير (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) من مجاز الكلام لأن التجارة لا تربح وإنما يربح فيها . ويستعمل هذا فيما يزول فيه الإشكال ويعلم مقصود قائله^(٢) .

وفي البحر المحيط : الربح هو ما يحصل من الزيادة على رأس المال^(٣) .

وجاء في مفردات القرآن الربح : الزيادة الحاصلة في المبيعة ، ثم يتجاوز به في كل ما يعود من ثمرة عمل وينسب الربح تارةً إلى صاحب السلعة وتارةً إلى السلعة نفسها نحو قوله فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ^(٤) .

وجاء في كتاب خزنة الأدب : (والذي اتفق عليه علماء البديع أن الاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا الباب وليست فوق رتبته في البديع رتبة وأعلاها وأعلاها قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) فإن الاستعارة الأولى وهي لفظ الشراء رشحت الثانية وهي لفظ الربح والتجارة^(٥) .

ذكر المفسرون أن معنى الربح الزيادة في رأس المال وأن التجارة لا تربح وإنما في الكلام مجاز والمعنى إنما يربح فيها ، وهذا ما ذهب إليه ابن منظور .

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/١٨١ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ، ١/٣٨ .

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ، ١/١٩٥ .

(٤) مفردات القرآن ١/٥٢٤ .

(٥) تقي الدين أبي بكر بن عبد الله الحموي الأزاري : خزنة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م (تحقيق عصام شعيتو) ١/١١١ .

المعنى العام للنص :

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم : أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال (أولئك الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى) أي بذلوا الهدى ثمناً للضلالة ولهذا قال تعالى (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) أي ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشدين في صنيعهم ذلك^(١) .

النص رقم (٤٠)

قال تعالى : (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ربص : التربص : الانتظار . ربص بالشئ ربصاً وتربص به : انتظر به خيراً أو شراً . وتربص به الشئ كذلك .
قال الليث : التربص بالشئ أن تنتظر به يوماً ما . والفعل تربصت به .
وفي التنزيل العزيز : (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) أي إلا الظفر وإلا الشهادة ، ونحن نتربص بكم إحدى الشرين : عذاباً من الله تعالى أو قتلاً بأيدينا ، فبين ما ننتظره وتنتظرونه فرق كبير .

وفي الحديث إنما يريد أن يتربص بكم الدوار^(٣) ، التربص المكث والانتظار^(٤) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر : (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) أي هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما ، إما ظفراً بالعدو وفتحاً لنا بغلبتنا لهم ففيها الأجر والغنيمة والسلامة ، وإما قتلاً من عدونا لنا ، ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار ، وكلتاها مما نحب ولا نكره^(٥) .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٨٢/١ .

(٢) تمة الآية : (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ) (التوبة: ٥٢) .

(٣) الحديث : صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣/١٣٩٨ (١٧٧٥) .

(٤) ابن منظور : اللسان ١٠٩/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٦/٣٨٨ .

وقال القرطبي : التربص معناه الانتظار . والحسنى تأنيث الأحسن وواحد الحسينيين حسنى والجمع الحسنى ، ولا يجوز أن ينطق به إلا معرفاً والمراد بالحسينيين الغنيمة والشهادة^(١) .

واتفق ابن كثير مع الطبري والقرطبي في أن المراد (ب تربصون) تنتظرون والحسينيين شهادة أو ظفر بكم^(٢) . ولم يختلف رأي الشوكاني عن رأي سابقه^(٣) . وكذلك قال أبو حيان : ما ينتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين^(٤) . وجاء في مفردات القرآن : التربص : الانتظار بالشئ ، سلعة كانت يقصد بها غلاءً أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله ، يقال تربصت لكذا ولي ربصة بكذا وتربص ومنها قوله تعالى (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ) ^(٥) وهي تربصون بنا إلا إحدى الحسينيين^(٦) .

ذكر ابن منظور أن معنى التربص هو الانتظار والحسينيين الظفر أو الشهادة وهذا ما ذكره المفسرون وبذا تكون موافقة ابن منظور للمفسرين .

المعنى العام للنص :

قل لهم يا محمد هل تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب : النصر والشهادة ، ونحن ننتظر بكم إحدى السوأيين أن يصيبكم الله بقارعة من السماء أو يعذبكم بأيدينا ، وهو القتل على الكفر فانتظروا ما هو عاقبتنا ونحن ننتظر ما هو عاقبتكم^(٧) .

الآية رقم (٤١)

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٤٥/٨ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٧٧/٢ .

(٣) انظر الشوكاني : فتح القدير ، ٥٣٧/٢ .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ، ٥٣/٥ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٢٢٥/١ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٥٠/١ .

قال تعالى : (وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) (١) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : الرباط والمرابطة : ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً ، والرباط : المواظبة على الأمر . وقوله عز وجل (وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) قيل معناه حافظوا ، وقيل : واطبوا على مواقيت الصلاة . وفي الحديث عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط) (٢) . الرباط في الأصل : الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، ورباط الخيل وإعدادها ، فشبه ما ذكر من الأفعال الصالحة به ، قال القيتبي : أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معد لصاحبه فسمي المقام في الثغور رباطاً . ومنه قوله فذلكم الرباط : أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل الله ، فيكون مصدر رابطت أي لازمت . وقيل : هو ههنا اسم لما يربط به الشيء أي يشد ، يعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم . قال الأزهري : أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فذلكم الرباط : قوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) وجاء في تفسيره : اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ورابطوا أي أقيموا على جهاده بالحرب . قال الأزهري : وأصل الرباط من مرابط الخيل (٣) . والعرب تسمي الخيل إذا ربطت بالأفنية وعلقت ربطاً ، واحدها ربيط ، ويجمع

(١) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .

(٢) الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) ثلاثاً رواه مالك . صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، ٢١٩/١ (٤١) .

سنن الترمذي : أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ٧٢/١ (٥١) . سنن النسائي : كتاب الطهارة ، باب الفضل في ذلك ٨٩/١ (١٤٣) .

(٣) الأزهري : التهذيب ، ٣٣٨/٣ .

الربط رباطاً ، وهو جمع الجمع ، قال تعالى : (وَمِنْ رَبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (١) قال الفراء : قال (رباط الخيل) المقصود الإناث من الخيل ، وقال الرباط مرابطة العدو وملازمة الثغر ، والرجل مرابط ، والمرابطات : جماعات الخيول التي رابطت (٢) (٣) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر : (ورابطوا) معناه : وربطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله . قال أبو جعفر : وأرى أن أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتباط عدوهم لهم خيلهم ، ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عن وراءه من أراد به بسوء ويحمي عنهم . وذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط (٤) . واختار القرطبي رأي الجمهور القائل : رابطوا بالخيل أي ارتباطها كما يرتبطها أعداؤكم . وقال : القول الصحيح هو أن الرباط الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً فارساً كان أو راجلاً وذكر رأي الخليل بن أحمد أحد أئمة اللغة وثقاتها قد قال : الرباط ملازمة الثغور ومواظبة الصلاة . كما تحدث القرطبي عن فضل الرباط مستشهداً بالسنة الصحيحة (٥) .

(١) سورة الأنفال الآية ٦ .

(٢) انظر الفراء : معاني القرآن ، ٢٥١/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ١١٢/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٥٦٠/٣ .

(٥) جاء في فضل الرباط أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رباط يوم في سبيل الله خير عند الله من الدنيا وما فيها) صحيح رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، ١٠٥٩/٣ (٢٧٣٥) . وفي صحيح مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان . صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ، ١٥٢٠/٣ (١٩١٣) . وروى أبو داود في سننه عن فضالة بن عبيد (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر) صحيح : رواه أبو داود (١٦٢١) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبو داود (٢١٨٢) . وفي هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت . تفسير القرطبي ٣١٣/٤ . انظر أيضاً أحكام القرآن للحصص ٣٣٥/٢ .

ولم يختلف رأي الإمام البغوي عن رأي الطبري والقرطبي حيث قال :
الربط : الشد وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم وذلك لكل مقيم
في ثغر يدفع عن وراءه^(١) .

وذكر السيوطي في كتابه الدر المنثور الحديث الذي أخرجه الحاكم
وصححه والبيهقي في شعب الإيمان : (تدري في أي شئ نزلت هذه الآية
(اصبروا وصابروا وربطوا) قلت : لا ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : لم يكن
في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرباط فيه ولكن انتظار الصلاة بعد
الصلاة)^(٢) .

وقال الثعالبي : الرباط هو الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل ثم
سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً فارساً كان أو راجلاً واللفظة
مأخوذة من الربط . كما أنه ذكر حديث ابن المبارك القائل معنى الرباط انتظار
الصلاة)^(٣) .

وقال الزمخشري : رباطوا معناه أقيموا في الثغور رباطين خيلكم فيها
مترصدين مستعدين للعدو . قال الله عز وجل : (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) وعن النبي صلى الله عليه وسلم : (من رباط يوماً وليلة في سبيل
الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا يفتل عن صلاته إلا لحاجة)^(٤) .
وقال أبو حيان : أن الرباط هو في الثغور ومن رباط الخيل تنصيب على فضل
رباط الخيل إذا كانت الخيل هي أصل الحروب ، والخير معقود بنواصيها وهي
مراكب الفرسان)^(٥) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ، ١٥٦/١ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ٤١٦/٢ . الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٢٩/٢ (٣١٧٧) . انظر أيضاً :
العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٨٢٢/٢ ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي : العجاب في
بيان الأسباب ، دار ابن الجذري ، الدمام ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، (تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس) .

(٣) الثعالبي : تفسير الثعالبي ٣٤٥/١ .

(٤) الزمخشري : الكشف ، ٥٣٠/١ - والحديث في سنن النسائي : كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط ، ٣٩/٦
(٣١٦٧) . سنن البيهقي الكبرى : كتاب السير ، باب ما يبدأ به من سد أطراف المسلمين بالرجال ، ٣٨/٩ (١٧٦٦٣) .

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ، ٥٠٧/٤ .

وجاء في مفردات القرآن : ربط الفرس : شده بالمكان للحفظ ومنه : رباط الخيل . وسمي المكان الذي يخص بإقامة حفظه فيه رباطاً . والرباط : مصدر ربطت وربطت والمرابطة كالمحافظة وذكر الآيتين قوله تعالى : ((وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)) وقوله (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) وقال المرابطة ضربان : مرابطة في الثغور وهي كمرابطة النفس البدن ، ومرابطة : انتظار الصلاة بعد الصلاة^(١) .

اجتمع رأي ابن منظور والمفسرين على أن الرباط هو ملازمة الثغور وأنها مأخوذة من أصل رباط الخيل . وأيضاً ذكر كل من ابن منظور والمفسرين أن الرباط يأخذ معنى انتظار الصلاة مستدلين بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (فذلكم الرباط) . وأختم بقول ابن عطية^(٢) : الذي ذكره القرطبي : القول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله . أصلها من ربط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً . واللفظ مأخوذ من الربط . وقوله صلى الله عليه وسلم (فذلكم الرباط) إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله والرباط اللغوي هو الأول^(٣) .

المعنى العام للنص :

قال أبو جعفر أولى التأويلات في هذه الآية : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبهما وشديدهما وسهلهما وخفيفهما ، وصابروا أعداءكم من المشركين ، وربطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك بحماية الثغور^(٤) .

(١) مفردات القرآن ٥٢٦/١ .

(٢) ابن عطية هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي ، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير واسع المعرفة له كتاب في التفسير اسمه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وقال جماعة من الفضلاء كتاب ابن عطية أجمع للسنة والسنية وأخلص وأكمل توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة . أحمد بن محمد الأذنوي : طبقات المفسرين ، ١٧٦/١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٤ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٥٦١/٣ .

النص رقم (٤٢)

قال تعالى : (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رباع معدول من أربعة ، قال تعالى : (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) أراد أربعة فعدله ، ولذلك ترك صرفه .

ابن جني : قرأ الأخفش مثنى وثلث وربيع ، على مثال عمر ، أراد ورباع فحذف الألف (٢) . وربيع القوم يربعهم رباعاً صار رابعهم وجعلهم أربعة أو أربعين . وأربعوا صاروا أربعة أو أربعين وفي حديث عمر بن عبسة (٣) : ولقد رأيتني وإني لربيع الإسلام (٤) أي رابع أهل الإسلام تقدمني ثلاثة وكنت رابعهم ، وورد في الحديث : وكنت رابع أربعة أي واحداً من أربعة .

وفي حديث الشعبي في السقط : إذا نكس في الخلق الرابع (٥) أي إذا صار مضغاً في الرحم لأن الله عز وجل قال : (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) (٦) . وفي الحديث فجاءت عيناه بأربعة أي بدموع جرت من نواحي عينيه الأربع (٧) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري وذلك بقول الطبري : وأما قوله : (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) فإنما ترك إجراؤهن لأنهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل

(١) سورة النساء الآية ٣ . تنمة الآية (وَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) وأيضاً سورة فاطر ١/ (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

(٢) ابن جني : الخصائص ، ١٨١/٣ .

(٣) عمر بن عبسة : هو صحابي روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه رملة بنت الوقيعة بن حرام . انظر (الإصابة ٦٥٥/٧) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ، ٦٨/٣ (٤٤١٨) .

(٥) انظر ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٢٧/٣ .

(٦) سورة الحج الآية ٥ .

(٧) ابن منظور : اللسان ١١٣/٥ .

عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك إجراؤه وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ، ومثلث ومربع لا يجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه ومما يدل على أن ذلك كذلك وأن الذكر والأنثى فيه سواء ما قيل في هذه السورة وسورة فاطر : (أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع) (١) يراد به الجناح والجناح ذكر (٢) . وأولي أجنحة المقصود أصحاب أجنحة : يعني ملائكة فمنهم من له اثنان من الأجنحة ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة (٣) .

وكذلك القرطبي قال : (مثنى وثلاث ورباع) موضعها من الإعراب نصب على البدل من ما وهي نكرة لا تتصرف لأنها معدولة (٤) . ووافق الشوكاني القرطبي بقوله : هذه الآية في محل نصب على البدل ، وقيل على الحال . وهذه الألفاظ لا تتصرف للعدل والوصفية (٥) .

وكذلك وافق البغوي ابن منظور بقوله مثنى وثلاث ورباع معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ولذلك لا ينصرفن وزاد : لقوله الواو بمعنى أو للتخيير وهذا إجماع على أن أحداً من الأئمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لا مشاركة معه لأحد من الأمة (٦) . وقال أبو السعود (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة . وقرئ ثلاث ورباع على القصد من ثلاث ورباع (٧) . وكذلك قال أبو حيان : أن مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولا يراد بالمعدول عنه التوكيد ، إنما يراد بذلك تكرار العدد إلى غاية المعدود

(١) سورة فاطر الآية ١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٥٧٣/٢ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٣٩٣/١٠ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٥/٥ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٣١/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ، ١٦٠/١ .

(٧) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٤٢/٢ .

كقوله وتقرؤا بعيداً بعيداً^(١) .

وذكر السيوطي في الإتيان ليس في القرآن من الألفاظ المعدولة إلا ألفاظ

العدد مثنى وثلاث ورباع^(٢) .

فلاحظ اتفاق ابن منظور والمفسرين أن (رباع) معدولة وأن المراد بها

أربعة وأنها غير مصروفة ومنهم من قرأ رباع ربيع .

وفي سبب نزول الآية : قال سعيد بن جبير بعث الله محمداً والناس على

أمر جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عن شئ وكانوا يسألون عن اليتامى

فنزلت هذه الآية فقصرهم على أربع فكما تخافون أن لا تعدلوا في اليتامى فكذلك

خافوا أن لا تعدلوا بين النساء^(٣) .

وعن عائشة في قوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ^{٠٠}) قالت : هي اليتيمة تكون في

حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها يريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن أن

ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، فيكملوا الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من

النساء^(٤) .

وهذه الآية : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) .

قال أبو جعفر هذه الآية على مذهب جماعة من العلماء ناسخة وذلك أن

الناس كانوا في الجاهلية وبرهة من الإسلام يتزوج الرجل ما شاء من الحرائر

فنسخ الله ذلك بالقرآن والسنة والعمل وأنه لا يحل لأحد أن يتزوج فوق أربع ونسخ

ما كانوا عليه^(٥) .

قوله (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) مثنى في موضع نصب بدل من ما ولم ينصرف

لأنه معدول عن اثنين دال على التكرير ولأنه معدول عن مؤنث لأن العدد مؤنث

(١) أبو حيان : البحر المحيط ، ١٥٩/٣ .

(٢) الإتيان للسيوطي ٥٦٨/١ .

(٣) العجاب في بيان الأسباب ٨٢٦/٢ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ١٩٤٩/٥ (٤٧٧٧) .

(٥) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر : الناسخ والمنسوخ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ،

١٤٠٨هـ (تحقيق محمد عبد السلام محمد) ٢٩١/١ .

وقال الفراء لم ينصرف لأنه معدول عن معنى الإضافة وفيه تقدير دخول الألف واللام وجاز صرفه في العدد على أنه نكرة ، وقال الأخفش أن سميت به صرفته في المعرفة والنكرة لأنه قد زال عنه العدل وقيل لم ينصرف لأنه معدول عن لفظه وعن معناه . وقيل امتنع من الصرف لأنه معدول ولأنه صفة وقيل امتنع لأنه معدول ولأنه جمع وقيل امتنع لأنه معدول ولأنه جمع وقيل امتنع لأنه معدول ولأنه عدل على غير أصل العدل لأن الأصل في العدل إنما هو للمعارف وهذا نكرة بعد العدل وثلاث ورباع مثل مثني في جميع علله^(١) .

وذكر أن رباع معدولة عن أربعة وأربعة وأنها مخفوضة لأنها صفة لأجنحة وهي ممنوعة الصرف لأنها معدولة فكان خفضها بالفتحة^(٢) .
المعنى العام للنص :

قال تعالى : وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى وتخرجتم من أمرهم فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نکحتموهن فتزوجوا ما طاب لكم من النساء (مثنى وثلاث ورباع) أي اثنين اثنين وثلاث ثلاث أو أربعاً أربعاً ولا تزيدوا على ذلك . فإن خفتم ألا تعدلوا فيهن بالنفقة والقسم فواحدة انكحوها أو اقتصروا على ما ملكت أيمنكم من الإماء إذ ليس لهم من الحقوق ما للزوجات^(٣) .

وفي هذه الآية قال الخوارج أنه يجوز العقد على تسع نسوة أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم . والرد عليهم بأن الزيادة على الأربع من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم وبأن حرف الواو في الآية بمعنى (أو) التي للتخيير ، وبما روي أن رجلاً أسلم وتحتة عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يمسك أربعاً ويفارق الباقي^(٤) .

(١) انظر : مكّي بن أبي طالب العنسي أبو محمد : مشكل إعراب القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ (تحقيق د. حاتم صالح الضامن) ١٨٩/١ .

(٢) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، تحقيق عبد الغني الدحر ، ٥٨٩/١ .

(٣) انظر تفسير الجلالين ٩٧/١ .

(٤) عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة ، ٤٧/٥ .

النص رقم (٤٣)

قال تعالى : (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ربا : ربا الشيء يربوا ربوا ورباء : زاد ونما . وأربيته : نميته . وفي التنزيل العزيز : (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) ومنه أخذ الربا الحرام ، قال الله تعالى : (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ) (٢) . قال أبو إسحاق : يعني به دفع الإنسان الشيء لتعوض ما هو أكثر منه ، وذلك في أكثر التفسير ليس بحرام ، ولكن لا ثواب لمن زاد على ما أخذ (٣) قال : والربا ربوان : فالحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجر به منفعة فحرام ، والذي ليس بحرام أن يهبه الإنسان يستدعي به ما هو أكثر أو يهدي الهدية ليهدي له ما هو أكثر منها، قال الفراء : قرئ هذا الحرف ليربوا بالياء ونصب الواو قرأها عاصم والأعمش (٤) ، وقرأها أهل الحجاز لتربو بالتاء مرفوعة قال : وكل صواب (٥) .

دراسة النص :

قال أبو جعفر : (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) فإنه جل ثناؤه يعني أنه يضاعف أجرها ويربها وينميها له ، وإرباء الصدقات إضعاف أجرها لربها كما قال جل ثناؤه : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ) (٦) . وكما قال : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (٧) .

(١) تنمة الآية : (يَمَحِقُ اللَّهُ الرَّبَّا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة: ٢٧٦) .

(٢) سورة الروم آية ٣٩ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن ، ١٤٢/٤ .

(٤) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأعمش ، أبو محمد الأسدي الكوفي ، تابعي ، مفسر ، مقارئ ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبر ، ومجاهد وقرأ القرآن، وعرضه على أبي العالية الرياحي ، ولد سنة ٦٠هـ ، توفى سنة ١٤٨هـ .

انظر ابن تيمار الذهبي : معرفة القراء الكبار ، ٩٤/١ .

(٥) ابن منظور : اللسان ١٢٦/٥ . والقراء : معاني القرآن ،

(٦) البقرة / ٢٦١ .

(٧) الطبري : جامع البيان ١٠٥/٣ والآية من سورة البقرة ٢٤٥ .

وقال القرطبي : (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) أي ينميها في الدنيا بالبركة ويكثر ثوابها بالتضعيف في الآخرة . وقال صلى الله عليه وسلم : (إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيلة حتى يجيء يوم القيامة وإن اللقمة لعلى قدر أحد) (١) .

وقال ابن كثير : (يربي) قرئ بضم الياء والتخفيف من ربا الشيء يربو وأرباه يربيه أي كثره ونماه ينميه وقرئ يربي بالضم والتشديد من التربية (٢) .
وقال الشوكاني : يزيد في المال الذي أخرجت صدقته ، وقيل يبارك في ثواب الصدقة ويضاعفه ، ويزيد في أجر المتصدق ، ولا مانع من حمل ذلك على الأمرين معاً (٣) .

وفي تفسير أبي السعود : يربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويرببها كما يربي أحدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط (٤) .

وقال النسفي: ينميها ويزيدها أي يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه (٥) .
إذاً نلاحظ اتفاق ابن منظور والمفسرين في أن (يربي) معناه الزيادة والنماء . كما أن ابن منظور تحدث عن الربا الحرام واتفق معه المفسرون في أنه الربا الذي يجز منفعة . قال الطبري : الإرباء الزيادة على الشيء يقال منه : أربى فلان على فلان إذا زاد عليه يربي إرباء والزيادة هي الربا ، وربا الشيء إذا زاد على ما

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٨/٨ ، وانظر سنن الترمذي ٥٠/٣ (٦٦٢) وسنن أحمد بن حنبل ٤٧١/٢ (١٠٠٩٠) . وجاء فيه زيادة في كتاب الدار قطني : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما تصدق امرؤ بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا وضعها حين يضعها في كف الرحمن تبارك وتعالى وإن الله ليربي لأحدكم التمرة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل أحد . علي بن عمر الدار قطني : الصفات ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ (تحقيق عبد الله الغنيمان) ٣٩/١ .

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٤٣٩/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٧/١ .

(٤) أبي السعود : تفسير أبي السعود ٢٦٧/١ . والحديث (ما نقص مال عبد من صدقة) مسند أحمد بن حنبل ٢٣١/٤ (١٨٠٦٠) والترمذي : كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، ٥٦٢/٤ (٢٣٢٥) .

(٥) النسفي : تفسير النسفي ١٣٤/١ .

كان عليه فعظم فهو يربو ربواً^(١) .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْرَبَا رِبْوَانِ رَبَا لَا بَأْسَ بِهِ وَرَبَا لَا يَصْلَحُ ، فأما الربا الذي لا بأس به فهدية الرجل إلى الرجل يريد فضلها وأضعافها .

وأخرج البيهقي عنه قال : هذا هو الربا الحلال أن يهدي يريد أكثر منه ليس له أجر ولا وزر . والحرام في النسيئة^(٢) .

وقال الشوكاني : الربا في اللغة : الزيادة مطلقاً يقال ربا الشيء يربو : إذا زاد ، وفي الشرع يطلق على شيئين على ربا الفضل وriba النسيئة حسبما هو مفصل في كتب الفروع وغالب ما كانت تفعله الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين قال من هو له لمن هو عليه : أتقضي أم تربي ؟ فإذا لم يقض زاد مقدراً في المال الذي عنده وأخر له الأجل إلى حين وهذا حرام بالاتفاق^(٣) .

وقال البغوي : وأعلم أ، الربا في اللغة الزيادة ، قال تعالى : (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) أي ليكثر (فلا يربوا عند الله) ، وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص ، بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء عيناً بعيناً يداً بيد ولكن يبيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر ، والتمر بالملح والملح بالتمر يداً بيد كيف شئتم^(٤) .

(١) الطبري ، جامع البيان ، ١٠١/٣ .

(٢) ، الشوكاني : فتح القدير ٣٤٦/٤ . انظر أيضاً النحاس : معاني القرآن ٢٦٤/٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢١٨/٥ . انظر سنن البيهقي الكبرى : كتاب النكاح ، باب ما نهى الله عز وجل عنه بقوله ولا تمنن تستكثر ، ٥١/٧ (١٣١١١) .

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤٤٥/١ .

(٤) انظر : البغوي : تفسير البغوي ، ٣٤٠/١ . الحديث : عن فضالة بن عبيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نباع اليهود الأوقية من الذهب بالدينار ، قال غير قتيبة بالدينارين والثلاثة ثم اتفقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا وزناً بوزن) . انظر سنن أبي داود : كتاب البيوع ، باب في حلية السيف تباع بالدرهم ، ٢٦٩/٢ (٣٣٥٣) .

وأيضاً قال أبو حيان : الربا : الزيادة يقال ربا يربو وأرباه غيره وأربى الرجل عامل بالربا ومنه الربوة والرابي ، ويثنى ربوان^(١) .
وقد وردت الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم الربا ، فعن ابن مسعود قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه^(٢) .

وأيضاً في قصة الإسراء والمعراج عنه صلى الله عليه وسلم : (ثم نظرت فإذا أنا بقوم لهم بطون كأنها البيوت وهم على سابلة آل فرعون فإذا مر بهم آل فرعون ثاروا فيميل بأحدهم بطنه فيقع فيطوهم آل فرعون بأرجلهم وهم يعرضون على النار غدواً وعشيا فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم آكلة الربا في بطونهم ، فمثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس)^(٣) .

المعنى العام للنص :

المحق هو النقصان ومنه المحاق لآخر الشهر إذا أمحق الهلال ، وقوله تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ) أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم : (يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ) أي لا يقبل منه صدقة ولا جهاد ولا حجاً ولا صلة .

و(وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) بتحريم الربا (أثيم) فاجر يأكل الربا^(٤) .

النص رقم (٤٤)

قال تعالى : (اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ربا السويق ونحوه ربواً : صب عليه الماء فانفخ .

(١) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٤٥/٢ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساقاة ، باب لعن آكل الربا ومؤكله ، ١٢١٨/٣ (١٥٩٧) .

(٣) صحيح البخاري ٧٣٥/٢ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٦٥/٦ . وتفسير البغوي ٣٤٤/١ .

(٥) تسمية الآية : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(فصلت:٣٩) .

وقوله عز وجل في صفة الأرض (اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ) قيل معناه عظمت وانتفخت ،
وقرى وربأت ، فمن قرأ وربت فهو معناه ربا يربو إذا زاد على أي الجهات زاد ،
ومن قرأ ربأت بالهمز فمعناه ارتفعت (١) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري حيث قال الإمام الطبري : عني بقوله (رابيا)
عالياً منتفخاً من قولهم ربا الشيء : يربو ربواً فهو راب . ومنه قوله تعالى (اهْتَرَّتْ
وَرَبَّتْ) أي اهتزت الأرض بالنبات وربت انتفخت (٢) .

وكذلك الإمام القرطبي قال : هي صفة للأرض لا للنبات (٣) . أما ابن كثير
وابن منظور فقد اختلفا في معنى وربت ، حيث قال ابن كثير : أي أخرجت من
جميع ألوان الزروع والثمار (٤) .

وباقى المفسرين وافقوا ابن منظور حيث قال الشوكاني : المعنى تحركت
الأرض بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة
حقيقية فسماه اهتزازاً مجازاً . ومعنى (وربت) ارتفعت وقيل انتفخت والمعنى
واحد . وقرأ البعض وربأت أي ارتفعت (٥) . وكذلك قول كل من أبي السعود
والبيضاوي والألوسي والزمخشري (٦) .

فجميعهم وافقوا ابن منظور بقولهم ربت انتفخت، وبالقول أنها تقرأ (ربت)
فيكون معناه الزيادة وربأت بمعنى ارتفعت وخالفهم ابن كثير بقوله (ربت) أخرجت
الثمار .

وفي صحيح ابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنزة سعد بن

(١) ابن منظور : اللسان ١٢٧/٥ . انظر هذه القراءات في الطبري ، جامع البيان ، ١١٢/٩ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ١١٣/١١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩/١٢ .

(٤) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ١٢٩/٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٢٤/٣ .

(٦) انظر تفسير أبي السعود ١٥/٨ ، وتفسير البيضاوي ١١٦/١ ، وتفسير روح المعاني للألوسي ١٢٦/٢٤ ، والكشاف للزمخشري ٧٩٦/١

معاذ^(١) بين أيديهم : اهتز لها عرش الرحمن . قال أبو حاتم : قوله اهتز لها عرش الرحمن : يريد به استبشر وارتاح كقول الله جل وعلا (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ) يريد ارتاحت واخضرت^(٢) .

وهذه الآية من الأمثال التي تضرب في أعمال البر في الجسد فمثل أعمال البر في الجسد مثل أيام الربيع إذا هاج الحر من تحت الأرض ، وذهب البرد من الجو ، فإذا غشى الحر بذور الأرض ، وشروق الأشجار ، انفطرت الأرض واهتزت وربت واخضرت الزروع فكانت شفاء للأجسام وصلاحاً^(٣) .

المعنى العام للنص :

قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) الخطاب هنا لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخاشعة : اليابسة الجذبة وقيل الغبراء التي لا تنبت . قال الأزهري : إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ) أي ماء المطر ومعنى اهتزت تحركت بالنبات ، وربت انتفخت . (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى) بالبعث والنشور لا يعجزه شيء كائنًا ما كان^(٤) .

النص رقم (٤٥)

قال تعالى : (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : أي أخذة تزيد على الأخذات ، قال الجوهري أي زائدة

(١) سعد بن معاذ صحابي جليل من أفضل الناس إسلاماً أمه كبشه بنت رافع . انظر الاستيعاب ٦١٧/١ ، أسد الغابة ١٦٣/١ . أيضاً قال عنه صلى الله عليه وسلم لما أهداه كسرى ثوب ديباج أعجب أصحابه فقالوا نزل عليك من السماء فقال وما تعجبون من ذا مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا . انظر (الإصابة ٥٠٨/٤) .

(٢) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التيمي البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م تحقيق شعيب الأرنؤوط ٥٠١/١٥ . وقال حديث صحيح .

(٣) أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي : الأمثال من الكتب والسنة ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، تحقيق د. السيد الجميلي ، ٣٠٧/١ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٣٧/٤ .

(٥) تنمة الآية : (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) (الحاقة: ١٠) .

كقولك أربيت فلان إذا أخذت أكثر مما أعطيت^(١) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري بقول الطبري : يعني أخذة زائدة شديدة نامية من

قولهم أربيت : إذا أكثر مما أعطى من الربا^(٢) .

وكذلك القرطبي قال : أي عالية زائدة على الأخذات وعلى عذاب الأمم^(٣) .

وقال ابن كثير : أي عظيمة شديدة أليمة ، مهلكة^(٤) . وقال الشوكاني :

زائدة على أخذات الأمم^(٥) .

وقال أبو حيان : أي شديدة ، تزيد عن الأخذات^(٦)

وروى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري^(٧) قال : ما أهلك الله قوماً بعذاب

من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير أهل

القرية الذين مسخوا قردة بعد موسى ثم قرأ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا

أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) ^(٨) .

إذا المقصود ب(رابية) زائدة كما قال ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

قوله تعالى (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) يعني قوم لوط وموسى (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)

نامية قال ابن عباس رضي الله عنهما شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم . وذلك

لأنهم كذبوا رسل الله^(٩) .

(١) ابن منظور اللسان ١٢٧/٥ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ٢١١/١٢ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٢/٨ .

(٤) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٥٣٠/٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٩٣/٥ .

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ، ٢٧/٥ .

(٧) صحابي جليل روى كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم . انظر الإكمال لابن ماكولا ٢٩٦/٣ .

(٨) انظر ابن كثير : التفسير العظيم ٥١٨/٣ والآية من سورة القصص الآية ٤٣ .

(٩) انظر البغوي : تفسير البغوي ٢٠٨/١ .

النص رقم (٤٦)

قال تعالى : (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الربو والربوة والربوة : كل ما ارتفع من الأرض وربما . وفي الحديث : (الفردوس ربوة الجنة) (٢) أي أرفعها . وفي التنزيل : (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) والاختيار من اللغات ربوة لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم (٣) وجمع الربوة ربي وربى (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : الربوة من الأرض ما نشز منها فارتمع عن السيل - واتفق ابن منظور والطبري في أن في (ربوة) ثلاث لغات ربوة وربوة وربوة والفتح لغة تميم . وأنه ينكر القراءة بكسر الراء ويقول القراءة بالضم عندي أولى لأنها أشهر القراءتين (٥) .

وقال القرطبي : الربوة : المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً معه في الأغلب

كثافة تراب ، وما كان كذلك فنباته أحسن ولذلك خص الربوة بالذكر (٦) .

(١) تنمة الآية (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٦٥) .

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن الربيع بنت النضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنها الحارث بن سراقه أصيب يوم بدر أصابه سهم غرب فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اخبرني عن حارثة لئن كان أصاب خيراً احتسبت وصبرت وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة إنما جنة في جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها . سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة المؤمنون ، ٣٢٧/٥ (٣١٧٤) . سنن أحمد بن حنبل ٢٦٠/٣ (١٣٧٦٧) .

(٣) وفي الربوة ثلاث لغات وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراءة وهي ربوة بضم الراء وبها قرأ عامة قراءة أهل المدينة والحجاز والعراق وربوة بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة ويقال أنها لغة تميم وربوة بكسر الراء وبها قرأ ابن عباس . انظر الطبري : جامع البيان ٩٦/٣ .

(٤) ابن منظور : اللسان ١٢٧/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٦٩/٣ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٩٨/٣ .

وقال ابن كثير : (ربوة) عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض^(١) .

وقال الشوكاني : (الربوة) المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً^(٢) .

وقال أبو السعود : الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئت بها المكان

المرتفع^(٣) .

اتفق جميع المفسرين وابن منظور في أن الربوة هي المكان المرتفع من

الأرض ، وأنها قرئت بثلاث لغات ورجحوا قراءة (ربوة) لأنها أشهر القراءات .

والآية (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) قرأ ابن عامر وعاصم بربوة بفتح الراء وهي لغة بني

تميم وقرأ الباقر بربوة بضم الراء وهي لغة قريش^(٤) .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ..) المال

شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها

كلها وفيها حكمة على أن الإنفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال^(٥) .

وقال الطبري في الآية وعد للذين ينفقون أموالهم في طاعة الله بأن يكون

أجرهم (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) والجنة هي البستان والربوة ما ارتفع من الأرض

وصفها بذلك لأن ما ارتفع عن المسائل والأودية أغلظ وجنان ما أغلظ من الأرض

أزكى ثمراً وغرساً وزرعاً^(٦) .

النص رقم (٤٧)

قال تعالى : (أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدَاً يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ)^(٧) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : الرتع : الأكل والشرب رغداً في الريف . رتع يرتع رتعاً

(١) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٤٢٦/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٣١/١ .

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٢٩٥/١ .

(٤) ابن زنجلة : حجة القراءات ١٤٦/١ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٥٦٧/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٦٩/٣ .

(٧) سورة يوسف الآية ١٢ .

ورثوعاً ورتاعاً : والاسم الرتعة والرتعة ، يقال : خرجنا نرتع ونلعب أي ننعيم ونلهو ، وقوم مرتعون إذا كانوا مخاصيب ، وقال ابن الإعرابي : الرتع : الأكل بشره . وفي الحديث : (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)^(١) ، أراد برياض الجنة ذكر الله ، وشبه الخوض فيه بالرتع في الخصب . وقال الله تعالى مخبراً عن إخوة يوسف : (أرسله مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) أي يلهو وينعم وقيل معناه يسعى وينبسط وقيل معنى يرتع : يأكل^(٢) .

دراسة النص :

تحدث الطبري عن القراءات المختلفة التي وردت في يرتع ، فقال بعضهم قرأها بكسر العين وبعضهم قرأها بالنون بدل الياء . ورجح الطبري القراءة بالياء (يرتع) مع جزم العين لأنهم سألوا أباهم إرسال يوسف معهم بالخبر عن مسألتهم إياه ، ذلك عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك لا بالخبر عن أنفسهم^(٣) .

وأيضاً ذكر القرطبي القراءات المختلفة لكلمة (يرتع) وقال هي عند العرب رتع الإنسان والبعير إذا أكلا كيف شاءا ، والمعنى نتسع في الخصب وكل مخصب راتع^(٤) .

وقال ابن كثير : يسعى وينشط^(٥) وقال الشوكاني : نسعى وننشط ونلهو^(٦) .

وقال السيوطي : نسعى وننشط ونلهو^(٧) .

ذكر المفسرون أن معنى الرتع الأكل ، وبعضهم قال اللهو ، وبعضهم قال نسعى وبعضهم قال ننعيم ، وهذا مجموع ما ذكره ابن منظور في جمعه المعاني

(١) الحديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر . سنن الترمذي ٥٣٢/٥ (٣٥٠٩) .

(٢) ابن منظور : اللسان ١٣١/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٥٥/٧ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٢١/٩ .

(٥) ابن كثير التفسير العظيم ، ٦١٨/٢ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ١٦/٣ .

(٧) السيوطي : الدر المنثور ٥١١/٤ .

المختلفة لمعنى الرتع في هذه الآية . وزادوا عليه بإيرادهم القراءات المختلفة بتفصيل وقد ذكرها مجملة .

وفي وجوه القراءات : ووجوه القراءات التي ذكرها القرطبي هي : نرتع ونلعب بالنون وإسكان العين قراءة أهل البصرة والمعروف من قراءة أهل مكة (نرتع) بالنون وكسر العين وقراءة أهل الكوفة (يرتع ويلعب) بالياء وإسكان العين وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين(١) .

المعنى العام للنص :

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (لما تَوَاطَوْا عَلَى أَخْذِهِ وَطَرَحَهُ فِي الْبُئْرِ كَمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِمْ أَخُوهُمْ الْكَبِيرُ ، جَاءُوا أَبَاهُمْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا : مَا بَالُكَ (لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له . (أَرْسِلْهُ مَعَنَا) أي أبعثه معنا (غَدًا) (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) أي يسعى وينشط ويلهو وينعم . (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) أي : نحن نحوطه ونحفظه من أهلك(٢) .

النص رقم (٤٨)

قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا)(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرتق : ضد الفتق . ابن سيده : الرتق إلحام الفتق وإصلاحه(٤) ، رتقه يرتقه ويرتقه رتقاً فارتق أي التأم . وفي التنزيل : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) قال بعض المفسرين : كانت السموات رتقاً لا ينزل منها رجع ، وكانت الأرض رتقاً ليس فيها صدع ففتقهما الله تعالى بالماء والنبات رزقاً للعباد . قال الفراء : فتقت السماء بالفطر

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٢١/٩ .

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٣٣٨/٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٠ تنمة الآية (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) .

(٤) ابن سيده : المحكم ٢٠٢/٦ .

والأرض بالنبت^(١) . وقال رتقاً ولم يقل رتقين لأنه أخذ من الفعل ، وقال الزجاج : قيل رتقاً لأن الرتق مصدر ، المعنى كانتا ذواتي رتق فجعلتا ذواتي فتق^(٢) . وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الليل : هل كان قبل النهار ؟ فتلا هذه الآية وقال : الرتق الظلمة^(٣) . وقال خلق الله الليل قبل النهار وقرأ : كانتا رتقاً ففتقناهما ، قال هل كان إلا ظلة أو ظلمة^(٤) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري وذلك بقول الطبري معنى الرتق الملتحم ، رتقاً : أي ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين ، يقال منه رتق فلان الفتق إذا شده فهو يرتقه رتقاً ورتوقاً .

ومعنى أن السموات والأرض كانتا رتقاً أي من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات ، وذلك لدلالة قوله (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)^(٥) .

وكذلك وافق ابن منظور القرطبي حيث قال القرطبي : رتقاً ولم يقل رتقين لأنه مصدر ، والمعنى كانت ذواتي رتق والرتق : السد ضد الفتق وقد رتقت الفتق ارتقه فارتتق أي التأم . وزاد قول ابن عباس والحسين وعطاء^(٦) والضحاك وقتادة: أن السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء^(٧) .

(١) الفراء : معاني القرآن ٢٠١/٢ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٣ .

(٣) انظر الطبري جامع البيان ١٩/٩ . عكرمة مولى ابن عباس ، كان عبداً لعبد الله بن عباس رضي الله عنه فورثه ابنه علي بن عبد الله فباعه من خالد بن يزيد بأربعة آلاف دينار فأتي عكرمة علياً فقال ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله خالد واعتقه وكان يكنى أبا عبد الله عالماً بالقرآن ومعانيه وتوفي سنة خمس ومائة . (طبقات المفسرين - الأذنوي ١٢/١) .

(٤) ابن منظور : اللسان ١٣٢/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ١٩/٩ .

(٦) عطاء بن أبي رباح بن أسلم ، من مولدي الجد نشأة بمكة وعلم الكتابة بها وكان مولى لبني فهر يكنى بأبي محمد وكان أسود وأعور وأفطس وكان عالماً بالقرآن ومعانيه وهو ابن ثمانين . (طبقات المفسرين - الأذنوي ١٤/١) .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١١ .

وقال ابن كثير (كانتا رتقا) أي كان الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصقاً متراماً بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء ، فأمرت السماء وأنبتت الأرض ولهذا قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) (١) .
وذكر الشوكاني قول ابن عباس : فتقت السماء بالغيث والأرض بالنبات ،
وأيضاً قوله (كانتا ملتصقتين) (٢) .

وذكر السيوطي (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا) قال فهل تعلمون كان بينهما إلا ظلمة (٣) .
وقال أبو السعود الرتق الضم والالتحام ، وأما بالنسبة للسموات والأرض
فاختار القول بأنهما كانت شيئاً واحداً ملتزمتين ففصل الله بينهما ورفع السموات
إلى حيث هي وأقر الأرض (٤) .

ذكر جميع المفسرين ما ذكره ابن منظور أن الرتق ضد الفتق وأن معناه
الالتحام وأن المقصود برتق السموات والأرض أن السموات فتقت بالمطر
والأرض بالنبات . ولم يذكر أنها الظلمة بين السموات والأرض إلا السيوطي .
وعن ابن عباس في قوله تعالى : (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا) قال : فتقت السماء بالغيث
وفتقت الأرض بالنبات (٥) .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره
لجميع المخلوقات فقال (أَوَلَمْ يَرَ) أي الجاحدون لإلوهيته العابدون معه غيره ألم
يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير ، فكيف يليق أن يعبد معه غيره
أو يشرك به ما سواه ؟ أولم يروا أن السموات والأرض (كَانَتَا رَتْقًا) أي كان
الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصقاً متراماً بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٣٨/٣ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٨١/٣ .

(٣) السيوطي : الدر المنثور ، ٦٢٦/٥ .

(٤) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٦٤/٦ .

(٥) ذكره الحاكم في المستدرک ٤١٤/٢ (٣٤٤٣) وقال حديث صحيح .

(فَفَقَّنَاهُمَا) ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعاً ، والأرض سبعاً ، وفصل بين السموات والأرض بالهواء فأمرت السماء ، وأنبئت الأرض ، ولهذا قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلا يُؤْمِنُونَ) أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على كل شيء^(١) .
ويحتمل أن يراد بالرتق معان غير مشاهدة ولكنها مما ينبغي طلب العلم به لما فيه من الدلائل على عظم القدرة وعلى الوجدانية .

النص رقم (٤٩)

قال تعالى : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرتل حسن تناسق الشيء . وكلام رتل ورتل أي مرتل حسن على تودة . ورتل الكلام : أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه . والترتيل في القراءة : الرسل فيها والتبيين من غير بغي وفي التنزيل العزيز : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) ، قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين ، أراد في قراءة القرآن ، وقال مجاهد : الترتيل : الرسل ، قال : ورتلته ترتيلاً بعضه على أثر بعض^(٣) . قال أبو منصور : ذهب به إلى قولهم ثغر رتل إذا كان حسن التتصيد ، وقال ابن عباس في قوله عز وجل : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : بينه تبييناً^(٤) ، وقال أبو إسحاق : والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة وإنما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف ويوفيهما حقها من الإشباع^(٥) . وقال الضحاك : أنبذه حرفاً حرفاً^(٦) .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٣٨/٣ .

(٢) المزمل / ٤ .

(٣) انظر الطبري : جامع البيان ٢٧٨/١٢ .

(٤) انظر الطبري : جامع البيان ٢٧٨/١٢ .

(٥) انظر الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٨٦/٥ .

(٦) قال عطاء : الترتيل النبذ والطرح وقال الضحاك أقرأه حرفاً حرفاً انظر : القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٦/١٩

وفي صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتل آية آية^(١) ، ترتيل القراءة : التآني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل ، وهو المشبه بنور الأقحوان^(٢) ، يقال رتل القراءة وترتل فيها ، وقوله عز وجل : (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)^(٣) أي أنزلناه على الترتيل ، وهو ضد العجلة والتمكث فيه ، هذا قول الزجاج . وترتل في الكلام : ترسل وهو يترتل في كلامه ويترسل والرتل والرتل : الطيب من كل شيء^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) أي بين القرآن إذا قرأته تبيناً وترسل فيه ترسلاً ، وذكر قول مجاهد (بعضه على أثر بعض)^(٥) .

وقال القرطبي : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) أي لا تعجل بقراءة القرآن بل أقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني . وأورد قول الضحاك : أقرأه حرفاً حرفاً . وقول مجاهد : أحب الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه ، والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام . ومنه ثغر رتل . ورتل بكسر العين وفتحها . وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويبكي فقال : ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) هذا الترتيل^(٦) . وقال القرطبي : الترتيل في

(١) عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : (كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) . مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٢/٦ (٢٦٦٢٥) .

(٢) الأقحوان : هو البابونج ويقال هو القراص . انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٧٨ .

وقال الشاعر : إذ هي تسي الناظرين وتجلو واضحاً كالأقحوان رتل

والرتل : هو المستوى البنية والبيت لعريب . انظر أبي الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ (تحقيق سمير جابر) ، ١٤٦/٢ .

(٣) الفرقان / ٣٢ . تنمة الآية : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)

(٤) ابن منظور : اللسان ، ١٣٣/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٢٨٧/١٢ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٦/١٩ .

القراءة هو التأنى فيها والتمهل وتبين الحروف والحركات ، تشبيهاً بالثغر الرتل وهو المشبه بنور الأبقوان وهو المطلوب في قراءة القرآن (١) .

وقال ابن كثير : أي أقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن

وتدبره مثلما كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقال الشوكاني : أي أقرأه على تمهل مع تدبر وذكر ، وذكر قول الضحاك

أقرأه حرفاً حرفاً وقول الزجاج : هو أن يبين جميع الحروف ، ويوفي حقها من الإشباع وأصل الترتيل التتزيد والتنسيق وحسن النظام ، وتأكيد الفعل بالمصدر يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ، ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة (٣) .

وذكر البغوي أقوال بعض المفسرين مثل ابن عباس : بينه بياناً وقال

الحسن : أقرأه قراءة بينه وقال مجاهد : ترسل فيه ترسلاً وقال قتادة : تثبت فيه تثبتاً وعن ابن عباس أيضاً : أقرأه على هنيئ ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً (٤) .

وجاء في مفردات القرآن : الرتل : اتساق الشئ وانتظامه على استقامة

يقال: رجل رتل الأسنان . والترتيل : إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة (٥) .

وقال الإمام الزركشي : فسر بعضهم قوله (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) أي أقرأه

على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير ، وجاء النكير على من قرأه معكوساً ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزم إلا على هذا الترتيب ، ولو نزل القرآن جملةً واحدةً كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب . وإنما تفرقت سوره وآياته نزولاً لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكن ليجتمعاً نزولاً وأبلغ الحكم في تفرقه ما قاله سبحانه (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) (٦) وهذا أصل بني عليه مسائل كثيرة (٧) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩/١ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٥٨/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٣/٥ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٤٩/١ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٣٠/١ .

(٦) سورة الإسراء آية ١٠٦ .

وفي قوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)) ، وقال الطبري : يقول تعالى ذكره ، وقال الذين كفروا بالله هلا نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة ؟ قال تعالى : (كذلك لنثبت به فؤادك) . تنزيله عليك الآية بعد الآية والشيء بعد الشيء لنثبت به فؤادك (٢) .

وكذلك قال القرطبي في هذه الآية (ورتلناه ترتيلاً) أي ورسناه ترسيلاً (٣) . وقال ابن كثير : كانت الكتب المتقدمة تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجماً مفزلاً مفصلاً آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا دليل عناية بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (٤) . وأضاف قائلاً : نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر على هذه السماء الدنيا جملة واحدة ، وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله تعالى : (وقال الذين كفروا .. إلى قوله تعالى ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) (٥) . وقال الشوكاني : رسناه ترسيلاً لنشدد به فؤادك ونربط على قلبك (٦) .

إذاً من السرد السابق لأقوال العلماء نجدهم قد قالوا في معنى الترتيل : هو التتاسق وهو القراءة بتمهل وهو التبيين والترسل حتى تعطي جميع الحروف في الآية حقها من الإشباع وهذا جملة ما ذكره ابن منظور وبذلك تم اتفاق الجميع في معنى الترتيل .

ومن الفوائد التي تجيء من الترتيل ما ذكرته السنة الشريفة ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقال لقارئ القرآن : اقرأ وأرق ورتل

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٢٥٩/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٣٨٦/٩ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠/١٣ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤١١/٣ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٩٢/١ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ١٠٧/٤ .

كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها^(١) . ومن الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ما جاء في الحديث (زينوا القرآن بأصواتكم)^(٢) و (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^(٣) (ولقد أوتي هذا زميراً من مزامير آل داود) يعني أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً^(٤) . وعن ابن مسعود أنه قال : لا تتشروه نشر الدقل ولا تهزوه هز الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة^(٥) .

وعن ابن عباس (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة نسختها هذه الآية : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) إلى آخرها .

المعنى العام للنص :

جاء في شرح (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) زد على النصف إلى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل فكأنه قال : ثم قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون أنفسهم بالقيام بهذه المقادير وشق ذلك عليهم لأنهم ما كان يمكنهم أن يحفظوا هذه المقادير وكانوا يقومون الليل كله حتى انتفخت أقدامهم ثم خفف الله عنهم بآخر هذه السورة وهو قوله (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ) الآية ثم نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس وكان هذا في صدر

(١) سنن أبي داود : باب استحباب الترتيل في القراءة ٤٦٣/١ (١٤٦٤) . سنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ١٨ ، ١٧٧/٥ (٢٩١٤) . سنن أحمد بن حنبل ، ١٩٢/٢ (٦٧٩٩) .

(٢) سبق تخريجه

(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ، ٢٧٣٧/٦ (٧٠٨٩) .

(٤) سنن البيهقي : باب من حبر بها إذا كان من حوله لا يتأذى بقراءته ١٢/٣ (٤٤٨٤) . كتاب الشهادات : باب تحسين الصوت بالقرآن والذكر ، ٢٣/١٠ (٢٠٨٤٣) .

(٥) البيهقي : شعب الإيمان ، (فضل في احضار القارئ قلبه ما يقرأه والتفكير فيه) ، ٣٦٠/٢ ، (٢٠٤١) .

الإسلام . وقوله (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) تبينه تبييناً بعضه على أثر بعض في تودة^(١) .

النص رقم (٥٠)

قال تعالى : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجأ : أرجأ الأمر ، أخره ، وترك الهمز لغة ابن السكيت^(٣) : أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته^(٤) . وقرئ : أرجه وأرجئه وقوله تعالى : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال الزجاج : هذا ما خص الله تعالى به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، فكان له يؤخر من يشاء من نسائه ، وليس ذلك لغيره من أمته ، وله أن يرد من أخر إلى فراشه^(٥) . وقرئ ترجي بغير همز ، والهمز أجود قال : وأرى ترجئ محققاً من ترجء لمكان تؤوي . وقرئ : (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) (٦) أي مؤخرون لأمر الله حتى ينزل الله

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس : الناسخ والمنسوخ ، ٧٥٣/١ .

(٢) الأحزاب / ٥١ . تنمة الآية : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا) .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن إسحاق ابن السكيت اللغوي انظر : (الوافي في الوفيات ٢٠٩٣/١) .

(٤) ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت : إصلاح المنطق ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م (تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون) ، ص ١٤٦ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٧٦/٤ .

(٦) التوبة / ١٠٦ . تنمة الآية (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

فيهم ما يريد . وفي حديث توبة كعب بن مالك^(١) : وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أي أخره^(٢). والإرجاء: التأخير مهموز، ومنه سميت المرجئة^(٣) (٤) دراسة النص :

قال القرطبي : (ترجي) قرئ مهموزاً وغير مهموز وهي لغتان يقال أرجيت الأمر وأرجأته إذا أخرته^(٥) .

وقال أبو السعود : (ترجي) أي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء ، وتضم إليك من تشاء منهن وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمز والمعنى واحد^(٦) .

وقال الألويسي : أي تؤخر من تشاء من نسائك وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك من تشاء منهن وتضاجعها ، هذا عن قتادة وعن ابن عباس والحسن أي تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء^(٧) .

وقال صاحب الكشاف : روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهراً ، ونزل تؤخر وتؤوي : يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن ، وتضاجع من تشاء أو تطلق من

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب يكنى أبا عبد الله ، شهد العقبة الثانية ، واختلف في شهوده بدرأ ، كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون الأذى عنه وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر وعرف به ثم أسلم وشهد العقبة تخلف عن غزوة تبوك ، وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) التوبة / ١١٩ . توفي في زمن معاوية سنة خمسين . الاستيعاب ٤١١/١ . وسبق تعريفه كشاعر .

(٢) انظر صحيح مسلم : كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، ٢١٢٠/٤ (٢٧٦٩) .

(٣) المرجئة : الإرجاء في اللغة التأخير وإنما سموا المرجئة بهذا الاسم لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان على معنى أنهم يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم ولهم خمس فرق . انظر طاهر بن محمد الاسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م (تحقيق كمال يوسف الحوت) ، ص ٩٧ .

(٤) ابن منظور : اللسان ١٣٨/٥ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٦/١٤ .

(٦) أبو السعود : تفسير أبو السعود ١١٠/٧ .

(٧) الألويسي : روح المعاني ٦١/٢٢ .

تشاء وتمسك من تشاء ، أو تقسم لأيتهن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء
أمتك وتزوج من شئت^(١) .

ذكر المفسرون أن الإرجاء هو التأخير سواء كان في المضاجعة أو التطليق
أو القسم . وهذه الآية خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما ذهب إليه ابن
منظور وبذا تم الاتفاق بينه وبين المفسرين على معنى ترجي .

وهذه الآية (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) ناسخة لقوله
تعالى : (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ)^(٢) ، وكان عليه السلام له أن يتزوج بأي عدد شاء
بالأولى ولا شهود ولا مهر وبلفظ الهبة ، ولا يجب مهر بالعقد ولا بالدخول وتحل
له المرأة بتزويج الله كزینب ، وله التزوج في الإحرام ، وأن يردف الأجنبية خلفه
وأن يزوجه لمن شاء بلا إذنها وإذن وليها^(٣) .

وأما قوله تعالى : (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) يعني مرجئون لأمر الله
وقضائه يقال منه أرجأته وأرجئه إرجاء وهو مرجأ بالهمز وترك الهمز وهي
لغتان معناهما واحداً .

وقيل عني بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية^(٤) ، ومرارة بن
ربيعة^(٥) ، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند مقدمه ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم
فتاب عليهم وعفا عنهم^(٦) .

(١) الزمخشري : الكشاف ١/١٠٠٤ .

(٢) الأحزاب / ٥٢ .

(٣) الناسخ والمنسوخ للكرمي ١/١٦٩ .

(٤) هلال بن أمية : هو هلال بن أمية الأنصاري الواقفي من بني واقف شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن
غزوة تبوك فقتل فيهم القرآن ، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن السحماء . انظر الاستيعاب ، ١/٤٨٨ . أسد الغابة ١/١٥٥ .

(٥) مرارة بن الربيع : ويقال ابن ربيع العمري الأنصاري ، من بني عمرو بن عوف شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم . الاستيعاب
١/٤٣١ . أسد الغابة ١/٩٣٩ .

(٦) الطبري : جامع البيان ٦/٤٦٧ .

قال القرطبي : قال ابن عباس : نزلت في عشرة تخلفوا عن غزوة تبوك فأوثق سبعة منهم أنفسهم في سوارى المسجد (١) .

وقال الشوكاني : (وآخرون مرجون لأمر الله) هم الثلاثة الذين خلفوا وقال السدي في قوله تعالى : (إما يعذبهم) يقول يميتهم على المعصية (وإما يتوب عليهم) فأرجأ أمرهم ثم نسخها تعالى بقوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ..)(٢) .

وقال البغوي : قرأ أهل المدينة والكوفة (مرجون) بغير همز والآخرين : بالهمز ، والإرجاء : التأخير ، ومرجون : مؤخرون لأمر الله ، لحكم الله عز وجل فيهم وهم الثلاثة كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة (٣) فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى شقهم القلق وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، وكانوا من أهل بدر فجعل أناس يقولون : هلكوا وآخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم فصاروا مرجئين لأمر الله (لا يدرون) أيعذبهم أم يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة (٤) .

ووردت كثير من الأحاديث في توبة كعب بن مالك منها (وأعطى كعب بن مالك ثوبين حين نشر بالتوبة) (٥) وأيضاً عن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال : فلما سلمت على رسول الله صلى الله علي

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٠/٨ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٨١/٢ .

(٣) أبو لبابة : الأنصاري من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس نقيب شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد ، فهو مشهور بكنيته واختلف في اسمه فقليل رفاعه ، مات في خلافة علي رضي الله عنه ، وكان أبو لبابة ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية ثم تاب الله عليه ، ونزلت فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) التوبة /١٠٣ . انظر الاستيعاب : ٥٥٩/١ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ، ٩٢/١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب ما يعطي البشير ، ١١١٩/٣ (٤١٥٦) .

وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استتار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك^(١) .

المعنى العام للنص :

قال القرطبي : اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وأصح ما قيل فيها : التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته ، فقد ثبت في الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول : أوتهب المرأة نفسها لرجل ؟ فلما أنزل الله عز وجل : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) قالت: قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^(٢) فيقول القرطبي : هذا الذي ثبت في الصحيح وهو الذي ينبغي أن يعول عليه ، والمعنى المراد : هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيراً في أزواجه إن شاء أن يقسم قسم ، وإن شاء أن يترك القسم ترك ، فخص النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعل الأمر إليه فيه ، لكن كان يقسم من قبل نفسه دون أن يفرض عليه ذلك تطيباً لنفوسهن ، وصوناً لهن عن أقوال الغيرة التي تؤدي إلى ما لا ينبغي . وقيل كان القسم واجباً عليه ثم نسخ الوجوب بهذه الآية ، فقيل كان ممن أوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ، وممن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية . وقيل المراد الواهبات أنفسهن ، وقيل ما علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجأ أحداً من أزواجه بل آواهن كلهن ، وعلى كل فالآية معناها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإباحة^(٣) .

النص رقم (٥١)

قال تعالى : (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) (٤) .

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ١٣٠٥/٣ (٣٣٦٣) .

(٢) صحيح البخاري : باب قوله (ترجي من تشاء منهن ..) ١٧٩٧/٤ (٤٥١٠) . وأيضاً صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ، ١٠٨٥/٢ (١٤٦٤) الحديث متفق عليه . (ما أرى إلا ربك يسارع في هواك) معناه يخفف عنك ويوسع عليك في الأمور ولهذا حيرك .

(٣) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٧/١٤ .

(٤) الواقعة / ٤ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرج التحريك ، رجه يرجه رجاً . حركه وزلزه فارتج . ورججه فترجرج ، والرج تحريكك شيئاً كحائط إذا حركته ، ومنه الرجرجة ، قال الله تعالى : (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) معنى رجت : حركت حركة شديدة وزلزلت ، والرجرجة : الاضطراب ، وارتج البحر وغيره : اضطرب . وفي الحديث : (من ركب البحر حين يرتج فقد برئت منه الذمة)^(١) ، يعني إذا اضطربت أمواجه ، وهو افتعل من الرج ، وهو الحركة الشديدة . وروي ارتج من الارتاج الإغلاق ، فإن كان محفوظاً فمعناه أغلق عن أن يركب ، وذلك عند كثرة أمواجه ، ومنه حديث النفخ في الصور : فترج الأرض بأهلها أي اضطرب^(٢) ، ومنه حديث ابن المسيب^(٣) : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة بصوت عال^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) إذا زلزلت الأرض فحركت تحريكاً من قولهم السهم يرتج في الفرض بمعنى يهتز ويضطرب^(٥) .
وقال القرطبي : أي زلزلت وحركت . وقال : ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها .
وعن ابن عباس الرجفة الحركة الشديدة يسمع لها صوت^(٦) . وقال ابن كثير : أي حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها^(٧)

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد : باب من بات على سطح ليس له سترة ، ٤٠٨/١ (١١٩٤) . انظر أيضاً : مسند أحمد بن حنبل ٧٩/٥ (٢٠٧٦٧) .

(٢) الحديث طويل عن أبي هريرة ذكره إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي : مسند إسحاق بن راهويه ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوش ، ٨٤/١ (١٠) .

(٣) ابن المسيب : هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمه ، ولد سعيد بعد خلافة عمر بأربع سنين ومات وهو ابن أربع وثمانين سنة وقيل غير ذلك في سنة موته ، كان أعلم الناس بالطلاق . طبقات ابن سعد ١١٩/٥ .

(٤) ابن منظور : اللسان ١٤١/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٦٢٣/١١ .

وأيضاً ذكر الشوكاني : أي إذا حركت حركة شديدة يقال رجه يرجه رجاً إذا حركه والرجة الاضطراب وارتج البحر واضطرب . والظرف متعلق بقوله خافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وليس الجبال لأنه عند ذلك يرتفع ما هو منخفض وينخفض ما هو مرتفع وقيل إنه بدل من الظرف^(٣) .
 وجاء في مفردات القرآن : الرج : التحريك تحريك الشيء وإزعاجه يقال : رجه فارتج ، والرجرجة : الاضطراب وكتيبة رجرجة وجارية رجرجة وارتج كلامه : اضطرب والرجرجة : ماء قليل في مقره يضطرب فيكدر^(٤) .
 وكذلك قال مجاهد^(٥) وباقي المفسرين أن معنى رجت زلزلت وحركت حركة شديدة وهذا ما قاله ابن منظور .

وقال ابن الأثير : الرج هو الحركة الشديدة كما في قوله تعالى : (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا)^(٦) .

المعنى العام للنص :

قال ابن الجوزي في قوله تعالى (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) أي حركت حركة شديدة وزلزلت وذلك أنها ترتج حتى ينهدم ما عليها من بناء ويتفتت ما عليها من جبل . وفي ارتجاجها قولان :

أحدهما : أنه لإماتة من عليها من الأحياء .

والثاني : لإخراج ما في بطنها من الموتى^(٧) .

النص رقم (٥٢)

قال تعالى : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)^(٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٦٩ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٤/٣٦١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٥/٢٠٩ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٣١ .

(٥) مجاهد ، انظر تفسير مجاهد ٢/٦٤٥ .

(٦) ابن الأثير : النهاية ٢/٤٨٦ .

(٧) ابن الجوزي : زاد المسير ٨/١٣١ .

(٨) المدثر / ٥ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرجز : القدر مثل الرجس ، والرجز : العذاب ، والرجز والرجز : عبادة الأوثان ، وقيل هو الشرك ما كان تأويله أن من عبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره ، واضطراب من اعتقاده ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) (١) أي على شك وغير ثقة ولا مسكه ولا طمأنينة وقوله تعالى : (وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ) قال قوم : هو صنم وهو قول مجاهد (٢) ، والله أعلم ، قال أبو إسحاق : قرئ الرجز والرجز بالكسر والضم ، ومعناهما واحد وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب (٣) ، وقال عز من قائل : (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ) (٤) أي كشفت عنا العذاب، وقوله (رَجْزاً مِنَ السَّمَاءِ) (٥) هو العذاب . وفي الحديث: أن معاذاً (٦) رضي الله عنه أصابه الطاعون فقال عمرو بن العاص (٧) لا أراه إلا رجزاً وطوفاناً ، فقال معاذ : ليس برجز ولا طوفان (٨) ،

(١) الحج / ١١ .

(٢) انظر الطبري : جامع البيان ، ٣٠٠/١٢ .

(٣) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ١٩١/٥ .

(٤) الأعراف / ١٣٤ . (وَلَمَّا وَفَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزَ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَكَتَرْنَا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

(٥) البقرة / ٥٩ . (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)

(٦) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن غنم بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم ، وكان من بني سلمة ، شهد بدرًا مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإنما ادعته بنو سلمة لأنه كان آخى رجلاً منهم . (الاستيعاب ٢٢/١) (أسد الغابة ١/١٠٢٠) .

(٧) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي يكنى أبا عبد الله وقيل أبو محمد وأمّه النابغة بنت حرملة أسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي وهاجر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه صلى الله عليه وسلم أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص ، استعمله معاوية على مصر إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين ، وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاقم مات بمصر ودفن فيها . (أسد الغابة ١/٨٠٧) .

(٨) انظر : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ٢٤٠/١ .

هو بكسر الراء العذاب والإثم والذنب ، ويقال في قوله عز وجل : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) أي عبادة الأوثان ، وأصل الرجز في اللغة : تتابع الحركات ، ومن ذلك قولهم ناقة رجزاء إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها . ومن هذا رجز الشعر لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع نحو قوله: صبراً بني عبد الدار . وكقوله : ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا .

وقال أبو إسحاق : ويعني الرجز في القرآن هو العذاب المقلقل لشدته وله قفلة شديدة متتابعة^(١) .

دراسة النص :

تحدث الطبري عن معنى الرجز واختلاف القراء فيه فقال : اختلف القراء في قراءة الرجز فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة بكسر الراء وقرأه بعض المكيين والمدنيين بضم الراء ممن ضم الراء وجهه إلى الأوثان وقال : معنى الكلام : والأوثان فاهجر عبادتها وأترك خدمتها ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب وقال معناه : والعذاب فاهجر أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر . والصواب كما يقول الطبري : أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد^(٢) .

وقال الطبري في قوله تعالى : (لئن كشفت عنا الرجز) أي لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه ، لؤمننن لك) ، أي لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ولنقرن به لك ، ولنرسلن معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا معك^(٣) .

وأيضاً الرجز هو العذاب كما في قوله تعالى : (رجزاً من السماء) وذلك أن بني إسرائيل بدلوا ما قاله الله لهم فظلموا أنفسهم فأرسل الله لهم الرجز العذاب ، وعذاب الله جل ثناؤه أصنافاً مختلفة ، فجائز أن يكون طاعوناً ، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر الرسول ثابت أي أصناف ذلك كان^(٤)

(١) ابن منظور : اللسان ١٤٦/٥ ، وقول أبو إسحاق انظر الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٩١/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٢٩٦/١٢ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤١/٦ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٣٤٣/١ .

ونقل القرطبي أقوال بعض العلماء فقال : قال مجاهد وعكرمة : يعني الأوثان ، والرجز هو الإثم ، وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف ، والمعنى : وعمل الرجز فاهجر أو العمل المؤدي إلى العذاب ، واصل الرجز العذاب ، قال تعالى : (لئن كشفت عنا الرجزَ لنؤمننَّ لك) وقال تعالى : (فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء) فسميت الأوثان رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب وذكر قول الكسائي الرجز بالضم الوثن وبالكسر العذاب^(١) .

وقال ابن كثير (الرجز) قال البعض الأوثان وقال البعض المعصية^(٢) . وقال أبو حيان في قوله تعالى : (لئن كشفت عنا الرجز) الظاهر أن الرجز هنا هو ما كان أرسل عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم^(٣)، أي أنواع العذاب ونفس ما قاله المفسرون أعلاه قاله الشوكاني ولم يزد عليه شيئاً وذلك أن الرجز معناه في اللغة العذاب وفيه لغتان. والرجز أيضاً هو الأوثان لأنها سبب العذاب^(٤). فقال في قوله تعالى : (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب فقليل كان هذا الرجز طاعوناً مات به من القبط في يوم واحد سبعون ألفاً ، فقالوا يا موسى أدع لنا ربك بما استودعك من العلم واختصك به النبوة لئن كشفت عنا العذاب لنؤمنن بك^(٥) . وأيضاً في التبيان أن الرجز بضم الراء وكسرهما معناهما واحد وتفسيره الأوثان وسميت الأوثان رجزاً لأنها سبب الرجز الذي هو العذاب^(٦) . وفي كتب اللغة جاء في تاج العروس : أصل الرجز في اللغة الاضطراب وتتابع الحركات ، وأنه العمل الذي يؤدي إلى العذاب^(٧) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦٢/٩ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٦٦/٤ .

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٧٣/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٤٥٥/٥ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٤٧ .

(٦) أبو البقاء الحياي : التبيان في تفسير غريب القرآن ، ٤٣٤/١ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ٣٧٢٧/١ .

وقال الفراهيدي : الرجز : العذاب وكل عذاب أنزل على قوم فهو رجز ،
ووسواس الشيطان رجز والرجز عبادة الأوثان ، ويقال اسم الشرك كله رجز .
وقرئ (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) بكسر الراء وضمها واحد . ويراد به الصنم^(١) .
إذا اتفق ابن منظور والمفسرون وأهل اللغة أن الرجز هو العذاب وهو
عبادة الأصنام وأنه يقرأ بضم الراء وكسرهما ومعناهما واحد وهو العمل الذي
يؤدي إلى العذاب .

وورد في كتب القراءات أن (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يقرأ بكسر الراء وضمها فمن
كسر أراد الشرك ومن ضم أراد اسم الصنمين إساف ونائلة وقيل الرجز بالكسر
العذاب لأنه عن الشرك يكون . وقيل أصل الزاي في الرجز السين كما تقول
العرب الأزد والأسد ، فما يعاف من المطعم والمشرب والمعبودات من دون الله
عز وجل^(٢) .

وجاء في سبب نزول هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : (فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من
السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء
والأرض ، فجننت منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله
تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ .. إلی ..وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قبل أن تفرض الصلاة وهي
الأوثان^(٣) .

وقال البخاري : معنى (الرجز) : النجاسة والمعصية^(٤) .
وأما قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) أي على وجه
الشك لا على اليقين والتسليم لأمره^(٥) .

(١) الفراهيدي : كتاب العين ٦٦/٦ .

(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع . انظر أيضاً ابن زنجلة : حجة القراءات لابن ، ٧٣٣/١ .

(٣) صحيح البخاري : باب تفسير سورة المدثر ، باب وثيابتك فطهر ١٨٧٥/٤ (٤٦٤١) . وصحيح مسلم :
كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٤٣/١ (١٦١) .

(٤) صحيح البخاري : باب تفسير سورة المدثر ، باب والرجز فاهجر ، ١٨٧٥/٤ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٥٣/١ .

وقال ابن زيد : هو المنافق إن صلحت دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر خسر الدنيا والآخرة^(١)

المعنى العام للنص :

قال أبو السعود معنى الآية : (وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ) أي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم ، فالرجز هو العذاب من قوله تعالى : (رَجِزاً مِنَ السَّمَاءِ) وقوله (لَئِنْ كَشَفْتَنَا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ) . وأيضاً هو المعصية التي تؤدي إلى العذاب^(٢) .

النص رقم (٥٣)

قال تعالى : (وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رَجَزُ الشَّيْطَانِ)^(٣)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال المفسرون : هو وساوسه وخطاياها ، ذلك أن المسلمين كانوا في رمل تسوخ فيه الأرجل ، واصابت بعضهم الجنابة فوسوس إليهم الشيطان بأن عدوهم يقدرون الماء وهم لا يقدرون عليه ، وخيل إليهم أن ذلك عون من الله لعدوهم ، فأمطر الله تعالى المكان الذي كانوا فيه حتى تطهروا من الماء ، واستوت الأرض التي كانوا فيها^(٤) ، وذلك من آيات الله عز وجل ، ووسواس الشيطان رجز ، وترجز الرجل إذا تحرك تحركاً بطيئاً ثقيلًا بسبب ثرة مائه^(٥) .

دراسة النص :

قال مجاهد : الرجز هو وسوس الشيطان^(٦)

(١) الطبري : جامع البيان ، ١١٥/٩ .

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٥٥/٩ .

(٣) الأنفال / ١١ (إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُم رَجِزَ الشَّيْطَانِ وَلِيُرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)

(٤) انظر الطبري، جامع البيان ، ١٩٢/٦

(٥) ابن منظور ، اللسان ١٤٦/٥

(٦) مجاهد ، تفسير مجاهد ٢٥٩/١

وقال الطبري : أن يذهب عنكم شك الشيطان بتخويله إياهم عدوهم واستجلاد الأرض لهم حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا عليه عدوهم^(١) .
وأما القرطبي عما حدث في ذلك اليوم فقال : سبق الكفار المؤمنين إلى الماء يوم بدر فوجس نفوسهم وعطشوا وانصبوا وصلوا كذلك ، فقال بعضهم في نفوسهم بالغاء الشيطان إليهم : نزع أنا أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هو ، والمشركون على الماء فأنزل الله المطر حتى سالت أودية^(٢) .
وكذلك قال ابن كثير : (رجز الشيطان) أي وسوسته أو خاطر شيء وهو تطهير الباطن^(٣) .

وقال الشوكاني : رجز الشيطان وسوسته لكم بما كان سبق إلى قلوبهم من الخواطر التي هي منه من الخوف والفشل^(٤) .

وكذلك قال البغوي : وسوسته^(٥)

وجاء في التبيان : رجز الشيطان أي نفخه وتخويله وما يدعو إليه من الكفر^(٦) .

وقال الزبيدي : الرجز الإثم والذنب ورجز الشيطان وساوسه^(٧) .
إذا الرجز في الفقه العذاب كما قال ابن منظور واتفق مع المفسرين بقوله :
(قال المفسرون أن الرجز هو وساوس الشيطان) ، وأن هذه الآية تتحدث عما حدث في يوم بر وكيف أن الشيطان وسوس للمؤمنين عن فقدهم الماء وصلوا وهم على جنابة .

(١) الطبري ، جامع البيان ١٩٢/٦

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٦/٧

(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ٣٨٦/٢

(٤) الشوكاني ، فتح القدير ٤٢٣/٢

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٤٦/١ ، انظر أيضا صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قوله تعالى (يذهب عنكم رجز الشيطان) ١٤/٤

(٦) التبيان ٢١٧/١ انظر أيضا الأصفهاني ، مفردات القرآن ٥٣٢/١

(٧) الزبيدي ، تاج العروس ٣٧٢٨/١

وقال الجصاص : أوجب تعالى الفطرة على الجنب في قوله (وإن كنتم جنبا فاطهروا)^(١) وفي آية أخرى : (لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا) وقال : (وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) فقال روى اسم أصابتهم بجنابة فأنزل الله مطراً فأزالوا به اثر الاحتلام والمفروض من غسل الجنابة إبطال الماء بال غسل إلى كل موضع يلحقه حكم التطهير من بدنه^(٢) .

المعنى العام للنص :

قال تعالى : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً) أمناً مما حصل لكم من الخوف منه تعالى ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الأحداث والجنابات (ويُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) أي وسوسته إليكم بانكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركين على الماء ويحبس على قلوبكم باليقين والصبر ثم يثبت الأقدام من أن تسوخ في الرمل ، وهذا كله دليل على عون الله لعباده المؤمنين^(٣) .

النص رقم (٥٤) :

قال تعالى : (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)^(٤)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرجس : القذر ، ويل : الشيء القذر ورجس الشيء يرجس رجاسة وإنه لرجس مرجوس ، وكل قذر رجس ، ورجل مرجوس ، ورجس : نجس ، وهو الرجاسة والنجاسة ، وفي الحديث : الرجس النجس^(٥) الرجس : القذر ، وقد يعبر به عن الحرام ولفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر ، والمراد في هذا الحديث الأول ، قال الفراء : إذا بدأوا بالرجس ثم اتبعوه النجس

(١) المائدة ٦

(٢) النساء ٤٣

(٣) الجلالين ، تفسير الجلالين ٢٢٨م١

(٤) يونس / ١٠٠ (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)

(٥) الحديث عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبيث الشيطان الرجيم) . قال أبو الحسن : إسناده ضعيف . انظر : سنن ابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها ، باب ما يقول الرجل إذا دخل بيت الحلاء ١٠٩/١ (٢٩٩)

كسروا الجيم ، وإذا بدأوا بالنجس ولم يذكروا معه الرجس فتحوا الجيم والنون (١) ، وفيه الحديث : (نهى أن يستجى بالروث) (٢) وقال إنها رجس أي مستقدرة ، والرجس : العذاب كالرجز : التعذيب ، وأما الرجز فالعذاب والعمل اذلي يؤدي إلى العذاب والرجس في القرار العذاب كالرجز وجاء في حديث الوتر (وانزل عليهم رجسك وعذابك) (٣) .

وقال أبو منصور : الرجس ههنا بمعنى الرجز ، وهو العذاب ، قلبت الزاي سينا كما قيل الاسد والأزد .

وقال الفراء في قوله تعالى : (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أنه العقاب والغضب .

وقال ابن الكلبي في قوله تعالى (فإنه رجس) المائم .

وقال مجاهد في قوله تعالى : (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ) لا خير فيه (٤) .

قال أبو جعفر في قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (٥) قال الرجس : الشك (٦) .

قال ابن الأعرابي : مر بنا جماعة رجسون نجسون أي كفار .

وفي التنزيل : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) (٧) .

(١) الفراء ، معاني الفراء ٤٠٨/١

(٢) الحديث عن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه أنه سمع عبد الله يقول أتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرني أن أتيه بثلاث أحجار فوجدت حجرين ، والتست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين والقي الروثة وقال : هذا رجس والرجس هو النجس

صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب الاستنجاء بالحجارة ٧٠/١ (١٥٥)

(٣) ما جاء في دعاء الوتر عن علي بن أبي طالب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في وتره اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك / سنن الترمذي ، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في دعاء الوتر ٥٦١/٥ (٣٥٦٦)

(٤) مجاهد ، تفسير مجاهد ٢٢٣/١

(٥) الأحزاب / ٣٣

(٦) لم أجد الرجس بمعنى الشك في تفسير هذه الآية عند الطبري ، وسيأتي ما ذكره الطبري لاحقاً في دراسة النص

قال الزجاج : الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل فبالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء وسماه رجساً^(٢) .

ويقال رجس الرجل رجساً او رجس يرجس إذا عمل عملاً قبيحاً والرجس بالفتح شدة الصوت ، فكأن الرجس العمل اذلي يقبح ذكره ويرتفع في القبح^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : الرجس هو العذاب وغضب الله^(٤) .

وأيضاً قال الرجس هو إثم و تنتن لسخطه الله وكرهه لكم (مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ)^(٥) وقال الرجس هو السوء والفحشاء لقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) أي يذهب عنكم السوء والفحشاء يأهل بيت محمد ويطهركم من

الذنس الذي يكون في أهل المعاصي^(٦) .

قال القرطبي : الرجس العذاب بضم الراء وكسرهما لغتان^(٧) .

وقال الشوكاني : الرجس العذاب أو الكفر أو الخذلان الذي هو سبب العذاب^(٨) .
وذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في الرجس : أحدها : أنه السخط ،
والثاني : الإثم والعدوان والثالث : أنه ما لا خير فيه ، والرابع : العذاب ، الخامس :
العذاب والغضب^(٩) .

وفي مفردات القرآن ذكرت كل المعاني التي ذكرها ابن منظور حيث قال :
الرجس الشيء القذر يقال رجل رجس ورجال أرجاس ، قال تعالى : (رَجِسٌ مِّنْ

(١) المائدة / ٩٠

(٢) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ١٦٤/٢ ،

(٣) ابن منظور ، اللسان ١٤٧/٥

(٤) الطبري ، جامع البيان ٦١٦/٦

(٥) الطبري ، جامع البيان ٣٣/٥

(٦) الطبري ، جامع البيان ٢٩٤/١٠

(٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/٨

(٨) الشوكاني ، فتح القدير ٦٨٦/٢

(٩) ابن الجوزي ، زاد المسير ٦٧/٤

عَمَلِ الشَّيْطَانِ) والرجس يكون على أربعة ، إما من حيث الطبع وإما من جهة العقل وإما من جهة الشرع ، وإما من كل ذلك كما عينه فإنها بكاف طبعاً وعقلاً وشرعاً والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر ، ويقال إن ذلك رجس من جهة العقل ، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى : (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا))^(١) لأن كل ما يطغى إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه ، وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالفعل اقبح الأشياء ، قال تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ))^(٢) وقوله تعالى : (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) قيل الرجس النتن وقيل : العذاب وذلك كقوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ))^(٣) وقال : (أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ))^(٤) وذلك من حيث الشرع ، وقيل : رجس ورجز للصوت الشديد وبعير راجس : شديد الهدير ، وغمام راجس راجس : شديد الرعد^(٥) وقال الزبيدي الرجس : الشيء القذر^(٦) .

ونلاحظ أن ابن منظور ذكر معاني كثيرة للرجس منها أنه القذر أو النتن وهذا ما ذكره الطبري وأيضاً اتفق مع القرطبي في أنه العذاب ، وفي هذه الآية قال إنه العذاب والغضب من الله سبحانه وتعالى على الكافرين ، وبذا يكون قد اتفق مع المفسرين في إيراد المعاني المختلفة لكلمة الرجس .

المعنى العام للنص :

قال الطبري أن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد وأذن له في تصديقك فيصدقك ويتبعك ويقر بما جئت به من عند ربك (ويجعل الرجس) وهو العذاب وغضب الله (على الذين لا يعقلون) يعني الذين لا يعقلون عن الله

(١) البقرة / ٢١٩

(٢) التوبة / ٢٨

(٣) التوبة / ١٢٥

(٤) الأنعام / ١٤٥

(٥) الأصفهاني ، مفردات القرآن ١/٥٣٣

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ١/٣٩٥٧

الحجة ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وحقيقة ما دعاهم إليه من توحيد الله وخلع الأنواء والأوثان^(١) .

النص رقم (٥٥) :

قال تعالى : (إِنَّ إِلِيَّ رَجْعَ الرَّجْعَى)^(٢)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجع يرجع رجعاً ورجوعاً ورجعى ورجعانا ورجعا ومرجعة ، انصرف ، وفي التنزيل : (إِنَّ إِلِيَّ رَجْعَ الرَّجْعَى) أي الرجوع والمرجع مصدر على فعلى^(٣) وفيه : (إِلِيَّ اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً)^(٤) أي رجوعكم، وقوله : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا)^(٥) وقوله عز وجل : (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا)^(٦) يعني العبد إذا بعث يوم القيامة وعرف ما كان ينكره في الدنيا يقول رب ارجعون أي ردوني إلى الدنيا ، ووله ارجعون واقع ههنا ويكون لازماً كقوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ)^(٧) ومصدره لازماً الرجوع ومصدره واقعا الرجع ، يقال رجعت رجعا فرجع رجوعاً، يستوي فيه لفظ اللازم والواقع .

(١) الطبري ، جامع البيان ، ٦١٦/٦

(٢) العلق / ٨

(٣) قال الزمخشري والأبنية التي تلحقها ألف التأنيث الصورة على ضربين مختصة بها ومشتركة فحصر المختصة فعلى ، وهي تجيء على ضربين اسماً وصفة فالاسم على ضربين غير مصدر كالحمي ومصدر كالبشرى والرجعى انظر أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المفصل في طبقة الأعراب ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، تحقيق

د . علي بو ملحم ص ٢٥١

(٤) المائدة / ٤٨

(٥) طه / ٨٩

(٦) المؤمنون ٩٩-١٠٠

(٧) الأعراف ١٥

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : من كان له مال يبلغه حج بيت الله أو تجب فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت أي سأل أن يرد إلى الدنيا ليحسن العمل ويستدرك ما فات^(١) .

والرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم ، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من البدع والأهواء يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان ، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون : إن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مستتر بين العرب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى يناديه مناد من السماء أخرج مع فلان^(٢) .

ويشهد بهذا المذهب قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يريد الكفار وقوله تعالى : (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٣) قال : لعلمهم يرجعون إي يردون البضاعة لأنها ثمن ما اكتالوا وأنهم لا يأخذون شيئا إلا بثمنه ، وقيل : يرجعون إليها إذا علموا أن ما كيل لهم من الطعام ثمنه يعني رد إليهم ثمنه ، ويدل على هذا القول قوله تعالى : (وَكَلَّمَا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)^(٤) ورجع فعل قاصر ومتعد ، تقول رجع زيد ورجعته أنا ، وقوله تعالى : (إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)^(٥) قيل : أنه على رفع الماء إلى الاحليل وقيل إلى الصلب ، وقيل إلى صلب الرجل وتربية المرأة ، ويل على إعادته حيا بعد موته وبلاه لأنه المرابي المعيد سبحانه وتعالى ، وقيل على بعث الإنسان يوم القيامة وهذا يقويه

(١) انظر سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة المنافقون ٤١٨/٥ (٤٤١٦)

(٢) انظر محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشيرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٤هـ - تحقيق محمد سيد كيلاني ص ١٤٦

أيضا ابن حزم ، الفصل بين الملل ١٠٩/١ والبغدادي ، الفرق بين الفرق ٣٩/١

(٣) يوسف ٦٢

(٤) يوسف ٦٣

(٥) الطارق ٨

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (١) أي قادر على بعثه يوم القيامة ، والله سبحانه اعلم بما أراد (٢) .

دراسة النص :

يقول الطبري في قوله تعالى : (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) أي أن إلى ربك يا محمد مرجعه فذائق من أليم عقابه ما لا قبل له به (٣) .

وذكر القرطبي المشتقات المختلفة لكلمة الرجعي فقال أي مرجع هذا وصفه فنجازيه والرجعي والمرجع والرجوع : مصدر يقال : رجع إليه رجوعاً ومرجعاً ورجعي على وزن فعلى (٤) .

وشرح ابن كثير هذه الآية قائلاً : يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وافر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال : (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) أي إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من اين جمعته وفيم صرفته (٥) .

ووافقهم الشوكاني بقوله: أي المرجع والرجعي والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع إليه مرجعاً ورجوعاً ورجعي وتقدم الجار والمجرور للقصر أي الرجعي إليه سبحانه لا إلى غيره (٦) .

وقال البغوي : أن المرجع في الآخرة والرجعي : مصدر على وزن فعلى (٧) .
وقال البيضاوي : الخطاب للإنسان على الالتفات تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيان ، والرجعي مصدر كالبشرى (٨) .

(١) الطارق ٩

(٢) ابن منظور ، اللسان ١٤٨/٥

(٣) الطبري ، جامع البيان ، ٦٤٦/١٢

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١١٤/٢

(٥) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٦٨٣/٤

(٦) الشوكاني ، فتح القدير للشوكاني ٦٦٦/٥

(٧) البغوي : تفسير البغوي ٤٧٩/١

(٨) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٥١٠/١

وتأتي (ارجعون) بمعنى ردوني كما ذكرت في الآية والتي قال فيها الطبري (ارجعون) ردوني إلى الدنيا وهذا قول المشركين^(١) .

وقال القرطبي ذكرت ارجعون بلفظ الجمع على جهة التكرار ارجعن ارجعن ارجعن ، وهكذا تمنى الرجعة إلى الدنيا كي يعمل صالحاً^(٢) .

وأضاف الشوكاني على قول القرطبي أن الجمع يأتي أيضا لتعظيم المخاطب^(٣) وذكر ابن منظور أن الرجوع يأتي بمعنى العودة في آية إخوة يوسف والتي قال الشوكاني شارحاً إياها أنهم إذا عرفوا أن بضاعتهم ردت إليهم وعلموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمن وأن ما دفعوه عوضاً عنه قد رجع إليهم وتفضل به من وصلوا إليه عليهم نشطوا إلى العودة إليه^(٤) .

وأما قوله تعالى : (إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) فقد ذكر ابن منظور المعنيين الذين ذكرهما المفسرون فالأول هو رجوع الماء إلى الاحليل كما ذكره مجاهد إذ قال هو رجوع النطف إلى الاحليل^(٥) ، ورجع إليه ابن منظور القول الثاني والذي وافق فيه الإمام الطبري والثعالبي أنه رد الإنسان المخلوق بعد مماته حياً كهبيئته قبل مماته لدلالة الآية بعدها يوم تبلى السرائر أي أنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تبلى السرائر ، فالיום صفة المرجع لأن المعنى وأنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر^(٦) .

ومن مفردات القرآن جاء معنى الرجوع : العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو ولا وبذاته كان أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله ، فالرجوع العود ، والرجع الإعادة ، والرجعة في الطلاق وفي العودة إلى الدنيا بعد الممات^(٧) .

(١) الطبري ، جامع البيان ، ٥٤٢/٩

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٤/١٢

(٣) الشوكاني ، فتح القدير ، ٧١٤/٣

(٤) المرجع نفسه ، ٥٤/٣

(٥) مجاهد ، تفسير مجاهد ٧٤٩/٢

(٦) انظر الطبري ، التفسير العظيم ، ٥٣٦/١٢ وابن كثير ٦٤١/٤ وأيضاً الثعالبي ، تفسير الثعالبي ٤٠٣/٤

(٧) الأصفهاني ، مفردات القرآن ٥٣٤/١

وذكر البخاري في صحيحه أن الرجعى هي المرجع^(١) .
وفي كتب اللغة أيضا كما في مختار الصحاح الرجعى الرجوع والمرجع^(٢)
وكذلك قال الزبيدي الرجوع^(٣) .

اتفق ابن منظور والمفسرون في ذكر المعاني المختلفة للرجوع فهو يأتي
بمعنى المصير وبمعنى العودة وبمعنى الرجوع إلى الحياة الدنيا بعد الممات ، كما
أنه يأتي بمعنى إعادة البشر أحياء كاملي الخلقة يوم موتهم يوم القيامة .

وذكر الطبري في سبب نزول هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
ك قال أبو جهل^(٤) : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم ، فقال :
واللات والعزى لئن رأيت يفته يفعل ذلك لأطأن على رقبتة أو لأعفرن وجهه في
التراب ، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على
رقبتة ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه قال : فقيل له
مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخدقا من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال فأنزل الله عز
وجل - لا تدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا
رَاهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)^(٥) .

المعنى العام للنص :

قل أبي السعود في هذه الآية تهديد للطاغي وتحذير من عاقبة الطغيان
والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى^(٦) ويتقدم

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة العلق ٤/١٨٩٣

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ١/٢٦٧

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ١/٥٢٤٦

(٤) أبو جهل : واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي
القرشي المخزومي ، كان أبو جهل يكنى أبا الحكم فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل وكان فارسا
مشهورا عند العرب لا يرد له رأى قتل كافرا يوم بدر / انظر الاستيعاب ١/٣٣٣

(٥) الطبري ، جامع البيان ١٢/٦٤٨ . وأيضا صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، ١ باب قوله ان
الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ٤/٢١٥٤ (٣٨)س

الجار والمجرور عليه عليه أي أن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت
والبعث لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فترى حينئذ عاقبة طغيانك(٢) .

النص رقم (٥٦)

قال تعالى : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ) (٣)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : راجعه الكلام مراجعة ورجاعاً : حاوره إياه ، وما أرجع
إليه كلاماً أو ما أجاب ، وقوله تعالى (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ) أي
يتلاومون ، والمراجعة : المعاودة والرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه(٤) .

دراسة النص :

قال القرطبي : (يرجع) يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن
كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين(٥) .

وقال ابن كثير أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في
دركات النار(٦) .

وكذا الشوكاني ذكر أنهم يتراجعون في الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن
كانوا في الدنيا متعاضدون متناصرون متحابين(٧) .

وأيضاً قال البغوي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدل(٨) .

وقال أبي السعود أي يتحاورون ويتراجعون القول(٩) .

(١) انظر أبي القاسم علي بن جعفر السعدي ، كتاب الأفعال (ابن القطاع) عالم الكتب - بيروت - ط ١ -

١٩٨٣م ص ١٥

(٢) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ١٧٩/٩

(٣) سبأ / ٣٧ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)

(٤) ابن منظور ، اللسان ١٤٩/٥

(٥) القرطبي ، جامع البيان ٢٦٠/١٤

(٦) ابن كثير ، التفسير العظيم ٨/٤

(٧) الشوكاني ، فتح القدير ٤٦٦/٤

(٨) البغوي ، تفسير البغوي ٤٠/١

(٩) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ١٣٤/٧

وقال الثعالبي يتراجعون يتلاومون^(١) .

إِذَا (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ) فهنا يرجع بمعنى يتلاومون والمراجعة هي المعاودة وهذا ما ذكره ابن منظور موافقا لجميع المفسرين .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي : قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت قيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة .

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي في موضع المحاسبة يتحاورون ويتراجعون القول يقول الاتباع للرؤساء لولا أنتم أي لولا إضلالكم لنا وصدكم إيانا عن الإيمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢) .

النص رقم (٥٧)

قال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرجع : المطر لأنه يرجع مرة بعد مرة وفي التنزيل : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) ويقال : ذات النفع (والأرض ذات الصدع) قال ثعلب : ترجع بالمطر سنة بعد سنة .

وقال اللحياني : لأنها ترجع بالغيث فلم يذكر سنة بعد سنة .

وقال الفراء : تبتدىء بالمطر ثم ترجع به كل عام^(٤) .

وقال غيره ذات الرجع ذات المطر لأنه يجىء ويرجع ويتكرر^(٥) .

دراسة النص :

(١) الثعالبي ، تفسير الثعالبي ٢٤٨/٣

(٢) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٤٠٢/١

(٣) الطارق ١١

(٤) الفراء ، معاني القرآن ، ٢٥٥/٣

(٥) ابن منظور ، اللسان ١٥٤/٥

قال الطبري: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) ترجع بالقيوم وأرزاق العباد كل عام^(١) وقال القرطبي: ذات الرجوع ، ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر ، وقيل ذات النفع ، كما ذكر أنه قيل ، الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب من أخرى وقيل : ذات الملائكة ، لرجوعهم إليه بأعمال العباد ، وهذا حسم^(٢) .

وقال ابن كثير : أي تمطر ثم تمطر ، ذوكر قول ابن عباس الرجوع : المطر، وقول قتادة : ترجع فوق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكت مواشيهم وهلكوا، وقول ابن زيد : ترجع نجومها شمسها وقمرها^(٣) . وقال الشوكاني : ذات الرجوع ذات المطر^(٤) .

وكذلك قال أبي السعود : هو المطر وسمى رجعا لأن العرب كانوا يزعمون أن السماء يحمل الماء من بحار العرب ثم يرجعه إلى الأرض أو ، أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ، وذلك سموه أوباً أو لأن الله تعالى يرجعه^(٥) .

ومن مفردات القرآن : الرجوع : العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلاً أو قولاً ، والسماء ذات الرجوع أي ذات المطر وسمى رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء^(٦) .

وأيضاً في تاج العروس : ذات الرجوع أي ذات المطر بعد المطر لأنه يرجع مرة بعد مرة أو يتكرر كل سنة^(٧) .

وفي مختار الصحاح قال الرجوع المطر ، والسماء ذات الرجوع معناه ذات النفع^(٨) .

(١) الطبري ، جامع البيان ٥٣٨/١٢
(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢
(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ٦٤٣/٤
(٤) الشوكاني ، فتح القدير ٥٩٦/٥
(٥) أبو السعود ، تفسير أبو السعود ١٤٢/٩
(٦) الأصفهاني ، مفردات القرآن ٥٣٠/١
(٧) الزبيدي ، تاج العروس ٥٢٤٩/١
(٨) الرازي ، مختار الصحاح ٢٦٧/١

إذا الرجع هو المطر لأنه يعود ويتكرر كل سنة كما قال ابن منظور ووافقه أهل التفسير واللغة .

المعنى العام للنص :

قال البضاوي في هذه الآية (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) أي ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك منه وقيل الرجع المطر وسمى به كما سمي أوباً لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً ، أو كما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه السحاب إلى الأرض (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) ما تتصدع منه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون^(١) .

النص رقم (٥٨)

قال تعالى : (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمُ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ)^(٢).

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجفت : الرجفان الاضطراب الشديد ، رجفاً الشيء يرجف رجفاً ومرجوفاً ورجفاناً ورجيفاً وأرجف : خفق واضطرب اضطراباً شديداً، ورجف الشيء كرجفان البعير تحت الرحل ، وكما ترجف الشجرة إذا رجفتها الرياح ، وكما ترجف ال إذا انقضى أصلها ، والرجفة الزلزلة من رجفت الأرض ترجف رجفاً اضطربت وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمُ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ) أي لو شئت قبل أن تقتلهم ، ويقال أنهم رجف بهم الجبل فماتوا ، ورجف القلب : اضطرب وجزع ، ورجفت الأرض إذا تزلزت ، وفي التنزيل : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ)^(٣) قال الفراء :

(١) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٤٧١/١

(٢) الأعراف / ١٥٥ تنمة الآية : (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)

(٣) النازعات ٦-٧

هي النفخة الأولى ، والرادفة النفخة الثانية^(١) ، قال أبو اسحق : الراجفة : الأرض
ترجف تتحرك حركة شديدة^(٢) .

وقال مجاهد: هي الزلزلة^(٣) ، وفي الحديث: (أيها الناس اذكروا الله، جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة)^(٤) ، قال الرادفة : النفخة الأولى التي تموت لها
الخلائق، والرادفة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة، واصل الرجفة الحركة والاضطراب^(٥)،
ومنه حديث البعث : فرجع ترجف بوادره^(٦) ، الرجفة في القرآن كل عذاب أخذ
قوماً ، فهي رجفة وصيحة وصاعقة ، والرعد يرجف رجفاً ورجيفاً ، وفي ذلك
تردد هدرته في السحاب .

ابن الانباري : الرجفة معها تحريك الأرض يقال : ترجف الشيء إذا
تحرك وأنشد :

تحي العظام الراجفات البلى وليس لداء الركبتين طبيب

ابن الأعرابي : رجف البلد إذا تزلزل وقد رجفت الأرض وارجفت
وإرجفت إذا تزلزلت^(٧) .

دراسة النص :

قال الطبري (الرجفة) أنها كانت صاعقة أمانتهم^(٨) .

(١) الفراء ، معاني القرآن ، ٣٩٥/١ ،

(٢) الزجاج ، معاني القرآن وإعرايه ، ٢١٥/٥

(٣) انظر مجاهد ، تفسير مجاهد ٧٢٦/٢

(٤) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٣٦/٤ (٢٤٥٧)

ومسند أحمد بن حنبل ١٣٦/٥ (٢١٢٧٩)

(٥) انظر أيضا ابن الأثير ، النهاية ٤٩٣/٢

(٦) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ١ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥/١

(٧) وأيضاً أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ١ - باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٩/١ (١٦٠)

وقال (ترجف بوادره) معنى ترجف ترعد وتضطرب واصلها شدة الحركة والبوادر جمع بادرة وهي الملحمة التي بين

القلب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان

(٨) ابن منظور - اللسان ١٥٣/٥

(٩) الطبري ، جامع البيان ، ٩٣/٦

وقال القرطبي : الرجفة في اللغة الزلزلة الشديدة ويروى اسم زلزلوا حتى ماتوا^(١) ، ورجفت الأرض أي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد^(٢) .

وقال البيضاوي : إذا أخذتهم الساعة أو رجفة الحبل فصعقوا منها^(٣) .

وجاء في تفسير الجلالين الرجفة : الزلزلة الشديدة^(٤) .

وقال النسفي : الزلزلة الشديدة^(٥) .

وقال الالوسي والسيوطي هي الساعة^(٦) .

وجاء في معاني القرآن الرجفة في اللغة الزلزلة الشديدة^(٧)

وأما الراجفة كما في قوله تعالى (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) فقال الشوكاني :

الراجفة : المضطربة يقال رجف يرجف : إذا اضطرب والمراد هنا الصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب كالرعد وهي النفخة التي تموت بها جميع الخلائق ، والرادفة : النفخة الثانية التي تكون عند البعث سميت راجفة لأنها ردفتم النفخة الأولى ، وأرد أقوال بعض المفسرين مثل ابن زيد الراجفة الأرض والرادفة الساعة ، وقال مجاهد : الرادفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة ، وقيل الراجفة اضطراب الأرض والرادفة الزلزلة ، واصل الرجفة الحركة ، وليس المراد التحرك هنا فقط بل الراجفة هنا مأخوذة من قولهم رجف الرعد يرجف رجفاً ورجيفاً إذا ظهر صوته ومنه سميت الأراجيف الاضطراب الأصوات بها وظهور الأصوات فيها^(٨) .

(١) المرجع نفسه ، ٧٣/٦

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/٧

(٣) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٦٣٠/١

(٤) الجلالين ، تفسير الجلالين ٢١٦/١

(٥) النسفي ، تفسير النسفي ٤٠/٢

(٦) الالوسي ، روح المعاني ، ٧٤/٩ ، السيوطي ، الدر المنثور ، ٥٦٦/٣

(٧) الأصفهاني ، معاني القرآن ٨٦/٣

(٨) الشوكاني ، فتح القدير ، ٥٢٦/٥

وقال البغوي : الراجفة هي النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلائق^(١) .

قال ابن منظور الراجفة هي الاضطراب والزلزلة ، وانقسم المفسرون في معنى الراجفة على معنيين ، فمنهم من خالف ابن منظور بقوله الراجفة هي الصاعقة وذلك قول الطبري والبيضاوي والالوسي والسيوطي وغيرهم ، ومنهم من قال هي الزلزلة موافقا ابن منظور مثل القرطبي والجلالين والاصبهباني وغيرهم .

وربما كان المعنى كما قال البيضاوي هي رجفة الجبال أي زلزته فصعقوا بها وماتوا فيتم التوفيق بين الرأيين وأما الراجفة فانفق ابن منظور والمفسرون في معناها وهي رجفة الأرض واضطرابها ، وأن المقصود بها النفخة الأولى .
المعنى العام للآية :

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل ، فعن السدي قال : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فارناه ! فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) أي عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه (أَنْتَ وَلِيْنَا) أي ناصرنا فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها وارحمنا وأنت خير الغافرين^(٢) .

النص رقم (٥٩)

قال تعالى : (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)^(١)

^(١) البغوي ، تفسير البغوي ٣٢٥/١

^(٢) الطبري ، جامع البيان ٧٣/٦

التفسير اللغوي للنص :

قل ابن منظور قال الليث : ارجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن قال تعالى : (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) وهم الذين الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطرابا في الناس وقال الجوهرى : والجازجاني واحد اراجيف الأخبار(٢) وقد ارجفوا في الشيء إذا خاضوا فيه(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (المرجفون) هم أهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل(٤) . وقال القرطبي : المرجفون في المدينة هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسؤهم من عدوهم فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قد قتلوا أو هزموا وإن العدو قد أتاكم ، وذكر قول ابن عباس : الإرجاف التماس الفتنة ، والإرجاف : إشاعة الكذب والباطل للاهتمام به ، ويقال تحريك القلوب(٥) . وذكر ابن كثير أن المرجفون المقصود بها الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويجرعوا إلى الحق(٦) . وقال الشوكاني : هم المنافقون جميعاً(٧) .

وقال البيضاوي : الإرجاف اصل التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الأخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير ثابت والمرجفون هم الذين يرجفون أخبار

السوء عن سرايا المسلمين ونحوها(٨) .

(١) الأحزاب / ٦٠ (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)

(٢) الجوهرى ، الصحاح ٤٤/٢

(٣) ابن منظور ، اللسان ١٥٣/٥

(٤) الطبري ، جامع البيان ، ٣٣٣/١٠

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/١٤

(٦) ابن كثير ، التفسير العظيم ٦٨٤/٣

(٧) الشوكاني ، فتح القدير ٤٣٥/٤

(٨) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٣٨٦/١

وقال الزمخشري : يقال ارجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبراً غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وفي مفردات القرآن : الرجف : الاضطراب الشديد ، يقال : رجفت الأرض ورجف البحر ، وبحر رجاف ، والإرجاف : اتباع الرجفة إما بالفعل وإما بالول ، والمرجفون : هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس ويقال الأراجيف ملامح الفتن^(٢) .

ولم يختلف باقي المفسرين عن ما ذكره هؤلاء أن الإرجاف هو الاضطراب والمرجفون المقصود بهم المنافقون الذين كانوا ينقلون الأخبار السيئة عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقصدون بذلك اتباع الفتن والاضطرابات وهذا ما ذكره ابن منظور أيضاً .

وأيضاً ذكر أهل اللغة ذلك حيث ذكر في القاموس المحيط أن رجف معناه حرك وتحرك واضطرب شديداً ورجفاً ورجفاناً ورجوفاً ورجيفا والمرجفون في المدينة هم الذين خاضوا في أخبار الفتن ونحوها^(٣) .

وفي المصباح المنير : رجف الشيء رجفاً ورجفاً ورجفاناً تحرك واضطراب ورجفت الأرض كذلك وارجف القوم في الشيء وبه (ارجفا) أكثر من الأخبار السيئة واختلاف الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس^(٤) .

المعنى العام للنص :

(لئن) قسم (لم ينته) المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض أي الزناة والمرجفون عن نقل أخبار السوء الكاذبة عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ) لنأمرك بقتالهم أو لنسلطك عليهم ثم لا يجاورنك في

(١)الزمخشري ، الكشاف ١/١٠٩

(٢)الاصفهانى ، مفردات القرآن ١/٥٣٥

(٣)الرازي ، القاموس المحيط ١/١٠٤٩

(٤) الفيروزآبادي : المصباح المنير ١/٢٢٠

المدينة إلا قليلا ، وذلك إذا لم ينته المنافقون عن كيدهم وعداوتهم الفسقة عن مجونهم والمرجعون عن تأليف أخبار السوء

النص رقم (٦٠)

قال تعالى : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجل : الرجل معروف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة ، وقيل : إنما يكون رجلاً فوق الغلام ، وذلك إذا احتلم وشب ، وقيل : هو رجل ساعة تلده أمه إلى ما بعد ذلك ، وتصغيره رجيل ، رويجل ، على غير قياس ، حكاه سيبويه ، التهذيب : تصغير الرجل رجيل وعتمه يقولون رويجل صدق ، ورويجل سوء على غير قياس ، يرجعون إلى الراجل لأن اشتقاقه منه ، كما أن اتعجل من العاجل واتعذر من العاذر ، والجمع رجال وفي التزليل العزيز : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) أرادوا من أهل ملتكم ورجالات جمع الجمع ، وقال سيبويه : ولم يكسر على بناء من ابنية أحرف العدد يعني أنهم لم يقولوا أرجال (٢) وقال أبو زيد في جمعه رجلة وهو أيضا اسم الجمع لأن فعلة ليست من ابنية الجموع ، وذهب أبو العباس أن رجلة مخفف عنه ، ابن جني : ويقال هم الرجل والأنثى رجلة (٣) وترجلت المرأة إذا صارت كالرجل ، وفي الحديث كانت عائشة رضي الله عنها رجلة الرأي قال الجوهري في جمع الرجل أرجل (٤) قال أبو ذؤيب (٥) :

(١) تسمية الآية : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ

الشُّهَدَاءِ) (البقرة: من الآية ٢٨٢)

(٢) سيبويه ، الكتاب ٥٤/١ .

(٣) ابن جني ، الخصائص ، ٤٣٦/٢ .

(٤) الجوهري ، الصحاح ٢٧٩/٢

(٥) أبو ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد بن محرت بن زبيد بن مخزوم بن صاملة بن كاهل بن الحارث بن نعيم

بنسعد بن ، بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ١٢٣/١

أهم بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا : نعد وأعز وسط الأراجل^(١)
قال ابن بري : الأراجل هنا جمع أرجال وأرجال جمع راجل^(٢)^(٣)
دراسة النص :

لم يتحدث الطبري عن المعنى اللغوي لكلمة رجال واعتقد لأنها واضحة من
من بقية الآية (ورجل وامرأتان) فكلمة وامرأتان توضح المعنى المقصود من
رجال، فتحدث عن معنى رجال في الآية فقال هم أحراركم من المسلمين دون عبديكم^(٤).
وذكر القرطبي المعنى المقصود من رجال ضمناً بقوله (من رجالكم) نص
في دون الكفار والصبيان والنساء وأما العبيد فذكر فيهم رأى الجمهور لا تجوز
شهادة العبد للرق^(٥) .

ولم يذكر ابن كثير شيئاً عن رجالكم^(٦) .

وأما الشوكاني فيقول (رجالكم) صفة لشهيدين أي كائنين من رجالكم أي من
المسلمين فيخرج الكفار وقال لا وجه لخروج العبيد في نص الآية فهم إذا كانوا
مسلمين من رجال المسلمين^(٧) .
ولم يختلف باقي المفسرين منهم في شيء .

فلاحظ اتفاقهم في المعنى التفسيري حيث ذكر ابن منظور أن المقصود من
رجالكم أهل ملتكم أي يعني ملة الإسلام ، وهذا ما ذكره المفسرون أن المقصود
المسلمين وزادوا عليه الأحرار من المسلمين مع خلاف في العبيد .
وقال الإمام الشافعي أنه سبحانه وتعالى ذكر شهود الزنا وذكر شهود
الطلاق والرجعة وذكر شهود الوصية في قوله تعالى (اثتان ذو عدل منكم) فلم

(١) يقول أهمهم نقه صيفهم وشتاءهم وقالوا لأبيهم : تعد أي انصرف عنا . انظر ثورة الشمالان : أبو ذئيب الهذلي
حياته وشعره ، ، جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، ص ٢٥ .

(٢) لم أجده

(٣) ابن منظور ، اللسان ١٥٤/٥

(٤) الطبري ، جامع البيان ، ١١٥/٣

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٥٨/٣

(٦) انظر ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٤٤٦/١

(٧) الشوكاني ، فتح القدير ، ٤٥٢/١

يذكر مع هؤلاء امرأة فشهدوا الزنا يشهدون على حد وشهود الطلاق والرجعة يشهدون على تحريم بعد تحليل وتثبيت تحليل ، أما شهود الدين فذكر فيهم النساء وكان الدين أخذ مال فالأمر على ما فرق الله عز وجل وبينه ، فهنا قدم الوصية والوكالة والحدود وما اشبه ذلك فلا يجوز فيه إلا شهادة الرجال أما إذا كان المشهود عليه مالا فتجوز فيه شهادة النساء مع الرجال لأنه الموضع الذي جازهن فيه الله وقال الجصاص في هذه الآية : يعد ذكر تحصينا للمال واحتياطا للبايع من جور المطلوب أو موته قبل أدائه^(١) .

المعنى العام للنص :

قال القرطبي في شرح الآية : الاستشهاد هو طلب الشهادة وأنها ندب وشهيدان دلالة على العدالة ، أما من رجالكم فإن المقصود بها النص على رفض الكفار والصبيان والنساء والعبيد^(٢) .

وقال ابن كثير : ذكر الاستشهاد مع الكتابة لإباحة التوثقة () هذا إنما يكون في الأموال وإنما المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة ، كما قال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رايتكن أكثر أهل النار ، فقال امرأة منهن جزلة : ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن ، قالت : يا رسول الله : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين)^(٣) .

(١) انظر الشافعي ، أحكام القرآن ، ١٣٢/٢ وانظر أيضا الجصاص ، أحكام القرآن ، ١٣٣/٣

(٢) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٨/٣

(٣) انظر : ابن كثير ، التفسير العظيم ، ١٩٤/١

والحديث رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أنظر :

- صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ١١٦/١ (٢٩٨)

ورواه مسلم عن عبد الله بن عمر انظر :

- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ن باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات ٨٦/١ (٢٩)

النص رقم (٦١)

قال تعالى : (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرجل : قدم الإنسان وغيره ، قال أبو اسحق والرجل من اصل الفخذ إلى القدم أنثى .

والجمع أرجل ، وقال ابن جني : استغنوا فيه بجمع القلة عن جمع الكثرة (٢).

وقوله تعالى : (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال الزجاج (٣) : كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخخال وربما كان فيه الجلال فإذا ضربت برجلها علم أنها ذات خلخال وزينة ، فنهى عنه لما فيه من تحريك الشهوة ، كما أمرن أن لا يبيدين ذلك لأن سماع صوته بمنزلة إيدائه (٤).

دراسة النص :

قال الطبري : يقول تعالى ذكره : ولا يجعلن في أرجلهن من الحلى فإذا مشين أو حركتهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك (٥) .

وقال القرطبي : أي لا ترب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها فاسماع صوت الزينة كإبداء الزينة واشد والغرض التستر ، وزاد من فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعله تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم (٦) .

ورواه الترمذي عن أبي هريرة انظر :

- سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ١/٥ (٢٦١٣)

(١) سورة النور الآية ٣١

(٢) ابن جني ، الخصائص ١/٢٦٧

(٣) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ٣٢/٤

(٤) ابن منظور ، اللسان ٥/١٥٥

(٥) الطبري ، جامع البيان ٩/٣٠٨

(٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠٥

وذكر ابن كثير أن المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كانت شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا المعنى (١) .

وقال الشوكاني : وهو أن تفرع الخلخال بالآخر عند الرجال أو يكون في رجلها خلخال فتحرکه عند الرجال فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان (٢) .

وقال البغوي : كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليعلم صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهيت عن ذلك (٣) .

يتضح مما سبق أن المفسرين لم يتعرضوا لمعنى (أرجلهن) اللغوي وذلك لوضوحه وعدم الإشكال فيه واتفقوا على أن المقصود بالآية الخلخال وهو من الزينة المعروفة عند النساء حيث كانت تلبسه النساء في أرجلهن للزينة فنهى عنه إذا كان فيه صوتاً محرکاً للشهوة .

وفي سبب النزول : زعم حضرمي أن المرأة اتخذت بردين من فضة واتخذت جزعاً في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوق الخلخال على الجزع صوت فنزلت هذه الآية (٤) .

المعنى العام :

قال الألوسي : وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ (أي ما يستترنه عن الرؤية من زينتهن أي لا يضربن بأرجلهن الأرض لينقطع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم (٥) .

(١) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٣٧٥/٣

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ٣٢/٤

(٣) البغوي ، تفسير البغوي ٣٢/١

(٤) انظر السيوطي ، لباب النقول ، ١٥٢/١

(٥) الألوسي ، روح المعاني ، ١٤٦/١٨

النص رقم (٦٢)

قال تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرجلان ، الرجل ، والجمع رجلى ورجال قال ابن بري، قال ابن جني ، راجل ورجلان ، بضم الراء (٢) .
وقوله تعالى (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) أي فصلوا ركباناً ورجالا ، جمع راجل مثل صاحب وصحبي ، أي إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين أي عابدين مؤتين الصلاة حقها لخوف ينالكم فصلوا ركباناً ، التهذيب : رجال : أي رجالة ، وقد رجلة إلى رجالة ، وفي حديث صلاة الخوف (٣) ، فإن كان خوفاً هو أشد من ذلك فصلوا رجالا وركباناً ، الرجال جمع راجل أي ماشي بالراجل : خلاف الفارس ، والعرب تقول في الدعاء هو الإنسان ، ماله رجل أي عدم المركوب فبقى راجلا ، والرجلة والرجلة شدة المشي (٤) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري حيث ال الطبري : الرجال جمع رجل ورجل وأما أهل الحجاز فإنهم يقولون لواحد الرجال رجل وقد سمع من بعض أحياء

(١) البقرة / ٢٣٩ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)

(٢) ابن جني / الخصائص ٢٩٧/٢

(٣) عن ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف (ان يكون الإمام يصلي بطائفة معه فيسجدون سجدة واحدة ، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو ، ثم ينصرفون الذين سجدوا مع أميرهم ثم يكونون مكان الذين لم يصلوا ، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلوا مع أميرهم سجدة واحدة ، ثم ينصرف أميرهم وقد صلى صلاته ، ويصلي كل واحد من الطائفتين بصلاته سجدة لنفسه فإن كان خوف أشد من ذلك فرجالاً أو ركباناً ، قال : يعني بالسجدة الركعة

- الموطأ رواية محمد بن الحسن ، أبواب الصلاة ، باب المرأة تكون بين الرجل يصلي وبين القبلة وهي نائمة أو قائمة ٦٠/٢ (٢٧٩)

- صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب فإن خفتهم فرجالاً أو ركباناً ١٦٤٩/٤ (٤٢٦١)

- انظر أيضاً سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الخوف ٣٩٩/١ (١٢٥٨)

(٤) ابن منظور ، اللسان ١٥٦/٥

العرب في واحد هم رجلان فمن قال رجلان للذكر قال للأنثى رجل وراز في جمع الذكر والمؤنث فيه أن يقال أتى القوم رجال ورجالا مشاة على أرجلهم^(١) .

وقال القرطبي في معنى (رجالا) أي فصلوا رجلاً أو ركبانا معطوف عليه، والرجال جمع راجل أو رجل من قولهم رجل الإنسان يرجل رجلاً إذا عدم المركوب ومشى على قدميه ، فهو رجل وراجل ويقولون مشى فلان إلى بيت الله حافياً رجلاً ورجلان ورجيل ورجل ، ويجمع على رجال ورجل ورجال ورجالة ورجالي ورجلان ورجلة وأرجلة وأراجل وأراجيل ، والرجل الذي هو اسم الجنس يجمع أيضا على رجال^(٢) .

وقال ابن كثير : أي فصلوا على أي حال كان رجلاً أو ركبانا يعني مستقبل القبله وغير مستقبلها^(٣) .

وذكر الشوكاني : أي يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه^(٤) .
وذكر البغوي ما ذكره ابن منظور حيث قال : راجل مثل صاحب وصحاب ومعناه إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين مؤتين الصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على ظهر دوابكم^(٥) .

وفي معاني القرآن قال عن ابن عباس : فعلى أرجلكم إذا قاتلتم يصلي الرجل يؤمي برأسه أيما توجه وكيف قدر^(٦) .

وفي مفردات القرآن قال : إن الرجل هو العضو المخصوص بأكثر الحيوانات قال تعالى (فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) واشتق من الرجل رجل وراجل للماشي بالرجل وراجل بين الرجله يجمع الراجل رجالة ورجل ، نحو ركاب جمع راكب ويقال رجل راجل أي : قوي على المشي جمعه رجال نحو

(١) الطبري ، جامع البيان ٥٨٧/٢

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/٣ - ٣٥٥/٥

(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ٣٨٩/١

(٤) الشوكاني ، فتح القدير ٣٩١/١

(٥) البغوي ، تفسير البغوي ٢٥٠/١

(٦) النحاس ، معاني القرآن ٢٤٢/١ ، انظر أيضا تذكر الأديب ١٣٥/١

قوله تعالى (فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) (١) .

دلت النصوص سابقة الذكر أن المقصود (رجالاً) أي راجلين أو مشاة على أرجلهم وهذا في صلاة الخوف ، وفي هذا المعنى اتفق ابن منظور والمفسرين وذكروا المشتقات المختلفة كلمة رجال .

وقال الإمام الشافعي : لما أمر الله تعالى بالقيام للصلاة في قنوت وخشوع حال الأمن ذكر حال صلاة الخوف ، ورخص لعبيده في الصلاة رجالاً على الأقدام وركباناً على الخيل والإبل ونحوها .

واختلف في الخوف الذي تجوز فيه الصلاة رجالاً وركباناً ، فقال الشافعي : هو إطلال العدو عليهم فيترامون معاً والمسلمون في غير حصن حتى ينالهم السلاح من الرمي أو أكثر من أن يقرب العدو فيه منهم من الطعن والضرب أو يأتي من يصدق خبره أن العدو قريب منه (٢) .

المعنى العام للنص :

قال الطبري : معنى الآية : وقوموا لله في صلاتكم مطيعين له لما قد بيناه من معناه فإن خفتهم من عدو لكم ايها الناس تخشوهم على أنفسكم في حال النقائم معهم أن تصلوا قياماً على أرجلكم بالأرض قانتين لله فصلوا رجالاً مشاة على أرجلكم وأنتم في قربكم وقتالكم وجهاد عدوكم أو ركبناً على ظهور دوابكم فإن ذلك يجزيكم حينئذ من القيام (٣) .

النص رقم (٦٣)

قال تعالى : (لئن لم تنته لأرجمَنَّكَ) (٤)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجم الرجم القتل ، وقد ورد في القرآن الرجم القتل في غير موضع من كتاب الله عز وجل ، وإنما قيل للقتل رجم لأنهم كانوا إذا قتلوا

(١) الأصفهاني ، مفردات القرآن ٥٣٦/١ والآية من سورة المائدة الآية ٦

(٢) الشافعي ، انظر أحكام القرآن ، ٢٠/١

(٣) الطبري ، جامع البيان ، ٥٨٧/٥

(٤) سورة مريم الآية ٤٦ : (قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)

رجلاً رموه بالحجارة حتى يقتلوه ، ثم قيل لكل قتل رجم ، ومنه رجم الشيبين إذا زنيا ، واصله الرمي بالحجارة .

ابن سيدة : الرجم الرمي بالحجارة رجم هي رجمه رجماً فهو مرجوم ورجيم^(١) ، والرجم : اللعن ، ومنه الشيطان الرجيم أي المرجوم بالكواكب ، صرف إلى فعيل من فعول ، وقيل رجيم ملعون مرجوم مبعود من مطرود ، وهو قو أهل التفسير ، قال : ويكو نرجيم بمعنى المشتوم المسبوب ، من قوله تعالى : (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ) أي لأسبنك ، والرجم الهجران ، والرجم الطرد ، والرجم الظن ، والرجم السب والشتم ، وقوله تعالى حكاية من قوم نوح على نبينا وعليه السلام (تَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)^(٢) قيل المعنى : من المرجومين بالحجارة وقد تراجموا وارتجموا .

والرجم ، ما رجم به ، والجمع رجوم ، والرجوم النجوم التي يرمى بها ، التهذيب : والرجم اسم لما يرمى به الشيء المرجوم ، وجمعه رجوم ، قال تعالى في الشهب : (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ)^(٣) أي جعلناها مرامي لهم ، وتراجموا بالحجارة أي تراموا بها ، وفي حديث قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشيطانين ، وعلامات يهتدى بها^(٤) .

قال ابن الأثير : الرجوم جمع رجم^(٥) وهو مصدر سمي به ، ويجوز أن يكون مصدراً لا جمعاً ، ومعنى كونها رجوماً للشياطين أن الشهب التي تنقض في الليل منفصلة من نور الكواكب ونورها ، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسهم ، لأنها ثابتة لا تزول ، ويل أراد بالرجوم الظنون التي وتظن ، ومنه قوله تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ)^(٦) وما

(١) ابن سيدة : المحكم ٢٩٢/٧

(٢) سورة الشعراء الآية ١٦

(٣) سورة الملك الآية ٥

(٤) قول قتادة ذكره الطبري ١٢٦/١٢

(٥) ابن الأثير ، النهاية ٤٩٥/٢

(٦) سورة الكهف الآية ٢٢

يعانيه المنجمون من الحدس والظن والحكم على اتصال النجوم وانفصالها ، وإياهم يعني بالشياطين لأنهن شياطين للإنس ، قال : وقد جاء في بعض الأحاديث : من اقتبس من السحر بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر (١) ، والمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر ، فجعل المنجم الذي يتعلم النجوم للحكم بها وعليها ، وينسب التأثيرات من الخير والشر إليها كافرا والرجم : القول بالظن والحدس وفي الصحاح (٢) : أن يتكلم الرجل بالظن ، ومنه قوله عز وجل (رَجِمًا بِالْغَيْبِ) (٣) .

دراسة النص :

يقول الطبري : الرجم هو ميل بمعنى مفعول أي ملعون وتأويل الرجم الملعون المشتوم وكل مشتوم بقول ردي أو سب فهو مرجوم وأصل الرجم الرمي يقول كان أو يفعل مثل قول أبي إبراهيم لإبراهيم عليه السلام : (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ) فهذا بالقول وأيضا قول قوم نوح : (لتكونن من المرجومين) أي المشتومين (٤) .

ووافق القرطبي بقوله : الرجم أي المبعد من الخير المهان ، أصل الرجم: الرمي بالحجارة وقد رجمته أجرمه فهو رجم ومرجوم ، والرجم : القتل واللعن والطرده والشتم ، وقد قيل هذا كله في الاليتين ، وأضاف القرطبي قول قتادة في قوم نوح قال أي بالحجارة ، قول ابن عباس ومقاتل أي من المقتولين ، وقال : قال : كل مرجومين في القرآن فهو القتل إلا في مريم (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ) أي لأسبنك (٥) .

وكذلك الشوكاني ذكر القولين : بالحجارة وقيل باللسان فيكون معناه لأشتمنك وقيل معناه لأضربنك وقيل لأظهرن أمرك (٦) .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب ، باب تعلم النجوم ، ١٢٢٨/٢ ، (٣٧٢٦)

(٢) الجوهري ، الصحاح ، ١٤٢٦/٢

(٣) ابن منظور ، اللسان ١٦١/٥

(٤) الطبري ، جامع البيان ، ٧٦/١ و ٤٥٨/٩

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١١٢/١٣

(٦) الشوكاني ، فتح القدير ، ٤٨٠/٣

وذكر أبو السعود القولين دون ترجيح فقال لأرجمك بالحجارة^(١) وقيل باللسان ، أما النسفي فقال في قوم نوح من المقتولين بالحجارة^(٢) .
 أما ابن الجوزي فقال في المرجومين ثلاثة أقوال فذكر قول الضحاك من المشتومين والثاني قول قتادة من المضروبين، والثالث وقال مقاتل من المقتولين بالرجم^(٣).
 فعلى كل حال فإن الرجم يأخذ معنى الشتم في قول أبي سيدنا إبراهيم ويأخذ معنى الرمي بالحجارة في قول قوم نوح هذا ما ذكره ابن منظور ووافقه الطبري في الآيتين .

كما أن الرجم يأخذ معنى الرمي بأشياء أخرى غير الحجارة كما في الآية (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) فقال الطبري هي النجوم فقال كما أنها جعلت زينة للسماء ، فكذا جعلت رجوماً للشيطانين ترجم بها ، وذكر قول قتادة الذي ذكره ابن منظور من أن النجوم جعلت لثلاث خصال زينة ورجوماً للشيطانين وعلامات يهتدى بها^(٤) .

وزاد ابن كثير أن المرجوم المطرود من الخبر كله ، وأن النجوم التي يرمى بها اشلياطين ليست هي نجوم الزينة^(٥) .

قال البيضاوي : رجوم مصدر وهي ما يرمم به في الشهب المسببة عنها وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون^(٦) .

وأيضاً يكون الرجم بالظن كما في قوله تعالى (رَجِمًا بِالْغَيْبِ) قال الطبري قذفا بالظن غير يقين^(٧) .

وقال ابن كثير أي من غير أستاذ إلى كلام معصوم^(٨)

(١) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ٢٦٨/٥

(٢) النسفي ، تفسير النسفي ١٩٢/٣

(٣) ابن الجوزي ، زاد المسير ١٣٤/٦

(٤) الطبري ، جامع البيان ، ١٢٦/١٢

(٥) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ١١٧/

(٦) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٣٦٢/١

(٧) الطبري ، جامع البيان ، ٢٠٥/٨

(٨) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ١٠٧/٣

وذكر الشوكاني أن الرجم بالغيب هو لقول بالظن والحدس من غير يقين ووافقه البغوي^(١) .

وقال البخاري في صحيحه : الرجم الرمي والغيب الحبر الخفي أي يقولون هذا ظناً وحدساً من غير يقين^(٢) .

فيكون معنى الآية ولا تستفت في عدة الفتية من أصحاب الكهف منهم يعني من أهل الكتاب أحداً لأنهم لا يعلمون عدتهم إنما يقولون فيهم رجماً بالغيب لا يقيناً بالقول .

وفي مفردات القرآن قال الرجم : الرجام : الحجارة والرجم : الرمي بالرجام يقال : رجم فهو مرجوم قال تعالى : (لئن لم تنته يا نُوحُ لتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) أي المقتولين أقبح قتلة ، وقال : (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)^(٣) : (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ)^(٤) ويستعار الرجم للرمي بالظن والتوهم وللشتم والطرده في قوله تعالى (رَجَمًا بِالْغَيْبِ) قذفاً بالظن^(٥) .

وفي تاج العروس : الرجم القذف بالغيب والظن والقتل^(٦) .

المعنى العام للنص :

استغفر إبراهيم لأبيه لأنه وعد أباه بالاستغفار له والدعاء له بالمغفرة عند أبيه إياه وتهده بالشتم بعد ما رأى نصيحته في الله وقوله (قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئن لم تنته لأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْرُنِي مَلِيًّا) فكان رد إبراهيم (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) فوفى لأبيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدو لله ووصفه الله بأنه دعاء لربه حلیم عن صفة عليه^(٧) .

(١) الشوكاني ، فتح القدير ٣/٣٨٦ انظر أيضا البغوي ، تفسير البغوي ١/١٦١

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف ورقم) ٣/١٢٧٦

(٣) سورة هود الآية ٩

(٤) سورة الكهف الآية ٢٠

(٥) الأصفهاني ، مفردات القرآن ١/٥٣٧

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ١/٧٧٢٤

(٧) انظر الطبري ، جامع البيان ، ٨/٣٤٧

النص رقم (٦٤)

قال تعالى : (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رجا ، الرجاء من الأمل : نقيض اليأس ، ممدود رجاء يرجوه رجواً ورجاء ورجاوة ومرجاة ورجاة ، وهمزته منقلبة على واو بدليل ظهورها في رجاوة ، وفي الحديث إلا رجاة أن أكون من أهلها ، وانشد ابن الإعرابي :

غدوت رجاة أن يجود مقاعس وصاحبه فاستقبلاني بالصدر

ورجية ورجاه وارتجاه وترجاه بمعنى قال بشر يخاطب بنته :

فرجي الخير وانتظري إيابي إذا ما القارظ العنزي آبا

ومالي في فلان رجية أي ما أرجو . ويقال ما أتيتك إلا رجاوة الخير .

التهذيب : من قال فعلت ذلك رجاة كذا فهو خطأ إنما يقال رجاء كذا (٢) . وقد

يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف . ابن سيده : والرجاء الخوف وفي التنزيل :

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) . وقال ثعلب : قال الفراء : الرجاء في معنى الخوف

لا يكون إلا مع الجحد . الفراء : رجاء في معنى الخوف إذا كان معه (٣) حرف

نفي ومنه هذه الآية والمعنى لا تخافون الله عظمة . وقال الفراء : وقال بعض

المفسرين في قوله تعالى : (وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) (٤) معناه تخافون .

قال : ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جهد فإذا كان كذلك كان الخوف

على جهة الرجاء والخوف وكان الرجاء كذلك كقوله عز وجل (لَا يَرْجُونَ

أَيَّامَ اللَّهِ) (٥) هذه للذين لا يخافون أيام الله وكذلك قوله تعالى (لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) .

(١) سورة نوح آية (١٣) .

(٢) أبو منصور : التهذيب ، ١١/١٨٢ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٣/١٨٨ .

(٤) سورة النساء آية ١٠٤ .

(٥) الجاثية آية ١٤ .

قال ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك ولا خفتك وأنت تريد رجوتك .

وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) (١) أي لا يخشون لقاءنا .
والرجاء مقصور ناحية كل شئ . وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى
أسفلها وحافتها . وكل شئ وكل ناحية رجا . وتثنيته رجوان . والجمع أرجاء
ومنه قوله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) (٢) أي نواحيها (٣) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري فقال : (وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) (٤)
وتخافون من الله ما لا يخافون من قول الله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
أَيَّامَ اللَّهِ) بمعنى لا يخافون أيام الله . وذكر أيضاً ما ذكره ابن منظور أنه غير
معروف صرف الرجاء إلى معنى الخوف في كلام العرب إلا مع جحد سابق له
كما قال جل ثناؤه : (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) بمعنى : لا تخافون الله عظمة (٥) .

وأيضاً وافق ابن منظور القرطبي الذي قال الرجاء بمعنى الخوف وفي قوله
تعالى (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) أي لا تخافون عظمة الله . وذكر قول بشر لبنته .
وذكر أن الرجاء : مقصور هو ناحية البئر وحافتها . وكل ناحية رجا .

وأورد قول الزجاج أنه : لا يطلق الرجاء بمعنى الخوف إلا مع النفي كما
في الآيتين (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) (٥) .

ولم يختلف عنهم ابن كثير حيث قال أي عظمة وذكر قول ابن عباس : لا
تعظمون الله حق عظمته أي لا تخافون من بأسه ونقمته (٦) .

وفي قوله تعالى : (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) ، ثم قال تعالى :
(وترجون من الله ما لا ترجون) أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من

(١) سورة الفرقان آية ٢١ .

(٢) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٦٣/٤ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٤٩/٣ و ٣٥٥/٥ .

(٥) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٥٤٦/٤ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٣٣/١ .

الجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهم لا يرجون شيئاً من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلانها (وكان الله عليماً حكيماً) أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه^(١) .

وقال البغوي : المراد بالرجاء الخوف لأن كل راج خائف أن لا يدرك أموله ، ومعنى الآية ، وترجون من الله أي : تخافون من عذاب الله ما لا يخافون ، وأضاف ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد كقوله تعالى : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون وأيضاً قوله تعالى : (مالكم لا ترجون لله وقاراً) أي : لا تخافون لله عظمة^(٢) .

وأيضاً الشوكاني ذكر قول الزجاج وأقوال العلماء الأخرى وقال المعنى لا ترجون لله عظمة^(٣) .

وفي قوله تعالى : (والملك على أرجائها) قال ابن منظور أي نواحيها فوافق قول الطبري : (والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافتها^(٤)) .
وأيضاً وافقهما ابن كثير قائلاً : حافاتهما وأطرافها^(٥) ، وكذلك قال الشوكاني : أرجائها جمع رجي مقصور وتثنية رجوان ، والمعنى : أنا لما تشققت السماء وهي مساكنهم لجأوا إلى أطرافها ، وذكر قول الضحاك : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فشققت وتكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض ويحيطون بالأرض ومن عليها ، وقال سعيد بن جبير : المعنى والملاك على حافات الدنيا ، أي ينزلون إلى الأرض وقيل إذا صارت السماء قطعاً يقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشقة في أنفسها (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٣١/١ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ، ٢٨٢/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ١٦٤/٥ . انظر أيضاً مختار الصحاح للرازي ٢٦٧/٨ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٢١٤/١٢ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٣٢/٤ .

وقيل ثمانية صنوف من الملائكة ، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل (١) .
ولم يزد باقي المفسرين في هذه الآية عما قيل شيئاً عما قيل . وجاء في
مفردات القرآن : رجا البئر والسماء وغيرها : جانبها والجمع أرجاء والرجاء ظن
يقتضي حصول ما فيه مسرة ومنه قوله تعالى : (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) قيل ما لكم
لا تخافون (٢) . والملك على أرجائها أي الملائكة على شقتها ينظرون إلى شق
الأرض (٣) .

وفي الآية سجع واضح . والسجع ينقسم إلى أربعة أقسام المطرف
والموازي والمشطر والمرصع . والأول المطرف وعلى منواله نسج نظام
البديعيات وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها بأسجاع غير متزنة
بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روى الأسجاع روي
القافية كقوله تعالى : (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) (٤) .

المعنى العام للنص :

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) أي أي عذر
لكم في ترك الرجاء والرجاء هنا بمعنى الخوف ، أي مالكم لا تخافون الله والوقار
العظمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تخافون حق عظمته
فتوحدونه وتطيعونه (ولا ترجون) في محل نصب على الحال من ضمير
المخاطبين (٥) .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٩٤/٥ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٣٨/١ .

(٣) الألوسي : روح المعاني ، ٤٥/٢٩ .

(٤) تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزداري : خزانة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال ،
بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م (تحقيق عصام شعيتو) ، ٤١١/٢ . انظر أيضاً : جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد
الدين بن عمر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة (الخطيب القزويني) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٤ ،
١٩٩٨م ، ٣٦٢/١ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٤١٧/٥ .

النص رقم (٦٥)

قال تعالى : (وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرحب : بالفتح ، والرحيب : الشئ الواسع تقول منه بلد رحب وأرض رحبة . الأزهري : ذهب الفراء إلى أنه يقال بلد رحب وبلاد رحبة كما يقال بلد سهل وبلاد سهلة (٢) ، وقد رحبت ، ترحب ، ورحب ، يرحب رحباً ورحابة ، ورحبت رحباً . قال الأزهري : وأرحبت ، لغة بذلك المعنى ، وقدر رحاب أي واسعة (٣) . وقول الله عز وجل : (صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ) (٤) أي رحبتها وسعتها . وفي حديث كعب بن مالك (٥) : فنحن كما قال الله تعالى : (صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ) وأرض رحبة : واسعة . ابن الإعرابي : والرحبة ما اتسع من الأرض ، وجمعها رحب ، مثل قرية وقرى (٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : أي وضاقت الأرض بسعتها عليكم ، والباء ههنا في معنى

(١) التوبة / ٢٥ تنمة الآية : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) .

(٢) أبو منصور : التهذيب ، ٢/٥ .

(٣) أبو منصور : نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤) التوبة (١١٨) تنمة الآية : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

(٥) والثلاثة هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار ، ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكره من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها فسدت عليهم المسالك والمذاهب فصبروا واستكانوا وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم عن غير عذر . وقال كعب : وكنا تخلفنا - الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) . انظر صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، ١٦٠٣/٤ (٤١٥٦) . وقد سبق الحديث عنهم في الإرجاء .

(٦) ابن منظور : اللسان ١٦٥/٥ .

(في) ومعناه : وضافت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها . يقال منه : (مكان رحيب) أي واسع وإنما سميت الرحاب (رحاباً) لسعتها^(١) .

وقال القرطبي : (الرحب) بضم الراء السعة تقول منه : فلان رحب الصدر والرحب (بالفتح) : الواسع تقول منه : بلد رحب وأرض رحبة وقد رحبت ترحب رحباً ورحابة ، والباء بمعنى (مع)^(٢) .

ووافق الشوكاني القرطبي بقوله الرحب بضم الراء السعة وبالفتح المكان الواسع والباء بمعنى مع ، والمعنى أن الأرض مع كونها واسعة الأطراف ضاقت عليهم بسبب ما حل بهم من الخوف والوجل وقيل أن الباء بمعنى على^(٣) . وقال البغوي : أي برحبته وسعتها^(٤) .

وقال الأصفهاني : والرحب سعة المكان ومنه : رحبة المسجد ورحبت الدار : اتسعت واستعير للواسع الجوف^(٥) . وفي كتب اللغة : رحبت عليك الأرض : أي اتسعت^(٦) .

المعنى العام للنص :

قال تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) مخاطباً المؤمنين لقد نصركم الله في بدر وقريظة والنضير . (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) وحنين واد بين مكة والطائف . وأن وانكر قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان (إذ) بدل من يوم . (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) أي قلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألف والكفار أربعة آلاف ، (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) أي مع رحبها وسعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثُمَّ وَلِيْتُمُ مَدْيَنَ) أي منهزمين وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان ثم أنزل الله سكينته ورجع المؤمنون إلى رسول الله

(١) الطبري : جامع البيان ٣٤٠/٦ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٨٩/٨ ، انظر أيضاً مختار الصحاح للرازي ٢٦٧/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ٥٠٥/٢ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٥/١ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٣٩/١ .

(٦) انظر : الفراهيدي : العين ٤٠٤/٧ .

صلى الله عليه وسلم (وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا) أي ملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وذلك جزاء الكافرين^(١) .

النص رقم (٦٦)

قال تعالى : (مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رحيق : الرحيق : من أسماء الخمر معروف ، قال ابن سيده : وهو من أعتقها وأفضلها^(٣) ، وقيل : الرحيق صفوة الخمر . وقال الزجاج في قوله تعالى : (مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : الرحيق الشراب الذي لا غش فيه^(٤) ، وقيل : الرحيق : السهل من الخمر ، والرحيق والرحاق : الصافي ولا فعل له ، قال أبو عبيدة^(٥) : من أسماء الخمر الرحيق والراح^(٦) . وفي الحديث : أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم^(٧) ، الرحيق من أسماء الخمر يريد خمر الجنة والمختوم المصون الذي لم يبتذل لأجل ختامه^(٨)

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري حيث قال الطبري يقول تعالى أنه يسقي هؤلاء

(١) انظر تفسير الجلالين ١/٢٤٣ .

(٢) سورة المطففين آية ٢٥ .

(٣) ابن سيده : المحكم ٢/٤٠٢ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٥/٢٣٣ .

(٥) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي ، قيل ولد سنة ١١٠هـ ، تعددت كتبه وموضوعاته ، فتحدثت عن اللغة والتفسير والحديث والتاريخ ، له كتاب مجاز القرآن ، كان شديد الحجة على خصومه ، ابن خلكان ، ٢/١٥٨ .

(٦) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي : مجاز القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص

(٧) الحديث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم (أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عرى كساه الله من خضر الجنة) . انظر أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي : المصنف في الأحاديث والآثار ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ (تحقيق كمال يوسف الحاج) ، ٧/٨١ (٣٤٣٥٥) .

(٨) ابن منظور : اللسان ٥/١٦٨ .

الأبرار من خمر صرف لا غش فيها^(١) .

ووافقهما القرطبي بقوله : أنها شراب لا غش فيه^(٢) .

وقال ابن كثير : أي يسقون من خمر الجنة والرحيق من أسماء الخمر^(٣) .

ونقل الشوكاني قول الزجاج أيضاً أن الرحيق الذي لا غش فيه ولا شئ يفسده والمختوم الذي له ختام وقال بعضهم الرحيق أجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفة الخمرة . وقول مجاهد^(٤) أنها الخمر العتيقة البيضاء الصافية^(٥) .

وقال البخاري : الرحيق أجود الخمر ومختوم أي ختم على ذلك الشراب

ومنع من أن تمسه الأيدي إلى أن يفك ختمه الأبرار^(٦) .

ولا يوجد خلاف بين ابن منظور والمفسرين في أن المقصود بالرحيق خمر

الجنة وأنه شراب صافٍ ولا غش فيه وأنه مختوم بالمسك .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى هذا حال الأبرار بعد أن وصف وجوههم بالنضرة وهي صفة

الترافة والسرور قال أنهم يسقون في الجنة من خمر خاص لا غش فيه مختوم

بالمسك . أي مخلوط به وقال ابن عباس : طيب الله لهم الخمر فكان آخر شئ

جعل فيه مسك ختم بمسك . وقيل هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم

ولو أن رجلاً من أهل الدنيا ادخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد

طيبها^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٤٩٦/١٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٨٨/١٩ .

(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٦٢٦/٤ .

(٤) انظر تفسير مجاهد ٧٣٩/٢ .

(٥) الشوكاني فتح القدير ، ٥٦٩ .

(٦) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة ، ١١٨٢/٣ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٢٦/٤ .

النص رقم (٦٧)

قال تعالى : (وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرحمة : المغفرة . وقوله تعالى في وصف القرآن (وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي فصلناه هادياً وذا رحمة ، وقوله تعالى : (وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) (٢) أي هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم رحمة رحماً ورحماً ورحمة ورحماء . وحكى الأخيرة سيبويه ومرحمة (٣) . وقال الله عز وجل : (وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (٤) أي أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه ، وترحمت عليه أي قلت رحمة الله عليه ، وقوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (٥) فإنما ذكر على النسب وكأنه اكتفى بذكر الرحمة عن الهاء ، وقيل : إنما ذلك لأنه تأنيث غير حقيقي ، والاسم الرحمي ، قال الأزهري : التاء في قوله عز وجل : (إن رحمت) أصلها هاء وإن كتبت تاء (٦) . الأزهري : قال عكرمة في قوله عز وجل : (ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا) (٧) (٨) أي رزق (وَلَنِ أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) (٩) أي رزقاً . (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً) (١٠) أي عطفاً وصنعاً (وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ

(١) سورة النحل الآية ٦٤ ، تمة الآية : (وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

(٢) سورة التوبة آية ٦١ .

(٣) سورة البلد آية ١٧ .

(٤) قول سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب (كتاب سيبويه) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون) .

(٥) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٦) الأزهري : التهذيب ٤٩/٥ .

(٧) سورة الإسراء آية ٢٨ .

(٨) وقول عكرمة انظر الطبري : جامع البيان ٦٩/٨ .

(٩) سورة هود آية ٩ .

(١٠) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

بَعْدَ ضَرَاءٍ) (١) ، أي حياً وخصباً بعد مجاعة ، وأراد بالناس الكافرين .
والرحمون: من الرحمة . (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) (٢) . قال ابن جني : هذا مجاز
وفيه من الأوصاف ثلاثة : السعة والتشبيه والتوكيد (٣) . وقوله تعالى : (وَاللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) (٤) معناه يختص بنبوته من يشاء ممن أخبر عز وجل
أنه مصطفى مختار . والله الرحمن الرحيم : بنيت الصفة الأولى على إعلان لأن
معناه الكثرة ، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين فأما الرحيم
فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل والرحيم قد يكون
لغيره . وإنما قيل بسم الله الرحمن الرحيم فجئ بالرحيم بعد استغراق الرحمن
معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (٥)
. قال الزجاج : الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل مذكور في الكتب الأول (٦) .
ومعناه عند أهل اللغة : ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة . لأن إعلان من
أبنية المبالغة ، ورحيم فعيل بمعنى فاعل ، قال الأزهري : ولا يجوز أن يقال
رحمن إلا لله عز وجل ، وفعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه ، فالرحمن الذي
وسعت رحمته كل شيء فلا يجوز أن يقال رحمن لغير الله (٧) . قال تعالى : (قُلِ
ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) (٨) فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهما
من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم ، والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال
رجل رحيم ، ولا يقال رحمن وكان مسيلمة الكذاب يقال له رحمان اليمامة ،
والرحمة في بني آدم عند العرب : رقة القلب وعطفه ورحمة الله عطفه وإحسانه

(١) سورة يونس آية ٢١ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٥ .

(٣) ابن جني : الخصائص ٤٤٣/٢ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٥ .

(٥) الأحزاب / ٤٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٩/١ .

(٧) الأزهري : التهذيب ، ٤٩/٥ .

(٨) الإسراء / ١١٠ .

ورزقه^(١) .

دراسة النص :

تحدث ابن منظور عن معاني كثيرة للرحمة ، ففي الآية (هدى ورحمة) قال هذه تتحدث عن وصف القرآن بأنه هادياً وذا رحمة ولم يفسر معنى الرحمة هنا .. وأيضاً المفسرون لم يفسروا معنى الرحمة لأن المعنى واضح . فقال الطبري (هدى) بيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم (ورحمة) رحم الله به عباده المؤمنين فأنقذهم من الضلالة والهلكة^(٢) .

وقال ابن كثير : تهدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد ومن الضلال إلى السداد ويبتغون به الرحمة من رب العباد^(٣) .

وقال الشوكاني أي هذا هدى يهدي به ورحمة لهم^(٤) . وقال أبو حيان : أي دلالة إلى الرشاد ورحمة في الدارين وفي الدين والدنيا وخص المؤمنين لأنهم يستبصرون وهم الذين ينتفعون بالوحي ويتبعون ما أمر به ويجتنبون ما ينهون عنه^(٥) .

وفي قوله تعالى : (وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) وافق ابن منظور الطبري في أن المقصود برحمة هنا الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى هو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند ربه لأن الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته^(٦) .

وكذلك وافقه الواحدي حيث قال هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم^(٧) . أما ابن كثير فقال : أي هو حجة على الكافرين لدلالة بقية الآية : (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

(١) ابن منظور : اللسان ١٧٣/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ١٥٩/٦ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ٦٥٥/٢ .

(٤) أبو عبدة هو معمر بن المثنى التيمي ، قيل

(٥) أبو حيان التوحيد : البحر المحيط ، ٤٤٨/٤ .

(٦) الطبري : جامع البيان ٤٠٥/٦ .

(٧) الواحدي : الوجيز ٤٦٩/١ .

النَّبِيِّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلُّ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) .

وكلا الرأيين صحيح فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين وحجة
للكافرين وقوله تعالى : (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) قال ابن كثير : أي
كان من المؤمنين العاملين صالحاً المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى
الرحمة بهم كما جاء في الحديث : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء)^(٢) وأيضاً (من لا يرحم لا يرحم)^(٣) والحديث
(من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)^(٤) .

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) فأولئك الموصوفون برحمة الضعيف هم أصحاب
اليمين^(٥) .

وفي زاد المسير في قوله تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إنما
قيل قريب لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس
بحقيقي^(٦) .

ومن معاني الرحمة التي ذكرها ابن منظور أن الرحمة تأتي بمعنى الرزق
كما في قوله تعالى (ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال الطبري : أي انتظار
الرزق من ربك نزلت فيمن كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم من المساكين .
وكذلك (وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ) أي إذا أصابه خير ورزق

(١) انظر مختصر ابن كثير ٤٦٩/١ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، ٧٠٣/٢ (٤٩٤١) . مسند أحمد بن حنبل ، ١٦٠/٢ ،
(٦٤٩٤) . وزاد فيه (والرحم شحنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتهت) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ٥٢٢٣٥ (٥٦٥١) .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، ٧٠٣/٢ (٤٩٤٣) .

سنن الترمذي : كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، ٣٢١/٤ ،
(١٩١٩) .

مسند أحمد بن حنبل ، ١٨٥/٢ (٦٧٣٣) .

(٥) انظر ابن كثير : التفسير العظيم ٦٦٢/٤ .

(٦) ابن الجوزي : زاد المسير ٢١٦/٣ .

بعد ما كان في شدة^(١) .

(وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) قال الطبري يقول تعالى ذكره : أي أدخلنا لوطاً في رحمتنا بإنجائنا إياه مما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء ولأن لوطاً من الذين كانوا يعملون بطاعة الله^(٢) . وقال القرطبي رحمتنا هنا في النبوة وقيل في الإسلام وقيل الجنة وقيل عني بالرحمة إنجاءه من قومه إنه من الصالحين^(٣) . وهذه الآية خاصة بسيدنا لوط عليه السلام .

أما قوله تعالى : (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) فهي النبوة لعامة الأنبياء ، كما قال الطبري : (والله يختص بنبوته)^(٤) .

وأيضاً قال القرطبي بنبوته ، وأضاف أن الرحمة في هذه الآية عامة لجميع أنواعها التي قد منحها الله عباده قديماً وحديثاً ، يقال رحم يرحم إذا رق والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد^(٥) . وقال الشوكاني : الرحمة هنا القرآن والنبوة وقيل : جنس الرحمة من غير تخصيص^(٦) . وكذلك ذكر ابن الجوزي أنها النبوة أو الإسلام^(٧) .

يتضح اتفاقهم بالقول أنها مقصود بها النبوة .

وأما اسم الله الرحمن الرحيم فقد ذكر المفسرون فيه عين ما ذكره ابن منظور فقال الطبري : الرحمن فعلان من رحم والرحيم فعيل . والرحمن عموم الرحمة بجميع خلقه والرحيم مخصوص الرحمة ببعض خلقه فهو رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ورحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة . (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) أي لا يعذبهم وهم مطيعون لأمره^(٨) .

(١) الطبري : جامع البيان ٦٩/٨ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٤٨/٩ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٢٥٠/١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦٠/٢ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ١٩٥/١ .

(٧) ابن الجوزي : زاد المسير ١٠٧/١ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ٣٠٦/١ .

وقال القرطبي : أكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله عز وجل ولا يجوز أن يسمى به غيره ألا تراه قال : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره . وقال (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ)(١) فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة جل وعز(٢) .

واختم القول في الرحمة بقول الأصفهاني : الرحمن والرحيم نحو ندمان ونديم ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث أن معناه لا يصح إلا له إذ هو الذي وسع لكل شيء رحمة والرحيم يستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)(٣) وقيل : إن الله تعالى : هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة يختص بالمؤمنين وعلى هذا قال (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)(٤) تنبيهاً أنها في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين(٥) .

المعنى العام للنص :

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) من الدين والأحكام (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله لتبين(٦) .

النص رقم (٦٨)

قال تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)(٧) .

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥ .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٧/١ .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٦ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٢/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٢٧/١ .

(٧) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(النساء: ١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرحم : رحم الأنثى ، وهي مؤنثة ، قال ابن بري : شاهد تأنيث الرحم ، قولهم : رحم معقومة ، ابن سيده : الرحم والرحم بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن ، والجمع أرحام^(١) . والرحم : أسباب القرابة وأصلها الرحم التي هي منبت الولد وهي الرحم . الجوهري : الرحم القرابة^(٢) ، قال ابن الأثير : ذوو الرحم هم الأقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب^(٣) ، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء ، يقال ذو رحم محرم ومحرم وهو من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة . وفي الحديث : (إن الرحم شجنة معلقة بالعرش تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني)^(٤) . الأزهري : الرحم القرابة تجمع بني أب . وبينهما رحم أي قرابة قريبة^(٥) . وقوله عز وجل : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) . من نصب أراد واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، ومن خفض أراد تساءلون به وبالأرحام ، وهو قولك نشدتك بالله^(٦) وبالرحم^(٧) .

دراسة النص :

قال الطبري : واتقوا الأرحام أن تقطعوها^(٨) .

وقال القرطبي : واتقوا الأرحام أن تقطعوها فإنهم كانوا يتساءلون بها يقول

(١) ابن سيده : المحكم ٢٥٣/٣ .

(٢) الجوهري : الصحاح ١٤٢٧/٢ .

(٣) ابن الأثير : النهاية ٥٠٤/٢ .

(٤) الحديث : (عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعته الله) . والحديث حسن صحيح صححه الألباني . سنن الترمذي ٣٢٣/٤ (١٩٢٤) كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في رحمة المسلمين . مسند أحمد بن حنبل ١٦٠/٢ (٦٤٩٤) .

(٥) الأزهري : التهذيب ٥٠/٥ .

(٦) فيها جواز المسألة بالله وأما قوله والأرحام ففيه تعظيم لحق الرحم وتأکید للنهي عن قطعها . انظر أحكام القرآن للحصص ٣٣٦/٢ .

(٧) ابن منظور : اللسان ١٧٥/٥ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ٥٦٥/٣ .

الرجل : سألتك بالله والرحم(١) .

وقال الكشاف واتفوا الأرحام فلا تقطعوها ، وعن الحسن رضي الله عنه وإذا سألك بالرحم فأعطه ، وللرحم حجته عند العرش ومعناه ما روى ابن عباس رضي الله عنه : الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاه الواصل بثت به وكلمته ، إذا أتاه القاطع احتجبت عنه ، وأول صلته بالأرحام أن يختار لرحمه الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه(٢) .

وفي مفردات القرآن : الرحم : رحم المرأة ، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة . وعلى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ذكراً عن ربه (أنه لما خلق الرحم قال له : أنا الرحمن وأنت الرحيم شققت اسمك من أسمى فمن وصلك وصلته ومن قطعك بنته)(٣) .

إذاً معنى الرحم هو رحم المرأة والجمع أرحام والمقصود به القرابة وهذا ما اتفق عليه ابن منظور والمفسرين .

وأما وجوه القراءات في النص فهي في قوله تعالى : (الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) يقرأ بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن خفف أنه أراد تتساءلون فأسقط إحدى التاءين تخفيفاً والحجة لمن شدد أنه أسكن التاء الثانية وأدغمها في السين للمقاربة فلزمه التشديد لذلك . قوله تعالى : (وَالْأَرْحَامَ) يقرأ بالنصب والخفض فالحجة لمن نصب أنه عطفه على الله تعالى وأراد اتقوا الأرحام لا تقطعوها فهذا وجه القراءة عند البصريين لأنهم أنكروا الخفض(٤) .

وذهب الكوفيون فاحتجوا إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض . واحتجوا بهذه الآية وقالوا هي قراءة أحد القراء السبعة وهو حمزة الزيات(٥) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥/٥ .

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ٢٣١/١ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٢/١ .

(٤) ابن زنجلة : الحجة في القراءات السبع ١١٨/١ .

(٥) أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، دار الفكر ، دمشق ، ٤٦٣/٢ .

المعنى العام للنص :

وهي اتقوا الله بطاعتكم ، أي كما يقال أسألك بالله والرحم أي اتقوا الله الذي تعاقدون به وتعاهدون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها(١) .

النص رقم (٦٩)

قال تعالى : (وَأَقْرَبَ رُحْمًا)(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : والرحم بالضم ، الرحمة : وما أقرب رحم فلان إذا كان ذا مرحمة وبر أي ما أرحمه وأبره وفي التنزيل (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) وقرئت رحما ، الأزهرى : يقول أبر بالوالدين من القتل الذي قتله الخضر . وكان الأبوان مسلمين والابن كافراً فولد لهما بعد بنت فولدت نبياً(٣) . وانشد الليث :

أحنى وأرحم من أم بواحدها رحماً ، وأشجع من ذي لبدة ضاري

وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) أي أقرب عطفاً

وأحسن بالقرابة(٤) . والرحم والرحم في اللغة : العطف والرحمة وقوله تعالى : (هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي)(٥) أراد هذا التمكين الذي قال ما مكن فيه ربي خير أراد هذا التمكين الذي أتاني الله حتى أكملت السد رحمة من ربي(٦) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري ، قال الطبري : والرحم : مصدر رحمن يقال رحمته رحمة ورحماً . وكان بعض البصريين يقول : من الرحم والقرابة وقد يقال: رحم ورحم مثل عسر وعسر . ولا وجه للرحم في هذا الموضع لأن المقتول

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٩٦/١ .

(٢) سورة الكهف آية ٨١ . تنمة الآية : (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)

(٣) الأزهرى : التهذيب ٥٠/٥ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٢٤٩/٣ .

(٥) الكهف / ٩٨ . تنمة الآية : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)

(٦) ابن منظور : اللسان ١٧٤/٥ .

كان الذي أبدل الله منه والديه ولداً لأبوي المقتول فقرابتهما من والديه وقربهما منه في الرحم سواء وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما^(١). أما القرطبي فقد اختار القول الآخر حيث قال : يقال : رحمه رحمةً ورحماً مذكروه رحم ، وقيل الرحم هنا بمعنى الرحم قرأها ابن عباس (وأوصل رحماً) أي رحماً وبذلك خالف الطبري وخالفه ابن منظور^(٢) . ووافق ابن كثير ابن منظور بقوله : أي ولداً أركى من هذا وهما أرحم به منه^(٣) . وذكر الشوكاني : قراءة ابن عباس وحزمة والكسائي وابن كثير وابن عامر (رحماً) بضم الحاء وقرأ الباقر بسكونها ومعنى الرحم الرحمة يقال رحمه الله رحمةً رحمةً والألف للتأنيث . (ورحماً) مودة بأن أبدلهما جارية ولدت بنياً^(٤) . وذكر البغوي الرأيين قائلًا (رحماً) عطفاً من الرحمة وقيل : هو من الرحم والقربة . وذكر قول قتادة : أي أوصل للرحم وأبر بوالديه^(٥) . ووافق البيضاوي ابن منظور بقوله رحمة وعطفاً^(٦) . وأيضاً أبو حيان قال : أي رحمة والدية^(٧) .

وفي مفردات القرآن الرحم : رحم المرأة ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة . يقال : رحم ورحم . والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة ، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة ، نحو رحم الله فلاناً ، وإذا وصف به الباري فلا يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الأدميين رقة وتعطف

(١) الطبري : جامع البيان ، ٢٦٦/٨ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٦/١١ .

(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ١٣٤/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٣٥/٣ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ١/١٩٥ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/٥١٦ .

(٧) أبو حيان : البحر المحيط ، ١٤٧/٦ .

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله : أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) فالرحمة منطوية على معنيين : الرقة والإحسان فركز تعالى في طبائع الناس الرقة وتفرد بالإحسان (١) .

إذاً (رحماً) تعني : عطاءً وبراً والمقصود الفتى الذي قتله الخضر فيبذل الله والديه آخرأ أكثر عطاءً ورحمة بوالديه وهذا ما ذكره ابن منظور ووافق معظم المفسرين وخالفه القرطبي بقوله من الرحم .

وأما الآية (هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) : وأما الآية (هذا رحمة من ربي) فقد قال القرطبي : القائل ذو القرنين وأشار بهذا إلى الردم والقوة عليه والانتفاع به في دفع ضرر يأجوج ومأجوج (٢) . وقال ابن كثير : أي لما بناه ذو القرنين ، قال هذا رحمة من ربي أي رحمة بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد (٣) . وقال الشوكاني : أي قال ذو القرنين مشيراً إلى السد : هذا السد رحمة من ربي : أي أثر من آثار رحمته لهؤلاء المتجاوزين للسد ولمن خالفهم ممن يخشى عليهم موتهم لو لم يكن ذلك السد . وقيل الإشارة إلى التمكين وهذا ما ذكره ابن منظور (٤) .

وتقرأ أقرب رحماً بضم الحاء وإسكانها وهما لغتان (٥) .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي : (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) أي يرزقهما الله ولداً طاهراً من الذنوب والأخلاق الرديئة (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) رحمة وعطاءً على والديه وقيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله به أمة من الأمم (٦) .

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٢/١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦١/١١ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٤٢/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٨/٣ .

(٥) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ٢٢٩/١ انظر أيضاً ابن زنجلة : حجة القراءات ٤٢٧/١ .

(٦) تفسير البيضاوي ٥١٦/١ .

النص رقم (٧٠)

قال تعالى : (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرخاء : سعة العيش . وقد رخو ورخا يرخو ويرخى رخاً . فهو راخ ورخي أي ناعم ، وزاد في التهذيب : ورخى يرخى وهو رخي البال إذا كان في نعمة واسع الحال بين الرخا ممدود (٢) . وفي حديث الدعاء : (اذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة) (٣) .

وريح رخاء : لينة . الليث : الرخاء من الرياح اللينة السريعة لا تزعزع شيئاً . الجوهرى : والرخاء بالضم : الريح اللينة (٤) . وفي التنزيل : (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) أي حيث قصد ، وقال الأخفش أي جعلناها رخاء (٥) .
دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري حيث قال الطبري : رخاء يعني رخوة لينة وهي من الرخاوة . أي تجري بأمره رخاء حيث شاء (٦) .
وأيضاً القرطبي قال : رخاء : أي لينة مع قوتها وشدتها (٧) .
وقال الشوكاني : أي لينة الهبوب ليس بالعاصف ، مأخوذ من الرخاوة والمعنى أنها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها (٨) .

(١) (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (ص: ٣٦) .

(٢) أبو منصور : التهذيب ٥٤١/٧ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء) . سنن الترمذي : كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، ٤٦٢/٥ (٣٣٨٢) .

(٤) الجوهرى : الصحاح ، ١٧١٣/٢ .

(٥) ابن منظور : اللسان ١٨١/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٥٨٣/١٠ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٨١/١٥ .

(٨) الشوكاني : فتح القدير ، ٦١٦/٤ .

وقال البغوي : الرخاء اللين ، وقيل : كانت الريح تحت أمره إن أراد أن
تشتد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت (١) .

وفي مفردات القرآن : الرخاء : اللينة من قولهم شئ رخو وقد رخی يرخی (٢) .

المعنى العام للنص :

(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) هذا لسليمان أي فذللناها لطاعته إجابة لدعوته وقرئ
الرياح (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لينة من الرخاوة لا تززع أو تخالف إرادته
كالمأمور المنقاد (حَيْثُ أَصَابَ) أي حيث أراد ، من قولهم أصاب الصواب فأخطأ
الجواب (٣) .

النص رقم (٧١)

قال تعالى : (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ردأ : ردأ الشيء جعله رداءً ، وأردأه : أعانه وترادأ
القوم: تعاونوا . وأردأته بنفسه إذا كنت له رداءً وهو العون ، قال الله تعالى :
(فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) وفلان ردأ لفلان أي ينصره ويشد ظهره . وقال
الليث : تقول ردأت فلاناً بكذا وكذا أي جعلته قوة له وعماداً كالحائط تردوه من
بناء تلزقه به . وتقول : أردأت فلاناً أي ردأته وصرت له رداءً أي معيناً .
وترادأوا أي تعاونوا ، والردء : المعين . وفي وصية عمر رضي الله عنه عند
موته : وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رداء الإسلام وجباة المال (٥) .
والردء : العون والناصر (٦) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٣٣٥/١ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٣/١ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٧/١ .

(٤) (وأخي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص: ٣٤) .

(٥) انظر : صحيح ابن حبان : (ذكر رضى المصطفى صلى الله عليه وسلم عن عثمان عند خروجه من الدنيا) ،

٣٥٠/١٥ (٦٩١٧) .

(٦) ابن منظور : اللسان ١٨٢/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري : عوناً يصدقني أي يبين لهم عني ما أخطبهم به^(١) . وقال القرطبي : هو العون^(٢) .
وقال ابن كثير : أي وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمري^(٣) .
وقال الشوكاني : وهذا من موسى عليه السلام من باب طلب المعاونة له بإرسال أخيه لا من باب الاستعفاء من الرسالة ولا من التوقف عن المسارعة للامتثال^(٤) . وعن مجاهد : رداءً عوناً^(٥) .
وقال البغوي : عوناً يقال رداً أي : أعنته^(٦) .
وفي مفردات القرآن : الردء : الذي يتبع غيره معيناً له^(٧) .
إذاً معنى (رداءاً) هو العون أي يكون له معيناً وناصرًا ، وكذلك قال الفيروزآبادي هو القوة والعماد ، ورداءاً يصدقني يقرأ بإسكان الدال وتخفيف الهمزة وبفتح الدال وتخفيف الهمزة ، فالحجة لمن حقق أنه أتى بالكلام على أصله ومعناه العون ، والحجة لمن خفف أنه نقل حركة الهمزة إلى الدال فحركها ولين الهمزة تخفيفاً^(٨) .
وقرأ نافع رداً بغير همز الأصل رداءً خفف الهمزة ونقل حركة الهمزة إلى ما قبلها فصار رداً بتحريك الدال . وقرأ الباقون رداءً بالهمزة^(٩) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٧١/١٠ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٥٤/١٣ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥١٦/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ١٣٧/٤ .

(٥) تفسير مجاهد ٤٨٦/٢ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٢٠٧/١ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٧/١ .

(٨) انظر الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ٥٢/١ .

(٩) حجة القراءات ٥٤٥/١ .

المعنى العام للنص :

(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) معيناً وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع (رداً) بالتخفيف (يصدقني) بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكذِّبُونِ) ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد العقل أي السبب . وقرأ عاصم وحمزة (يصدقني) بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف^(١) .

النص رقم (٧٢)

قال تعالى : (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ردد : الرد : صرف الشيء ورجعه ، والرد : مصدر رددت الشيء . ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً : صرفه ، وهو بناء للتكثير . والمرد : كالرد . وارتده : كرده . قال مليح^(٣) : بعزم كوقع السيف لا يستقله ضعيف ولا يرتده الدهر عازل ورده عن الأمر ولده أي صرفه عنه برفق .

وأمر الله لا مرد له ، وفي التنزيل العزيز : (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) وفيه : (يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ)^(٤) قال ثعلب : يعني يوم القيامة لأنه شيء لا يرد . وفي حديث عائشة : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد^(٥) . أي مردود عليه. يقال : أمر رد إذا كان مخالفاً لما عليه السنة ، وهو مصدر وصف به

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٩٢/١ .

(٢) سورة الرعد آية ١١ . تنمة الآية : (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

(٣) مليح : أبو مليح الهذلي عامر بن أسامة بن عمير كان عامل الحجاج على الأيلة مات سنة ثمان وتسعين . محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : مشاهير علماء الأمصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٥٩ م ، تحقيق م . فلايشهر ، ص ٩٤ .

(٤) سورة الروم آية ٤٣ . تنمة الآية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ)

(٥) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ، ٢٦٧٥/٦ (٢٥٥٠) .

وشئ رديد : مردود ، قال :

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوي ، وقد يضيوي رديد الغرائب
وقد ارتد وارتد عنه : تحول ، وفي التنزيل : (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) (١)
والاسم الردة ، ومنه الردة عن الإسلام أي الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه إذا
كفر بعد إسلامه ، ورد عليه الشئ إذا لم يقبله ، وكذلك إذا خطاه . والردة بالكسر
: مصدر قولك رده يرده رداً وردة . والرد الاسم من الارتداد . وفي حديث القيامة
والحوض فيقال إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم أي متخلفين عن بعض
الواجبات (٢) . قال : ولم يرد ردة الكفر ولهذا قيده بأعقابهم لأنه لم يرتد أحد من
الصحابة بعده ، إنما ارتد قوم من جفاة الأعراب (٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : في الآية (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) أي لا يقدر على رد ذلك عنهم أحد
غير الله ، أي صرف ذلك . (يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ) لا شئ يرده وهو يوم القيامة (٤) .
قال القرطبي : إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه (٥) .
قال ابن كثير : أي ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد (٦) .
ونقل الشوكاني قول ابن عباس وقال هم حراس السلطان يحفظونه من أمامه
ومن خلفه فإذا أراد الله به سوءاً فلا مرد له . وأيضاً قول آخرين قالوا بل هم
الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا قدر الله خلوا عنه (٧) .

(١) سورة المائدة آية ٥٤ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واتخذ إبراهيم خليلاً) النساء ، ١٢٢٢/٣ (٣١٧١) .

(٣) ابن منظور : اللسان ١٨٤/٥ . انظر أيضاً تاج العروس ١٩٨٢/١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٣٥٠/٧ ، وأيضاً ١٦٠/١١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٩ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٤١/٣ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ، ٩٩/٣ .

وقال البغوي : أي لا راد له^(١) .

وأيضاً البيضاوي ذكر ما ذكره البغوي : أنه لا راد له^(٢) .

وفي قوله تعالى : (.. من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) وافق ابن منظور الطبري ، حيث يقول الطبري : أي من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة آت وهو يوم القيامة^(٣) .

قال القرطبي : أي يوم لا يرده الله عنهم والمراد يوم القيامة^(٤) . ووافقه ابن كثير قائلاً : أي يوم القيامة ، إذا أراد كونه فلا راد له^(٥) .

ويقول الشوكاني شارحاً هذه الآية : أن هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه ، أن أجعل جهتك اتباع الدين القيم وهو الإسلام المستقيم من قبل أن يأتي يوم يعني يوم القيامة لا مرد له أن لا يقدر أحد على رده ، (يومئذ يصدعون) أي يتصدع القوم إذا تفرقوا فريق في الجنة وفريق في السعير^(٦) .

وأيضاً الردة هي الرجوع عن الإسلام كما قال الطبري في الآية (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) أي يرجع كافراً بعد إيمانه^(٧) .

وقال القرطبي : (من يرتد منكم عن دينه) شرط وجوابه (فسوف) وقراءة أهل المدينة والشام من يرتد بالذالين والباقون من يرتد : ومن إعجاز القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن ارتداد في عهده وكان ذلك غيباً^(٨) .

وكذلك قال ابن كثير : أي يرجع عن الحق إلى الباطل^(٩) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٢٩٩/١ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٢١/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٠/١٩٣ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤٠/١٤ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣/٥٧٧ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٤/٣٢٥ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ٣/٤٥٥ .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦/٢٠٦ .

(٩) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢/٩٧ .

وفي معنى الآية يقول البغوي : علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم تعالى أن (سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وهم أبو بكر رضي الله عنه واصحابه الذين قاتلوا أهل الردة (أذلة على المؤمنين) كالولد لو الده والعبد لسيدته (أعزة على الكافرين) غلاظ عليهم كالسبع على فريسته (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (ذلك فضل الله) أي محبتهم لله عز وجل ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكفار بفضل من الله عليهم^(١) .

وفي مفردات القرآن : الرد صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحوال يقال : رددته فارتد . فمن الرد بالذات قوله تعالى : (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ)^(٢) . ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله : (يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ)^(٣) . ومن هذا الرد إلى الله تعالى نحو قوله : (وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)^(٤) . والارتداد والردة : الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة تختص بالكفر والارتداد يستعمل فيه وفي غيره^(٥) .

وقال الرازي : مردوداً ومرداً صرفه ورد عليه الشيء إذا لم يقبله^(٦) . إذاً اتفق ابن منظور مع المفسرين وأهل اللغة أن مردداً يعني لا يستطيعون رد شيء إلا بأمر الله .

وجاء في هذه الآية في صحيح ابن حبان عن ثوبان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض وأن ملك أمتي سيبليغ ما زوي لي منها وإني سألت ربي لأمتي ، أن لا يهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فيهلكهم ولا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، فقال : يا محمد إني إذا أعطيت عطاءً

(١) انظر الواحدي : الوجيز ، ٣٢٤/١ .

(٢) الأنعام / ٢٨ .

(٣) آل عمران / ١٤٩ .

(٤) الكهف / ٣٦ .

(٥) الاصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٤/١ .

(٦) الرازي : مختار الصحاح ٣٢١/١ .

فلا مرد له إني أعطيتك لأمتك أن لا يهلكوا بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم فيستبيحهم ولكن ألبسهم شيعاً ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وبعضهم يفنى بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً وإنه سيرجع قبائل من أمتي إلى الشرك وعبادة الأوثان وإن من أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المصلين وإنهم إذا وضع السيف فيهم لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة وأنه سيخرج من أمتي كذابون دجالون قريباً من ثلاثين ، وإنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوراً حتى يأتي أمر الله(١) .

المعنى العام للنص :

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه ، وأن للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات وقال ابن عباس : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه ، وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد إلقاء له الملك : وراعيك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه(٢) .

النص رقم (٧٣)

قال تعالى : (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ردف : الردف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردف وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع : المرادف . ويقال : جاء القوم رداً أي بعضهم يتبع بعضاً ، ويقال الردافي الرديف . وهذا أمر ليس له ردف أي ليس له تبعه . وقال الشاعر :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا(٤)

(١) صحيح ابن حبان ١٠٩/١٥ (٦٧١٤) .

(٢) انظر ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٤١/٣ .

(٣) سورة الأنفال آية ٩ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) .

(٤) ومعنى البيت : فاطمة هي بنت يذكر بن عترة أحد القارظين ، ومعنى البيت : أن الجوزاء تردف الثريا في اشتداد الحر فتكبد السماء في آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف فتتفرق الناس في طلب المياه فتغيب عنه محبوبته ، فلا يدري أين مضت ولا أين نزلت . (ابن منظور ١٩٠/٥) .

وفي حديث بدر : فأمرهم الله بألف من الملائكة مردفين أي متتابعين يردف بعضهم بعضاً^(١) . وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً . والترادف المتتابع . وقوله تعالى : (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) معناه يأتون فرقة بعد فرقة . وقال الفراء : مردفين متتابعين .

وقوله تعالى : (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ^(٢)) قال : قرب لكم ، وقال الفراء : دنا لكم . ويقال أردفت الرجل إذا جنبت بعده^(٣) .
الجوهري : يقال كان ينزل بهم أمر ردف لهم آخر أعظم منه^(٤) وقال تعالى : (تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ^(٥))^(٦) .
دراسة النص :

تحدث الطبري عن اختلافات القراء في كلمة مردفين فقال : قرأته عامة قراء أهل المدينة (مردفين) بنصب الدال ، وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين وعامة قراء البصريين : (مردفين) .

وكان أبو عمرو^(٧) يقرؤه كذلك ويقول فيما ذكر عنه : هو من أردف بعضهم بعضاً وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال : إنما (الإرداف) أن يحمل الرجل صاحبه خلفه قال : ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال وكسرهما . فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك إذا قرئ بالكسر : أن الملائكة

(١) انظر صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم ..) الآية ٤/١٤٥٥ وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، ٣/١٣٨٣ (٨٥) .

(٢) سورة النمل آية ٧٢ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٤٠٤/١٢ .

(٤) الجوهري : الصحاح ١٠٤٥/٢ .

(٥) سورة النازعات آية ٧ .

(٦) ابن منظور : اللسان ١٨٩/٥ . انظر أيضاً تاج العروس ٥٨٦٢/١ .

(٧) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحسين التميمي المازني البصري ، الإمام العلامة المقري اللغوي ، الشعري النحوي ، وهو أحد القراء السبعة ، وكان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، ولد سنة ٧٠هـ ، وتوفي سنة ١٥٦هـ ، الذهبي ١٠٠-٨٧/١ .

جاءت يتبع بعضهم بعضاً على لغة من قال : (أردفته) وقالوا : العرب تقول :
(أردفته) و(ردفته) بمعنى تبعته (واتبعته) واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال
الشاعر :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وهو نفس البيت الذي استشهد به ابن منظور . قالوا : فقال الشاعر :
(أردفت) وإنما أراد (ردفت) جاءت بعدها لأن الجوزاء تجئ بعد الثريا . وقالوا :
معناه إذا قرئ (مردفين) أنه مفعول بهم كأن معناه : بألف من الملائكة يردف الله
بعضهم بعضاً .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا كسرت الدال : أردفت الملائكة بعضها بعضاً
وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .

وقال أبو جعفر : (والصواب من القراءة في ذلك عندي القراءة بكسر الدال
لأن معناه : يتبع بعضهم بعضاً ومتتابعين لإجماع أهل التأويل ومسموع
العرب) (١). وقال القرطبي : أما إذا قرئ (مردفين) بفتح الدال أي أن الله أردف
المسلمين بهم فقول لا معنى له . إذ الذكر الذي في (مردفين) من الملائكة دون
المؤمنين .

تحدث أيضاً القرطبي عن اختلاف القراءة فقال (مردفين) بفتح الدال قراءة
نافع والباقون بالكسر اسم فاعل أي متتابعين تأتي فرقة بعد فرقة وذلك أهيب في
العيون وقال قراءة الكسر أولى محتجاً بما احتج به الطبري (٢) .

وذكر ابن كثير أفعالاً مختلفة في معنى كلمة (مردفين) قال أي يردف بعضهم
بعضاً وذكر قول ابن عباس : متتابعين . وقال ويحتمل أن يكون أن المراد نجدة
لكم كما قال البعض وأيضاً قال يعني المدد . وبذلك وافق ابن منظور وأضاف
معاني أخرى (٣) .

(١) انظر الطبري : جامع البيان ، ١٨٨/٦ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٢٥/٧ .

(٣) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٣٨٣/٢ .

وذكر البغوي الرأيين دون ترجيح أي قال قرأ بعضهم بفتح الدال أي أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً وقرأ آخرون بكسر الدال أي متتابعين بعضهم في إثر بعض^(١) .

ولم يختلف البيضاوي عن البغوي في المعنى العام^(٢) . وقال الثوري : متتابعين^(٣) .

وفي مفردات القرآن : الردف : التابع ، والترادف التتابع والرادف : المتأخر . والمردف : المتقدم الذي أردف غيره . وقال مردفين ملائكة أخرى فعلى هذا يكونون ممدين بألفين من الملائكة . وقيل : عني بالمردفين المتقدمين للعسكر يلقون في قلوب العدو الرعب^(٤) . وقال ابن الأثير : مردفين أي متتابعين يردف بعضهم بعضاً^(٥) .

إذاً معنى مردفين عند المفسرين هو متتابعين وهو عين ما قاله ابن منظور فيظهر التوافق بينهما في المعنى .

وفي سبب النزول روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال : نظر نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فاستقبل القبلة ثم قال : إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْألفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فأمدهم الله بالملائكة^(٦) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٣٣٢/١ .

(٢) انظر البيضاوي : تفسير البيضاوي ٩٢٠/١ .

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله : تفسير سفيان الثوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ١١٦/١ .

(٤) الاصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٥/١ .

(٥) ابن الأثير : النهاية ، ٥١٦/٢ .

(٦) السيوطي : لباب النقول ، ١٠٦/١ . انظر سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ٢٦٩/٥ (٣٠٨١) باب ومن سورة الأنفال .

وفي الآية نوع من أنواع العبادة وهو الاستغاثة بالله عز وجل وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر^(١) .

وقال ابن منظور في قوله تعالى : (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ) معناها قرب لكم . فوافق بذلك قول الطبري في تفسير هذه الآية يقول جل جلاله : قل لهم يا محمد : عسى أن يكون اقترب لكم ودنا (بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) من عذاب الله^(٢) . وأيضاً قال القرطبي : اقترب لكم ودنا منكم^(٣) .

وأضاف الشوكاني قال : يقال ردف الرجل وأردفته إذا ركبت خلفه وردفه إذا أتبعه وجاء في أثره والمعنى : قل يا محمد لهؤلاء الكفار عسى أن يكون هذا العذاب الذي به توعدون تبعكم ولحقكم فتكون اللام زائدة للتأكيد أو بمعنى اقترب لكم ودنا فتكون غير زائدة^(٤) .

وقوله تعالى (تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ) قال الطبري : تتبعتها أخرى بعدها وهي النفخة الثانية التي ردفتم الأولى لبعث يوم القيامة وهذا مثل قول الجوهري الذي ذكره ابن منظور في المعنى اللغوي للآية^(٥) . وكذلك قال ابن كثير : قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية^(٦) .

وكذا يتضح أن معنى ردف المتتابع كما في الآيتين (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ) . وأن ردف تأتي بمعنى دنا كما في الآية (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ) .

المعنى العام للنص :

(إذ تستغيثون ربكم) واذكر إذ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فاستجاب لكم أني ممدكم) أي بأني معينكم بألف من الملائكة متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم

(١) انظر : حافظ بن أحمد حكيم : معارج القبول بشرح مسلم الوصول إلى علم الأصول ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ٤٥٣/٢ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٠/١٠ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٥/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٢١٤/٤ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٢٤/١٢ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٠٠/٤ .

بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف من خمسة كما في آل عمران (١) .

النص رقم (٧٤)

قال تعالى : (أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ردم : الردم : سدك باباً كله أو ثلثة أو مدخلاً أو نحو ذلك . ويقال : ردم الباب والثلثة ونحوهما يردمه بالكسر ردماً سده . وقيل : الردم أكثر من السد . لأن الردم ما جعل بعضه على بعض ، والاسم الردم وجمعه ردم ، والردم : السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج . وفي الحديث : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين (٣) من ردمت الثلثة ردماً إذا سددتها ، والاسم والمصدر سواء (٤) . والردم : ما يسقط من الجدار إذا انهدم . وكل ما لفق بعضه ببعض فقد ردم (٥) .

دراسة النص :

يقول الطبري في هذه الآية : (أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أي : اجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردماً والردم : حاجز ، الحائط والسد إلا أنه أمتع منه وأشد يقال منه ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً ورداماً (٦) .

(١) تفسير الجلالين ٢٢٨/١ .

(٢) سورة الكهف آية (٩٥) تنمة الآية (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) .

(٣) في صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ١٢١٩/٣ (٣١٦٨) عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعاً يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب بنت جحش فقلت : يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون ؟ قال (نعم إذا كثر الخبث) .

نص الحديث في سنن النسائي : عن زينب بنت جحش قالت : انتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوم محمراً وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ثلاث مرات ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد سبعين وعشرة سواء ، قلت يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث . سنن النسائي الكبرى : قوله تعالى (فأبوا أن يضيفوهما) ٣٩١/٦ .

(٤) انظر ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٥١٧/٢ .

(٥) ابن منظور : اللسان ١٩٢/٥ ، انظر تاج العروس ٧٧٢٩/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٢٨٥/٨ .

وقال الشوكاني : الردم : ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل ويقال ردمت الثلثة أردمها بالكسر ردماً : أي سدتها والردم أيضاً الاسم وهو السد وقيل الردم أبلغ من السد إذ كل ما يسد به والردم : وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوهما حتى يقوم من ذلك حجاب منيع^(١) . وقال البغوي : أي سداً^(٢) .

وقال البيضاوي حاجزاً حصيناً وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاعاً فوق رقاع^(٣) .

وقال النسفي : جداراً أو حاجزاً حصيناً موثقاً والردم أكبر من السد^(٤) .

وقال النحاس : الردم في اللغة أكثر من السد لأنه شيء متكاتف بعضه على بعض^(٥) .

وفي مفردات القرآن الردم : سد الثلثة بالحجر^(٦) .

وقال البخاري (ردماً) سداً كبيراً وحاجزاً منيعاً^(٧) .

وقال الفراهيدي : ردم : ردمت الثلثة والباب أردم أي سدته^(٨) .

إذا الردم هو السد أو أكثر من السد ، والمقصود به هو الحاجز المنيع الذي صنعه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج ، وهو ما عليه المفسرون ووافقهم ابن منظور في ذلك .

المعنى العام للنص :

(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) (قَالَ

مَا مَكَّنِّي) وفي قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّي) من المال وغيره خير من

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٣ / ٤٤٦ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ١ / ٢٠٤ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١ / ٥٢٣ .

(٤) النسفي : تفسير النسفي ٣ / ٢٧ .

(٥) النحاس : معاني القرآن ، ٤ / ٢٩٣ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ١ / ٥٤٦ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، ٣ / ١٢١٩ .

(٨) الفراهيدي : العين ، ٨ / ٣٦ .

خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه واجعل لكم سداً تبرعاً (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزاً حصيناً^(١) .

النص رقم (٧٥)

قال تعالى : (إِنْ كِدْتَ لِتُردِّينَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ردى : الردى : الهلاك ، ردى بالكسر ، يردي ردى : هلك ، فهو رد . والردي : الهالك ، وأرداه الله ، وأرديته أي أهلكته . ورجل رد : للهالك ، امرأة ردية ، على فعلة ، وفي التنزيل العزيز : (إِنْ كِدْتَ لِتُردِّينَ) قال الزجاج : معناه لتهلكني ، وفيه (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى)^(٣) وفي حديث ابن الأكواع : فأردوا فرسين فأخذتهما ، هو من الردى الهلاك أي أتعبوهما حتى أسقطوهما وخلفوهما ، والرواية المشهورة فأردوا بالذال المعجمة ، أي تركوهما لضعفهما وهزالهما ، وردى في الهوة ردى وتردى : تهور ، وأرداه الله ورداه فتردى : قلبه فانقلب . وفي التنزيل العزيز : (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)^(٤) قيل : إذا مات وقيل : إذا تردى في النار من قوله تعالى : (وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحةُ)^(٥) وهي التي تقع من جبل أو تطيح في بئر أو تسقط من موضع مشرف فتموت . وقال الليث : التردى هو التهور في مهواة . وقال أبو زيد : ردى فلان في القلب يردي ويردى من الجبل تردياً . ويقال ردى في البئر وتردى إذا سقط في بئر أو نهر من جبل لغتان ، وفي الحديث أنه قال في بعير تردى في بئر : ذكه من حيث قدرت^(٦) ، وفي حديث آخر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ترديه بعد ما بين السماء

(١) تفسير الجلالين ١/٣٩٣ .

(٢) سورة الصافات آية ٥٦ .

(٣) سورة طه آية ١٦ . وقول الزجاج : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٣٠ .

(٤) سورة الليل آية ١١ .

(٥) سورة المائدة آية ٣ .

(٦) مصنف عبد الرزاق : باب ذبيحة العبيث ورميه وما لم يقدر على ذبحه ، ٤/٦٤٨ (٨٤٩٥) .

والأرض^(١) أي توقعه في الهلكة^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري في قوله تعالى : (تَاللَّهِ إِن كُذِّبَتْ لَتُرْدِينَ) يقول : فلما رأى قرينه في النار قال : تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدق إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب^(٣) .

ونقل القرطبي أقوال بعض العلماء فقال : قال الكسائي لتردين أي لتهلكني والردى الهلاك وقال المبرد : لتوقعني في النار^(٤) .

وقال الشوكاني : أي قال ذلك الذي من أهل الجنة لما أطلع على قرينه ورآه في النار : تالله إن كدت لتردين : أي لتهلكني بالإغواء ، ونقل قول الكسائي والمبرد الذين نقلهما القرطبي وقال : قال مقاتل : المعنى والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك والمعنى متقارب ممن أغوى إنساناً فقد أهلكه^(٥) .

وقال البغوي : والله لقد كدت أن تهلكني^(٦) .

وقال الثعالبي : أي تهلكني بإغوائك والردى الهلاك^(٧) .

وفي مفردات القرآن الردى : الهلاك : والتردي : التعرض للهلاك^(٨) ، وهي من الردى وهو الهلاك^(٩) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ٢٣٧٧/٥ (٩١١٢) (٩١١٣) .

نص الحديث : عن أبي هريرة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يتزل بها في النار أبعد مما بين المشرق) وأيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم) .

(٢) ابن منظور : اللسان ١٩٥/٥ انظر أيضاً تاج العروس ٨٤٠٢/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٤٩٢/١٠ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٦/١٥ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٦٤/٤ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٤١/١ .

(٧) الثعالبي : الجواهر الحسان ، ١٩/٤ .

(٨) مفردات القرآن ٥٤٧/١ .

(٩) الجلياني : التبيان في تفسير غريب القرآن ٣٥٢/١ .

وذكر باقي المفسرين المعنى ذاته أي لتردين : لتهلكني إذا انفقوا مع ابن منظور على أن المعنى الهلاك ، وأيضاً (فتردى) في الآية (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) أي فتهلك^(١) .

وأيضاً في التنزيل العزيز (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) أي إذا هلك من الردى الذي هو الهلاك أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم^(٢) وكذا قال الثعالبي^(٣) .

وأما المتردية فقد قال الطبري فيها : حرمت عليكم الميتة تردياً من جبل أو في بئر أو غير ذلك ، وترديها رميها بنفسها من مكان عال مشرف^(٤) .

وأيضاً قال فيها القرطبي : المتردية هي التي تتردى من العلو إلى الأسفل السفلى فتموت ، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه وهي متفعلة من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها ، وإذا أصاب السهم الصيد فتردى من جبل إلى الأرض حرم أيضاً ، لأنه ربما مات بالصدمة والتردي لا بالسهم^(٥) .

إذا الردى هو الهلاك سواءً بالموت أو الوقوع من عال أو الردى في نار جهنم وكذا ذكر ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

قال الطبري هو الرجل المشرك يكون له صاحب في الدنيا من أهل الإيمان فيقول له المشرك : إنك لتصدق بأنك مبعوث بعد الموت أننا كنا تراباً ؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار ، فأطلع المؤمن فرأى صاحبه في سواء الجحيم قال تا الله إن كدت لتردين^(٦) .

أي توقعني في الردى وهو الهلاك ، وأصل الردى : الموت ثم شاعت استعارته لسوء الحال شبيهاً بالموت لما شاع اعتبار أن الموت أعظم ما يصاب به

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٩٤/٣ .

(٢) أبي السعود ، تفسير أبي السعود ١٦٧/٩ .

(٣) الثعالبي ، الجواهر الحسان ، ٤٢/٤ .

(٤) تفسير الطبري ٤٠٦/٤ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤٦/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٤٨٩/١٠ .

المرء ، والمعنى أنك قاربت أن تفضي بي إلى حال الردى بإلحاحك في صرفي عن الإيمان بالبعث لفرط الصحبة ، ولولا نعمة هداية الله وتثبيتته لكنت من المحضرين معك في العذاب (١) .

النص رقم (٧٦)

قال تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رذل : الرذل والأرذل : الدون من الناس ، وقيل الدون في منظره وحالاته ، وقيل : هو الدون الخسيس ، وقيل : هو الرديء من كل شيء . ورجل رذل الثياب والفعل ، والجمع أرذل ورذلاء ورذول ورذال الأخيرة من الجمع العزيز ، والأرذلون ، وقوله عز وجل (وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ) (٣) قال قوم نوح له ، قال الزجاج : نسبوهم إلى الحياكة والحجامة (٤) ، قال والصناعات لا تضر في باب الديانات ، والأنثى رذلة وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذل ورذال بالضم وأرذله غيره . ورذله يرذله رذلاً : جعل كذلك ، وهم الرذلون والأرادل وهو مردول ، وثوب رذول ورذيل وسخ رديء ، والرذال والرذالة : ما انتقى جيده وبقي رديئه .

والرذيله : ضد الفضيلة . ورذالة كل شيء أردوه . ويقال : أرذل فلان دراهمي أي فسلها . وقوله تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ) قيل : هو الذي يخرف من الكبر حتى لا يعقل وبينه بقوله عز وجل : (لَكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) وفي الحديث: وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر أي آخره في حال الكبر والعجز (٥) .

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ١/٣٥٦٤ .

(٢) تمة الآية (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل: ٧٠) .

(٣) (قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ) (الشعراء: ١١١) .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ، ٤/٧٤ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ، باب التعوذ من البخل ، (عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يأمر بمؤلاء الخمس ويحدثهن عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر) وذكره مسلم عن أنس : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره . ٤/٢٠٧٩ (٥٢) .

والأرذل من كل شئ الردئ منه^(١) .

دراسة النص :

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : ومنكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر وهو أردؤه يقال منه : رذل الرجل وفسل يرذل رذالة ورنولة ورنالته أنا وقيل : إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة^(٢) .

وقال القرطبي : أي أخسه وأدونه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل^(٣) .

وقال ابن كثير : أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذه السن يحصل له ضعف القوى ، والخرف ، وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال : (لَكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) أي بعد ما كان عالماً أصبح لا يدري شيئاً من الفند والخرف^(٤) .

وقال الشوكاني : رذل يرذل رذالة والأرذل والرذالة أردأ الشئ وأوصفه وأرذل العمر هو عند أن يصير الإنسان إلى الخرف وهو أن يصير بمنزلة الصبي الذي لا عقل له وقيل خمس وسبعون سنة وقيل تسعون سنة^(٥) .

وقال البغوي : أرذل العمر الخرف والهرم^(٦) .

وفي مفردات القرآن : الرذل والرذال : المرغوب عنه لرداعته والأرذلون جمع الأرذل^(٧) .

وقال الفيروزآبادي : الرذل والرذال والرذيل والأرذل : الدون الخسيس أو الردئ من كل شئ . والرذيلة ضد الفضيلة^(٨) . وذكر ابن الأثير أن الأرذل من كل شئ الردئ منه وأرذل العمر آخره في حال الكبر والعجز والخرف^(٩) .

(١) ابن منظور : اللسان ١٩٩/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٥/٧ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩/١٢ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٦١/٢ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٥٤/٣ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٣٦٦/١ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٨/١ .

(٨) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١٢٩٩/١ . انظر أيضاً الزبيدي : تاج العروس ٧١٧٧/١ .

(٩) ابن الأثير : النهاية ، ٥٢٢/٢ .

إذا علمنا مما تقدم أن معنى أرذل : هو الدون من الناس وأرذل العمر هو الخرف وهذا ما ذكره ابن منظور دون تحديد لعمر معين لأرذل العمر وأما المفسرون فقد اتفقوا معه في معنى أرذل العمر وأضافوا أنه خمس وسبعون سنة أو تسعون .

وقول قوم نوح (وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ) : جمع الأرذل والرذالة الخسة والدناءة ، وعنوا الذين لا نصيب لهم في الدنيا أو الذين اتصفت أنسابهم أو كانوا من أهل الصنائع الدنيئة^(١) .

وقال القرطبي : (واتبعك الأرذلون) في القول استكبار وتفاخر ، والأرذلون جمع الأرذل المكسر الأرذل والأنثى الرذلى والجمع الرذل ، ويعضد القرطبي قول ابن منظور : (والصناعات لا تضر في باب الديانات) فقال القرطبي : (والذين معه هم الذين اتبعوه ولا يلحقهم من قول الكفرة شيء ولازم ، بل الأرذلون هم المكذبون لهم ، وقد أغرق كثير من العوام بمقالة رويت في تفسير هذه الآية : هم الحاكة والحمامون ولو كانوا حاكة كما زعموا لكان إيمانهم بنبي الله واتباعهم له مشرفاً كما تشرف بلال وسلمان بسبقهما للإسلام فهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم ، فلا ذرية مدح كانوا حاكة ولا حجامين ، ولا قول الكفرة في الحاكة والحجامين إن كانوا آمنوا بهم أرذلون ، ما يلحق بحاكتنا اليوم ذماً ولا نقصاً ، لأن هذه حكاية عن قول الكفرة إلا أن يجعل الكفرة حجة ومقاتلهم أصلاً ، وهذا جهل عظيم ، وقد علم الله تعالى أن الصناعات ليست بضائرة في الدين)^(٢) .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي في معنى هذه الآية : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) بأجال مختلفة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ) بقاء (إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ) أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون (لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً) ليصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم

(١) الألوسي : روح المعاني ١٩/١٠٧

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٣/١١١ .

(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) بمقادير أعمالكم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ^(١) .

وقال القرطبي : وفي الآية احتجاج على منكري البعث أي الذي رده إلى هذه الحال قادر على أن يميته ثم يحييه^(٢) .

النص رقم (٧٧)

قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) ^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رزق : الرزاق والرزاق : في صفة الله تعالى لأنه يرزق الخلق أجمعين ، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم ، وقال من أبنية المبالغة . والرزق : معروف ، والأرزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم . وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدرة لهم ، وهي واصلة إليهم قال الله تعالى : (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) ^(٤) يقول : بل أنا رازقهم ما خلقتهم إلا ليعبدون . وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) ^(٥) يقال : رزق الخلق رزقاً ورزقاً ، فالرزق بفتح الراء هو المعيار الحقيقي . والرزق الاسم ، ويجوز أن يوضع موضع المصدر ورزقه الله يرزقه رزقاً حسناً : نعشه ، والرزق على لفظ المصدر : ما رزقه إياه ، والجمع أرزاق ، وقوله تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً) ^(٦) قيل رزقاً وهنا مصدر فقوله شيئاً على هذا منصوب برزقاً ، وقيل : بل هو اسم فشيئاً على هذا بدل من قوله رزقاً . وفي حديث ابن

(١) تفسير البيضاوي ٤٠٩/١ .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٥/١٠ .

(٣) سورة هود آية ٦ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٧ .

(٥) سورة الذاريات آية ٥٨ .

(٦) سورة النحل آية ٧٣ .

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يبعث الملك إلى كل من اشتملت عليه رحم أمه فيقول له : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، فيختم له على ذلك^(١) . وقوله تعالى : (وَجَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا)^(٢) قيل : هو عنب في غير حينه وقوله تعالى : (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)^(٣) قال الزجاج : روي أنه رزق الجنة^(٤) . قال أبو الحسن : وأرى كرامته بقاءه وسلامته مما يخلق بأرزاق الدنيا . وقوله تعالى : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ)^(٥) انتصاب رزقاً على وجهين : أحدهما : على معنى رزقناهم رزقاً لأن إنباته هذه الأشياء رزق ويجوز أن يكون مفعولاً له ، المعنى فأنبتنا هذه الأشياء للرزق . وارتزقه واسترزقه : طلب منه الرزق ، ورجل مرزوق أي مجدود وقول لبيد^(٦) : رزقت مرابع النجوم وصابها ودق الرواعد : جودها فرهامها^(٧) جعل الرزق مطراً لأن الرزق عنه يكون ، والرزق : ما ينتفع به ، والجمع الأرزاق والرزق العطاء وهو مصدر قولك رزقه الله ، قال ابن بري : شاهده قول عوف القوافي في عمر بن عبد العزيز :

(١) في صحيح عن أنس بن مالك : كتاب الحيض ، باب مخلقة وغير مخلقة ١٢١/١ (٣١٢) . نص الحديث في البخاري : عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل فيكتب في بطن أمه . ورواية ابن مسعود في صحيح مسلم : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، ٢٠٣٧/٤ (٢٦٤٥) .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣١ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ١٧١/٤ .

(٥) سورة ق آية ١٠-١١ .

(٦) لبيد : هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، واختلف في تحديد سنة ولادته ولكن أغلب الظن أنه ولد في منتصف القرن السادس تقريباً ، تفتقت قريحته للشعر وهو غلام ، أسلم وهو في سن الشيخوخة ، توفي في عهد عثمان بن عفان بالكوفة ، ودفن بها عن عمر يناهز المائة وخمسين عاماً تقريباً . انظر أبي الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، تحقيق سمير جابر ، ٣٦١/١٥ .

(٧) زكريا صيام : ديوان شعر لبيد ، ص ١٢

سميت بالفاروق فافرق فرقه وأرزق عيال المسلمين رزقه^(١)
وقد يسمى المطر رزقاً ، وذلك قوله تعالى : (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (٢) . وقال تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (٣) قال مجاهد : هو المطر وهذا اتساع في اللغة . وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم . وقوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) (٤) أي شكر رزقكم وهو كقوله تعالى : (وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ) (٥) يعني أهلها .

دراسة النص :

قال الطبري : الدابة هو كل ما يدب على الأرض ، ورزقها : هو قوتها وغذاؤها وما به عيشها فإن الله متكفل به^(٦) .

وأما القرطبي فقد تحدث عن الرزق لغة قائلاً : الرزق مصدر رزق يرزق رزقاً ورزقاً فالرزق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وجمعه أرزاق والرزق العطاء . وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم ، والرزقة المرة الواحدة^(٧) . وبذا يوافق ابن منظور كلاً من الطبري والقرطبي .

وأضاف القرطبي : الرزق عند أهل السنة ما صح الانتفاع به حلالاً أو حراماً (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) ، وأيضاً ما من دابة هذا قاطع على أن الله تعالى رازق حقيقة وابن آدم رازق تجوزاً وأنه يملك ملكاً منتزِعاً ، مرزوق حقيقة كالبهائم التي لا ملك لها إلا أن الشيء إذا كان مأذوناً له في تناوله فهو حلال

(١) في البيت حذف تقديره سميت باسم الفاروق والاسم هو عمر والفاروق هو المسمى . عوف القوافي : هو عوف بن معاوية بن عتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيث بن ريث بن غطفان ، سمي عوف القوافي ببيت قاله ، وهو شاعر شريف مدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . انظر الأصفهاني : الأغاني ، ١٩ / ١٦٩ .

(٢) سورة الجاثية آية ٥ .

(٣) سورة الذاريات آية ٢٢ .

(٤) سورة الواقعة آية ٨٢ .

(٥) سورة يوسف آية ٨٢ . انظر ابن منظور اللسان ٢٠٣/٥ ، انظر القاموس المحيط ١١٤٤/١ ، تاج العروس ٦٣٢٧/١ ، وأيضاً مختار الصحاح ٢٦٧/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٣/٧ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

حكماً وما كان منه غير مأذون له في تناوله فهو حرام حكماً وجميع ذلك رزق .
وقال أيضاً قال بعض النبلاء في قوله (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً
وَرَبٌّ غَفُورٌ) فقال ذلك يشير إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام(١) .

وقال الشوكاني : (عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) أي الرزق الذي تحتاج إليه من الغذاء
اللائق بالحيوان على اختلاف أنواعه تفضلاً منه وإحساناً وإنما جئ به على طريق
الوجوب أي أن الله لا يغفل عن كل حيوان باعتبار ما قسمه له من الرزق فكيف
يغفل عن أحواله وأقواله وأفعاله والداية كل حيوان يدب(٢) .

وأما قوله تعالى : (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ) يقول
الطبري : يقول عز وجل أنه لا يريد ممن خلق من الجن والإنس من رزق
يرزقونه خلقي وما أريد منهم من قوت يقوتهم ومن طعام يطعمهم(٣) .

والشوكاني يذكر في هذه الآية بيان استغنائه سبحانه وتعالى عن عباده وأنه
لا يريد منهم منفعة كما تريده السادة من عبيدهم بل هو الغني الرزاق المعطي .
وقيل المعنى : ما أريد منهم أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ولا
أن يطعموا أحداً من خلقي ، ولا يطعموا أنفسهم وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن
الخلق عيال الله ، فمن أطعم عيال الله فهو كمن أطعمه وهذا كما ورد في قوله
صلى الله عليه وسلم : يقول الله عبدي استطعمتك فلم تطعمني أي لم تطعم عبادي(٤) .
وفي قوله (من رزق) زائدة لتأكيد العموم(٥) .

والرزق في آية آل عمران (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً) يقول المفسرون مثل مجاهد قال :
يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف(٦) . وكذا قال البغوي(٧)

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٠/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٩٨/٢ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٤٧٦/١١ .

(٤) والحديث ذكره البخاري في الأدب المفرد ١٨٢/١ (٥١٧) باب عيادة المرضى .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ١٣١/٥ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٧٩/١ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ٣١/١ .

وكثير من المفسرين^(١) . وقال أبو حيان : كانت ترزق من قبل رزق بلادهم . وذلك أن الله تعالى كفى زكريا مؤونة رزقها ووضع عنه بحس التكفل مشقة التكلف . وأضاف ودلت الآية على وجود الرزق عندها كل وقت يدخل عليها أنه غذاء يتغذى به لم يعهده عندها ولم يوجد هو، ولأن البعض فسّر الرزق هنا بأنه فيض كان يأتيها من الله من العلم والحكمة من غير تعليم آدمي .. وهذا أبعد^(٢) .

وهنا اقتصر ابن منظور على ذكر نوع واحد فقط من الفاكهة هي العنب .

كما أن الرزق ليس مختصاً بما في الدنيا فقد يقصد به رزق الجنة كما في قوله تعالى : (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) ، فقال الطبري : واعتدنا لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة^(٣) وكذلك قال ابن كثير أي في الجنة وهذا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في منازل في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة^(٤) وقوله تعالى : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ) فقال الشوكاني متفقاً مع ابن منظور : أن انتصاب رزقاً يكون على المصدرية أي رزقناهم رزقاً أو على العلة : أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق^(٥) . وقوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكذَّبُونَ) قال فيها الطبري : وتجعلون شكر الله على رزقه التكذيب^(٦) . وأيضاً قاله القرطبي^(٧) .

ويأتي الرزق بمعنى المطر كما في قوله تعالى : (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) قال الطبري : هو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم وإحيائه الأرض بعد موتها^(٨) . وقال القرطبي يعني : المطر^(٩) . وأيضاً قال

(١) انظر : هبة الله بن الحسن الطبري اللاكائي : كرامات أولياء الله عز وجل ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ،

١٤١٢هـ (تحقيق د. أحمد سعد الحمان) ٧٠/١ .

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٦١/٢ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٩٢/١٠ .

(٤) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٦٣٥/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ١٠٤/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٦٦١/١١ .

(٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٠/١ .

(٨) الطبري ، جامع البيان ، ٢٥٣/١١ .

(٩) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٦/١٦ .

الشوكاني : الرزق هنا المطر لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به^(١) . وكذلك ذكر البغوي أنه الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح لقوم يعقلون^(٢) . (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) قال النسفي : المطر^(٣) . وفي مفردات القرآن ذكر أن الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيوياً أو أخروياً ، وللنصيب تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة . (أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ)^(٤) أي من المال والجاه والعلم . وكذلك قولهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)^(٥) (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ) أي : تجعلون نصيبكم من النعمة تحري الكذب (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) عني به المطر . (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ..) قيل عني به الأغذية ويمكن أن يحمل على العموم فيما يؤكل ويلبس ويستعمل وكل ذلك مما يزج من الأرض . أما قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ) فهذا محمول على العموم . والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالى . ويقال للإنسان الذي يصير سبباً في وصول الرزق ، والرازق لا يقال إلا لله تعالى^(٦) .

إذا الرزق هو العطاء وهو ما يقتات به الإنسان ، وقد يكون رزقاً في الدنيا فيكون حلالاً أو حراماً . وقد يكون رزقاً في الجنة كما وعدت به نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، والرزق أيضاً يأتي بمعنى المطر أي زرقاً من السماء . وهذا ما عليه ابن منظور والمفسرين .

المعنى العام للنص :

قال الإمام البغوي قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ) أي : ليس دابة (من) صلة . والدابة كل حيوان يدب على وجه الأرض . أما قوله تعالى (إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) أي : هو المتكفل بذلك فضلاً وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق . وقيل (على) بمعنى (من) أي : من الله رزقها .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٧/٥ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٢٤١/١ .

(٣) النسفي : تفسير النسفي ١٧٨/٤ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٤ .

(٥) سورة البقرة آية ٣ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٤٩/١ .

وقال مجاهد : ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً ، (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) هو المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً ومستودعها : الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت وقيل غير ذلك (١) .

النص رقم (٧٨)

قال تعالى : (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : والرس : البئر القديمة أو المعدن ، والجمع رساس ، قال النابغة الجعدي (٣) : تتابله يحفرون الرساسا (٤) .

ورسست رساً أي حفرت بئراً ، والرس بئر لثمود ، وفي الصحاح : بئر كانت لبقيّة من ثمود (٥) . وقوله عز وجل : (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) قال الزجاج : يروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود ، قال : ويروى أن الرس قرية باليمامة يقال لها فلج (٦) ، ويروى أنهم كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها حتى مات ، ويروى أن الرس بئر وكل بئر عند العرب رس ، ومنه قول النابغة السابق . ورس الميت أي قبر . والرس والرسييس : واديان بنجد أو موضعان ، وقيل : هما ماءان في بلاد العرب معروفان ، الصحاح : والرس اسم واد في قول زهير (٧) :

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/١٦١ .

(٢) تنمة الآية (وَعَادًا وَمُؤَدَّا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) (الفرقان: ٣٨) .

(٣) النابغة الجعدي : هو أبو ليلي نابغة بني جعدة وهو قيس بن عبدالله ابن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ١/١٢٣ .

(٤) خليل إبراهيم أبو ذياب : النابغة الجعدي : حياته وشعره ، دار القلم ، دمشق ، المنارة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٥) الجوهري : الصحاح ١/٧٤١ .

(٦) الزجاج : معاني القرآن ، ٤/٦٨ .

(٧) زهير بن أبي سلمى كان أحد الشعراء المقدمين على سائر الشعراء ، وهو من أسرة كلها شعراء ، تناول في شعره المديح والوصف والحكمة ، والمثل ، وكان جاهلياً لم يدرك الإسلام ، وإنما أدركه ابنه كعب وبجير ، أسلم كعب أولاً وأسلم بجير بعد أن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه ، ثم تاب عليه ، توفي زهير قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ١/٥١ ، وأيضاً ١/٦٤ .

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد في الفم^(١)

قال ابن بري : ويروى لوادي الرس^(٢) باللام .

وأما قول زهير :

لمن ظل كالوحي عفا منازلها عفا الرس منها فالرسييس فعاقله^(٣)

فهو اسم ماء ، وعافل : اسم جبل ، والرسة الرصرة وهي تثبيت

البعير ركبته في الأرض لينهض ، ورسس البعير وتمكن للنهوض ، والرس :

البئر المطوية بالحجارة^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : اختلف أهل التأويل في أصحاب الرس فقال بعضهم أصحاب

الرس من ثمود ، وقال آخرون بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج . وقال

آخرون هم قوم رسوا نبيهم في بئر ، وقال آخرون هي بئر كانت تسمت الرس .

ويقول أبو جعفر والصواب من القول في ذلك (قول من قال هم قوم كانوا على بئر

وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ، ونحو ذلك ومنه

قول الشاعر سبقت إلى فرط بأهل تتابله يحفرون الرساسا ، يريد أنهم يحفرون

المعادن ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا

أصحاب الأخدود فإن لم يكونوا هم فلا نعرف لهم خيراً إلا ما جاء من جملة الخبر

عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة^(٥) .

وذكر القرطبي أن نبي أصحاب الرس هو حنظلة بن صفوان وذكر قول

ابن عباس قال صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين قتله قومه ورسوه في

(١) انظر الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص ١٠ .

(٢) والمعنى أن لا يجاوزن هذا الوادي ولا يخطئه كما لا تجاوز اليد الفم ولا تخطئه . الصحاح : ابن بري ٢/٢٧٧ .

(٣) الطلل ما بدا شخصه يقال تطاللت للشيء إذا أشرفت له ، والوحي الكتابة وعاف : دارس عفان يعفوا عفواً ،

الرس والرسييس ، ماءان لبني أسد ، وعاقلة : أرض . انظر أبي العباس : شرح ديوان زهير ، ص ١٢٦ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٥/٢١٠ .

(٥) تفسير الطبري ٩/٣٩٨ .

بئر لهم يقال لها الرس(١) .

وجاء في أضواء البيان : لم يأت في القرآن تفصيل قصتهم ولا اسم نبيهم

وللمفسرين أقوال كثيرة تركناها لأنها لا دليل على شئ منها :

والرس في لغة العرب البئر التي ليست بمطوية . واستشهد بقول الجوهري

في صحاحه إنها البئر المطوية بالحجارة ومن إطلاقها على البئر قول الشاعر(٢) .

وقال الكلبي : وأصحاب الرس معنى الرس في اللغة البئر واختلف في

أصحاب الرس ف قيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة وقيل من أهل أنطاكية

وهم أصحاب يس واختلف في قصتهم ف قيل بعث الله إليهم نبيهم فرمواه في بئر

فأهلكهم الله وقيل كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا(٣) .

وقال الرازي : الرس عند العرب الدفن ويسمى به الحفر يقال رس الميت

إذا دفن وغيب في الحفرة وفي التفسير أنه البئر وأي شئ كان فقد أخبر الله تعالى

عن أهل الرس بالهلاك وذكر الأقوال المختلفة في أصحاب الرس(٤) .

ويقول الشوكاني : الرس في كلام العرب : البئر التي تكون غير مطوية

والجمع رساس ، ويذكر قول السدي : هي بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار

فنسبوا إليها وهو صاحب يس الذي قال (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) وقيل هم قوم

بأذربيجان قتلوا أنبياءهم فجفت أشجارهم وزروعهم ، فماتوا جوعاً وعطشاً وقيل

كانوا يعبدون الشجر ، وقيل كانوا يعبدون الأصنام ، فأرسل الله عليهم شعبياً

فكذبوه وآذوه ، وقيل هم قوم أرسل الله إليهم نبياً فأكلوه وقيل هم أصحاب الأخدود

، وقيل أن الرس : هو البئر المعطلة ، والرس اسم بئر كانت لبقية ثمود . وقيل

الرس:ماء ونخل لبني أسد وقيل الثلج المتراكم في الجبال والرس:اسم واد(٥) .

(١) القرطي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٢/١١ .

(٢) الشنقيطي : أضواء البيان للشنقيطي ، ٥٤/٦ .

(٣) الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، ٧٨/٣ .

(٤) الرازي : التفسير الكبير ، ٧٢/٢٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ١١٠/٢ .

وجاء في مفردات القرآن أصل الرس : الأثر القليل الموجود في الشئ يقال سمعت رساً من خبر . وهو واد^(١) .

ومما سبق يتضح أن معنى الرس هو البئر وفي هذا اتفق ابن منظور والمفسرون ما عدا الرازي الذي قال الدفن وليس الحفر . واختلفوا في من المقصود بهم أصحاب الرس فذكرنا الأقوال المختلفة .. لكن ليس لها دليل ، لذلك اختار قول الطبري أنهم قوم كانوا على بئر وكما ذكر القرآن أنهم هلكوا .

المعنى العام للنص :

واذكر (وَعَاداً) قوم هود (وَتَمُوداً) قوم صالح (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) اسم بئر ونبئهم قيل شعيب وقيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره لكن لم يرد له قول في القرآن .. كانوا قعوداً على بئر فانهارت بهم وبمنازلهم كما قيل أنهم قوم كذبوا نبئهم ورسوه أي رسوه في بئر . (وَقُرُوناً) أي أقواماً (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً) أي بين عاد وأصحاب الرس هلكهم الله جميعاً^(٢) .

النص رقم (٧٩)

قال تعالى : (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر ، فمن أنث جمعه أرسلأ ويقال : هي رسولك . وتراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض . والرسول : الرسالة والمرسل .

وفي التنزيل العزيز : (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ولم رسل لأن فعولاً وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع . أراد بالرسول الرسل فوضع الواحد موضع الجمع . وقال أبو بكر الأنباري في قول المؤنث : أشهد أن محمداً رسول الله ، أعلم وأبين أن محمداً متابع لإخبار عن الله عز وجل . والرسول : معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٥٠ .

(٢) انظر تفسير الجلالين ١/٤٧٥ . تفسير البيضاوي ١/٢١٨ .

(٣) سورة الشعراء آية ١٦ .

متتابعة . وقال أبو إسحاق النحوي في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه :
(فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١) معناه إنا رسالة رب العالمين أي ذوا رسالة رب
العالمين وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة ، والرسول : اسم من
أرسلت وكذلك الرسالة . وأرسلت فلاناً في رسالة ، فهو مرسل ورسول .

وقوله عز وجل : (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ)^(٢) قال الزجاج :
يدل هذا اللفظ على أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح عليه السلام بقوله الرسل .
ويجوز أن يكون يعني به نوح وحده لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء
ويجوز أن يكون يعني به الواحد ويذكر لفظ الجنس .

وأرسل الشئ أطلقه وأهمله ، وقوله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ
عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا)^(٣) قال الزجاج في قوله عز وجل : أرسلنا وجهان :
أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم فلم نعصمهم من القبول منهم^(٤) . والوجه الثاني
وهو المختار أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم ، كما قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا
أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ) أن إرساله الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن انذروا
عبادي ، وإرساله الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم كما تقول : كان لي طائر
فأرسلته أي خليته وأطلقته ، والمرسلات في التنزيل : الرياح ، وقيل الخيل ، وقال
ثعلب الملائكة^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : وقال رسول رب العالمين وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه
أراد به المصدر من أرسلت يقول : أرسلت رسالة ورسولاً^(٦) .

(١) سورة الشعراء آية ١٦ .

(٢) الفرقان / ٣٧ ، قول أبو إسحاق الزجاج : معاني القرآن ، ٦٦/٤ .

(٣) مريم / ٨٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٢/٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٢١٣/٥ . انظر أيضاً القاموس المحيط ١٣٠٠/١ ، تاج العروس ٧١٠٧/١ ، مختار الصحاح
٢٦٧/١ .

(٦) الطبري ، الطبري ، ٤٣٥/٩ .

وقال القرطبي ناقلاً أقوال البعض : قال أبو عبيد : رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا إنا نوو رسالة رب العالمين ، ويجوز أن يكون الرسول في معنى الاثنين والجمع فنقول العرب : هذا رسولي ووكلي وهذا رسولي ووكلي وهؤلاء رسولي ووكلي (١) .

وذكر الشوكاني : وحد الرسول هنا ولم يثنه كما في قوله (إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) لأنه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد ، وأما إذا كان بمعنى المرسل فإنه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع . وذكر قول أبي عبيد الذي ذكره القرطبي . ثم أضاف وقيل معناه : إن كل واحد منا رسول رب العالمين وقيل إنهما لما كانا متعاضدين ومتساندين في الرسالة كانا بمنزلة رسول واحد (٢) .

ويتساءل الإمام الشنقيطي (٣) قائلاً فإن قيل فما وجه الإفراد في قوله (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) في الشعراء مع إنهما رسولان كما جاء الرسول مثنى في طه فما وجه التثنية في (طه) والإفراد في الشعراء وكل واحد من اللفظين المثنى والمفرد يراد به موسى وهارون ، فالذي يظهر للإمام الشنقيطي أن لفظ الرسول أصله مصدر وصف به والمصدر إذا وصف به ذكر وأُفرد (٤) .

وأما قوله تعالى : (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ) فقد ذكر القرطبي ما اختاره ابن منظور من قول الزجاج ، فقال القرطبي في هذه الآية : (لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ) ذكر الجنس والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩٠/١٣ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ١٣٨/٤ .

(٣) الشنقيطي : هو محمد الأمين بن مختار الجكني الشنقيطي ، ولد سنة ١٣٥٠هـ ، في فيفا بشنقيط ، (موريتانيا حالياً) ، اشتهر بالفتيا والقضاء وبالفراسة ، فيه من منصفاته : منع جواز المجاز في المنزل للتقيد والإعجاز ، وصل إلى نهاية سورة المجادلة ثم توفي وأكملة من بعده تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، توفي سنة ١٣٩٣هـ ، بمكة المكرمة ، انظر ترجمة الشيخ عطية محمد سالم للإمام الشنقيطي ، في تفسير أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ ، ص ٢١٦٧ . وأيضاً ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان لعبد الرحمن بن عبدالعزيز السديس ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١١هـ ، ص ٩-١٩ .

(٤) الشنقيطي : أضواء البيان ، ١٧/٤ .

نوح وحده فنوح إنما بعث بلا إله إلا الله وبالإيمان بما ينزل الله فلما كذبه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بعده بهذه الكلمة ، وقيل : إن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل ، لأنهم لا يفرق بينهم في الإيمان ولأنه ما من نبي إلا يصدق سائر أنبياء الله فمن كذب من هو نبياً فقد كذب كل من صدقه من النبيين (١) .

كما أن الله يرسل البشر فإنه يرسل الشياطين كما في قوله تعالى : (أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) قال القرطبي : أي سلطانهم عليهم بالإغواء وقيل أرسلنا : أي خَلِينَا يقال أرسلت البعير أي خَلَيْتَهُ ، أي خَلِينَا الشَّيَاطِينَ وإياهم ، ولم يعصمهم من القبول منهم (٢) .

وذكر قول الشوكاني قول الزجاج الذي ذكره ابن منظور في هذه الآية أنه خَلِينَا بين الكافرين وبين الشياطين فلم يعصمهم منهم ولم نعذبهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) الوجه الثاني أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم قال : (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا) فمن الإرسال هاهنا التسليط ومن ذلك قوله سبحانه لإبليس (وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) . ويؤيد الوجه الثاني تمام الآية وهو : (تَوَزُّهُمُ أَرْأًا) فإن الأز والهز والاستفزاز معناها التحريك والتهيج والإزعاج فأخبر الله سبحانه أن الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم وذلك هو التسليط لها عليهم وقيل معنى الأز الاستعجال وهو مقارب للأول لأن الاستعجال تحريك وتهيج واستفزاز وإزعاج وسياق هذه الآية لتعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حالهم (٣) .

إذاً أرسلنا الشياطين أي سلطانهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء (٤) .

وجاء في مفردات القرآن أصل الرسل : الانبعاث على التؤدة ويقال : ناقصة رسالة : سهلة السير وإيل مراسيل : منبعثه انبعاثاً سهلاً ومنه الرسول المنبعث وتصدر منه تارة الرفق ، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول وتارة لمتحمل القول

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٢/١٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٧/١١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٠٠/٣ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٤/١ .

والرسالة ، والرسول يقال للواحد والجمع كقوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) (١) وللجمع (فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وجمع الرسول رسل ، ورسل الله تارة يراد بها الملائكة وتارة يراد بها الأنبياء (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) (٢) للملائكة . (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (٣) . والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة ، وقد يكون ذلك بالتسخير كإرسال الريح والمطر نحو (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا) (٤) . وقد يكون بالتخلية وترك المنع (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) والرسل من الإيل والغنم : ما يسترسل في السير يقال : جاءوا إرسالاً أي متتابعين (٥) .

إذا هذه الآية من إطلاق اسم الخاص على العام نحو رسول رب العالمين أي رسله (٦) . ذكر ابن منظور معنى الرسول أنه الذي يتابع أخبار من أرسله ، ولم يتحدث المفسرون عن المعنى اللغوي لكلمة رسول وأنها بمعنى رسالة ، وإنما ذكر رسول وأراد به الجمع على اعتبار أن رسول مصدر وهذا أيضاً ذكره ابن منظور . واتفقوا معه أيضاً في أن الله يرسل البشر وأيضاً يرسل الشياطين كما أوضحنا من قبل .

المعنى العام للنص :

هذه الآية في قصة سيدنا موسى عندما طلب عضد أخيه هارون .. فأمره الله سبحانه وتعالى (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي اذهبا إلى فرعون وأخبراه أنا مرسلين من رب العالمين . فأفرد الرسول هنا لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به ، أو لأنه أراد أن كل واحد منهما مرسل إليك (٧) .

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٢) سورة المرسلات آية ١ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

(٤) سورة الأنعام آية ٦ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٥٢/١ .

(٦) السيوطي : الإتقان ، ١٠٠/٢ .

(٧) انظر البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٣٣/١ .

النص رقم (٨٠)

قال تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رسا : رسا الشيء يرسو رسوا وأرسي : ثبت ، وأرساها هو : ورسا الجبل يرسو إذا ثبت أصل في الأرض (وجبال راسيات) ، والرواسي من الجبال : الثابت الرواسخ ، قال الأخفش : واحدتها راسية (٢) . ورست قدمه في الحرب . ورست السفينة ترسو رسواً : بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تسير ، وأرساها هو ، وفي التنزيل العزيز في قصة نوح عليه السلام وسفينته : (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) وقرئ مجريها ومرسيها على النعت لله عز وجل ، الجوهرى : من قرأ مجراها ومرساها ، بالضم من أجريت وأرسيه ، مجراها ومرساها بالفتح من رست وجرت (٣) .

التهذيب : القراء كلهم أجمعوا على ضم الميم من مرساها واختلفوا في مجراها (٤) ، قال أبو إسحاق : من قرأ مجراها ومرساها فالمعنى بسم الله إجراؤها وإرساؤها ، وقد رست السفينة وأرساها الله قال : ولو قرئت مجريها ومرسيها فمعناه أن الله يجريها ويرسيها ، ومن قرأ مجراها ومرساها فمعناه جريها وثباتها غير جارية ، وجاز أن تكون بمعنى مجراها ومرساها (٥) ، وقوله عز وجل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) (٦) قال الزجاج : المعنى يسألونك عن الساعة متى وقوعها ، قال : الساعة هنا الوقت الذي يموت فيه الخلق (٧) .

وقدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها ، وقوله تعالى : (وَقُدُورٍ

(١) سورة هود / ٤١ . تنمة الآية : (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)

(٢) الأخفش : معاني القرآن ، ٥٧٧/٢ .

(٣) الجوهرى : الصحاح ١٦٧٦/٢ .

(٤) أبو منصور : التهذيب ، ٥٥/٣ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٤٣/٣ .

(٦) النزاعات / ٤٢ ، الأعراف / ١٨٧ .

(٧) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٢١٨/٥ .

رَاسِيَاتٍ^(١) قال الفراء : لا تنزل عن مكانها لعظمها^(٢) . والراسية التي ترسو ، وهي القائمة . والجبال الرواسي والراسيات : هي الثوابت^(٣) .
دراسة النص :

تحدث الطبري عن القراءات المختلفة للآية فقال : قرأته عامة أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : بسم الله مجراها ومرساها بضم الميم في الحرفين كليهما . والآخر النصب بمعنى بسم الله عند إجرائها وإرسائها . وعامة أهل الكوفة يقرأون بفتح الميم من (مجريها) وضمها من (مرساها) فجعلوا مجراها مصدراً من جرى يجري مجرى ومرساها من : أرسى يرسي إرساء . والذي اختاره الطبري بفتح الميم في مجراها وضمها في مرساها ، بمعنى بسم الله حين تجري وحين ترسي ، ومعنى قول (مجريها) مسيرها (ومرساها) وقفها من وقفها الله وأرساها^(٤) وقال ابن كثير : أي اذكر الله تعالى عند ابتداء سيرك وعند انتهائه^(٥) .

وقال الإمام الرازي : وأما المرسي فهو أيضاً مصدر كالإرساء يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره قال تعالى : (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)^(٦) .
وقال الواحدي : رست أي ثبتت^(٧) .

وفي الآية : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) وافق ابن منظور الطبري حيث قال الإمام الطبري في هذه الآية : (إن قوماً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأنزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكونوا كانوا من قریش ، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أن ذلك كان

(١) سبأ / ١٣ . تتمة الآية : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٣٥٦/٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢١٧/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٤٣/٧ .

(٥) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٧٢٧/٣ .

(٦) الرازي : التفسير الكبير ، ١٨٣/١٧ . والآية من سورة النازعات ٣٢/ .

(٧) الواحدي : الوجيز ، ٥٢١/١ .

والمعنى يسألك القوم الذين يسألونك عن الساعة (أيان مرساها) أي متى قيامها(١).
 وقال القرطبي : ومرساها بضم الميم من أرساها الله أي أثبتها أي متى
 مثبتها أي متى وقوعها وبفتح الميم من رست أي ثبتت ووقفت ومنه (وقُدُورِ
 رَاسِيَاتٍ) قال قتادة : أي ثابتات(٢) . ويقول ابن كثير : أي ليس علمها إليك ولا
 إلى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على اليقين(٣)
 وقال الشوكاني : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) أي متى وقوعها
 وقيامها ، والمعنى : يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله(٤) .
 وقوله تعالى (وقُدُورِ رَاسِيَاتٍ) يقول الطبري : أي قدور ثابتات لا يحركن
 عن أماكنهن ولا تحول لعظمن(٥) .

وقال القرطبي : قال سعيد بن جبير : هي قدور النحاس تكون بفارس وقيل
 هي قدور تعمل من الجبال ، تحنت من الجبال الصم مما عملت الشياطين لسليمان
 عليه السلام، ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها(٦)، موافقاً بذلك ابن منظور.
 وفي شرح هذه الآية قال ابن كثير ، قال تعالى : (يعملون له من محاريب
 وتمائيل) فالمحاريب هي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وقيل هي
 القصور والمساجد ، والتمايل هي الصور تكون من الطين والزجاج ، و(جفان
 كالجواب) الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء ، والقذور
 الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها ،
 (واعملوا آل داود شكراً) أي أشكروا نعم الله عليكم في الدين والدنيا(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٣٥/٦ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٩٤/٧ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٠٣/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٣٥/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٣٥٤/١٠ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٠/١٤ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٩٧/٣ .

وفي مفردات القرآن يقال : رسا الشيء يرسو : ثبت وأرساه غيره قال تعالى (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) وقال : (رَوَاسِيَّ شَامَخَاتٍ) (١) أي جبلاً ثابتات . (ومجراها ومرساها) من أجريت وأرسيت فالمرسى يقال للمصدر والمكان والزمان . و(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) أي زمان ثبوتها(٢) .

إذاً رسا الشيء يعني ثبت (ومرساها) أي وقوفها وهو توجيه من الله بأن يقول بسم الله إذا تحركت ، وبسم الله إذا وقفت . واتفق ابن منظور والمفسرون في أن معنى رسا ثبت ومرسى الساعة وقت قيامها .وقدور راسيات ثابتات .

المعنى العام للنص :

وقال نوح لقومه الذين أمر بحملهم (اركبوا) يعني : الماء (فيها) في الفلك (بسم الله مجراها ومرساها) يريد : تجري بسم الله وترسي باسم الله ، فكان إذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله فجرت ، وإذا أراد أن ترسي قال بسم الله فرست : أي ثبتت (إن ربي لغفور رحيم) لأصحاب السفينة(٣) .

النص رقم (٨١)

قال تعالى : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رشد : من أسماء الله تعالى الرشيد : هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها ، فعيل بمعنى مفعول وقيل : هو الذي تتساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد الرشد والرشد والرشاد : نقيض الغي : رشد الإنسان ، بالفتح يرشد رشداً بالضم ورشد بالكسر ، يرشد رشداً وإرشاداً ، فهو راشد ورشيد ، وهو نقيض الضلال ، إذا أصابه وجه الأمر والطريق ، وفي الحديث : (عليكم بسنتي والسنة

(١) سورة المرسلات آية ١٢٧ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٥٥٣/١ .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ٥٢١/١ .

(٤) سورة غافر آية ٣٨ . (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ)

الخلفاء الراشدين من بعدي)(^(١) ، الراشد اسم فاعل من رشد يرشد رشداً وأرشدته أنا ، وأرشده الله وأرشده إلى الأمر ورشده : هداه واسترشده : طلب منه الرشد ، ويقال : استرشد فلان لأمره إذا اهتدى له ، وأرشدته فلم يسترشد ، وفي الحديث : وإرشاد الضال(٢) أي هدايته الطريق وتعريفه . والرشدي : اسم للرشاد . وقال أبو منصور : ومنهم من جعل رشد يرشد ورشيد مرشد بمعنى واحد في الغي والضلال(٣) ، والإرشاد : الهداية والدلالة . والرشدي : من الرشد . وقوله تعالى : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) : أي أهدكم سبيل القصد سبيل الله وأخرجكم عن سبيل فرعون ، والمرشد : المقاصد(٤) .

دراسة النص :

- قال الطبري : (سبيل الرشاد) : سبيل الصواب(٥) .
 وقال القرطبي : أي طريق الهدى وهو الجنة(٦) .
 وأيضاً قال الشوكاني : أهدكم طريق الرشاد وهو الجنة(٧) .

(١) يريد بالراشدين أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، رحمة الله عليهم ورضوانه ، وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم من الأئمة . رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، ٢٨/١ (٦٦) . أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الأوسط ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ (تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني) .
 نص الحديث : عن العرياض بن سارية السلمية قال : قام فينا رسول الله ذات غداة فوعظنا موعظة وجفت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله إنك قد وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا فقال : عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً وسيرى من بقى بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل بدعة ضلالة .

(٢) الحديث عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وتغيثوا الملهوف وتمدوا الضال) انظر سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب في الجلوس في الطرقات ، ٦٧٢/٢ (٤٨١٧) . وقال ابن حجر : (وهي عند البزار وإرشاد الضال) . انظر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ، تحقيق أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، ١١/١١ .

(٣) أبو منصور : التهذيب ، ٣٢١/١١ .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ٢١٩/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٦٢/١١ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٦/١٥ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٠٢/٤ .

وكذلك قال البغوي : طريق الهدى^(١) . وقال الزمخشري : ويريد سبيل الصواب
الصالح^(٢) .

وأما النسفي فقال : هو نقيض الغي^(٣) .

وقال الرازي : وليس المراد بقوله (اتَّبِعُونِ) طريق التقليد لأنه قال بعده (أَهْدِكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ) والهدى هو الدلالة ومن بين الأدلة للغير يوصف بأنه هداة ، وسبيل
الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدي إليه لأن الرشاد نقيض الغي ، وفيه
تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي^(٤) .

وفي تاج العروس الرشاد كثير الرشد^(٥) .

ذكر المفسرون أن طريق الرشاد : هو طريق الهدى وهو نقيض الغي وهو
الطريق المؤدي إلى الجنة . وهذا ما ذهب إليه ابن منظور .

المعنى العام للنص :

قال الطبري : يقول تعالى ذكره عن المؤمن بالله من آل فرعون (وَقَالَ الَّذِي
آمَنَ) من قوم فرعون لقومه (يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) يقول : أن
اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا
أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى^(٦) .

النص رقم (٨٢)

قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا
لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٧) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/١٤٩ .

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ١/١٢٨ .

(٣) النسفي : تفسير النسفي ، ٤/٧٥ .

(٤) الرازي : التفسير الكبير ٢٧/٦٠ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ١/١٩٨٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ١١/٦٢ .

(٧) سورة التوبة / ١٠٧ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رصد : الراصد بالشئ الراقب له . رصده بالخير وغيره يرصده رصداً ورصداً : يرقبه ، ورصده بالمكافأة كذلك . والترصد : الترقب . قال الليث : يقال أنا لك مرصد بإحسانك حتى أكافئك به . قال : والإرصاد في المكافأة بالخير ، وقد جعله بعضهم في الشر أيضاً ، وانشد :

لا هم رب الراكب المسافر .. احفظه لي من أعين السواحر

وحية ترصد بالهواجر .

فالحية لا ترصد إلا بالشر . ويقال للحية التي ترصد المارة على الطريق

لتلسع : رصيد والرصيد : السبع الذي يرصد ليثب .

والرصد : القوم يرصدون كالحرس ، ويستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث . وقيل ترصده : ترقبه وأرصد له الأمر : أعده . والارتصاد : الرصد والرصد : المرتصدون ، وهو اسم للجمع . وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (التوبة: من الآية ١٠٧) قال الزجاج : كان رجل يقال له أبو عامر^(١) الراهب حارب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومضى إلى هرقل وكان أحد المنافقين ، فقال المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار : نبي هذا المسجد ومنتظر أبا عامر حتى يجيء ، ويصلي فيه^(٢) . وقال الإرصاد ، الانتظار ، قال غيره الإعداد ..

والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق . قال تعالى : (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

مَرَصِدٍ)^(٣) قال الفراء : معناه واقعدوا لهم على طريقين إلى البيت الحرام^(٤) ، وقيل : معناه أي كونوا لهم رصداً لتأخذوهم في أي جهة توجهوا ، قال

(١) يقال اسم أبو عامر الراهب عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية ، وقيل غير ذلك ، وأبوه عامر كان يعرف بالراهب في الجاهلية ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق ، لما فتحت مكة لحق بهرقل هارباً إلى الروم فمات كافراً عند هرقل سنة تسع هجرية ، وقيل سنة عشرة هجرية . انظر الاستيعاب ، ١١٢/١ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن ، ٤٦٨/٢ . انظر أيضاً : الطبري : جامع البيان ، ٤٦٩/٦ .

(٣) التوبة / ٥ .

(٤) الفراء : معاني القرآن ، ٤٢١/١ .

أبو منصور : على كل طريق (١) . وقال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) (٢) أي لبالطريق أي بالطريق الذي ممرك عليه . وقال الزجاج : أي يرصد من كفر به وصد عنه بالعذاب (٣) . وقال ابن عرفة : أي يرصد كل إنسان حتى يجازيه بفعله ، ابن الأنباري : المرصاد الموضع الذي ترصد الناس فيه كالمضمار الموضع الذي تضرمر فيه الخيل من ميدان السباق ونحوه . والمرصد مثل المرصاد وجمعه المراصد ، وقيل : المرصاد : المكان الذي يرصد فيه العدو . وقال الأعمش في قوله عز وجل : (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) قال : المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط : جسر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرحم ، وجسر عليه الرب (٤) ، وقال تعالى : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) (٥) أي ترصد الكفار . وفي التنزيل العزيز : (فَإِنَّهُ يَسْتَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (٦) أي إذا نزل الملك بالوحي أرسل الله معه رصداً يحفظون الملك من أن يأتي أحد من الجن يستمع الوحي فيخبر به الكهنة ويخبروا به الناس ، فيساووا الأنبياء (٧) .

دراسة النص :

وقال الطبري : (أرصادا) أي أعداداً لأبي عامر (٨) . قال القرطبي : الإرصاد : الانتظار ، تقول : أرصدت كذا إذا أعددتَه مرتقباً به . وقيل : يقال رصدته وأرصدته في الخير ، وأرصدت له الشر . وقال : لا يقال إلا أرصدت ، ومعناه ارتقبت (٩) .

(١) أبو منصور : التهذيب ، ١٣٧/١٢

(٢) سورة الفجر آية ١٤ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن ، ٢٤٦/٥ .

(٤) انظر : الطبري : جامع البيان ، ٥٧٢/١٢

(٥) سورة النبأ آية ٢١ .

(٦) سورة الجن آية ٢٧ .

(٧) ابن منظور : اللسان ، ٢٢٤/٥ ، انظر أيضاً تاج العروس ١٩٨٧/١ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ٤٦٩/٦ .

(٩) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٣/٨ .

وقال الواحدي : انتظاراً لمن حارب الله ورسوله^(١) .

إذا الإِرصاد يأخذ هنا معنى الإِعداد كما قال الطبري ومعنى الانتظار كما

قال القرطبي والواحدي . والرأيين ذكرهما ابن منظور .

وذكر ابن أخي أبي رهم الغفاري : أنه سمع أبا رهم وهو كان ممن بايع

تحت الشجرة يقول : أتى من بنى مسجد ضرار رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله أنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة

والليلة الشتائية والليله المطيرة وأنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، قال : إني على

جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما رجع نزل بذي أوان

على ساعة من المدينة فأنزل الله في المسجد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً)^(٢) .

وفي هذه الآية قرأ نافع وابن عامر (الذين اتخذوا مسجداً ..) بغير راو وكذلك في مصاحفهم ،

وقرأ الباقون والذين بالواو وهكذا في مصاحفهم^(٣) .

وأما قوله (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) قال الطبري: (كل مرصد) يعني : كل

طريق ومرقب وهو (مفعل) من قول القائل (رصدت فلاناً أرصده رصداً) بمعنى

رقيبته^(٤)

وقال القرطبي : المرصد : الموضع الذي يرقب فيه العدو يقال : رصدت

فلاناً أرصده أي رقيبته أي اعدوا لهم في مواضع الغرة حيث يرصدوا^(٥) .

وقال ابن كثير : أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصوهم في معاقلهم

وحصونهم ، والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع

وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام^(٦) .

والمرصاد يأخذ معنى الطريق ومعنى المكان كما في قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ

لِبِالْمِرْصَادِ) أي المكان الذي يتربقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته

(١) الواحدي : الوجيز ، ٤٨١/١ .

(٢) السيوطي : لباب النقول ، ١١٥/١ .

(٣) انظر : ابن زنجلة : حجة القراءات ، ٣٢٣/١ . وأيضاً : ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ، ١٨٧/١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٣١٩/٦ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦٩/٨ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٤٣/٢ .

وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه^(١) .
وقال الثعالبي : المرصاد والمرصد موضع الرصد ، أي أنه تعالى عند
لسان كل قائل مرصد لكل فاعل^(٢) .
ووافق المفسرون ابن منظور في أن (رصداً) بمعنى حفظة كما في قوله
تعالى (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا) أي حرساً وحفظة يحفظونه^(٣) .
وقال القرطبي : (رصداً) يعني ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان
فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة^(٤) .
وكذلك قال الشوكاني مثل قول الطبري والقرطبي^(٥) .
وقوله تعالى (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) قال الطبري : يعني تعالى ذكره
بقوله : إن جهنم كانت ذات رصد لأهلها الذين كانوا يكذبون في الدنيا وبالمعاد إلى
الله في الآخرة ولغيرهم من المصدقين بها ومعنى الكلام : إن جهنم كانت ذات
ارتقاب ترقب من يجتازها وترصدهم^(٦) . وقال ابن كثير : (مرصاداً) أي معدة^(٧)
. وذكر القرطبي ما ذكره ابن منظور قائلاً : مرصاد معناها من الرصد والرصد
كل شيء أمامك . قال الحسن : إن على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز
عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجيء بجواز حبس وعن سفيان رضي الله عنه
قال : عليها ثلاثة قناطر وقيل (مرصاداً) ذات أرصاد على النسب أي ترصد من
يمر بها وقال مقاتل : محبساً وقيل طريقاً وممرأً فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع
جهنم . والمرصاد الطريق . وقال قلت : فجهنم معدة مترصدة متفعل من الرصد
وهو الترقب أي هي متطلعة لمن يأتي^(٨) .

(١) أبي السعود : تفسير أبي السعود ١٥٦/٩ .

(٢) الثعالبي : تفسير الثعالبي ٤١١/٤ .

(٣) تفسير الطبري ٢٧٢٥/١٢ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨/٩ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٦/٥ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٤٠٢/١٢ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٩٤/٢ .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٥/١٩ .

ما أحكم وضم ، فقد رص ، ورصت الشيء أرصه رصاً أي ألصقت بعضه ببعض ، ومنه بنيان مرصوص ، وكذلك الترصيص ، وتراص القوم تضاموا وتلاصقوا ، وتراصوا : تصافوا في القتال والصلاة ، وفي الحديث : تراصوا في الصفوف لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف^(١) . وفي رواية تراصوا في الصلاة أما تلاصقوا ، قال الكسائي : التراص أن يلصق بعضهم ببعض حتى لا يكون بينهم خلل ولا فرج ، وأصله تراصوا من رص البناء يرصه رصاً إذا ألصق بعضه ببعض فأدغم ، ومنه الحديث : لصب عليكم العذاب صباً ثم لرص عليكم رصاً^(٢) . ومنه حديث ابن صياد : فرصه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) أي ضم بعضه إلى بعض ومنه قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) أي ألصق البعض ببعض^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري في هذه الآية : يقول تعالى : يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً كأنهم في اصطفاهم هنالك حيطان مبنية قد رص فأحكم وأتقن فلا يغادر منه شيئاً^(٥) . وقال القرطبي : معنى الآية أن الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء^(٦) .

وقال ابن كثير : أي ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال^(٧) .

وقال الشوكاني : مرصوص ملتزق بعضه ببعض يقال رصت البناء

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢٨٣/٣ (١٤٠٤٩) (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : تراصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٠٩/٢٢ (٧٨٥) . ورواه البيهقي : كتاب صلاة الخوف ، باب استحباب الخروج بالضعفاء والصبيان والعبيد والعجائز ، ٣/٣٤٥ (٦١٨٤) .

(٣) حديث ابن صياد رواه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ، ٤/٢٢٤٤ (٢٩٣٠) .

(٤) ابن منظور : اللسان ٥/٢٢٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٨١/١٢ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٣/١٨ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤/٤٥٨ .

أرضه رصاً : إذا ضمت بعضه إلى بعض (١) .

وقال البيضاوي : في تراصهم من غير فرجه حال من المستكن في الحال

الأول ، والرص اتصال بعض البناء ببعضه واستحكامه (٢) .

وقال الواحدي : لاصق بعضه ببعض لا يزولون عن أماكنهم (٣) .

وذكر الإمام الشنقيطي : أن علماء التفسير اختلفوا في المراد بالبنيان

المرصوص ، فنقل بعضهم عن الفراء أنه التلاحم بالرصاص لقوته والجمهور أنه

المتلاصق المتراص المتساوي . والواقع أن المراد بالتشبيه هنا وجه الشبه ولا

يصح أن يكون هنا شكل البناء لا في تلاحمه بالرصاص وعدم انفكاكه ولا تساويه

وتراصه لأن ذلك يتنافى وطبيعة الكر والفر في أرض المعركة ولكل وقعة نظامها

حسب موقعها ، والذي يظهر والله تعالى أعلم أن وجه الشبه المراد هنا هو عموم

القوة والوحدة . ونقل قول الزمخشري يجوز أن يريد استواء بنائهم في الثبات حتى

يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص (٤) .

وقال الكلبي : المرصوص هو الذي يضم بعضه إلى بعض وقيل هو

المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (٥) .

وجاء في مفردات القرآن قال تعالى : (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) أي : محكم

كأنما بني بالرصاص ويقال : رصصته ورصصته وتراصوا في الصلاة . أي :

تضايقوا فيها ، وترصيص المرأة : أي تشدد التنقب وذلك أبلغ في الرص (٦) .

وقال الإمام الطحاوي في هذه الآية : أن المحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب

في محبوه ومكروهه وولايته وعداوته ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة

الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٠٨/٥ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٣٣/١ .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ١٠٩٢/١ .

(٤) الشنقيطي : أضواء البيان ، ١٠٦/٨ . وأيضاً انظر : الزمخشري : الكشاف ، ١٢٥١/١

(٥) الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، ١١٧/٤ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٥٥/١ .

في هذه الآية^(١) .

إذا المرصوص هو المتراص المتلاصق بعضه ببعض وهو أن الله يريد وحدثهم لأنها الضمان لانتصارهم .

المعنى العام للنص :

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) قال الإمام البغوي : أي يصفون أنفسهم عند القتال صفاً ولا يزالون عن أماكنهم .. (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قد رص بعضه ببعض (أي ألزق بعضه ببعض) وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل وقيل كالرصاص^(٢) .

النص رقم (٨٤)

قال تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رضع : رضع الصبي وغيره يرضع مثال ضرب يضرب لغة نجدية ، ورضع مثال سمع يرضع رضعاً ورضعاً ورضاعاً ورضاعاً ورضاعاً ورضاعة ورضاعة ، فهو راضع ، والجمع رضع . وارتضع : كرضع ، قال ابن أحمـر^(٤) :

إني رأيت بني سهم وعزهم كالعنز تعطف روقها فترتضع

وفي التنزيل : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) اللفظ لفظ

الخبر والمعنى معنى الأمر . ومعنى الآية : لترضع الوالدات . وقوله عز وجل :

(١) ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١هـ ، ٣٨٣/١ . انظر أيضاً : أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي : الأمثال من الكتاب والسنة ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، تحقيق د. السيد الجميل ، ١١٣/١ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ١/١٠٨ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٣ .

(٤) ابن أحمـر : هو خلف بن حيان أبو محزر ، وكان عالماً بالغريب والنحو والأخبار شاعراً كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه : أصله غير عربي ، ولد قبل ٩٦هـ ، ومات في حدود ١٨٠هـ — ، وهو مولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، انظر : خلف الأحمر : تأليف د. فضل بن عمار العماري ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م ، ص ٥ .

(وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ) أي تطلبوا مرضعة لأولادكم . وفي الحديث حين ذكر الإمارة فقال نعمت المرضعة وبئس الفاطمة(١) . ضرب المرضعة مثلاً للإمارة وما توصله إلى صاحبها من الأجلاب يعني المنافع ، والفاطمة مثلاً للموت الذي يهدم عليه لذاته ويقطع منافعها ، قال ابن بري : وتقول استرضعت المرأة ولدي أي طلبت منها أن ترضعه . وفي حديث سويد(٢) ابن غفلة : فإذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يأخذ من راضع لبن(٣) ، أراد بالراضع ذات الدر واللبن ، وفي الكلام محذوف تقديره ذات راضع . وتقول هذا أخي من الرضاعة بالفتح وهذا رضيعي .

وقال الأزهري : والمراضعة أن يرضع الطفل أمه وفي بطنها ولد(٤) ، قال : ويقال لذلك الولد الذي في بطنها مراضع ويجئ نحياً ضاويماً سئ الغذاء . والرضيع المراضع وراضعه مراضعة ورضاعة رضع معه . والرضيع : المراضع ، والجمع رضعاء . وامرأة مراضع ذات رضيع أو لبن رضاع . والجمع مراضيع على ما ذهب إليه سيبويه في هذا النحو . وقال ثعلب : المرضعة التي ترضع وإن لم يكن لها ولد أو كان لها ولد . والمرضع : التي ليس معها ولد وقد يكون معها ولد .

(١) سنن البيهقي الكبرى : جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة ، باب كراهية الولاية جملة ، ١٢٩/٢ (٥١٢٧) . سنن النسائي : كتاب البيعة ، باب ما يكره من الحرص على الإمارة ١٦٢/٧ (٤٢١١) . مسند أحمد بن حنبل ٤٤٨/٢ (٩٧٩٠) . نص الحديث : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنكم ستحرصون على الإمارة وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئس الفاطمة .

(٢) سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي يكنى أبا أمية أدرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، ولد عام الفيل ، قدم المدينة يوم دفن النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد القادسية ، وصفين مع علي رضي الله عنه ، سكن الكوفة ومات بها في زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين ، وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة ، وقيل سبع وعشرين ومائة سنة رحمة الله عليه . انظر الاستيعاب ، ٢٠٥/١ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب في زكاة السائمة ، ٤٩٥/١ (١٥٧٩) . سنن النسائي : كتاب الزكاة ، باب الجمع بين المفترق والتفريق بين المجتمع ، ٢٩/٥ (٢٤٥٧) . نص الحديث في سنن النسائي : عن سويد بن غفلة قال : أتانا مصدق النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فجلست إليه فسمعته يقول إن في عهدي أن لا تأخذ من راضع لبن ولا تجمع بين مفترق ولا تفرق بين مجتمع فأتاه رجل بناقة كوماً فقال خذها فأبي .

(٤) الأزهري : التهذيب ٤٧٢/١ .

والرضع : صغار النحل ، واحدها رضعة . وفي التنزيل : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) (١) وكل مرضعة : كل أم . وقد يجي مرضع على معنى ذات إرضاع إي لها لبن وإن لم يكن لها رضيع وجمع المرضع مرضع ، قال سبحانه : (وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) (٢) .

دراسة النص :

قال الطبري في هذه الآية : يعني بذلك أنهم أحق برضاعهم من غيرهم وليس ذلك بإيجاب من الله تعالى ذكره عليهن رضاعهم إذا كان المولود له والد حياً وموسراً ، وحولين دلالة على مبلغ غاية الرضاع التي متى اختلف الوالدان في رضع المولود بعده جعل حداً يفصل به بينهما ، وحولين أي سنتين (٣) .

وقال القرطبي : (يرضعن) خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن (٤) .

وقال الشوكاني : (يرضعن) قيل : هو خبر في معنى الأمر للدلالة على تحقق مضمونه وقوله (كاملين) تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقي لا تقريبي (٥) .

وذكر البغوي هنا أن الوالدات : يعني المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن ويرضعن خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من ترضع الولد لقوله تعالى : (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتَوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ) فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها (حولين كاملين) أي سنتين وذكر الكمال للتأكيد (٦) .

(١) سورة الحج آية ٢ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٢٣١/٥ ، والآية من سورة القصص (١٢) تنمة الآية (وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ، انظر أيضاً تاج العروس ٧٠٠٧/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٥٠٣/٢ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٢/٢ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٧١/١ .

(٦) سورة الطلاق آية ٦ . تفسير البغوي ٢٧٧/١ .

وقال البيضاوي : في الآية أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب أو الوجوب^(١) .

وفي الآية من مقابلة الجمع بالجمع والتي تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا^(٢) .

وقال الشافعي رحمه الله : والرضاع اسم جامع يقع على المصاة وأكثر منها أي كمال إرضاع الحولين ويقع على كل رضاع وإن كان بعد الحولين . فاستدلنا أن المراد بتحريم الرضع بعض المرضعين دون بعض لا من لزمه اسم رضاع . وجعل تمام الرضاعة حولين^(٣) .

وقوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) نسخت بالاستثناء بقوله (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فصارت هذه الإرادة بالاتفاق ناسخة لحولين كاملين^(٤) . وفي هذه الآية تبين أن أقل مدة حمل ستة أشهر .

كما ورد أن عمر رضي الله عنه أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فقال ليس عليها رجم فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه فسأله فقال (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) وقال (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) فستة أشهر حملة حولين تمام لا حد عليها أو قال لا رجم عليها قال فخلى عنها ثم ولدت^(٥) .

وقوله تعالى : (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ) قال الطبري : أي إذا أردتم أن تسترضعوا أولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم بالذي يرضعن به غيرهن من الأجر أو من خيفة ضيعة منكم على أولادكم بانقطاع ألبان أمهاتهم أو غير ذلك من الاسباب

(١) البيضاوي : تفسير ، ٥٢٤/١ .

(٢) السيوطي : الإتقان ، ٥٦٨/١ .

(٣) الشافعي : أحكام القرآن ، ٢٥٨/١ .

(٤) ابن حزم : الناسخ والمنسوخ ، ٢٩/١ . انظر النحاس : الناسخ والمنسوخ ، ٣٢١/١ .

(٥) سنن البيهقي الكبرى ، كتاب العدد ، باب ما جاء في أقل الحمل ، ٤٤٢/٧ (١٥٣٤٦) .

فلا حرج عليكم^(١) .

وقال القرطبي : أي تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة ، فأضاف القرطبي أن في الآية دليل على جواز اتخاذ الظئر إذا اتفق الآباء والأمهات^(٢) .

قال فيها ابن كثير : أي إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يستلم منها الولد إما لعذر منها أو العذر له فلا جناح عليها في بذله ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها أجزتها الماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف . وهذا ما قاله ابن منظور^(٣) .

وقال الزمخشري استرضع من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي ، واسترضعها الصبي لتعديه إلى مفعولين ، والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه^(٤) .

وقوله تعالى : (تذهل وكل مرضعة) أي كل مرضعة مولود عما أرضعت أي تتسى وتذهل من شدة كرب يوم القيامة قاله الطبري^(٥) .

وذكر ابن منظور أن جمع مرضع ، مراضع ، كما في قوله تعالى : (وحرمنا عليه المراضع) قال الطبري أي : منعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه^(٦) .

وقال القرطبي : (المراضع) جمع مرضع ومن قال مراضع فهو جمع مراضع ومفعال يكون للتكثير ، ولا يدخل الهاء فيه فرقاً بين المؤنث والمذكر لأنه ليس يجار على الفعل ولكن من قال مرضاعة جاء بالهاء للمبالغة كما يقال مطراباة ، قال ابن عباس : لا يؤتى برمضع فيقبلها ، وهذا تحريم منع لا تحريم شرع^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٥١٤/٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٢/٣ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٨٠/١ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ، ١٣٨/١ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٠٤/٩ . سبق شرحاً في مادة (ذهل)

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٣٩/١٠ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٩/١٣ .

وقال الشوكاني : المراضع جمع مرضع : أي منعناه أن يرضع من المرضعات وقيل المراضع جمع مرضع بفتح الضاد وهو الرضاع ، أو موضعه وهو الثدي^(١) .

إذا اتفق ابن منظور والمفسرون أن المراضع جمع مرضع . وفي شرح هذه الآية يقول ابن كثير : وحرمنا عليه المراضع ، أي تحريماً قدرياً وذلك لكرامته عند الله وصيانتة له أن يرتضع غير ثدي أمه ، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة مطمئنة ، وذلك لما جاءت أخته وقالت : (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهم له ناصحون) تعني من ترضعه لكم بالأجرة ، فهذبت به وهم معها إلى أمه فقبل ثديها وأرضعته^(٢) .

وفي مفردات القرآن يقال رضع المولود يرضع ورضع يرضع رضاعاً ورضاعة وفلان أخو فلان من الرضاعة^(٣) .

هذا ما ورد في هذه الآية من قول ابن منظور والمفسرين ويظهر الاتفاق في أن الآية جاءت في لفظ الخبر والمعنى أمر . وأن المرضعة هي كل مرضعة مولود سواء كانت أمه أو مستأجرة .

المعنى العام للنص :

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب يريد أنهن أحق بالإرضاع من غيرهن إذا أردن ذلك (حوالين) سنتين . (كاملين) تامين وهذا تحديد يقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع يدل على هذا قوله (لَمَنْ أَرَادَ) أي : هذا التقرير والبيان لمن أراد (أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ) (٤) .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٣٠/٤ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٩٩/٣ .

(٣) مفردات القرآن ٥٥٧/١ .

(٤) الواحدي : الوجيز ، ١٧٢/١ .

النص رقم (٨٥)

قال تعالى : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرضى : مقصور ضد السخط وفي حديث الدعاء : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت أنت على نفسك (٢) . وتثنية الرضا : رضوان ورضيان وقوله عز وجل (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (تأويله أن الله تعالى رضى عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به . وأرضاه : أعطاه ما يرضى به ورضاه : طلب رضاه (٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بما أطاعوه في الدنيا وعملوا لخالصهم من عقابه في ذلك (وَرَضُوا عَنْهُ) بما أعطاهم من الثواب يومئذ على طاعتهم ربهم في الدنيا وجزاهم عليها من الكرامة (٤) .

وقال القرطبي : أي رضى أعمالهم (وَرَضُوا عَنْهُ) أي رضوا هم بثواب الله عز وجل (٥) . وقال فيها ابن كثير : ومقام رضاه عنهم أعلى مما أتوه من النعيم المقيم (وَرَضُوا عَنْهُ) فيما منحهم من الفضل العظيم (٦) .

(١) تسمة الآية : (جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ) (البينة: ٨) .

(٢) عن أبي هريرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك . صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ (٢٢٢) . الموطأ ، رواية يحيى الليث ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، ٢١٤/١ (٤٩٩) . سنن أبي داود : كتاب الصلاة ، باب في الدعاء في الركوع والسجود ، ٢٩٥/١ (٨٧٩) .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢٣٦/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٦٥٨/١٢ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٥/٢٠ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٩٦/٤ .

وقال البغوي : الرضا ينقسم إلى قسمين : رضا به ورضا عنه ، فالرضا به: رباً ومدبراً والرضا عنه : فيما يقضي ويقدر^(١) .

وقال أبو حيان : (ورضي الله عنهم) إشارة إلى التعظيم (وقيل رضي الله عنهم) بقبول حسناتهم ورضوا عنه بما آتاهم من الكرامة وقيل بطاعتهم ورضوا عنه في الآخرة بثوابه^(٢) .

وجاء في مفردات القرآن يقال : رضي يرضى رضا فهو مرضي ومرضو . ورضا العبد عن الله : أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنهياً عن نهيه . والرضوان : الرضا الكثير ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى، قال عز وجل : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)^(٣) .

ذكر ابن منظور المعنى اللغوي لكلمة رضى : ضد السخط ولم يذكر المفسرون المعنى اللغوي . لكن ابن منظور اتفق معهم في المعنى العام للآية أن (رضى الله) هو رضاه عن أفعالهم (ورضوا عنه) هو ما جازاهم به .

المعنى العام للنص :

(جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) ذلك لمن خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى^(٤) .

النص رقم (٨٦)

قال تعالى : (وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)^(٥) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٤٩٧/١ .

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ، ٦٨/٤ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٥٨/١ .

(٤) تفسير الجلالين ٨١٧/١ .

(٥) (وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)(الرعد:١٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرعد : الصوت الذي يسمع من السحاب وأرعد القوم وأبرقوا : أصابهم رعد وبرق . ورعدت السماء ترعد وترعد رعداً ورعدوا وأرعدت : صوتت للإمطار ، وسحابة رعادة : كثيرة الرعد .

وقال اللحياني : لقد أرعدنا أي أصابنا رعد . وفي قوله تعالى : (وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) قال الزجاج : جاء في التفسير أنه ملك يزجر السحاب^(١) . قال : وجائز أن يكون صوت الرعد تسيحه لأن صوت الرعد من عظيم الأشياء . وقال ابن عباس : الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل بحدائه^(٢) . وقيل : الرعد صوت السحاب والبرق ضوء ونور يكونان مع السحاب . وذكر الملائكة بعد الرعد في الآية يدل على أن الرعد ليس بملك . وقال الذين قالوا الرعد ملك : ذكر الملائكة بعد الرعد وهو من الملائكة ، كما يذكر الجنس بعد النوع . وسئل علي رضي الله عنه عن الرعد فقال : ملك ، وعن البرق ، فقال : مخاريق بأيدي الملائكة من حديد . وقال الليث : الرعد ملك اسمه الرعد يسوق السحاب بالتسييح ، قال : ومن صوته اشتق فعل رعد يرعد ومنه الرعدة والارتعاد . وقال الأخفش : أهل البادية يزعمون أن الرعد هو صوت السحاب^(٣) ، والفقهاء يزعمون أنه ملك^(٤) .

دراسة النص :

ذكر الطبري أن أهل العلم اختلفوا في معنى الرعد : فقال بعضهم هو ملك يزجر السحاب منهم مجاهد وابن عباس وغيرهم فعن مجاهد عن ابن عباس قال : الرعد اسم ملك وصوته هذا تسيحه فإذا اشتد زجره السحاب اضطرب السحاب واحتك فتخرج الصواعق من بينه . وقال أيضاً عن قتادة قال : الرعد خلق من خلق الله جل وعز سامع مطيع لله جل وعز . وقال آخرون : إن الرعد ريح تختنق

(١) الزجاج : معاني القرآن ، ١١٦/٣ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٨٢/١ .

(٣) الأخفش : معاني القرآن ، ٥٩٣/٢ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٤٣/٥ . انظر أيضاً الزبيدي : تاج العروس ١٩٨٩/١ .

تحت السحاب فتصاعد فيكون ذلك الصوت^(١). ولم يرجح الطبري رأياً من الآراء .
وقال الشوكاني : (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله .
أي ملتبساً بحمده وليس هذا بمستبعد ولا مانع من أن ينطقه الله بذلك (وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) وأما على تفسير الرعد بملك من الملائكة فلا استبعاد في
ذلك ويكون ذكره على الأفراد مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له وعناية
به وقيل المراد ويسبح سامعو الرعد : أي يقولون : سبحان الله والحمد لله
والملائكة من خيفته أي ويسبح الملائكة من خيفة الله سبحانه وقيل من خيفة
الرعد^(٢) .

وقال الإمام البغوي : أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق
السحاب والصوت المسموع منه تسيحة^(٣) .

وقال النسفي : ويسبح الرعد بحمده قيل يسبح سامعو الرعد من العباد
الراجين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله ، وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر والملائكة من خيفته
ويسبح الملائكة من هيئته وإجلاله^(٤) .

وجاء في مفردات القرآن أن الرعد صوت السحاب وروي أنه ملك يسوق
السحاب كما ورد عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء : ثم قالوا أخبرنا ما هذا
الرعد ؟ قال : ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به
السحاب يسوقه حيث أمره الله . ويقال رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت
ويكنى بهما عن التهدد^(٥) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٨٢/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ١٠٣/٣ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٣٠٣/١ .

(٤) النسفي : تفسير النسفي ٢١٢/٢ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦١/١ .

والذي نخلص إليه أن الرعد صوت في السماء .. وذكر ابن منظور أقوال من قال أن أصل هذا الصوت أنه ملك ومن قال غير ذلك دون ترجيح وأيضاً الطبري والشوكاني والبعض رجح أن الرعد اسم ملك ومنهم البغوي والنسفي .

المعنى العام للنص :

قال ابن كثير : (وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) كقوله : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال : (اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك) (١) . وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض (٢) . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً (٣) (٤) .

النص رقم (٨٧)

قال تعالى : (لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) (٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رعن : الأرعن : الأهوج في منطقة المسترخي . والرعوننة : الحمق والاسترخاء ، رجل أرعن وامرأة رعناء بيناء الرعوننة والرعن أيضاً ، وما أرعنه ، وقد رعن بالضم يرعن رعونة ورعناً . وقوله تعالى : (لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) قيل : هي كلمة كانوا يذهبون بها إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم ، اشتقوه من الرعوننة ، قال ثعلب : إنما نهى الله تعالى عن ذلك لأن اليهود كانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا أو راعونا ، وهو من كلامهم سب ، فانزل الله تعالى : لا تقولوا راعنا وقولوا مكانها انظرنا . قال ابن

(١) ذكره الطبراني في المعجم الكبير : ٣١٨/١٢ (١٣٢٣٠) .

(٢) سنن البيهقي الكبرى كتاب صلاة الخوف ، باب من يقول إذا سمع الرعد ، ٣/٣٦٢ (٦٢٦٣) . الموطأ رواية يحيى الليثي : كتاب الكلام ، باب القول إذا سمع الرعد ، ٢/٩٩٢ (١٨٠١) .

(٣) الطبراني : المعجم الكبير ١٦٤/١١ (١١٣٧١) .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢/٦٦٤ .

(٥) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: ١٠٤) .

سيدة : وعندي أن في لغة اليهود راعونا على هذه الصيغة ، يريدون الرعوننة أو الأرعن(١) . وقرأ الحسن : (ولا تقولوا راعناً) بالتثوين(٢) ، قال ثعلب : معناه لا تقولوا كذباً وسخرياً وحمقاً وقيل : إن راعنا كلمة كانت تجري مجرى الهزء فنهى المسلمون أن يلفظوا بها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود لعنهم الله كانوا اغتتموها ، فكانوا يسبون بها النبي صلى الله عليه وسلم في نفوسهم ويسترون من ذلك بظاهر المراعاة منها ، فأمرُوا أن يخاطبوه بالتعزز والتوقير وقيل لهم : لا تقولوا راعنا كما يقول بعضكم لبعض وقولوا انظرنا(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في قوله (لا تقولوا راعنا) فقال بعضهم: تأويله : لا تقولوا خلافاً . وقال آخرون : تأويله : أرعنا سمعك أي اسمع منا (ونسع منك) . ثم ذكر خلافهم حول السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا (راعنا) فقال بعضهم : هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوها له صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم قال : هذا الراعن والراعن الخطاء فقال للمؤمنين لا تقولوا خطاء . وقال آخرون : بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها فنهاهم الله في الإسلام أن يقولوها . وقال بعضهم بل هي كلمة سب أخذها المسلمون من يهودي يقال له رفاعة بن زيد . وقال أبو جعفر : (هي كلمة كرهها الله أن تقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لاحتمال أن تكون بمعنى احفظنا ونحفظك والحفظ لله . ومحملاً أن يكون بمعنى ارعنا سمعك من قولهم : أرعيت سمعي إرعاء أو راعيته سمعي رعاء ، إذ مراعاة بمعنى فرغته لسماع كلامه(٤) .

وعلى كل فالله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يخاطبوا رسول الله بما هو له أهل من التعظيم والتبجيل ، ليس كما كانت تخاطب اليهود أنبياءها بالتجهم

(١) ابن سيدة : المحكم ، ١٧٣/٢ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٥١٤/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢٥٠/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٥١٤/١ .

والفاظظة والغلظة .

وقال القرطبي : (الآية فيها شئ من جهالات اليهود وحقيقة راعنا في اللغة أرعنا ولنرعبك لأن المفاعلة من اثنين فتكون من رعاك الله أي احفظنا ونحفظك وارقبنا ولنرقبك ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك أي فرغ سمعك لكلامنا ، وهي كانت بكلام اليهود سب) (١) .

وذكر ابن كثير الأقوال المختلفة التي ذكرها الإمام الطبري (٢) .

وقال الشوكاني (راعنا) أي راقبنا واحفظنا وصيغة المفاعلة تدل على معنى (راعنا) ارعنا ونرعاك واحفظنا ونحفظك وارقبنا ونرقبك ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك : أي فرغه لكلامنا وجه النهي عن ذلك أن هذا اللفظ كان بلسان اليهود سباً (٣) .

وجاء في مفردات القرآن : (لا تقولوا راعنا) كان ذلك قولاً يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة وموهمون أنهم يقولون : راعنا أي احفظنا من قولهم : رعن الرجل يرعن رعناً فهو رعن وأرعن وامرأة رعناء (٤) .

وجاء في التبيان راعنا حافظنا من راعنت الرجل إذا تأملته وعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبي راعنا وكان اليهود يقولونها وهي بلغتهم سب فأمر المؤمنين أن لا يقولوها حتى لا يقولها اليهود . وراعنا منون مأخوذ من الرعونة أي لا يقولوا حمقاً وجهلاً . وقيل عنوا بها راعى إبلنا (٥) .

(راعنا) قال البغوي : هي من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا له : راعنا بمعنى يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم : كنا نسب محمداً سراً فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٦/٢ .

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٢٠٦/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ١٩٤/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٣/١ .

(٥) الجياني : التبيان في تفسير غريب القرآن ١٠٢/١ .

ويضحكون فيما بينهم ، سمعها معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود : لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى : (لا تقولوا راعنا) كيلا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وعن ابن عباس : إن العرب كانوا يتكلمون بها فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي أعجبهم ذلك وكان راعنا في كلام اليهود للسب القبيح ، فقالوا إنا نسب محمداً سرّاً فالآن اعلنوا بسب محمد لأنه من كلامهم ، فكانوا يأتون نبي الله فيقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لها . فنزلت الآية (٢) .

وقال عطاء (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قال كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنزلت هذه الآية فنسخ هذا ما كان مباحاً قوله لأجل أن اليهود استعملوها في السب (٣) .

إذاً (راعنا) هي من الرعونة بمعنى الحمق أو الأهوج وعند اليهود ولكن استعمالها عند العرب بمعنى احفظنا وارقبنا . فمنع المسلمون من استعمالها حتى لا يجد اليهود إلى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلاً ، واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

المعنى العام للنص :

(يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي (راعنا) أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي فنهى المؤمنون عنها (وقولوا) بدلها (انظرونا) أي انظر إلينا (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وللكافرين عذاب أليم) مؤلم هو النار (٤) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/١٣٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : العجائب في بيان الأسباب ، ١/٢٤٣ . انظر أيضاً السيوطي : لباب النقول ، ١/١٧ .

(٣) النحاس : انظر الناسخ والمنسوخ ، ١/١٠٤ .

(٤) تفسير الجلالين ١/٢١ .

النص رقم (٨٨)

قال تعالى : (حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رعى : الرعي : مصدر رعى الكلاً ونحوه يرعى رعيّاً والراعي يرعى الماشية أي يحوطها ويحفظها . والماشية ترعى أي ترتفع وتأكل . وراعي الماشية : حافظها ، صفة غالبية عليّة الاسم والجمع رعاة مثل قاض قضاة . ورعاء . وفي حديث الإيمان (حتى ترى رعاء الشاة يتطاولون في البنيان) (٢) . وفي حديث عمر : كأنه راعي غنم أي في الجفاء والبذاذة . وفي التنزيل (حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ) الرعاء : جمع الراعي . قال الأزهري : وأكثر ما يقال رعاة للولاة . والرعيان لراعي الغنم ويقال للنعم : هي ترعى وترتعي وقرأ بعض القراء (أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) (٣) وهو نفتعل من الرعي ، وقيل : معنى يرتعي أي يرعى بعضنا بعضاً ورعاها وأرعاها . يقال : أرعى الله المواشي إذا أنبت لها ما ترعاه . وفي التنزيل العزيز : (كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) (٤) وقال الشاعر :

كأنها ظبية تعطوا إلى فنن تأكل من طيب والله يرعيها
أي ينبت لها ما ترعى ، والاسم الرعية .

والرعي بكسر الراء الكلاً نفسه والجمع أرعاء والمرعى كالرعي وفي التنزيل : (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) (٥) (٦) .

(١) تنمة الآية : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) (القصص: ٢٣) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ٣٦/١ (٨) . كما ذكر في سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب القدر ، ٦٣٥/٢ (٤٦٩٥) .

(٣) سورة يوسف آية ١٢ . سبق ذكرها وشرحها .

(٤) سورة طه آية ٥٤ .

(٥) سورة الأعلى آية ٤ .

(٦) ابن منظور اللسان ٢٥١/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري : قالت المرأتان لموسى : لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، والرعاء : جمع راع والراعي جمعه رعاء ورعاء ورعيان^(١) .
وقال القرطبي : الرعاء جمع راع^(٢) .
وأيضاً قال الشوكاني : الرعاء جمع راع قرأ الجمهور بكسر الراء^(٣) ، وأيضاً (وأرعوا) من رعت الماشية الكلاً ورعاها صاحبها رعاية أي سامها وسرحها^(٤) .
وأيضاً ذكر ابن كثير في هذه الآية (كَلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) أي شئ لطمامكم وفاكهتكم وشئ لأنعامكم لأقواتها خضراً وبيساً^(٥) .
واتفق الطبري وابن منظور في أن المرعى هو الكلاً كما ذكر سبحانه في الآية (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) يقول الطبري : والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الحشيش^(٦) .
وأيضاً قال القرطبي : المرعى : أي النبات والكلاً الأخضر^(٧)
وقال ابن كثير : (والذي أخرج المرعى) أي من جميع صنوف النباتات والزرع^(٨) ، وكذلك قال الشوكاني : أي أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الأخضر ، وهذه صفة للرب^(٩) . وقال الزمخشري : أي أنبته^(١٠) .
وفي قوله تعالى : (كلوا وأرعوا أنعامكم) قال القرطبي : (وارعوا) من رعت الماشية الكلاً ورعاها صاحبها رعاية أي أسامها وسرحها^(١١) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٥٢/١٠ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٣٨/١٣ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٣٦/٤ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٠/١١ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢١٠/٣ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٥٤٤/١٢ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٨/٢٠ .

(٨) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٤٤/٤ .

(٩) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٠٠/٥ .

(١٠) الزمخشري : الكشاف ، ١٣٥٦/١ .

(١١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٠/١١ .

وقال ابن كثير : أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لأنعامكم لأقواتها خضراً ويابساً^(١) .

وفي الجلالين جاء شرح هذه الآية وافياً حيث قالوا : (فكلوا) منها (وارعوا أنعامكم) الأنعام جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم وغيرها ، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة ، والجملة حال من ضمير أخرجنا ، أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ، (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) لعبراً لأصحاب العقول^(٢) .

وفي الآية (أرسله معنا غداً يرتع ويلعب) قال الطبري : يفتعل من الرعي: ارتعيت فأنا ارتعي كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غداً يرتع الإبل ويلعب^(٣) .

واختار الشوكاني : معنى نرتع نتحارس ونتحافظ ويرعى بعضنا بعضاً من قولهم رعاك الله : أي حفظك^(٤) .

وجاء في مفردات القرآن : أن الرعي في الأصل : حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته وإما بذب العدو عنه. يقال: رعيته أي حفظته وأرعيته : جعلت له ما يرعى. والرعي: ما يرعاه والمرعى: موضع الرعي. وجمع الراعي رعاء ورعاة^(٥) والرعاء بكسر الراء والمد جمع راع وفيه وجهان آخران راعون على السلامة ورعاة على التكسير وهو جمع مختص به الاسم المعتل فأصله عند البصريين رعية^(٦) .

إذاً الرعاء جمع راع وتجمع أيضاً رعاة وهو الذي يحفظ الغنم ويرعاهما . ونرتع تأتي من هذا المعنى أي يرعى بعضنا بعضاً . ورعى الماشية أي وضع لها ما تأكله والمرعى هو الكلاً نفسه ولم يختلف ابن منظور مع المفسرين في تلك المعاني

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢١٠/٣ .

(٢) انظر الجلالين : تفسير الجلالين ، ٤١/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٥٥/٧ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ١٤/٣ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٢/١ .

(٦) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ٢٧٦/١ .

المعنى العام للنص :

قال الإمام البيضاوي : نزلت في شأن موسى وبنتي شعيب : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) لما وصل موسى عليه السلام إليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وَجَدَ عَلَيْهِ) وجد فوق شفيرها (أُمَّةً مِنَ النَّاسِ) جماعة كثيرة مختلفين (يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ) في مكان أسفل من مكانهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما من الماء لئلا تختلط بأغنامهم (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا) أي قال موسى للمرأتين ما شأنكما تزودان (قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) أي حتى تصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) أي كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً^(١) .

النص رقم (٨٩)

قال تعالى : (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رغب : الرغب والرغب والرغب : والرغبة والرغبت والرغبي والرغبي والرغباء : الضراعة والمسألة . وفي حديث الدعاء رغبة ورهبة إليك . وقال ابن الأثير : أعمل لفظ الرغبة وحدها ، ولو أعملهما معاً ، فقال : رغبة إليك ورهبة منك ، ولكن لما جمعهما في النظم حمل أحدهما على الآخر^(٣) .

وفي حديث عمر رضي الله عنه ، قالوا له عند موته : جزاك الله خيراً ، فعلت وفعلت ، فقال : راغب وراهب^(٤) يعني : أن قولكم لي هذا القول ، إما قول راغب فيما عند الله ، وراهب من عذابه ، وفي الحديث أن أسماء بنت أبي بكر

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٨٨/١ .

(٢) تنمة الآية : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الانبياء:٩٠) .

(٣) ابن الأثير : النهاية ٥٨٣/٢ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف ، ٢٦٣٨/٦ (٦٧٩٢) . صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه ، ١٤٥٤/٣ (١٨٢٣) . سنن البيهقي الكبرى : جماع أبواب الرعاة ، باب الاستخلاف ، ١٤٨/٨ (١٦٣٤٧) .

رضي الله عنهما قالت : أنتني أمي راغبة في العهد الذي كان بين رسول الله وبين قريش وهي كافرة ، فسألتني ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها ؟ فقال : نعم^(١) ، قال الأزهري : قولها أنتني أمي راغبة أي طائعة ، تسأل شيئاً ، يقال : رغبت إلى فلان في كذا وكذا أي سألته إياه^(٢) ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة ؟^(٣) وقوله : ظهرت الرغبة أي كثر السؤال وقلت العفة ومعنى ظهور الرغبة : الحرص على الجمع مع منع الحق .

ورغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه ، والرغبة : السؤال والطمع ، والرغبة من العطاء : الكثير والجمع الرغائب ، وفي التنزيل : (وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) ودعا الله رغبة ورغبة يجوز رغباً ورهباً^(٤) .
دراسة النص :

قال الطبري : (رغباً) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله (ورهباً) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته^(٥) .

وقال القرطبي : أي يفرعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة وقيل : المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف لأن الرغبة والرهبنة متلازمان^(٦) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الهبة وفضلها ، باب الهدية للمشركين ، ٩٢٤/٢ (٢٤٧٧) .
صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ، ٦٩٦/٢ (١٠٠٣) .

سنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب الصدقة على أهل الذمة ، ٥٢٣/١ (١٦٦٨) .
مسند أحمد بن حنبل ٣٤٤/٦ (٢٦٩٥٨) .

(٢) الأزهري : التهذيب ١٢٠/٨ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ، ٣٣٣/٦ (٢٦٨٧٢) باقي الحديث واختلفت الأخوان وحرقت البيت العتيق . مصنف ابن أبي شيبة ٤٦٠/٧ (٣٧٢٢٥) .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٥٤/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٧٩/٩ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٩٤/١١ .

وذكر ابن كثير : رغباً فيما عندنا ورهباً مما عندنا^(١) .
 وقال البيضاوي : (رغباً ورهباً) نوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب
 راجين للإجابة أو الطاعة وخائفين العقابة والمعصية^(٢) .
 واتفق أبو السعود مع البيضاوي في المعنى السابق^(٣) .
 وجاء في مفردات القرآن أصل الرغبة : السعة في الشيء يقال : رغب الشيء
 : اتسع والرغبة والرغب والرغبي : السعة في الإرادة . فإذا قيل : رغب فيه وإليه
 يقتضي الحرص عليه قال تعالى : (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)^(٤) . وإذا قيل : رغب
 عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه نحو قوله تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ
 مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) ^(٥) (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي)^(٦) والرغبة العطاء الكثير إما لكونه
 مرغوباً فيه فتكون مشتقة من الرغبة وإما لسعته فتكون مشتقة من الرغبة
 بالأصل^(٧) .

وأما الرهب والرغبة : فهي مخافة مع تحرز واضطراب^(٨) .
 إذا الرغبة هو التوسل إلى دعاء الله رغبة في ثوابه والرهب الخوف من عقابه .
 وجاء في شعب الإيمان أن في الآية مدح من الله تعالى إلى أنبيائه عليهم
 السلام وأوليائه (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
 خَاشِعِينَ) وعاتب الكفار على غفلتهم فقال : (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)^(٩) .
 وفي تاج العروس رغب فيه أراده ورغب عنه تركه متعمداً وزهد فيه ولم

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٦٠/٣ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٠٦/١ .

(٣) أبو السعود : انظر تفسير ، ٨٣/٦ .

(٤) سورة التوبة آية ٥٩ .

(٥) سورة البقرة آية ١٣٠ .

(٦) سورة مريم آية ٤٦ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٤/١ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٩/١ .

(٩) البيهقي : شعب الإيمان ٤٦٣/١ والآية من سورة نوح آية ١٣ .

يرده ورغب إليه : ابتهل أو هو الضراعة والمسألة^(١) .

إذا الرغبة هي التوسل والدعاء والضراعة والطمع فيما عند الله وهذا ما

ذكره ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

(إِنَّهُمْ) قيل الضمير راجع إلى زكريا وامرأته ويحيى بعد ما ذكر الله من

إحسانه عليهم وصفهم بأنهم (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) ويتضرعون إليه في

حال الرخاء وحال الشدة وقيل الرغبة : رفع بطون الألف إلى السماء والرغبة

رفع ظهورها ، أي يدعوننا راغبين وراهبين (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) أي متواضعين

ومتضرعين^(٢) .

النص رقم (٩٠)

قال تعالى : (يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا) ^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : المرغم والمرغم : الأنف وهو المرسن والمخطم

والمعطس . وفي الحديث : أنه عليه السلام قال : رغم أنفه ثلاثاً ، قيل : من يا

رسول الله ؟ قال : من أدرك أبويه أو أحدهما حياً ولم يدخل الجنة^(٤) ، يقال :

أرغم الله أنفه أي ألزقه بالرغام ، وهو التراب ، هذا هو الأصل ، ثم استعمل في

الذل والعجز .

وفي الحديث : وإن رغم أنف أبي الدرداء أي وإن ذل ، وقيل وإن كرهه ،

وفي حديث سجدتي السهو : كانتا ترغيماً للشيطان^(٥) .

(١) الزبيدي : تاج العروس ٥٢٩/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٦١٠/٣ .

(٣) تنمة الآية (وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: ١٠٠) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل

الجنة ، ٤/١٩٧٨ (٢٥٥١) .

(٥) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ٤٠٠/١ (٥٧١) . سنن

النسائي : كتاب السهو ، باب إتمام المصلي على ما ذكر إذا شك ، ٣/٢٧ (١٢٣٨) .

وفي حديث أسماء : إن أُمِّي قدمت علي راعماً مشرّكة أفصلها ، قال نعم^(١) . وقوله تعالى : (يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً كَثِيراً وَسَعَةً) أي مهرباً وسعاً . والمرام : السعة والمضطرب وقيل المذهب والمهرب في الأرض . وقال أبو إسحاق معنى الآية مراعماً مهاجراً^(٢) ، المعنى يجد في الأرض مهاداً لأن المهاجر لقومه والمرام بمنزلة واحدة^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (مراعماً) وهو المضطرب في البلاد والمذهب منه : راعم فلان قومه مراعماً ومراعمة مصدر^(٤) .

وقال القرطبي : اختلف في تأويل المرغام فقال مجاهد : المرغام المترجح وقال ابن عباس المرغام المتحول والمذهب . وقال السدي : المرغام المبتغي للمعيشة . وغيرها فقال هذه كلها تفسير بالمعنى . أما الخاص باللفظ هو أن يرغام كل من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه في مراده فكأن كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة ، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغام أنوف قريش فحصله في منعة منهم^(٥) .

وقال الشوكاني : المرغام المتحول من أرض إلى أرض^(٦) .

وقال الإمام البغوي يقال : راعمت قومي وهاجرتهم وهو المضطرب والمذهب^(٧) . وأيضاً قال أبو حيان : مراعماً متحولاً ومذهباً^(٨)

(١) ولما كان العاجز الذليل لا يخلو من غضب فراغمة غاضبة وقيل هاربة تقدم ذكره بلفظ راعمة ذكره . أبو داود في سننه .

(٢) الزجاج : معاني القرآن ، ٩٦/٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢٥٩/٥ . انظر أيضاً تاج العروس ٣٦٢٣/١ وأيضاً النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٥٨٧/٢ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٢٣٩/٤ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦١/٥ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٦٢/١ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ٢٧٣/١ .

(٨) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٥٠/٣ .

وفي معاني القرآن جاء أن المراغم والمهاجر واحد يقال راغمت فلاناً إذا هجرته وعاديته كأنك لا تباليه وإن لصق أنفه بالرغام وهو التراب (١) .

اتفق ابن منظور والمفسرون أن المراغم والمهاجر بمعنى واحد والمراغم هو المضطرب أي المتحول من أرض إلى أرض .

وذكر الإمام الشافعي أن هذه الآية فيها الإذن بالهجرة ، حيث قال رحمه الله : وكان المسلمون مستضعفين بمكة زماناً لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها ثم أذن الله لهم بالهجرة وجعل لهم مخرجاً فيقال نزلت (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) فأعلمهم رسول الله أن قد جعل الله لهم بالهجرة مخرجاً ، قال (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِغاً كَثِيراً وَسَعَةً) الآية . وأمرهم ببلاد الحبشة فهاجرت إليها منهم طائفة ، ثم دخل أهل المدينة في الإسلام فأمر رسول صلى الله عليه وسلم طائفة بالهجرة فهاجرت إليهم غير محرم على من بقى ترك الهجرة . ثم أذن للرسول صلى الله عليه وسلم فهاجر (٢) .

وقال الإمام الجصاص : قيل في المراغم أنه أراد متسعاً لهجرته لأن الرغام أصله الذل تقول فعلت ذلك على الرغم من فلان أي فعلته على الذل والكره والرغام التراب لأنه يتيسر لمن رامه مع احتقاره وأرغم الله أنفه أي ألصقه بالتراب إذلالاً له ، فيكون معنى قوله تعالى يجد في الأرض متسعاً سهلاً (٣) .

وفي هذه الآية قال الإمام البخاري في صحيحه : من يخرج مهاجراً في سبيل الله تعالى صادقاً في قصده تتيسر له سبل كثيرة توصله إلى مكان هجرته ويراعم بها قومه المخالفين له في دينه أي يفارقهم رغماً عنهم كما أنه يجد الرزق الواسع والعيش الرغد والأمن والطمأنينة (٤) .

(١) النحاس : معاني القرآن ، ١٧٤/٢ .

(٢) الشافعي : أحكام القرآن ، ١١/٢ .

(٣) الجصاص : أحكام القرآن ، ٢٢٨/٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير (باب وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء) الآية ١٦٧٥/٤ (٧٥) .

وفي سبب نزول هذه الآية : روي أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال : والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال : الله هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ) بإيجابه على نفسه فضلاً منه وكان الله غفوراً رحيماً^(١) .

المعنى العام للنص :

قال ابن كثير في الآية تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه والمراغم مصدر تقول العرب : راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة . فالمراغم هو المتحول من أرض إلى أرض أي متزحزحاً عما يكره أي هو المنع الذي يتخلص به ويراهم به الأعداء (وسعة) يعني الرزق . أي من الضلالة إلى الهدى ومن القلة إلى الغنى^(٢) .

النص رقم (٩١)

قال تعالى : (أِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رفت : رفت الشيء يرفته ويرفته رفناً ورفنة قبيحة ، عن اللحياني : وهو رفات : كسره ودقه ، ويقال : رفت الشيء وحطمته وكسرتة ، والرفات : الحطام من كل شيء تكسر . ورفت الشيء فهو مرفوت . ورفت العظم يرفته رفناً : صار رفاتاً . وفي قوله تعالى (أِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا) أي دقاقاً . وفي حديث ابن الزبير : لما أراد هدم الكعبة ، وبناءها بالورس ، قيل له : إن الورس

(١) البغوي : تفسير البغوي ٢٧٣/١ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣١٢/١ .

(٣) تنمة الآية (وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) (الاسراء: ٤٩) .

يتفتت ويصير رفاتاً^(١) . والرفات كل ما دق فكسر . ويقال رفت عظام الجذور رفاتاً إذا كسرها ليطبخها ويستخرج إهالتها^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري (رفاتا) يعني تراباً في قبورنا^(٣) . وذكر القرطبي أن الرفات هو التراب . كما أنه ذكر قول ابن عباس أن الرفات الغبار وقول مجاهد : التراب . وقال أيضاً أن الرفات ما تكسر وبلى من كل شيء كالفتات والحطام والرضاض ، تقول رفت الشيء رفاتاً أي حطم فهو مرفوت^(٤) .

وذكر ابن كثير قولي ابن عباس ومجاهد أي التراب والغبار^(٥) . ووافق الشوكاني القرطبي في كل ما قاله^(٦) .

وذكر في مفردات القرآن رفت الشيء أرفته رفاتاً : فتته والرفات والفتات : ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه^(٧) .

ذكر ابن قتيبة : يرفت أي يتفتت والرفات نحو الفتات ومنه قول الله جل وعز : (وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا)^(٨) .

ذكر ابن منظور أن الرفات هو الحطام من كل شيء تكسر موافقاً بذلك قول القرطبي الثاني أنه الفتات والحطام والرضاض . وكذلك الشوكاني .. أما الطبري وابن عباس ومجاهد وابن كثير فقد ذكروا أنه التراب أو الغبار فإن كانوا يقصدون

(١) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٥٩٢/٢ . والورس : هو نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه أي يصبغ به . مختار الصحاح للرازي ٧٤٠/١ . وفي المصباح المنير هو صنف من الكركم وقيل يشبهه . الفيومي : المصباح المنير ٦٥٥/٢ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٢٦٣/٥ . انظر أيضاً تاج العروس ١٠٩٠/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٨٨/٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١ . انظر تفسير مجاهد ٣٦٣/١ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٦٣/٣ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ٣٣٥/٣ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٨/١ .

(٨) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد : غريب الحديث ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ ، تحقيق د. عبد الله الجبوري ، ٤٤٨/٢ .

أن الشيء يتحطم فيصير كالتراب أو الغبار فتتم بذلك الموافقة بينهم وبين ابن منظور وإن كانوا يقصدون جنس التراب فإذا اختلف ابن منظور معهم في الرأي .

المعنى العام للنص :

(وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا) استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحي وبيوسة الرميم من التنافي . والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته . فهذا حال المنكرين للبعث هل بعد أن صاروا تراباً سيعودون خلقاً جديداً كما كانوا؟ (١) .

النص رقم (٩٢)

قال تعالى : (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرفث الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته ، يعني التقبيل والمغازلة ونحوهما ، مما يكون في حالة الجماع ، وأصله الفحش ، والرفث أيضاً : الفحش من القول ، وكلام النساء في الجماع ، تقول منه : رفث الرجل وأرفث وقد رفث بها ومعها ، وفي الآية (الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) فإنه عداه بالي لأنه في معنى الإفشاء .

ورفث في كلامه يرفث رفثاً ورفث رفثاً ، ورفث بالضم عن اللحياني ، وأرفث كله ، أفحش ، وقيل أفحش في شأن النساء ، وقوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (٣) يجوز أن يكون الإفحاش . وقال الزجاج : أي لا جماع ولا كلمة من أسباب الجماع (٤) . وقال ثعلب : هو أن لا يأخذ ما عليه من القشف مثل تقليم الأظافر ، ومنتف الإبط ، وحلق العانة ، وما أشبهه ، فإن أخذ ذلك كله فليس هناك رفث . والرفث : التعريض بالنكاح ، وقال غيره : الرفث كلمة

(١) انظر أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٧٧/٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ، ٢٣٢/١ .

جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة . وروي عن ابن عباس أنه كان محرماً ، فأخذ بذنب ناقة من الركاب . وهو يقول :

وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننتك لميسا^(١)

ف قيل له يا أبا العباس أتقول الرفث وأنت محرم ؟ وفي رواية : الرفث وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما روجع به النساء . فرأى ابن عباس الرفث الذي نهى الله عنه ما خوطبت به المرأة فأما أن يرفث في كلامه ولا تسمع امرأة ، فغير داخل في قوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقًا)^(٢) .

دراسة النص :

قال الإمام الطبري (الرفث) فإنه كناية عن الجماع في هذا الموضع يقال : هو الرفث والرفوث وقد روي أنها في قراءة عبد الله : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) . وأما الرفث في الحج فقال بعضهم : هو الإفحاش للمرأة في الكلام ، وعن ابن عباس قال : هو التعريض بذكر الجماع ، كما أن الطبري استشهد بالبيت الذي ذكره ابن منظور عن ابن عباس أن الرفث ما خوطبت به المرأة^(٣) .

وقال القرطبي : الرفث كناية عن الجماع لأن الله عز وجل كريم يكني قاله ابن عباس والسدي وقال الزجاج : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته .

وقال الأزهري أيضاً : الرفث هاهنا الجماع والرفث : التصريح بذكر الجماع والإعراب به^(٤) ، وقيل : الرفث أصله قول الفحش يقال : رفث وأرفث إذا تكلم بالقبيح ، وتعدى الرفث بإلى في قوله تعالى جده (الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) وأنت لا

(١) والكلام عن أبي حصين بن قيس . ذكره الحاكم في المستدرک وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، ٣٠٣/٢ (٣٠٩٣) . سنن البيهقي الكبرى : كتاب الحج ، باب لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ٦٧/٥ (١٩٥٥) .

(٢) ابن منظور : اللسان ، ٢٦٣/٥ . وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ٢١٨/١ وأيضاً تاج العروس ٧٤٢/١ ، ١٢٦٢/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٦٧/٢ ، ٢٦٧/٢ .

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ ، د. محمد جبر الألفي ، ٨٥/١ .

تقول : رفثت إلى النساء ولكنه جئ به محمولاً على الإفضاء . والرفث في الحج هو الجماع^(١) .

وقال ابن كثير : الرفث هو الجماع . والرفث في الحج (فلا رفث) قال هو أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع^(٢) . وذكر الشوكاني الأقوال المختلفة للعلماء والتي تدل على أن الرفث هو الجماع^(٣) . وكذلك لم يختلف البغوي عن ما سبقه من المفسرين^(٤) .

وقال مجاهد : الرفث هو الجماع^(٥) . ووافق أبو حيان ابن منظور حيث قال ضمن الرفث معنى الإفضاء فعدى بالي والرفث مصدر رفث ويقال أرفث تكلم بفحش^(٦) . وجاء في مفردات القرآن أن الرفث : كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) تنبيهاً على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه وعدى بالي لتضمنه معنى الإفضاء وقوله : (فلا رفث ولا فسوق) يحتمل أن يكون نهياً عن تعاطي الجماع وأن يكون نهياً عن الحديث في ذلك إذ هو من دواعيه^(٧) . وفي كتب اللغة ذكر الرازي أن الرفث هو الفحش من القول وقد رفث يرفث رفثاً^(٨) .

وفي المصباح المنير : أن (رفثاً) من باب طلب ويرفث بالكسر لغة أفحش فيه أو صرح بما يكنى عنه من ذكر النكاح (وأرفث) بالألف لغة والرفث النكاح فقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) المراد الجماع وقوله تعالى (فلا رفث)

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٩/٢ ، ٣٩٠/٢ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٩٨/١ ، ٣١٩/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٨٦/١ .

(٤) انظر أيضاً البغوي : تفسير البغوي ٢٠٩/١ .

(٥) مجاهد : تفسير مجاهد ١٠٢/١ .

(٦) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٣/٢ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٩/١ .

(٨) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ .

قيل فلا جماع وقيل فلا فحش من القول وقيل الرفث يكون في الفرج بالجماع ،
وفي العين بالغمز للجماع ، وفي اللسان للمداعبة به (١) .

وأيضاً قيل الرفث هو التعريض بذكر الجماع وهي العرابة في كلام العرب (٢) .
إذا معنى الرفث هو الفحش من القول ويكنى به عن الجماع ودواعيه في
رمضان في أول الإسلام وفي الحج .

وهذا ما اتفق عليه ابن منظور وعموم المفسرين .
وجاء في البرهان أنه من عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس
والملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن (٣) .

وقوله (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) ناسخة لقوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (٤) لأنه كان في السابق يصوم الإنسان ثم
يفطر فإذا صلى العشاء أو نام فلا يباح له معاشرته النساء حتى نزلت هذه الآية .
وهو من النسخ إلى بدل أخف (٥) .

وقيل في سبب نزول هذه الآية : ذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان
إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم إن ناساً من
المسلمين أصابوا الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن
الخطاب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (٦) .
وقوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) يقرأ بالرفع
والتثوين في الفسوق والرفث فقط وبالنصب وترك التثوين في الجميع (٧) .

(١) الفيومي : المصباح المنير ٢٣٢/١ .

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان : غريب الحديث ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ،
١٤٠٢ هـ ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزاوي ، ٥٦٦/٢ . انظر أيضاً : الفراهيدي : العين ٢٢٠/٨ .

(٣) الزركشي : البرهان في تفسير القرآن ، ٣٠٣/٢ .

(٤) سورة البقرة آية ١٨٣ .

(٥) انظر الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٢٦/١ وأيضاً الناسخ والمنسوخ للكرمي ٦٠/١ .

(٦) ابن حجر : العجائب في بيان الأسباب ٤٣٦/١ وأيضاً السيوطي : لباب النقول ١٧/١ .

(٧) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ٩٤/١ .

المعنى العام للنص :

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ) كان في ابتداء الإسلام لا تحل المجامعة في ليالي الصوم ولا الأكل ولا الشرب بعد العشاء الآخرة فأحل الله تعالى ذلك كله إلى طلوع الفجر وقوله (الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) يعني الإفشاء إليهن بالجماع^(١) .

النص رقم (٩٣)

قال تعالى : (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرشد والرشد والرشد والمرشد : العس الضخم ، وقيل : القدح العظيم الضخم ، والعس : القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدة ، وهو أكبر من الغمر ، والرشد أكبر منه ، وعم بعضهم به القدح أي قدر كان . والرشود من الإبل : التي تملؤه في حلبة واحدة . والرشد : القدح الضخم الذي يقري فيه الضيف . وقال الليث : الرشد المعونة بالعطاء وسقي اللبن والقول وكل شيء . وفي حديث الزكاة : أعطي زكاة ماله طيبة به نفسه رافده عليه^(٣) ، الرافدة : فاعلة من الرشد وهو الإعانة : يقال رفته أي أعنته ، والرشد : النصيب وقال أبو عبيدة : في قوله تعالى (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : مجازه مجاز العون المجاز ، يقال : رفته عند الأمير أي أعنته^(٤) . وقال الزجاج : كل شيء جعلته عوناً لشيء أو استمددت به شيئاً فقد رفته^(٥) . ويقال : عمدت الحائط وأسندته ورفدته بمعنى واحد . وقال الليث : رفدت فلاناً مرفداً ، قال : ومن هذا أخذت رفادة السرح من تحته حتى يرتفع^(٦) .

(١) الواحدي : الوجيز ، ١٥٢/١ .

(٢) (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) (هود:٩٩) .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب زكاة السائمة ، ٤٩٦/١ (١٥٨٢) . سنن البيهقي : كتاب الزكاة ، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضاً ولا معيباً وفي الإبل عدد الفرض صحيح ٩٥/٤ (٧٠٦٧) .

(٤) أبو عبيدة : مجاز القرآن ، ٢٩٨/١ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن ، ٣:٦٣ .

(٦) ابن منظور : اللسان ، ٢٦٠/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري وقوله (بئس الرفدُ المرْفُودُ) يقول : بئس العون المعان اللعنة
المزيدة فيها أخرى مثلها ، وأصل (الرفد) العون يقال منه : رَفَد فلاناً عند الأمير
يرفده رَفْداً بكسر الراء وإذا فتحت فهو : السقي في القدح العظيم والرفد القدح
الضخم .

ويقال : رَفَد فلان حائطه وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط بفتح الراء
المصدر يقال منه : رَفَدَه يرفده رَفْداً والرفد اسم الشئ الذي يعطاه الإنسان وهو
المرفد^(١) .

وذكر القرطبي أقوال العلماء المختلفة حيث قال حكي الكسائي وأبو عبيدة :
رفدته أرفده رَفْداً أي أعنته وأعطيته واسم العطية الرفد أي بئس العطاء والإعانة
والرفد أيضاً القدح الضخم والتقدير : بئس الرفد رفد المرفود وذكر : أن الرفد
بفتح الراء القدح والرفد بكسرهما ما في القدح من الشراب فكأنه ذم بذلك ما يسقونه
في النار وقيل : إن الرفد الزيادة أي بئس ما يرفدون به بعد الفرق النار^(٢) .
ونقل ابن كثير قول ابن عباس قال هي لعنة الدنيا والآخرة^(٣) .

وقال الشوكاني : أي بئس العطاء والإعانة ما أعطوهم إياه أعانوهم به
والمخصوص بالذم محذوف : أي رَفَدَهُم وهو اللعنة التي اتبعوها في الدنيا
والآخرة كأنها لعنة بعد لعنة تمد الأخرى الأولى وتؤيدها^(٤) .

وقال البغوي : هو العون المعان وقيل : العطاء المعطى وذلك أنهم ترادفت
اللغتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة^(٥) .

وكذلك قال أبو السعود : أي بئس العون المعان . وأيضاً قال وقد فسر الرفد
بالعطاء ولا يلائمه المقام وأصله ما يضاف إلى غيره ليعمده ، والمخصوص بالذم

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٠٨/٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨١/٩ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٠٢/٢ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٥٦/٢ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ١٩٨/١ .

محذوف ، أي رفدهم وهي اللعنة في الدارين ، وكونه مرفوداً من حيث أن كل لعنة منها معينة وممده لصاحبها ومؤيدة لها^(١) .

وجاء في مفردات القرآن أن الرشد : المعونة والعطية والرشد مصدر والمرفد : ما يجعل فيه الرشد من الطعام ولهذا فسر بالقدح وقد رفته : أدلته بالرشد ، وأرفته : جعلت له رفاً يتناوله شيئاً فشيئاً فرفده وأرفده نحو : سقاه وأسقاه ورشد فلان فهو مرفد استعير لمن أعطي الرئاسة . والرشود : الناقة التي تملأ المرفد لبناً من كثرة لبنها^(٢) .

وجاء في كتب اللغة أن الرشد العطية^(٣) . وأيضاً هو القدح وهو العس^(٤) . إذا ما جاء في كتب اللغة أنها القدح والعطية والعون وهي ما ذكرها ابن منظور وذكرها المفسرون . لكن ما يخص الآية وهي أنها اللعنة فقد ذكرها المفسرون ولم يذكرها ابن منظور .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي في معنى هذه الآية (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ) الدنيا (لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي يلعنون في الدنيا والآخرة (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرشد ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين^(٥) .

النص رقم (٩٤)

قال تعالى : (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)^(٦) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رفع في أسماء الله تعالى الرفع : هو الذي يرفع المؤمن بالإسعاد وأولياؤه بالتقريب . والرفع : ضد الوضع ، رفعته فارتفع فهو نقيض

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٢٣٩/٤ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٠/١ .

(٣) أبي القاسم علي بن جعفر السعدي : كتاب الأفعال ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، ١٤/٢ .

(٤) انظر الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٣٦١/١ .

(٥) تفسير البيضاوي ٢٥٩/١ .

(٦) سورة الواقعة آية ٣ . (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة)

الخفض في كل شيء ، رفعه يرفعه رفعاً ورفع هو رفاة وارتفع . والمرفع ما رفع به . وقوله تعالى في صفة القيامة (خَافِضَةً رَافِعَةً) قال الزجاج : المعنى أنها تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعة^(١) . وفي الحديث : إن الله تعالى يرفع العدل ويخفضه^(٢) ، قال الأزهري : معناه أنه يرفع القسط وهو العدل فيعليه على الجور وأهله ومرة يخفضه فيظهر أهل الجور على أهل العدل ابتلاء لخلقه ، وهذا في الدنيا والعاقبة للمتقين^(٣) . ويقال ارتفع الشيء يرتفع بنفسه إذا علا والرفع تقريبك الشيء من الشيء ، وفي التنزيل : (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ)^(٤) أي مقربة لهم ، ومن ذلك رفعته إلى السلطان ، ومصدره الرفعان بالضم ، وقال الفراء : وفرش مرفوعة أي بعضها فوق بعض^(٥) .

والرفعة : نقيض الذلة ، والرفعة خلاف الضعة ، رفع يرفع رفاة ، فهو رفيع إذا شرف . قال سيبويه : لا يقال رفع ولكن ارتفع^(٦) ، وقوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ)^(٧) قال الزجاج^(٨) ، قال الحسن تأويل أن ترفع أن تعظم ، قال : وقيل معناه أن تبني^(٩) .

دراسة النص :

قال الطبري : (خَافِضَةً رَافِعَةً) يقول تعالى ذكره : الواقعة حينئذ خافضة أقواماً كانوا في الدنيا أعزاء إلى نار الله . ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا وضعاء إلى رحمة الله وجنته.وقيل خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى^(١٠).

(١) الزجاج : معاني القرآن ٨٥/٥ .

(٢) عن أبي موسى : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه .. صحيح مسلم : كتاب الإيمان ،

باب إن الله لا ينام ، ١٦١/١ (١٧٩) .

(٣) الأزهري : التهذيب ، ٣٥٨/٢ .

(٤) سورة الواقعة آية ٣٤ .

(٥) الفراء : معاني القرآن ، ١٢١/٣ .

(٦) سيبويه : الكتاب ، ٢٥/١ .

(٧) سورة النور آية ٣٦ .

(٨) كلام الزجاج انظر معاني القرآن وإعرابه ٢٢/٤ .

(٩) ابن منظور : اللسان ٢٦٨/٥ . انظر القاموس المحيط ٨٢٧/١ . تاج العروس ٤٦١٤/١ .

(١٠) الطبري : جامع البيان ، ٦٢٢/١١ .

وقال القرطبي : الخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والمهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة وتوسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل . والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده رفع أوليائه في أعلى الدرجات وخفض أعداءه في أسفل الدرجات(١) .

وقال ابن كثير : أي تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وإن كانوا في الدنيا وضعاء(٢) .

والشوكاني جمع أقوال الطبري والقرطبي وابن كثير فقال : قال عكرمة والسدي ومقاتل : خفضت الصوت فاسمعت من دنا ، ورفعت الصوت فاسمعت من نأى : أي اسمعت القريب والبعيد وقال قتادة خفضت أقواماً في عذاب الله ورفعت أقواماً إلى طاعة الله وقيل : خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة والعز والإهانة ونسبة الخفض والرفع إليها على طريق المجاز والخافض الرافع في الحقيقة هو الله سبحانه(٣) .

ولم يزد الباقر عن ما قيل شيئاً(٤) . وترفع : تأتي بمعنى تعظم كما في قوله تعالى (فِي بُيُوتِ أُنْذَرَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ) . قال الطبري : أذن الله أ، ترفع بناء ، كما قال جل ثناؤه : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ)(٥) وذلك أن ذلك هو الأغلب في معنى الرفع في البيوت والأبنية(٦) . وتضمن أيضاً كلام ابن كثير التعظيم بقوله أي تطهيرها وتطيبها

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٧/١٦٨ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤/٣٦١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٥/٢٠٩ .

(٤) انظر تفسير البغوي ١/٧ . والبيضاوي ١/٢٨٣ .

(٥) البقرة/١٢٧ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٩/٣٢٩ .

وصيانتها من الأذى والنجاسات^(١) .

قال السيوطي هي المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها^(٢) . وقال الثعالبي :

قال الحسن معناه تعظم ويرفع شأنها^(٣) .

أما قوله تعالى (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) فقد قال الطبري : أي ولهم فيها فرش

مرفوعة طويلة بعضها فوق بعض كما يقال بناء مرفوع^(٤) .

وقال القرطبي : هذا الحديث عن الفرش في الدرجات وما بين الدرجات كما

بين السماء والأرض وقيل : إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم

يتقدم لهن ذكر ولكن قوله عز وجل (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) دال لأنها محل النساء

فالمعنى ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن^(٥) .

وقال ابن كثير : هي ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة^(٦) .

الارتفاع هنا بمعنى الارتفاع وهنا يتضح اختلافهم مع ابن منظور حيث قال :

مرفوعة بمعنى مقربة .

وجاء في مفردات القرآن الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعات إذا

أعليتها عن مقرها . وتارة في البناء إذا طولته . وتارة في الذكر إذا نوهته وتارة

في المنزلة إذا شرفتها كما في الآية (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) أي شريفة . وأيضاً (في

بُيُوتٍ أُنِزَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ) أي تشرف^(٧) .

إذاً كما يتضح مما ذكر أن الرفع ضد الوضع وهو الشرف والتعظيم كما

قال المفسرون وابن منظور .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٣١/١ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ، ٢٠٢/٦ .

(٣) الثعالبي : تفسير الثعالبي ١٢١/٣ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٦٤٠/١١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٨٠/١٧ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٦٩/٤ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧١/١ .

المعنى العام للنص :

وهذه صفة القيامة حيث ذكر سبحانه وتعالى أن الواقعة إذا وقعت أي جاء يوم القيامة فإن أناساً يخفضون بدخولهم النار وأن آخرين يرفعون بدخولهم الجنة . وقال ابن عباس : تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين^(١) .

النص رقم (٩٥)

قال تعالى : (مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضْرٍ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرفرف : الرفيف من الديباج ، والرفرف : ثياب خضر يتخذ منها للمجالس ، وفي المحكم تبسط واحدته رفرفة : وفي التنزيل : (مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضْرٍ) وقرئ : على رفارف . وقال الفراء في هذه الآية : أنها رياض الجنة^(٣) . وقال بعضهم : الفرش والبسط وجمعه رفارف ، وقد قرئ بهما : متكئين على رفارف خضر .

الرفرفة تحريك الطائر جناحيه وهو في الهواء . وفي حديث وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه أنس قال : فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة تخشخش ، قال ابن الإعرابي : الرفرف ههنا الفسطاط والرفرف في حديث المعراج البساط وعن ابن مسعود في قوله تعالى (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قال : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق أي بساطاً وقيل فراشاً^(٤) . ومنهم من يجعل الرفرف جمعاً واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف وقيل : الرفرف في الأصل ما كان من الديباج وغيره رقيقاً حسن الصنعة ثم اتسع^(٥) .

(١) انظر تفسير البغوي ٧/١ .

(٢) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ١٢٠/٣ .

(٤) رواه البخاري عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه ١١٨١/٣ (٣٠٦١) كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه . سورة النجم آية ١٨ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٢٧٣/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري : ذكر الطبري أنها هي رياض الجنة وواحدتها رفرفة . كما ذكر أنها فضول المجالس والبسط وقال الحسن هي مرافق خضر^(١) .

وقال القرطبي : ذكر الأقوال المختلفة للعلماء وقال : قال سعيد بن جبير وابن عباس : الرفرف رياض الجنة . واشتقاق الرفرف من رف يرف إذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لأنه يرفرف بجناحيه فالرفرف شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به أي طار به حيث ما يريد كالمرجاج سخره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما^(٢) .

وذكر ابن كثير أنها رياض الجنة^(٣) .

كما أن الشوكاني ذكر الأقوال المختلفة للعلماء من غير ترجيح وذلك أنها المجالس والفرش والبسط والرياض^(٤) .

وقال البغوي واحدتها رفرفة وقال الرافرف جمع الجمع وهي رياض الجنة كما قال ابن عباس وأيضاً ذكر قول فتادة أنها مجالس خضر فوق الفرش^(٥) .
وقال أبو السعود الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحدة رفرفة وقيل هو ما تدلى من الأسرة من أعالي الثياب ، وقيل هو ضرب من البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق ، وقيل كل ثوب عريض رفرف ، وقيل لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف^(٦) .

وفي تفسير غريب القرآن قال : الرفرف هي رياض الجنة ويقال هي الفرش ويقال هي المجالس ويقال هو البسط أيضاً^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٦١٨/١١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٤/١٧ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٥٧/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٠٤/٥ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٤٥٨/١ .

(٦) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٨٧/٨ .

(٧) الجياني : التبيان في تفسير غريب القرآن ٤٠٣/١ .

وجاء في مفردات القرآن الرفرف : المنتشر من الأوراق وقوله تعالى (على رَفْرَفٍ خُضِرٍ) فضرب من الثياب مشبه بالرياض وقيل : الرفرف : طرف الفسطاط والخباء الواقع على الأرض ذو الأطناب والأوتاد وأنه البسط أو الوسائد^(١) .

وجاء في كتب اللغة الرفرف ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة ورفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه^(٢) .
إذا الرفرف جمع رفرفة وذكر علماء التفسير واللغة المعاني المختلفة لكلمة رفارف من أنها رياض الجنة أو البسط والوسائد وغيرها كلها معاني متقاربة اتفق المفسرون من ذكرها مع ابن منظور .

المعنى العام للنص :

قال ابن الجوزي متكئين أي أهل الجنة وأزواجهم ، ورفرف قرأها البعض رفارف . واختلف المفسرون في المراد بالرفرف على ثلاثة أقوال : أحدهما فضول المجالس والبسط . الثاني أنها رياض الجنة والثالث أنها الوسائد^(٣) . وفي آية النجم (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قيل أن من آيات الله العظام فرأى عجائب الملكوت رفرفاً أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح^(٤) .

النص رقم (٩٦)

قال تعالى : (وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : والرفق والمرفق والمرفق والمرفق ما استعين به وقد ترفق به وارتفق . وفي التنزيل (وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) من قرأه رفقاً جعله مثل مقطع ومن قرأه مرفقاً جعله اسماً مثل مسجد . وهو ما ارتفعت به والمرفق

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٦٧/١ .

(٢) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير ١٢٧/٨ .

(٤) الجلالين : تفسير الجلالين ٧٠١/١ .

(٥) تنمة الآية (وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) (الكهف: ١٦) .

في اليد . والمرفق المتكأ والمخدة . وقال تعالى : (نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)^(١)
قال ابن السكيت أي متكأ^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : المرفق : ما ترفقون به من شئ ، وفي المرفق من اليد ،
وغير اليد لغتان : كسر الميم وفتح الفاء وفتح الميم وكسر الفاء^(٣) .
واتفق القرطبي مع الطبري أن (مرفقاً) تقرأ بكسر الميم وفتحها وهو ما
يرتفق به وكذلك مرفق الإنسان ومنهم من يجعل (المرفق) بفتح الميم الموضع
كالمسجد وهي لغتان^(٤) .

وما ذكره ابن كثير يقترب من المعنى الذي ذكره ابن منظور حيث قال
(مرفقا) أي أمراً ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف^(٥) .
وقال الشوكاني المرفق بفتح الميم وكسرهما . لغتان قرئ بهما مأخوذ من
الارتفاق وهو الانتفاع وقيل فتح الميم أقيس وكسرهما وأكثر العرب على كسر الميم
من الأمر ومن مرفق الإنسان ، وقد تفتح العرب الميم فيهما فهما لغتان ، وكان
الذين فتحوا أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر والمرفق من الإنسان ، وأورد
قول الكسائي : الكسر في مرفق اليد وقيل المرفق بالكسر ما ارتفعت به والمرفق
بافتح الأمر الرافق والمراد هنا ما يرتفقون به وينتفعون بحصوله والتقديم في
الموضعين يفيد الاختصاص^(٦) .

وقال الألويسي هو ما ترفقون وتتفعون به^(٧) .

إذاً المرفق هو ما ارتفعت به كما قال ابن منظور والمفسرون .

(١) سورة الكهف آية ٣١ . (مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)

(٢) ابن منظور : اللسان ٢٧٣/٥ قول ابن السكيت : إصلاح المنطق ص ١٢١ ، ١١٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٩٠/٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣١٩/١٠ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٠١/٣ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٩٠/٣ .

(٧) الألويسي : روح المعاني : ٢٢١/١٥ .

وقرأ نافع وابن عامر من أمركم مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ الباقون مرفقاً بكسر الميم وفتح الفاء . وقال أبو عمرو مرفق اليد بكسر الميم وفتح الفاء وكذلك مرفق الأمر مثل مرفق اليد سواء^(١) .

وقيل إن الحجة عن كسر الميم جعله من الارتفاق ولمن فتح جعله من اليد وهما لغتان فصيحتان^(٢) .

والمرتفق هو المتكأ كما قال الطبري^(٣) في قوله تعالى (وحسنت مرتفقاً) أي وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان متكأ . وقال ابن كثير : أي حسنت منزلاً ومقبلاً ومقاماً^(٤) .

وفي هذه الآية يتحدث سبحانه عن حال المؤمنين في الجنة قائلاً : (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) أي إقامة طيبة في جنات عدن (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة وهي السرير ، أو البيت المزين بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) أي الجزاء الجنة (وحسنت مرتفقاً) أي مقاماً^(٥) .

المعنى العام للنص :

وأي وإذا اعتزلتم القوم وما يعبدون إلا الله لأنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين (فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ) يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم (مِنْ رَحْمَتِهِ) في الدارين (وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوح يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى^(٦) .

النص رقم (٩٧)

(١) ابن زنجلة : حجة القراءات ٤١٢/١ .

(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ٢٢٤/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٢١/٨ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١١٣/٣ .

(٥) انظر الجلالين : تفسير الجلالين ، ٣٨٥/١ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٨٢/١ .

قال تعالى : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (١) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : رافق الرجل : صاحبه ، ورفيقك الذي يرافقك وقيل : هو صاحب في السفر خاصة ، الواحد والجمع في ذلك سواء مثل الصديق ، قال الله تعالى : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) وقد جمع على رفقاء ، وقيل : إذا عدا الرجلان بلا عمل فهما رفيقان ، فإن عملا على بعيريهما فهما زميلان . وترافق القوم وارتفقوا صاروا رفقاء ، والرفاقاة والرفقة والرفقة واحد : الجماعة المترافقون في السفر ، قال ابن سيده : وعندني أن الرفقة جمع رفيق ، والرفقة اسم للجمع ، والجمع رفق ورفق ورفاق (٢) . ابن بري : الرفاق جمع رفقة (٣) .

الرفقة يسمون رفقة ما داموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد ، فإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة ، والرفقة القوم ينهضون في سفر يسيرون معاً وينزلون معاً ولا يتفرقون فإذا تفرقوا ذهب اسم الرفقة ولا يذهب اسم الرفيق . قوله تعال : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) يعني النبيين ، صلوات الله عليهم أجمعين لأنه قال : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ) يعني المطيعين (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) يعني الأنبياء ومن معهم ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خير عند موته بين البقاء في الدنيا والتوسعة عليه فيها وبين ما عند الله تعالى فقال : بل مع الرفيق الأعلى (٤) .

(١) سورة النساء آية ٦٩ (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) .

(٢) ابن سيده : المحكم ، ٢٣٣/٦ .

(٣) لم أجده (مهمل) .

(٤) عن عائشة قالت : كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة قالت فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحمة : يقول (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) قالت فظننته خير حينئذ .

صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، ١٦١٢/٤ (٤١٧١) . صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة رضي الله عنها ١٨٩٣/٤ (٢٤٤٤) . مسند أحمد بن حنبل ٢٠٥/٦ (٢٥٧٤٢) .

فكأنه أراد قوله عز وجل (وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا) . يقال : الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة . قال أبو منصور : والعلماء على أن معناه ألحقتي بجماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين^(١) . قال ولا أعرف الرفيق في صفات الله تعالى . والرفيق ضد الأخرق . ورفيق الرجل امرأته ورفيق المرأة زوجها^(٢) .

دراسة النص :

(وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا) قال الطبري : رفقاء في الجنة والرفيق في لفظ واحد بمعنى الجميع^(٣) .

وقال البغوي رفقاء في الجنة^(٤) .

وقال أبو السعود : الرفيق صاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولاً وفعلاً^(٥) .

وقال الرازي : الرفق في اللغة لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيق هذا معناه في اللغة ثم صاحب يسمى رفيقاً لارتفاق بعضهم ببعض^(٦) .

وجاء في كتب اللغة الرفيق : المرافق وهو صاحب في السفر وقوله تعالى (وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا) والحديث (بل الرفيق الأعلى من الجنة) أي جماعة الأنبياء^(٧) وأيضاً : الرفق ضد العنف والرفقة الجماعة . والجمع رفقاء وهو أيضاً واحد وجمع^(٨) .

وأيضاً الرفيق المرافق في الطريق وهو من الرفق والرأفة^(٩) .

(١) أبو منصور : التهذيب ، ١٠٩/٩ .

(٢) ابن منظور : اللسان ، ٢٧٥/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ١٦٥/٤ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ١/٢٤٧ .

(٥) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٢/١٩٩ .

(٦) الرازي : التفسير الكبير ، ١٤٠/١٠ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ١/٦٣٣٢ .

(٨) الرازي : مختار الصحاح ١/٢٦٧ .

(٩) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٢/٦٠٢ .

وفي سبب النزول ، قال الطبري : أن هذه الآية نزلت لأن قوماً حزنوا على فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم حذراً أن يروه في الآخرة .

وأورد عدة روايات نختار منها ما ورد عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان مالي أراك محزوناً ؟ قال : يا نبي الله شئٌ فكرت فيه ! فقال : ما هو ؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك غداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك ! فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية قال : فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم فبشره^(١) .

إذا الرفيق هو صاحب وهو من الرفقة ولين الجانب والمقصود في هذه الآيات مترافقون في الجنة وهذا ما اتفق عليه ابن منظور والمفسرون وعلماء اللغة **المعنى العام للنص :**

في هذه الآية يقول تعالى أن من عمل بما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة ، وهم الصديقون ثم الشهداء والصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ، وأثنى عليهم بقوله (وَحَسَنَ أَوْلِيَاكَ رَفِيقًا) .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال : (المرء مع من أحب)^(٢) قال أنس : فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال بلى والذي نفسي بيده ورجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)^(٣) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٤/ ١٦٥ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب ، باب علاقة الحب في الله عز وجل ، ٥/ ٢٢٨٣ (٥٨١٦) . .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١/ ٦٩٣ .

النص رقم (٩٨)

قال تعالى : (وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رقب في أسماء الله تعالى : الرقيب : وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء . وفي الحديث : ارقبوا محمداً في أهل بيته (٢) أي احفظوه فيهم . وفي الحديث : ما من نبي إلا أعطي سبعة نخباء رقباء أي حفظة يكونون معه (٣) . والرقيب : الحفيظ . ورقبه يرقبه رقبة ورقباناً بالكسر فيها ورقوباً وترقبه وارتقبه انتظره ورصده . والترقب : الانتظار . وكذلك الارتقاب . وقوله تعالى (وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) معناه لم تنتظر قولي . والترقب تنتظر وتوقع الشيء (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : يترقب : أي ينتظر (٥) .

وقال الشوكاني : معنى (وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) أي ولم تنتظر عهدي وقدمي (٦) .

وقال البغوي : أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي

وأصلح أي أرفق بهم (٧) .

وذكر في الجلالين أن معنى (ترقب) تنتظر (٨) .

(١) تنمة الآية (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (طه: ٩٤) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٣٦١/٣ (٣٥٠٩) . وفي مسند أحمد بن حنبل ١٤٢/١ (١٢٠٥) . عن علي رضي الله عنه قال : (أعطي كل نبي سبعة نجباء من أمته وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشرًا نجيباً من أمته معهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) .

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ، ٦٦٢/٥ (٣٧٨٥) .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٧٩/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٦/١٠ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٤٧/٣ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ٢٩١/١ .

(٨) الجلالين : تفسير الجلالين ٤١٤/١ .

وجاء في مفردات القرآن أن الرقيب هو الحافظ^(١) .
إذاً ليس هناك شئ كثير يقال (ترقب) بمعنى تنتظر والرقيب هو الحافظ .
وفي تذكرة الأريب يترقب : ينتظر^(٢) . والترقب الانتظار كما جاء في كتب
اللغة^(٣) .

(وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) أي ولم تنتظر ما سأفوله لك بعد مقامي وهذا ما قاله
المفسرون وابن منظور .

المعنى العام للنص :

هذه الآية تحكي ما حدث عندما ذهب موسى للقاء ربه وجاء فوجد بني
إسرائيل قد اتبعوا السامري ، فأخذ برأس أخيه هارون يجره . وهنا رد عليه أخوه
يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
أي فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً : فتقول أوقعت الفرقة
فيما بينهم (وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) أي لم تحفظ وصيتي في حسن الخلافة عليهم .

فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل
على العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى :
فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي وكان له هائباً ومطيعاً^(٤) .

النص رقم (٩٩)

قال تعالى : (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ) (٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرقبة : العنق وقيل أعلاها ، وقيل : مؤخر أصل العنق ،
والجمع رقب ورقبات ورقاب وأرقب الأخيرة على طرح الزائد ، حكاه ابن
الأعرابي ، وانشد :

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٣/١ .

(٢) انظر تذكرة الأريب تفسير كتاب الغريب ٥٠٦/١ .

(٣) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ . الفراهيدي : العين ، ١٥٤/٥ .

(٤) انظر الطبري : جامع البيان ، ٣١٨/١ . انظر الواحدي : الوجيز ، ٧٠٣/١ .

(٥) تنمة الآية : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠) .

ترد بنا في سمل لم ينضب منها عرضات عظام الأرقب
وجعله أبو ذؤيب للنحل ، فقال :

تظل على الثمراء منها جوارس مرضيع صهب الريش زغب رقابها^(١)
والرقب : غلظ الرقبة رقب رقبا ، وهو أرقب بين الرقب أي غليظ الرقبة ورقباني
. ويقال للأمة الرقبانية رقباء لا تنعت به الحرة والرقبة المملوك . واعتق رقبة أي
نسمة وفك رقبة أطلق أسيراً .

سميت الجملة باسم العضو لشرفها . التهذيب . وقوله تعالى في آية
الصدقات (وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ) قال أهل التفسير في الرقاب إنهم
المكاتبون ، ولا يبتدأ منه مملوك فيعتق ، وفي حديث قسم الصدقات : وفي الرقاب
يريد المكاتبين من العبيد^(٢) ، يعطون نصيباً من الزكاة ، يفكون به رقابهم
ويدفعونه إلى مواليهم الليث يقال اعتق الله رقبتة ولا يقال اعتق الله عنقه^(٣) .

وفي الحديث كأنما أعتق رقبة^(٤) ، قال ابن الأثير : وقد تكررت الأحاديث
في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها ، وهي في الأصل العنق ، فجعلت كناية
عن جميع ذات الإنسان ، وتسمية للشيء ببعضه ، فإذا قال : أعتق رقبة ، فكأنه
قال : أعتق عبداً أو أمة ، ومنه قولهم : دنية في رقبة^(٥) ، وفي حديث ابن

(١) البيت في وصف النحل ، حيث يقول تظل صغار النحل على الثمراء وهي الجبل أو الشجر تنتظر كبار النحل ،
انظر أحمد كمال زكي : شعر المهذلين في العصر الجاهلي والإسلامي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة
، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ص ٣٣٩ .

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، ١٢/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢٨١/٥ . انظر القاموس المحيط ١١٦/١ .

(٤) سنن ابن ماجه : ٨٢٦/٢ (٢٤٧٤) ، الحديث عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ما الشيء الذي لا يجلب منه
؟ قال : الماء والملح والنار ، قالت : قلت : يا رسول الله هذا الماء قد عرفناه فما بال الملح والنار ؟ قال : يا حميراء
من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح
ومن سقى مسلماً شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما اعتق رقبة ومن سقى مسلماً شربة من ماء حيث لا يوجد
الماء فكأنما أحيها . وقال الألباني ضعيف ، انظر : محمد ناصر الدين الألباني ، ضعيف الترغيب والترهيب ، مكتبة
المعارف ، الرياض ، ١٤٢/١ .

(٥) ابن الأثير : النهاية ، ٦٠٩/٢ .

سيرين^(١) لنا رقاب الأرض^(٢) ، أي نفس الأرض ، يعني من كان من أرض الخراج فهو للمسلمين ، ليس لأصحابه الذين كانوا فيه قبل الإسلام شيء لأنها فتحت عنوة ، وفي حديث بلال^(٣) ، والركائب والمناخة^(٤) ، لك رقابهن وما عليهن أي ذواتهن وأحمالهن ، وفي حديث الخيل : ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها^(٥) ، أراد بحق رقابها الإحسان إليها ، وبحق ظهورها الحمل عليها^(٦).

دراسة النص :

قال الطبري (وفي الرقاب) فإنه يعني بذلك : وفي فك الرقاب من العبودية وهم المكاتبون الذين يسعون في فك رقابهم من العبودية بأداء كتاباتهم التي فارقوا عليها ساداتهم القول^(٧) .

وقال القرطبي : اجمعوا على أنه المكاتب^(٨) .

وقال ابن كثير وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم^(٩) . وكذلك قال الشوكاني هم المكاتبون^(١٠) .

وفي مفردات القرآن : الرقبة اسم للعضو المعروف ثم يعبر بها عن الجملة وجعل في التعارف اسماً للمماليك . وفي الرقاب : أي المكاتبين منهم فهم الذين

(١) محمد بن سيرين تابعي من أهل البصرة حدث عن الكثيرين ، وعرف بتفسير الرؤى ، توفي سنة ١١٠ هـ ، انظر أسد الغابة ١/١٣١ .

(٢) موطأ مالك ، رواية محمد بن الحسن : كتاب الصرف وأبواب الربا ، باب إحياء الأرض بإذن الإمام أو بغير إذنه ، ٢٧٢/٣ (٨٣٢) .

(٣) كان بلال مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبعض بني جمح مولداً من مولديهم قيل من مولى مكة ، وقيل من مولدي السراة ، واسم أبيه رباح ، واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، (انظر الاستيعاب ٥٤/١) .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ١٨٧/٢ (٣٠٥٥) .

(٥) موطأ مالك : (رواية محمد بن الحسن) : كتاب الزكاة ، باب زكاة الرقيق والخيل ، والخيل البرازين ، ١٣٨/٢ (٣٣٥)

(٦) ابن منظور : اللسان ، ٢٨١/٥ .

(٧) الطبري : التفسير العظيم ، ٩٨/٢ .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/١٦٦ .

(٩) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٨١/١ .

(١٠) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٤١/٢ .

تصرف إليهم الزكاة ، ورقبته : حفظته . والرقيب : الحافظ^(١) .

وقال وفي الرقاب ولم يقل (والرقاب) ليدل على أن العبد لا يملك^(٢) .

وقال الإمام الشافعي قال الله عز وجل (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ) الآية فاحكم الله فرض الصدقات في كتابه ثم أكدها وشددها فقال فريضة من الله ، فليس لأحد أن يقسمها على غير ما قسمها الله عز وجل عليه وذلك ما كانت الأصناف موجودة . لأنه إنما يعطى من وجد كقوله (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ) والرقاب المكاتبون من جيران الصدقة^(٣) . وقال البخاري : وفي الرقاب أي يدفع من مال الزكاة معونة للعبيد ليخلصوا من الرق^(٤) .

وفي تاج العروس وفي الرقاب إنهم المكاتبون . من العبيد يعطون نصيباً من الزكاة يفيكون به رقابهم ويدفعونه إلى مواليتهم^(٥) .

إذا الرقبة وهي العنق وفك الرقبة أي فك نسمة أو الإنسان أطلق الجزء وأراد الكل .. وفي الرقاب المقصود هنا الأرقاء المكاتبون الذين يكتبون أسيادهم على مال معين نظير حريتهم فإذا لم يستطيعوا إيفاءه يعطوا من الصدقات حتى يتمكنوا من أخذ حريتهم من أسيادهم .. واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

المعنى العام للنص :

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ) الزكوات المصدوقة (لِلْفُقَرَاءِ) الذين لا يجدون ما يقع موقع كفايتهم . (وَالْمَسَاكِينِ) الذين لا يجدون ما يكفيهم (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٧٣ .

(٢) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٤/١٧٦ .

(٣) الشافعي : أحكام القرآن ، ١/١٦٥ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى (وفي الرقاب .. وفي سبيل الله التوبة ، ٢/٥٣٣ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ١/٥٣٤ .

رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الأخيرين فيعطيان على الأصح (وفي) فك (الرقاب) أي المكاتبين (والغارمين) أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء (وفي سبيل الله) أي القائمين بالجهاد ممن لا فئ لهم ولو أغنياء (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع في سفره (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حكيم) في صنعه .

فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض (١) .

النص رقم (١٠٠)

قال تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رقد : الرقاد : النوم ، والمرقده : النوم ، وفي التهذيب عن الليث : الرقود : النوم بالليل ، والرقاد : النوم بالنهار ، قال الأزهري : الرقاد والرقود يكون بالليل والنهار عند العرب (٣) ، ومنه قوله تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) هذا قول الكفار إذا بعثوا يوم القيامة وانقطع الكلام عند قوله من مرقدنا ثم قالت الملائكة (هذا ما وعد الرحمن) ويجوز أن يكون هذا من صفة المرقد ، وتقول الملائكة : حق ما وعد الرحمن ، ويحتمل أن يكون المرقد مصدراً ، ويحتمل أن يكون موضعاً وهو القبر ، والنوم أخو الموت . ورقد يرقد رقداً ورقوداً ورقاداً : نام وقوم رقود أي رقد . والمرقد بالفتح : المضجع ، وأرقده : أنامه ، والرقود والرقدي : الدائم الرقاد . والرقده : همدته ما بين الدنيا والآخرة (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (مرقدنا) نومة بين النفتين (٥) .

(١) تفسير الجلالين ٢٥٠/١ .

(٢) سورة يس آية ٥٢ . (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)

(٣) الأزهري : التهذيب ، ٢٩/٩ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٨/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٥٠/١٠ .

قال القرطبي : إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهججوا هججة إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة فذلك قولهم (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدِنَا) (١) وقال ابن كثير : قال قتادة ينامون نومة قبل البعث وذلك بين النفختين (٢) . وقال الواحدي : مرقدنا : منامنا (٣) . وقال النسفي : مضجعنا (٤) .

وفي مفردات القرآن الرقاد : المستطاب من النوم القليل . يقال : رقد رقاداً فهو راقد والجمع رقاد قال تعالى : (وَهُمْ رُقُودٌ) وإنما وصفهم بالرقود - مع كثرة منامهم - اعتباراً بحال الموت وذلك أنه اعتقد فيهم أنهم أموات فكان ذلك النوم قليلاً في جنب الموت (٥) .

ويستحب الوقف على قوله (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدِنَا) ثم يبتدئ فيقول (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ) لأنه قيل أنه من كلام الملائكة (٦) . والرقاد والرقود النوم بالليل والرقدة أيضاً : همدة ما بين الدنيا والآخرة (٧) . إذا معنى مرقدنا : نومنا وهي النومة بين النفختين واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

المعنى العام للنص :

(قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرَقِدِنَا) أي قالوا عند بعثهم من القبور بالنفخة يا ويلنا : نادوا ويلهم كأنهم قالوا له أحضر فهذا أوان حضورك وهؤلاء القائلون هم الكفار (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدِنَا) ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياماً .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩/١٥ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٥٨/٣ .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ٩٠٢/١ .

(٤) النسفي : تفسير النسفي ١١/٤ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٧٥٤/١ .

(٦) السيوطي : البرهان في علوم القرآن ، ٣٢٥/١ .

(٧) الفراهيدي : العين ، ١١٥/٥ . انظر أيضاً الزبيدي : تاج العروس ١٩٩٣/١ .

وقيل أنهم يقولون ذلك إذا عاينوا جهنم ، أو إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية وجملة (مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض . وقيل هي من قول الله سبحانه وتعالى . والمعنى : هذا الذي وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون قد حق عليكم ونزل بكم(١) .

النص رقم (١٠١)

قال تعالى : (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ)(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرق : الصحيفة البيضاء والرق بالفتح : ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى : (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) أي في صحف . وقال الفراء : الرق الصحائف التي تخرج إلى ابن آدم يوم القيامة ، فأخذ كتابه بيمينه أو أخذ كتابه بشماله(٣) ، قال الأزهري : وما قاله الفراء يدل على أن المكتوب يسمى رقاً أيضاً(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) أي في ورق منشور(٥) .

وقال القرطبي : الرق أيضاً العظيم من السلاحف وجمعه رقوق والمراد ما قاله الفراء والله أعلم وكل صحيفة فهي رق لرقعة حواشيها(٦) .

وذكر الشوكاني أقوالاً متعددة لمعنى (الرق) فقال : هو متعلق بمسطور أي مكتوب في رق ، وقرأ الجمهور بفتح الراء وقرأ آخرون بكسرها فالرق بالفتح ما

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٣١/٤ .

(٢) سورة الطور آية ٣ . (والطور وكتاب مسطور ، في رق منشور)

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٩١/٣ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٨٨/٥ . انظر أبو منصور :

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٧٩/١١ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٢/١٧ .

يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى (في رَقٍّ مَنْشُورٍ) والرق ما رق من الجلد ليكتب فيه . وجمعه رقوق ، وأما الرق بالكسر فهو المملوك (١) .
وقال البغوي : الرق : ما يكتب فيه وهو أديم الصحف (٢) .
وقال البيضاوي : الرق الجلد الذي يكتب فيه ، استعير لما كتب فيه الكتاب ، وتكبيرهما للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (٣) .
وفي مفردات القرآن الرق : ما يكتب فيه (٤) .
وفي كتب اللغة : الرق بالكسر من الملك وهو العبودية والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق (٥) .
وأيضاً ذكر الزبيدي أن الرق بالفتح جلد رقيق يكتب فيه (٦) .
وقال الفراهيدي : الرق الصحيفة البيضاء لقوله تعالى (في رَقٍّ مَنْشُورٍ) (٧) .
إذاً الرق هو ما يكتب فيه عموماً سواء كان ورقاً أو جلدًا باتفاق ابن منظور والمفسرين .

المعنى العام للنص :

(الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الأنسب بالطور أو ما يكتب في اللوح أو ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتكبيرها للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس) (٨) .

(١) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ١٣٢/٥ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٣٨٥/١ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٤٤/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٢/١ .

(٥) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ .

(٦) الزبيدي : تاج العروس ٦٣٣٥/١ .

(٧) الفراهيدي : العين ٢٤/٥ .

(٨) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٤٦/٨ .

النص رقم (١٠٢)

قال تعالى : (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رقم : الرقم والترقيم : تعجيم الكتاب ورقم الكتاب يرقمه رقماً أعجمه وبينه وكتاب مرقوم أي قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط . وقوله عز وجل (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) كتاب مكتوب . والرقيم : الدواة وقال ثعلب : هو اللوح وبه فسر قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) (٢) وقال الزجاج : قيل الرقيم اسم الجبل الذي كان فيه الكهف (٣) . وقيل : اسم القرية التي كانوا فيها ، والله أعلم وقال الفراء : الرقيم لوح رصاص كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصصهم ومم فروا (٤) . وسأل ابن عباس كعباً عن الرقيم فقال : هي القرية التي خرجوا منها (٥) . وقيل الرقيم الكتاب . وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما أدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان ، يعني أصحاب الكهف والرقيم (٦) . وقيل في الرقيم خمسة أقوال : أحدهما لوح كتبت فيه أسماءهم . والثاني أنه الدواة بلغة الروم ، والثالث القرية ، والرابع الوادي ، والخامس الكتاب (٧) .

دراسة النص :

ذكر الطبري الأقوال المختلفة للرقيم وقال وأولى الأقوال عندي بالصواب هو أن الرقيم معنياً به : لوح أو حجر أو شئ يكتب فيه كتاب وقد قال أهل الأخبار : إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوا إلى الكهف ثم قال بعضهم : رفع ذلك اللوح في خزانة الملك وقال بعضهم : بل جعل على باب كهفهم وقال بعضهم : بل كان محفوظاً عند بعض أهل بلدهم . ومعنى الآية يقول تعالى

(١) سورة المطففين آية ٩ .

(٢) سورة الكهف آية ٩ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن ، ٢٢٠/٥ .

(٤) الفراء ٢٤٦/٣ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٧٩/٨ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١٨٩/٨ ، ٤٨٨/١٢ .

(٧) ابن منظور : اللسان ، ٢٩٠/٥ ، انظر الزبيدي : تاج العروس ٧٧٣٥/١ .

مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ، فإن ما خلقت من السماوات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف(١) . وأيضاً قال والرقيم : فعيل أصله مرقوم ثم صرف إلى فعيل ، والمرقوم هو المكتوب(٢) .

وقال القرطبي : (مرقوم) أي مكتوب كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحي وقال الضحاك مرقوم : مختوم بلغة حمير وأصل الرقم : الكتاب(٣) . واختار ابن كثير للرقيم : قال هو الكتاب لقوله كتاب مرقوم والرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل(٤) .

وقال الشوكاني : مرقوم أي مكتوب قد بينت حروفه(٥) . وقال البغوي (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به . وقال قتادة ومقاتل : رقم عليه بشركائه كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه كافر . وقيل : مختوم بلغة حمير(٦) . وأيضاً قال الزمخشري : أن مرقوم معناها مسطور بين الكتابة(٧) .

وفي مفردات القرآن : الرقم : الخط الغليظ وقيل : هو تعجيم الكتاب ومرقوم حمل على الوجهين . وأصحاب الرقيم هم الذين قال الله فيهم (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) فقيل : هو اسم مكان وقيل : نسبوا إلى حجر رقم فيه أسماءهم ورقمنا الحمار للأثر الذي على عضديه(٨) .

وفي مختار الصحاح : الرقم الكتابة . والرقيم : الكتاب وفي الآية هو لوح

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٧٩/٨

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٤٨٨/١٢

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٦/١٩ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٠٠/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٦٤/٥ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ١/٣٦٤ .

(٧) الزمخشري : الكشاف ، ١٣٤٨/١ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٧٥ .

فيه أسماؤهم وقصصهم وعن ابن عباس قال : ما أدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان^(١) وقال الفراهيدي : الرقيم تعجيم الكتاب ومرقام بينت حروفه بالتنقيط^(٢) .

إذا مرقوم أي رقم : أي مكتوب واضح الحروف كما قال ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

(إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ) أي صحائف أعمالهم (لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ) فإن قلت قد أخبر تعالى عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجيناً بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتاب أو معلم بعلم من رأى أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان^(٣) .

النص رقم (١٠٣)

قال تعالى : (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رقى إلى الشئ رقياً ورقواً وارتقى يرتقي ويرقى : صعد . ورقى فلان في الجبل يرقى رقياً إذا صعد . وفي التنزيل : (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) . وفي حديث استراق السمع : ولكنهم يرقون فيه أي يزيدون فيه^(٥) . يقال رقى فلان على الباطل إذا تقول ما لم يكن وزاد فيه . وهو من الرقي الصعود والارتفاع . وحقيقة المعنى أنهم يرتفعون إلى الباطل ويدعون فوق ما يسمعون^(٦) .

(١) الرازي : مختار الصحاح للرازي ٢٦٧/١ .

(٢) الفراهيدي : العين ١٥٩/٥ .

(٣) النسفي : تفسير النسفي ٣٢٣/٤ .

(٤) تنمة الآية : (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (الاسراء: ٩٣) .

(٥) رواه مسلم في صحيحه : كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ١٧٥٠/٤ (٢٢٢٩) .

(٦) ابن منظور : اللسان ٢٩٣/٥ .

دراسة النص :

قال الطبري : (أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ) يعني : أو تصعد في درج السماء وإنما قيل في السماء وإنما يرقى إليها لأن القوم قالوا : أو ترقى في سلم إلى السماء فأدخلت في الكلام ليدل على معنى الكلام ، يقال : رقيت في السلم فأنا أرقى رقياً ورقياً . (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) يقول : ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء^(١) .

وقال القرطبي : ترقى : أي تصعد يقال : رقيت في السلم أرقى رقياً ورقياً إذا صعدت وارتقيت مثله (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) أي من أجل رقيك وهو مصدر نحو معنى يمضي مضياً وهوى يهوي هويماً كذلك رقى يرقى رقياً^(٢) .
وقال ابن كثير ترقى : أي تصعد في سلم إلى السماء^(٣) .

وقال الشوكاني : (ترقى) أي تصعد في معارج السموات ، يقال رقيت في السلم إذا صعدت وارتقيت مثله (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) أي لأجل رقيك وهو مصدر^(٤) .
وقال الألوسي : ترقى : أي تصعد^(٥) .

وفي مفردات القرآن : رقيت في الدرج أو السلم أرقى رقياً ارتقيت أيضاً . وقيل أرق على طلحك : أي اصعد^(٦) .

وفي هذه الآية يتضح لنا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعترف بعبوديته . وذلك أن أعداء الرسل كثيراً ما يعظم عليهم أن يخضعوا لرجل منهم فيقترحون عليه أن يروا الله أو الملائكة عياناً فلو كان محمد صاحب هذا التنزيل خرج عن مستوى الخلق ولظهر في أفق الألوهية وحقق ما يقترحه معارضوه من الآيات بعظمة تنقطع دونها الأعناق وتخضع لها الرقاب ، لكنه اعترف بعبوديته

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٤٨/٨ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨٨/١٠ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٨٧/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٦٩/٣ .

(٥) الألوسي : روح المعاني ، ١٦٩/١٥ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٥/١ .

وتبرأ من حوله وقوته^(١) .

كما يتضح رقى بمعنى سعد ورقبك أي صعودك إلى السماء .. كما قال ابن منظور وشرح المفسرون .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى مخبراً عن المشركين (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) أي بيت من ذهب وأصله الزينة ، (أَوْ تَرَقَى فِي السَّمَاءِ) أي تصعد في السماء وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) أي لصعودك (حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) أمره الله بتنزيهه وتمجيده على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما أنا إلا بشر .

والله أنزل من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل فرد الله عليهم سؤالهم^(٢) .

النص رقم (١٠٤)

قال تعالى : (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ركب : ركب الدابة يركب ركوباً : علا عليها ، الاسم الركبة بالكسر ، والركبة مرة واحدة . وكل ما علي فقد ركب وارتكب والركبة بالكسر ضرب من الركوب ، يقال : هو حسن الركبة . وركب فلان فلاناً بأمر وارتكبه وكل شئ علا شيئاً فقد ركبه وركبه الدين ، وركب الهول والليل ونحوهما . والفرسان أصحاب الخيل والركبان أصحاب الإبل والركبان الجماعة منهم .

(١) محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، ٢/٢٩٤ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ١/١٣٠ .

(٣) تنمة الآية : (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاحْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (أنفال: ٤٢) .

والركب قد يكون للخيل والإبل . وفي التنزيل (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فقد يجوز أن يكونوا ركب خيل وأن يكونوا ركب إبل وقد يجوز أن يكون الجيش منهما جميعاً . والركوب والركوبة من الإبل التي تركب ، وقيل : الركوب كل دابة تركب والركوبة اسم لجميع ما يركب اسم للواحد والجميع ، وقيل : الركوب المركوب والركوبة : المعينة للركوب . وقيل : هي التي تلزم العمل من جميع الدواب ، ويقال : ما له ركوبة ولا حمولة ولا حلوبة أي ما يركبه ويحلبه ويحمل عليه وفي التنزيل (وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)^(١) قال الفراء : اجتمع القراء على فتح الراء لأن المعنى فمنها يركبون ويقوي ذلك قول عائشة في قراءتها فمنها ركوبهم^(٢) . وقال الأصمعي : الركوبة ما يركبون . وناقاة ركوبة وركبانة وركبابة أي تركب^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (ما يركبون) ودللناها لهم أي هذه الأنعام . فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها ومنها ما يأكلون لحومها ويقال : هذه دابة ركوب والركوب بالضم : هو الفعل^(٤) . والركب أسفل منكم المقصود بها غير أبي سفيان في موضع أسفل منكم أي ساحل البحر^(٥) .

وفصل القرطبي أكثر في معنى الركوب فقال : (فمنها ركوبهم) قراءة العامة بفتح الراء أي مركوبهم وقرأ الحسن وغيره بضم الراء على المصدر وروي عن عائشة أنها قرأت فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها ، والركوب والركوبة واحد والركوبة تكون للواحد والجماعة والركوب لا يكون إلا للجماعة^(٦) (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) يقول القرطبي : يعني ركب أبي سفيان وغيره كانوا في موضع أسفل منهم إلى ساحل البحر في الأمتعة وقيل : هي الإبل التي كانت تحمل

(١) سورة يس آية ٧٢ .

(٢) الفراء : معاني القرآن ٤١١/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢٩٥/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٢٥٦/٦ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٦٢/١٠ ، ٢٥٦/٦ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤/٨ .

أمتعتهم . والركب جمع راكب ولا تقول العرب : ركب إلا للجماعة الراكب الإبل . وأكثر أهل اللغة أنه لا يقال راكب وركب إلا للذي على الإبل ولا يقال لمن كان على فرس أو غيرها راكب والركب والأركب والركبان والراكبون لا يكونون إلا على جمال^(١) . وقال البغوي : (ركوبهم) أي ما يركبون وهي الإبل^(٢) .

وأيضاً أوضح الشوكاني المعنى اللغوي للركب : فقال (والركب) جمع راكب ولا تقول العرب ركب إلا للجماعة الراكبة الإبل ولا يقال لمن كان على فرس وغيرها ركب . والمراد بالركب هاهنا ركب أبي سفيان وهي المراد بالبعير .

وأضاف الشوكاني قائلاً فائدة ذكر هذه الحالة التي كانوا عليها من كونهم بالعدوة الدنيا وعدوهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منهم الدلالة على قوة شأن العدو وشوكته وذلك لأن العدو القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا يابس بها وأما العدو الدنيا فكانت رخوة تسوخ فيها الأقدام ولا ماء بها وكانت البعير وراء ظهر العدو مع كثرة عددهم فامتن الله على المسلمين بنصرتهم عليهم والحالة هذه^(٣) .

وقال النحاس : الركب هي بعير أبي سفيان^(٤) . وقال ابن الجوزي في قوله تعالى : (وذللناها لهم فمنها ركوبهم .) أي سخرنا هذه الأنعام فمنها ما يركبون ومنها أكلهم وشربهم ، وأضاف الركوب تقرأ بضم الراء أيضاً^(٥) .

وفي مفردات القرآن : الركوب في الأصل : كون الإنسان على ظهر حيوان وقد يستعمل في السفينة والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير وجمعه ركب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب^(٦) .

وقال ابن بري : راكب إذا كان على بعير خاصة إذا لم تضيفه إذا أضيفته جاز أن يكون للبعير والحمار والفرس والبغل وذلك : هذا راكب جمل وراكب

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٣/١٥ ، ٢٤/٨ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٢٧/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ٤٥٢/٢ وانظر أيضاً الزمخشري : الكشاف ، ٤٦١/١ .

(٤) النحاس : معاني القرآن ، ١٥٩/٣ .

(٥) ابن الجوزي : زاد المسير ، ٣٨/٧ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٦/١ .

فرس وراكب حمار والركبان لا يكون إلا كركاب الإبل ، وهو اسم جمع وليس بتكسير وقوله تعالى (وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ) يجوز أن يكونوا ركب خيل وأن يكونوا ركب إبل وقد يكون الجيش منهما جميعاً^(١) .

إذا الركب : هم ركاب الإبل والركب أسفل منكم يجوز أن يكون ركاب الإبل أو خيل .. لأن الركب يجوز للاثنتين أما الركبان فلا تكون إلا للإبل وهذا ما ذكره ابن منظور وعلماء اللغة أما المفسرون فاكتفوا بقولهم هما ركاب الإبل خلا بعض التفصيل من القرطبي والشوكاني .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) أي أنتم بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة (وَهُمْ) أي المشركون نزول (بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) أي البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة .. (وَالرَّكْبُ) أي العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة (اسْفَلَ مِنْكُمْ) أي مما يلي سيف البحر . (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ) أي أنتم والمشركون إلى مكان (لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) أي لو كان بينكم ميعاد ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددهم ما لقيتموهم . (وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) وفي ذلك اليوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد^(٢) .

النص رقم (١٠٥)

قال تعالى : (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)^(٣) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : ركز : الركب غرزك شيئاً منتصباً كالرمح ونحوه يركزه ركزاً في مركزه وقد ركزه يركزه ويركزه ركزاً وركزة : غرزه في الأرض ، وانشد ثعلب :

وأشطان الرماح مركزات وحوم النعم والحلق الحلول

(١) ابن بري : التنبيه والإيضاح ، ٨٥/١ ، انظر أيضاً الزبيدي : تاج العروس ، ٥٣٦/١ .

(٢) انظر ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤١٤/٢ .

(٣) تنمة الآية (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) (مريم: ٩٨) .

والركز : الصوت الخفي ، وقيل : هو الصوت ليس بالشديد وفي التنزيل : (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) قال الفراء : الرکز الصوت^(١) والركز : صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه وانشد :

وقد توجس ركزاً مقفراً ندس نبأه الصوت ما في سمعه كذب

وفي حديث ابن عباس في قوله تعالى : (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو ركز الناس^(٢) ، قال : الرکز الحس والصوت الخفي فجعل القسورة نفسها ركز لأن القسورة جماعة الرجال . وقيل : هو جماعة الرماة فسماهم باسم صوتهم ، وأصلها من القسر وهو القهر والغلبة ومنه قيل للأسد قسورة^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (أو تسمع لهم صوتاً)^(٤) .

وقال القرطبي : (ركزاً) أي صوتاً عن ابن عباس وغيره وقيل : حساً . وقيل : الرکز ما لا يفهم من صوت أو حركة . وقيل الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض^(٥) .

وقال ابن كثير : أي هل ترى عيناً أو تسمع صوتاً والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي^(٦) .

وأيضاً قال الشوكاني : الرکز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض^(٧) .

وكذلك قال البغوي والبيضاوي وغيرهما^(٨) .

(١) الفراء : معاني القرآن ، ١٧٤/٢ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٣٢٠/١٢ . والآية من سورة المدثر / ٥١

(٣) ابن منظور : اللسان ، ٣٠١/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٣٨٧/٨ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٤٨/١١ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٨٨/٣ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٠٥/٣ .

(٨) انظر البغوي : تفسير البغوي ٢٥٨/١ وأيضاً البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٧/١ .

وفي مفردات القرآن : الرّكز الصوت الخفي ومنها قوله تعالى : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) (١) .

وفي تاج العروس : الرّكز بالكسر ، الصوت ، وقيل هو الصوت ليس بالشديد ، وقيل هو صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه (٢) .

وفي مختار الصحاح : ركز الرمح غرزه في الأرض والركز الصوت الخفي كما في قوله تعالى : (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) والركاز بالكسر دفين أهل الجاهلية كأنه ركز في الأرض (٣) .

الركز له عدة معاني ذكرها ابن منظور ومنها الصوت الخفي وهو المقصود في الآية (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) واتفق معه جميع المفسرين على هذا المعنى .
المعنى العام للنص :

يقول تعالى ذكره : وكثيراً أهلكتنا يا محمد من قومك من مشركي قريش من قرن يعني من جماعة من الناس إذ سلكوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم هل تحس منهم من أحد ؟ يقول : فهل تحس أنت أحداً يا محمد فتراه وتعاينه (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يقول : أو تسمع لهم صوتاً بل بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدموه فكذلك قومك هؤلاء صائرون إلى ما صار إليه أولئك إن لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك (٤) .

النص رقم (١٠٦)

قال تعالى : (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) (٥) .

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٧/١ .

(٢) الزبيدي : تاج العروس ، ٣٧٣١/١ .

(٣) الرازي : مختار الصحاح ، ٢٦٧/١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٣٨٧/٨ .

(٥) تنمة الآية (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) (النساء: ٨٨) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ركس ، الركس : الجماعة من الناس ، وقيل : الكثير من الناس ، والركس شبيه بالرجيع ، وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بروث في الاستنجاء فقال : إنه ركس^(١) . يقال : ركست الشيء وأركسته إذا رددته ورجعته . وفي رواية إنه ركيس . فعيل بمعنى مفعول ، ومنه الحديث : اللهم أركسها في الفتنة ركساً^(٢) والركس : قلب الشيء على رأسه أو رده أوله على آخره ركس يركسه ركساً فهو مركوس وركيس وأركسه فارتكس فيهما ، وفي التنزيل (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) قال الفراء : يقول ردهم إلى الكفر^(٣) ، قال وركسهم لغة ، ويقال : ركست الشيء وأركسته لغتان إذا رددته . والارتكاس : الارتداد . والمنكوس والمركوس المدبر عن حاله^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) يعني بذلك : والله ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم ، والإركاس الرد . يقال منه : أركسهم وركسهم^(٥) .

وقال القرطبي : حكى الفراء : أركسهم وركسهم أي ردهم إلى الكفر ونكسهم . وأيضاً قال الكسائي : والركس والنكس قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره والمركوس والمنكوس وارتكس فلان في أمر نجا منه والركوسية قوم بين النصاري والصابئين^(٦) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء ، باب الاستنجاء بالحجارة ، ٧٠/١ (١٥٥) .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/٤٢١ (١٩٧٩٥) . مسند أبي يعلى ٣٥٢/١٣ (٧٤٢٢) . أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي : مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م ، تحقيق حسين سليم أسد . مصنف ابن أبي شيبة ٧/٥٢٦ (٣٧٧٢٠) . أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي : المصنف في الأحاديث والآثار ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ (تحقيق كمال يوسف الحوت) .

(٣) الفراء : معاني القرآن ١/٢٨١

(٤) ابن منظور : اللسان ٥/٣٠١ ، انظر تاج العروس ١/٣٩٦٤ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤/١٩٤ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥/٢٩٢ .

وقال ابن كثير : أركسهم : أي ردهم وأوقعهم في الخطأ ، قال ابن عباس :
أي أوقعهم وقال قتادة : أهلكهم وقال السدي : أضلهم^(١) .

وقال الشوكاني : أركسهم : ردهم إلى الكفر ، فالركس والنكس : قلب الشيء
على رأسه أو رد أوله إلى آخره^(٢) .

وقال البغوي : (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ) أي : نكسهم وردهم إلى الكفر^(٣) .

وقال البيضاوي : أي ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم إلى النار
وأصل الركس رد الشيء مقلوباً^(٤) . وقال أبو حيان : أي رجعهم وردهم في كفرهم
والإركاس هو بخلق الله واختراعه وينسب للعبد كسباً^(٥) .

وفي مفردات القرآن الركس : قلب الشيء على رأسه ورد أوله إلى آخره . يقال :
أركسته فركس وارتكس في أمره . وقوله تعالى (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) أي :
ردهم إلى الكفر^(٦) .

وقال الفراهيدي : الركس : قلب الشيء على آخره أو رد أوله إلى آخره ،
والمناقفون أركسهم الله وهو شبه نكسهم بكفرهم^(٧) . وكذلك قال الرازي في مختار
الصباح^(٨) .

إذاً ركس بمعنى نكس أي ارتد والركس رد شيء على رأسه وفي الآية ردهم
إلى الكفر واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في قوم اظهروا الإسلام بمكة وكانوا
يعينون المشركين على المسلمين . وقيل أنها نزلت في قوم قدموا المدينة فآظهروا
الإسلام ثم رجعوا إلى مكة فآظهروا الشرك وأيضاً قيل نزلت في الذين تخلفوا عن

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٠٧/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٤٧/١ .

(٣) تفسير البغوي ٢٥٨/١ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٢٣٠/١ .

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٢٦/٣ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٧٩/١ .

(٧) الفراهيدي : العين ، ٣١٠/٥ .

(٨) الرازي : مختار الصباح ٢٦٧/١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم^(١) .
وروى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت الآية^(٢) .
المعنى العام للنص :

يقول تعالى ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين على فئتين والله ردهم إلى
حكم الكفار من الذل والصغار والسبي بما كسبوا أي بما اظهروا من الارتداد بعد
ما كانوا على النفاق . أتريدون أيها المؤمنون أن تهدوا من أضل الله ، أي ترشدوا
من لم يرشده الله . يقولون : هؤلاء مهتدون والله أضلهم . (وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) أي ديناً وطريقاً إلى الجنة^(٣) .

النص رقم (١٠٧)

قال تعالى : (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ركض : ركض الدابة يركضها ركضاً ضرب جنبها
برجله ، وقال رؤبة : والنسر قد يركض وهو هافي^(٥) .
وإذا ركب البعير فضرب بعقبه مركليه فهو الركض والركل . وقد ركض
الرجل إذا فر وعا . وقال الفراء في قوله تعالى (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) قال
يركضون : يهربون وينهزمون ويفرون^(٦) . وقال الزجاج : يهربون من
العذاب^(٧) . وأصل الركض : الضرب .

(١) الجصاص : أحكام القرآن ، ١٨٦/٣ .

(٢) صحيح البخاري ١٤٨٨/٤ (٣٨٢٤) .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ٢٧٩/١ .

(٤) تنمة الآية (فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) (الانبياء: ١٢) .

(٥) والنسر يضرب بجناحيه . والهافي : الذي يهفو بين السماء والأرض .

(٦) الفراء : معاني القرآن ، ٢٠٠/٢ .

(٧) الزجاج : معاني القرآن ، ٣١٣/٣ .

الجوهري : الركض تحريك الرجل (١) . ومنه قوله تعالى : (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : يركضون : يهربون سراعاً عجلَى يعدون منهزمين يقال منه : ركض فلان فرسه : إذ كده بسياقته (٣) .

وقال القرطبي : (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) أي يهربون ويفرون والركض العدو بشدة الوطء ، والركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى : (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) وركضت الفرس برجلي استحثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض (٤) .
وقال ابن كثير : أي يفرون هاربين (٥) .

وقال الشوكاني : الركض الفرار والهرب والانهازم من ركض الرجل الدابة برجليه يقال ركض الفرس إذا كده بساقيه ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا ومنه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) والمعنى : أنهم يهربون منها راكضين دوابهم (٦) .
وقال أبو السعود : يركضون : يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في فرط الإسراع (٧) .

وقال السيوطي : يركضون : يفرون (٨) . وقال أبو حيان : والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين ، ويجوز أن شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون

(١) الجوهري : الصحاح ، ٨٤٥/١ .

(٢) الآية من سورة ص آية (٤٢) ، ابن منظور : اللسان ٣٠٢/٥ ، انظر تاج العروس ٤٦٣١/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٩/٩ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٣/١١ .

(٥) ابن كثير التفسير العظيم ، ٢٣٥/٣ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٧٣/٣ .

(٧) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٥٨/٦ .

(٨) السيوطي : الدر المنثور ٦١٨/٥ .

الأرض بأرجلهم^(١)

وجاء في التبيان : يركضون يفرون وأصل الركض تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا ولا يقال تركض ومنه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ)^(٢) .

وفي مفردات القرآن : الركض : الضرب بالرجل فمتى نسب إلى الراكب فهو إعداد مركوب نحو : ركضت الفرس ومتى نسب إلى الماشي فوطء الأرض نحو قوله تعالى : (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) وقوله : (لا تركضوا ..) فنهوا عن الانهزام^(٣) وقال الفيروزآبادي : الركض : تحريك الرجل ومنه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) والدفع واستحثاث الفرس للعداد وتحريك الجناح والهرب ومنه : إذا هم منها يركضون والعدو . والركضة : الدفعة والحركة^(٤) .

إذا يركضون معناها يفرون .. وأيضاً هي حركة الرجل كما في الآية (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) وهذا في أمر أيوب عليه السلام عندما مسه الضر وسأل الله كشف الضر عنه وقال : رب (أَنْتَ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكسي حلة^(٥) .

ويركضون في الآية الأخرى (لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا) معناها يفرون ويهربون وهذا ما عليه ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

في هذه الآية (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً) أي خوفهم سبحانه وتعالى وكم

(١) أبو حيان : البحر المحيط ، ٢٦٨/٦ .

(٢) أبو البقاء : التبيان في تفسير غريب القرآن ٢٩٣/١ .

(٣) الفراء : مفردات القرآن ٥٨٠/١ .

(٤) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٨٣٠/١ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٣٣٧/١ .

أهلكنا من قرية كانت ظالمة والمراد أهلها .. (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا) أي رأوا عذابنا بحاسة البصر (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) أي يعدون وأصل الركض تحريك الرجلين (لا تَرْكُضُوا) قيل هذا قول الملائكة لهم (وَارْجِعُوا) إلى (إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ) أي إلى نعمكم التي اترفنكم وهذا توبيخ لهم^(١) .

النص رقم (١٠٨)

قال تعالى : (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ركم : الركم : جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض . ركم الشيء يركمه إذا جمعه وألقى بعضه على بعض ، وهو مركوم بعضه على بعض ، وارتكم الشيء وتراكم إذا اجتمع . ابن سيده : الركم إلقاء بعض الشيء على بعض وتنزيده ، ركمه يركمه ركاماً فارتكم وتراكم^(٣) . وشئ ركام : بعضه على بعض ، وفي التنزيل : (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا) يعني السحاب . ابن الأعرابي : الركم السحاب المترام ، الجوهرى : الركام الرمل المترام ، وكذلك السحاب وما أشبهه^(٤) . وفي حديث الاستسقاء : حتى رأيت ركاماً^(٥) ، الركام : السحاب

(١) ابن الجوزي : زاد المسير ٣٤٢/٥ .

(٢) تسمية الآية : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (النور: ٤٣) .

(٣) ابن سيده : المحكم ٢٧/٧ .

(٤) الجوهرى : الصحاح ، ١٤٣٢/٢ .

(٥) ذكره الطبراني في المعجم الأوسط ١٨٧/١ (٥٩٢) ونص الحديث يقول : عن أنس بن مالك : أن المطر قحط على عهد رسول الله بالمدينة حتى غلا السعر وحشوا الهلاك على الأموال وحشينا الهلاك على أنفسنا فقلنا ادع ربك أن يسقينا فرفع رسول الله إلى السماء ولا والله ما نرى في السماء بيضاء ولا والله ما قبض يده حتى رأيت السماء تشقق من هاهنا وهاهنا حتى رأيت ركاماً فصب سبع ليال وأيامهن من الجمعة إلى الجمعة الأخرى والسماء تسكب فقالوا خشينا الغرق فادع لنا ربك أن يجسها فرأيت رسول الله رافعاً يديه وما نرى في السماء من خضراء فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فوالله ما قبض يده حتى رأيت السماء تصدع .

المتراكم بعضه فوق بعض ، وقطيع ركام : ضخم كأنه قد ركم بعضه على بعض،
وانشد ثعلب :

وتحمى به حوماً ركاماً ونسوةً عليهن قر ناعم وحرير
والركمة : الطين والتراب المجموع^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري : ركاماً وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثرُوا .. كما
قال تعالى في صفة السحاب (ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) أي : مجتمعاً كثيفاً ،
متراكماً بعضه على بعض^(٢) .

وقال القرطبي : أي مجتمعاً يركب بعضه بعضاً^(٣) .
وذكر ابن كثير نفس ما ذكره القرطبي^(٤) .

وأما الشوكاني فكان أكثر تفصيلاً من سابقه حيث قال متراكماً أي يركب بعضه
بعضاً . والركم : جمع الشيء يقال ركم الشيء يركمه ركاماً : أي جمعه وألقى بعضه
على بعض وارتكم الشيء وتراكم إذا اجتمع والركمة : الطين المجموع والركام :
الرمل المتراكب^(٥) .

وقال النحاس أي يجعله بعضه فوق بعض^(٦) .

وفي التبيان أن ركاماً أي بعضه فوق بعض^(٧) .

وفي مفردات القرآن الكريم : أي متراكم والركام : ما يلقى بعضه على بعض
والركام يوصف به الرمل والجيش ومرتكم الطريق : جادته التي فيها^(٨) . وفي

(١) ابن منظور : اللسان ٣٠٥/٥ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٢٤٣/٦ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦٤/١٢ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٩٧/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٠/٤ .

(٦) النحاس : معاني القرآن ، ٥٤٣/٤ .

(٧) أبو البقاء : التبيان تفسير غريب القرآن ٣١٣/١ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٢/١ .

الآية نموذج لمعجزة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم إذ تعتبر الآية من الإعجاز العلمي فتدل على أن هذا العلم من لدن حكيم عليم^(١) .

وقال الفيروزآبادي : الركن : جمع شئ فوق آخر حتى يصير ركماً مركوماً كركام الرمل وبالتحريك : السحاب المترام كالركام . وارتكمت الشئ وتراكم : اجتمع^(٢) .

وكذلك قال الفراهيدي : الركن جمعك شيئاً فوق شئ حتى تجعله ركماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحوه^(٣) .

إذا الركام هو الشئ المجموع ويقال لكل شئ متجمع بعضه فوق بعض ركام .. وبذلك قال ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

أي ألم تعلم أن الله يسوق سحاباً بأمره إلى حيث يريد ثم يؤلف بينه أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض ثم يجعله متراماً بعضه فوق بعض فترى المطر يخرج من وسطه وينزل من السماء جبلاً من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء فلا يضره يكاد من شدة ضوء السحاب وبريقها أن يذهب بالأبصار^(٤) .

النص رقم (١٠٩)

قال تعالى : (وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ركن إلى الشئ وركن يركن ويركن ركناً وركوناً فيهما وركانة وركانية أي مال إليه وسكن ، وقال بعضهم : ركن يركن . وفي التنزيل العزيز : (وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قرئ بفتح الكاف من ركن يركن ركوناً إذا

(١) انظر الزرقاني : مناهل العرفان ١٩/١ .

(٢) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١٤٤٠/١ .

(٣) الفراهيدي : كتاب العين ٣٦٩/٥ .

(٤) تفسير البغوي ٥٣/١ .

(٥) (وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود:١١٣) .

مال إلى الشئ واطمأن إليه ، وركن إلى الدنيا إذا مال إليها ، والركن : الناحية القوية وما تقوى به من ملك وجند وغيره وبذلك فسر قوله عز وجل : (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) (١) دليل ذلك قوله تعالى : (فَأَخَذْنَا مِنْهُ الْجَبَلَ وَقَالَ لِرُكْنَيْهِ أَفَأَخَذْتَا مِنْكَ يَوْمَ أَصْرْنَا فَوَقَقْنَا الْأُكُودَ مِنْ تَحْتِهِ فَاتَّخَذْنَا مِنْهُ الْبُحْرَيْنِ حَافِئَيْنِ لَئِنْ لَمْ يَنْصَرِفَا أَفْجَاءً لَأَخَذْنَا مِنْهُ الْبُحْرَيْنِ حَافِئَيْنِ لَئِنْ لَمْ يَنْصَرِفَا أَفْجَاءً لَأَخَذْنَا مِنْهُ الْبُحْرَيْنِ حَافِئَيْنِ) (٢) أي أخذناه وركنه الذي تولى به والجمع أركان وأركان . وركن الإنسان : قوته وشدته ، وكذلك ركن الجبل والقصر وهو جانبه ، وركن الرجل : قومه وعدده ومادته . وفي التنزيل العزيز : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٣) قال ابن سيدة : وأراه على المثل (٤) . وقال أبو الهيثم : الركن العشيرة . والركن الأمر العظيم . والركن القوة . ويقال للرجل الكثير العدد أنه ليأوي إلى ركن شديد . وفلان ركن من أركان قومه أي شريف من أشرفهم . وهو يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعة . وفي الحديث أنه قال : (رحم الله لوطاً إن كان ليأوي إلى ركن شديد) (٥) أي إلى الله عز وجل الذي هو أشد الأركان وأقواها ، وإنما ترحم عليه لسهوه حين ضاق صدره من قوته حتى قال : (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أراد عز العشيرة الذين يستند إليهم كما يستند إلى الركن من الحائط (٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : (ولا تركنوا) : أي لا تميلوا (٧) .

وقال القرطبي : الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشئ والرضا به (٨) .

(١) الذاريات آية ٣٩ . (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)

(٢) الذاريات آية ٤٠ .

(٣) هود آية ٨٠ .

(٤) ابن سيدة : المحكم ٤٩٩/٦ .

(٥) (ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبث في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) .

صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قوله عز وجل (ونبتهم عن ضيف إبراهيم) الحجر ، ٣/١٢٣٣ (٣١٩٢) .

صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ١/١٣٣ (١٥١) .

(٦) ابن منظور : اللسان ٣٠٥/٥ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ٧/١٢٣ .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩/٩٢ .

وقال ابن كثير : أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم^(١) .
وجاء في الجلالين معنى (ولا تركنوا) لا تميلوا عودة أو مدهنة أو رضا
بأعمالهم^(٢) .

وقال الألوسي : (ولا تركنوا) : أي لا تميلوا أدنى ميل إلى الذين ظلموا^(٣) .
وفي مفردات القرآن ركن الشئ : جانبه الذي يسكن إليه ويستعار للقوة كما في
قول لوط (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) وهي ركن يركن^(٤) .
وذكر البخاري في صحيحه أن معنى (تركنوا) ترضوا بأعمالهم وتسكنوا إلى
ظلمهم^(٥) .

وفي مختار الصحاح : ركن إليه من باب دخل وركن أيضاً بالكسر ركوناً مال إليه
وسكن . وركن الشئ جانبه الأقوى وهو يأوي إلى ركن شديد أي إلى عز
ومنة^(٦) .

إذاً لا تركنوا أي لا تميلوا وترضوا .. والركن هو الناحية والجمع أركان .. هذا ما
قاله ابن منظور والمفسرون .

وجاء في تفسير قوله تعالى : (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال أبو جعفر :
يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المعنى لما قد جاؤوا له من طلب
الفاحشة ويئس من أن يستجيبوا له أي شئ مما عرض عليهم (لو أن لي بكم قوة)
بأنصار تتصرني عليكم وأعوان تعينني (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : أو انضم
إلى عشرة مانعة تمنعني منكم لعل بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في
أضيافي^(٧) . وأيضاً قال القرطبي أو ألجأ وأنضم ، والمراد بالركن العشيرة

(١) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٦٠٦/٢ .

(٢) الجلالين تفسير الجلالين ، ٣٠١/١ .

(٣) الألوسي : روح المعاني ، ١٦٨/١٢ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٢/١ .

(٥) صحيح البخاري ١٧٢٥/٤ .

(٦) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ٨٤/٧ .

والأصحاب^(١) .

وذكر المفسرون وابن منظور أن الركون هو مطلق الميل .. بينما ذكر

صاحب الكشاف أن الركون هو الميل اليسير^(٢) .

ووافقهم ابن كثير أن فرعون استكبر وعاند وتعزز بأصحابه^(٣) .

و(تركنوا) بضم الكاف قال الفراء : وهي لغة تميم وقيس : قال أبو عمرو :

وقراءة الجمهور هي لغة أهل الحجاز قال : ولغة تميم بكسر التاء وفتح الكاف وهم

يكسرون حرف المضارعة في كل ما كان في باب علم يعلم ، وقرأ بضم التاء

وفتح الكاف على البناء للمفعول من أركنه^(٤) .

المعنى العام للنص :

قوله عز وجل (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال ابن عباس رضي الله

عنهما : ولا تميلوا والركون : هو المحبة والميل بالقلب ، وقال أبو العالفة : لا

ترضوا بأعمالهم ، قال السدي : لا تراهنوا الظلمة وعن عكرمة : لا تطيعوهم

وقيل لا تسكنوا إلى الذين ظلموا (فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) أي فتصيبكم (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ) من أعوان يمنعونكم من عذابه (ثُمَّ لَا تَنْصَرُونَ)^(٥) .

النص رقم (١١٠)

قال تعالى : (أَلَا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا)^(٦) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الرمز : تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون تحريك

الشفيتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إيانة بصوت إنما هو إشارة بالشفيتين ،

وقيل : الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفيتين والقم ، والرمز في اللغة

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦٨/٩ .

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ٥٦٥/١ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٠٢/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٦٥/٢ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٢٠٣/١ .

(٦) تنمة الآية : (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِنِّكَارِ) (آل عمران: ٤١) .

ما أشرت إليه مما بيان بلفظ بأي شئ أشرت إليه بيد أو بعين . ورمز يرمز ويرمز رمزاً . وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام : (أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا) (١) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري وذلك بقول الطبري : وأما الرمز بأن الأغلب في معانيه عند العرب : الإيماء بالشففتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحياناً وذلك غير كثير فيهم وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت : الرمز .

يقال منه : رمز فلان فهو يرمز ويرمز رمزاً ويترمز ترمزاً ، ويقال : ضربه ضربة فارتمز منها أي اضطرب للموت .

وفي الآية : أي لا تكلم الناس إلا تحريكاً بالشففتين من غير أن ترمز بلسانك الكلام وقال آخرون الإيماء والإشارة .. أي بغير خرس ولا عاهة ولا مرض (٢) .
وأيضاً وافقه القرطبي ، حيث قال القرطبي : الرمز في اللغة الإيماء بالشففتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين وأصله الحركة . وهي رمز يرمز ويرمز وقرئ إلا رمزاً بفتح الميم وضمها وضم الراء والواحدة رمزة (٣) .

وقال ابن كثير الإشارة أي لا تستطيع الكلام مع أنك سوي صحيح (٤) .
وأيضاً قال الشوكاني الرمز في اللغة : الإيماء بالشففتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين وأصله الحركة وهو استثناء منقطع لكون الرمز من غير جنس الكلام وقيل هو : متصل على معنى أن الكلام ما حصل به الإفهام من لفظ أو إشارة أو كتابة وهو بعيد والصواب الأول (٥) .

(١) ابن منظور : اللسان ٣١٢/٥ .

(٢) الطبري جامع البيان ، ٢٥٩/٣ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨١/٤ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٨٠/١ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٥١٠/١ .

وأورد البغوي بعض الآراء فقال (إلا رمزاً) أي إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليد وكانت إشارته بالإصبع المسبحة وقال : قد يكون الرمز اللسان من غير أن يبين وهو الصوت الخفي أشبه الهمس وقال : أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً^(١) .

وقال البيضاوي (إلا رمزاً) إشارة ثم أضاف إشارة بنحو يد أو رأس وأصله الترك ومنه الرموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ : رمزاً بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزاً كرسل جمع رموز على أنه حال منه^(٢) .

وهذا أيضاً ذكر ذلك الزمخشري^(٣) .

وفي مفردات القرآن الرمز : إشارة بالشفة والصوت الخفي والغمز بالحاجب وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز . وما أرمز أي : لم يتكلم رمزاً وكتيبة رمازة : لا يسمع منها إلا رمز من كثرتها^(٤) .

وقال النحاس في هذه الآية زعم بعض أهل العلم أن هذا منسوخ - أي الصيام عن الحديث - وذلك أن هذه شريعة قد ذكرها الله عز وجل فكان لنا أن نستعملها ما لم تنسخ ثم إنها نسخت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) . وذكر الفيروزآبادي : الرمز : الإشارة أو الإيماء بالشففتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان يرمز ويرمز^(٦) .

وفي المصباح المنير رمزاً من باب قتل وفي لغة من باب ضرب أشار بعين أو حاجب أو شفة^(٧) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٣٦/١ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٣٧/١ .

(٣) انظر الزمخشري : الكشاف ، ١٧٨/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٥٨٦/١ .

(٥) النحاس : الناسخ والمنسوخ ، ٢٧٩/١ .

(٦) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٦٥٩/١ .

(٧) الفيومي : المصباح المنير ، ٢٣٨/١ .

إذاً الرمز هو الكلام الخفي كالهمس وأيضاً هو الإشارة سواء بالعينين أو الحاجبين أو الشفتين أو اليد .

واتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى. وهذا ما كان في قصة سيدنا زكريا أنه استعمل الإشارة كطريقة للكلام من غير خرس ولا عاهة وإنما كانت آية له والبعض قال عوقب بها سيدنا زكريا عليه السلام لأنه طلب الآية بعد مشافهة الملائكة له .

المعنى العام للنص :

جاء في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) فقال الله تعالى : (آيَتُكَ أَلَا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) جعل الله تعالى وعلامة حمل امرأته أن يمسك لسانه فلا يقدر أن يكلم الناس ثلاثة أيام (إِلَّا رَمَزًا) أي : إيماء بالشفقتين والحاجبين والعينين وكان مع ذلك يقدر على التسبيح وذكر الله وهو قوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ) أي وصل (بِالْعَشِيِّ) وهو آخر النهار (وَالْإِبْكَارِ) ما بين طلوع الفجر إلى الضحى^(١) .

النص رقم (١١١)

قال تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رمض : الرمش والرمضاء : شدة الحر . والرمض : حر الحجارة من حر الشمس ، وقيل : هو الحر والرجوع عن المبادي إلى المحاضر ، وأرض رمضة الحجارة . والرمض : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره . والأرض رمضاء . ومنه حديث عقيل : فجعل يتتبع الفئ من شدة الرمش^(٣) . يقال : رمض يرمض رمضاً . ورمض الإنسان رمضاً : مضى على الرمضاء والأرض رمضة ، يرمض رمضاً : اشتد حره وأرمض القوم : اشتد عليهم ، والرمض : مصدر قولك رمض الرجل يرمض رمضاً إذا احترقت قدماه

(١) الواحدي : الوجيز ، ٢٩/١ .

(٢) تنمة الآية : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة: من الآية ١٨٥) .

(٣) انظر الحاكم ف المستدرک ٦٦٨/٣ (٦٤٦٧) .

من شدة الحر ، وانشد :

فهن معترضات ، والحصى رمض والريح ساكنة والظل معتدل^(١)
والجمع رمضانات ورمضانين وأرمضاء وأرمضة وأرمض ، عن بعض أهل اللغة
، وليس بثبت : كان مجاهد يكره أن يجمع رمضان ويقول : بلغني أنه اسم من
أسماء الله عز وجل^(٢) . قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالأزمنة التي فيها فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمي به^(٣) .
وشهر رمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة
العطش^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : وأما رمضان فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم
أنه سمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض فيه الفصال كما يقال
للشهر الذي يجمع فيه ذو الحجة والذي يرتبع فيه ربيع الأول وربيع الآخر ، وذكر
أيضاً ما ذكره ابن منظور من أن مجاهد كان يكره أن يقال (رمضان) ويقول لعله
اسم من أسماء الله لكن نقول كما قال الله (شهر رمضان)^(٥) .

وذكر القرطبي : قول الجوهري^(٦) : ورمضان الجمع على رمضانات
وأرمضاء يقال أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي
وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك وقيل : إنما سمي
رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها بالأعمال الصالحة من الإرماض وهو

(١) البيت للشاعر القطامي التغلبي وهو عمير بن شعيم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن أبي بكر أبو سعيد التغلبي
الملقب بالقطامي ، شاعر غزل فحل كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم . المزرباني : معجم الشعراء ، ١٥/١ .
ابن ماكولا : الإكمال ، ٤٠/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٥٠/٢ .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : كتاب جمهرة اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ م
، ج ٢ (تحقيق د. رمزي منير البعلبكي) . انظر (٨٢٠/٢) باب الرء والميم وما بعدهما من الحروف .

(٤) ابن منظور : اللسان ٣١٦/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٥٠/٢ .

(٦) الجوهري : الصحاح ، ٨٤٦/١ .

الإحراق ومنه رمضت قدمه من الرمضاء أي احترقت وأرمضتني الرمضاء أي أحرقتني ومنه قيل : أرمضني الأمر . والرمضاء : الحجارة المحمأة . وقيل : وسمي الشهر به لأنهم كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان ليحاربوا بها في شوال . قبل دخول الأشهر الحرم . وشهر رمضان : أي المفروض عليكم صومه والذي أنزل فيه القرآن أي صفة لهذا الشهر^(١) .

وقال الشوكاني : وفي هذه الآية : كان ينزل من اللوح كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة أي مثلها من العام ووصف سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لنزول القرآن فيها وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولكونها تنزل فيها الملائكة والروح^(٢) .

وذكر البيضاوي: أن رمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون^(٣). وأيضاً ذكر أبو السعود مثل ذلك^(٤) وقال النحاس أن شهر رمضان يسمى أيضاً شهر الصبر^(٥) .

وفي مفردات القرآن : شهر رمضان هو من الرمض أي : شدة وقع الشمس يقال : أرمضته فرمض أي : أحرقتة الرمضاء وهي شدة حر الشمس وأرض رمضة ورمضت الغنم : رعت في الرمضاء فقرحت أكبادها وفلان ترمض الظباء أي : يتبعها في الرمضاء^(٦) .

وقيل شهر رمضان هو من الشهور العربية المعروفة وهو تاسع الشهور . ونقل الجوهري القول رمضانات ورمضانون وأرمضة . وقال : زعم بعض أهل اللغة قول (أرمض) وهو شاذ^(٧) .

إذاً رمضان هو شهر عربي وهو يعني الحر وفيه أمر الله بالصيام .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢/٢٨٥ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٤/٨١٠ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/٤٦٣ .

(٤) انظر أبو السعود : تفسير أبي السعود ١/١٩٩ .

(٥) النحاس : معاني القرآن ، ١/٣٦٨ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٥٨٧ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ١/٤٦٣٥ .

وعن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(١) .

وفي هذه الآية قال الشافعي : قال جل ثناؤه (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ) ثم أبان أن هذه الأيام شهر رمضان بقوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) إلى قوله تعالى (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) وبين تعالى أنه لا يجب صوم إلا صوم شهر رمضان وعلم عندما خوطب باللسان أنه الذي بين شعبان وشوال^(٢) .

وأما سبب نزول هذه الآية : فعن معاذ بن جبل قال : قدم رسول الله المدينة فصام عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ثم أنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إلى قوله (فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه ثم أن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى شهر رمضان إلى قوله (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الإطعام للكبير الذي لا يطيق الصيام^(٣) .

وقال قتادة في قوله تعالى : (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إلى قوله من (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) .. كانت فيها رخصة الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما لا يطيقان الصوم أن يطعما مكان كل يوم مسكيناً أو يفطر ثم نسخ تلك الآية التي بعدها فقال (وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) . فنسختها هذه الآية فكان أهل العلم يرون ويرجون أن الرخصة قد ثبتت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا لم يطيقا القيام أن يطعما مكان كل يوم

(١) صحيح البخاري ١٩١١/٤ (٤٧١١) .

(٢) الشافعي : أحكام القرآن ، ١٠٥/١ .

(٣) العسقلاني : العجائب في بيان الأسباب ، ٤٢٩/١ .

مسكيناً وللحلبى إذا خشيت على ما في بطنها والمرضع إذا خشيت على ولدها^(١) .
 وقال بعضهم أن هذه الآية (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) نسخت
 فرض صيام ما كان كتب على الذين من قبلنا من صوم عاشورا وصيام ثلاثة أيام
 من كل شهر فهذا فرض نسخ فرضاً ، فعلى المنسوخ جائز لنا ونحن عليه
 مأجورون^(٢) .

المعنى العام للنص :

(شَهْرُ رَمَضَانَ) أي : يعني تلك الأيام المعدودات من شهر رمضان (الَّذِي
 أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر
 رمضان فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على
 محمد صلى الله عليه وسلم نجوماً نجوماً عشرين سنة (هُدًى لِلنَّاسِ) هادياً للناس
 (وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) وآيات واضحات من الحلال والحرام والحدود
 والأحكام والفرقان الفرق بين الحق والباطل ، فمن حضره مقيماً فليصمه وأباح فيه
 الفطر في المرض والسفر (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) ولتكبروا الله على ما
 أرشدكم (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)^(٣) .

النص رقم (١١٢)

قال تعالى : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رميم : الرم : إصلاح الشئ الذي فسد بعضه نحو حبل
 يبلى فترمه أو دار ترم شأنها مرمة . ورم الأمر : إصلاحه بعد انتشاره .
 الجوهري : رمت الشئ أرمه وأرمه ومرمة إذا أصلحته^(٥) . والرميم : مثل
 الرمة : قال الله تعالى : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) قال الجوهري : إنما

(١) قتادة : الناسخ والمنسوخ ، ٣٧/١ .

(٢) الكرمي : الناسخ والمنسوخ ، ٣١/١ .

(٣) انظر الواحدي : الوجيز ، ١٥٠/١ .

(٤) تنمة الآية : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (يس: ٧٨) .

(٥) الجوهري : الصحاح ، ١٤٣٢/٢ .

قال الله تعالى وهي رميم لأن فعيلًا وفعالًا قد استوى فيهما المذكر والمؤنث والجمع^(١) . وقال ابن الأثير في النهي عن الاستنجاء بالرممة ، قال : يجوز أن تكون الرمة جمع الرميم^(٢) . وإنما نهى عنها لأنها ربما كانت ميتة وهي نجسة أو لأن العظم لا يقوم مقام الحجر لملاسته . وعظم رميم وأعظم رمائم ورميم أيضاً . وقد يجوز أن يعني بالرميم الجنس فيضع الواحد موضع لفظ الجمع ، والرميم : ما بقى من نبت عام أول . ورم العظم وهو يرم بالكسر ، رمًا ورميمًا وأرم : صار رمة . الجوهرى تقول منه رم العظم يرم بالكسر رمة أي بلى . ابن الأعرابي : يقال : رمت عظامه وأرمت إذا بليت ، وفي الحديث قالوا : يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت^(٣) . والرمة : العظم البالي^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : الرميم في كلام العرب : ما يبس من نبات الأرض وديس^(٥) . قال القرطبي : رميم أي بالية رم العظم فهو رميم ورمام ، وإنما قال رميم ولم يقل رميمة لأنها معدولة عن فاعلة ، وأضاف أن الرميم الشئ الهشيم يقال للنبت إذا يبس وتفتت رميم وهشيم قال ابن عباس كالشئ الهالك البالي وقاله مجاهد . وقال قتادة : إنه الذي ديس من يابس النبات وقيل : كالتراب المدقوق والرميم الرماد وقيل ما رمته الماشية من الكأ برمتها ويقال للشفة المرمة والمقمة بالكسر والمرمة بالفتح لغة فيه وأصل الكلمة من رم العظم إذا بلى تقول منه رم

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ، ٦٤٦/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب فضل الجمعة وليلة الجمعة ، ٣٤٢/١ (١٠٤٧) ونص الحديث هو : عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي ، قال : قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ (أرمت أصله أرمت أي صرت رميمًا) يقولون بليت فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء . وأيضاً ذكر في سنن ابن ماجه ٣٤٥/١ (١٠٨٥) . الطبراني في المعجم الأوسط ٩٧/٥ (٤٧٨٠) .

(٤) ابن منظور : اللسان ٣٢٣/٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٤٦٩/١١ .

العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم . والرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام^(١) .

وقال ابن كثير : الرميم الشئ البالي^(٢) .

وأما الشوكاني فإنه قال : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) هذا استفهام للإنكار لأنه قاس قدرة الله تعالى على قدرة العبد فأنكر أن الله يحيي العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم يرم رماً إذا بلى فهو رميم ورمام ، وإنما قال رميم ولم يقل رميمة مع كونه خبيراً للمؤنث لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ، وقيل لكونه معدولاً عن فاعله وكل معدول عن وجهه يكون مصروفاً عن إعرابه^(٣) .

وقال البغوي : رميم بالية^(٤) .

وذكر البيضاوي : الرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسماً بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رمته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء^(٥) .

وذكر مجاهد أن الرميم هو الشئ الهالك^(٦) .

وقال الزمخشري : أن في هذه الآية وصف للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة^(٧) .

وفي مفردات القرآن : الرم : إصلاح الشئ البالي والرمة : تختص بالعظم البالي . والرم : الفتات من الخشب والتبن . وأرمت عظامه : إذا سحقته حتى إذا نفخ فيها لم يسمع لها دوي وترمم القوم : إذا حركوا أفواههم بكلام ولم يصرحوا^(٨) .

(١) القرطي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥١/١٠٠ .

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ، ٢٠٤/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٤٥/٤ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٩/١ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٤٢/٢ .

(٦) مجاهد : تفسير مجاهد ٦٢٠/٢ .

(٧) الزمخشري : الكشاف ، ٦٤٨/١ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٣/١ .

وقال الفيروزآبادي : والعظم يرم رمه بالكسر ورمماً ورميماً وأرم : بلى وهو رميم^(١) . وأيضاً قال الرازي مثل ذلك^(٢) .

لذا رم العظم يعني بلى وبذلك قال ابن منظور وعلماء اللغة والمفسرون .
وقيل في هذه الآية : وصنف أقرؤا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن في الآية .. فاستدل عليهم بالنشأة إذ اعترفوا بالخلق الأول فقال عز وجل : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) وقال : (أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ)^(٣) .

المعنى العام للنص :

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) في ذلك (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المني وهو أعرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أي بالية ولم يقل رميمة بالتاء لأنه اسم لا صفة وروي أن أبي بن خلف الجمحي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال : الله محي هذا يا محمد وهو رميم ؟ وهو يفت العظم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يحييه ثم يميتك ثم يدخلك النار^(٤) .

النص رقم (١١٣)

قال تعالى : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رمن : الرمان : حمل شجرة معروفة من الفواكه ، واحدته رمانة . الجوهرى : قال سيبويه سألته عن الرمان إذا سمي به فقال : لا أصرفه على المعرفة وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف به أي لا يدري من أي شئ اشتقاقه ونونه أصلية^(٦) . وفي التنزيل صفة الجنان (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) دل الواو على أن الرمان والنخل غير الفاكهة لأن الواو

(١) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١/١٤٤٠ .

(٢) الرازي : مختار الصحاح ١/٢٦٧ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ٢/٢٣٤ والآية من سورة ق آية ١٥ .

(٤) الجلالين : تفسير الجلالين ، ١/٥٨٦ .

(٥) سورة الرحمن آية ٦٨ .

(٦) سيبويه : الكتاب ١/٢٥٨ .

تعطف جملة على جملة ، قال أبو منصور : هذا جهل بكلام العرب ، والواو دخلت للاختصاص وإن عطف بها^(١) . والعرب تذكر الشيء جملة ثم تخص من الجملة شيئاً تفصيلاً له وتنبئها على ما فيه من الفصيحة ومنه قوله عز وجل (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) ^(٢) فقد أمرهم بالصلاة جملة ثم أن الوسطى تخصيصاً لها بالتشديد والتأكيد، وكذلك أعاد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة فيهما^(٣) .

دراسة النص :

في هذه الآية يقول الطبري : (أن الله سبحانه وتعالى ذكر أن في هاتين الجنتين المدهامتين فاكهة ونخل ورمان .. وقال اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان وقد ذكر قيل أن فيهما الفاكهة فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا فاكهة . وقال آخرون : هما من الفاكهة ، وقالوا : قلنا هما من الفاكهة لأن العرب تجعلهما من الفاكهة قالوا : فإن قيل لنا : كيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفاكهة ؟ قلنا : ذلك (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) فقد أمرهم بالمحافظة على كل صلاة ثم أعاد العصر تشديداً لها كذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة)^(٤) .

وقال القرطبي : الرمان من الفاكهة وخص بالذكر لطيبه^(٥) .

وقال ابن كثير في هذه الآية أنها من باب عطف الخاص على العام وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما ، وعن عمر بن الخطاب قال : جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال : نعم فيها فاكهة ونخل ورمان^(٦) .

(١) أبو منصور : التهذيب ، ٢١٦/١٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ٢٢٦/٥ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٦١٣/١١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤١/٢ .

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٥٧/٤ . والحديث مذكور في : حميد بن نصر أبو محمد الكس : المنتخب من مسند عبد بن حميد ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، تحقيق (صبيح البدر السامرائي) قال أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا قال نعم وأضعاف قال : أيقضون الحوائج قال : لا ولكن يعرفون ويرشحون فيذهب الله بما في بطونهم من أذى

وأما الشوكاني : فقال هذا من صفات الجننتين المذكورتين قريباً والنخل والرمان وإن كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والأزهري وغيرهما وقيل إنما خصهما لكثرتهما في أرض العرب وقيل خصهما لأن النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم ولم يخالف إلا أبو حنيفة^(١) .

وقال البيضاوي : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) عطفهما على الفاكهة بياناً لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث^(٢) .

وقال في مفردات القرآن : الفاكهة قيل : هي الثمار كلها وقيل : بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان كما قال أبو حنيفة مستدلاً بقوله تعالى : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) وقائل هذا كأنه نظر إلى اختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة^(٣) .

واحتجاج أبي حنيفة هذا قائم على أن الرطب والرمان ليس من الفاكهة لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، إنما يعطف على غيره هذا هو ظاهر الكلام ومفهومه إلا أن تقوم الدلالة على أنه انفرد بالذكر وإن كان من جنسه لضرب من التعظيم وغيره^(٤) .

وقال البخاري : قال البعض أن الرمان والنخل ليسا من الفاكهة وأما العرب فإنها تعدها فاكهة وذكرها معطوفة مثل قول الله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) ^(٥) .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٠٢/٥ .

(٢) البيضاوي : تفسير ، ٢٨١/١ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ١١٣٢/١ .

(٤) الحصص : أحكام القرآن ، ٢٩٩/٥ .

(٥) صحيح البخاري ١٨٤٦/٤ .

وغالباً أن العرب تذكر الشيء على العموم ثم تخصص منه الأفضل فالأفضل فتقول جاء القوم والرئيس والقاضي وفي الآية أفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة وهما منها للاختصاص والتفضيل كما أفرد جبريل وميكائيل من الملائكة فقال : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) (١) .

إذا الرمان نوع من الفاكهة والآية في صفة ذكر الجنة هكذا ذكر ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) قال بعضهم : ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامّة على أنها من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهي من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل (٢) .

النص رقم (١١٤)

قال تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رمى يرمي رمياً فهو رام وفي التنزيل العزيز : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال أبو إسحاق : ليس هذا نفي رمي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن العرب خوطبت بما تعقل (٤) ، (وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : ناولني كفاً من تراب بطحاء مكة ، فناوله كفاً فرمى به فلم يبق منهم أحد من العدو إلا شغل بعينه) (٥) فأعلم الله عز وجل أن كفاً من تراب أو حصى لا يملأ به عيون ذلك الجيش الكثير بشر وأنه سبحانه وتعالى تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم ، وفي الآية أي لم يصب رميك ذلك ويبلغ ذلك المبلغ ، بل إنما الله عز وجل تولى ذلك ، فهذا مجاز . وروى أبو

(١) الآية من سورة البقرة آية ٩٨ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٤٥٧/١ .

(٣) تنمة الآية : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (أنفال: ١٧) .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ، ٣٢٩/٢ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٢٢/٦ .

عمرو عن أبي العباس أنه قال : معناه وما رميت الرعب والفرع في قلوبهم إذ رميت بالحصى ولكن الله رمى (١) .

وقال المبرد : معناه ما رميت بقوتك إذ رميت ولكن بقوة الله رميت ورمى الله لفلان : نصره وصنع له ، وهذا كله من الرمي لأنه إذا نصره رمى عدوه (٢) .
دراسة النص :

قال الطبري : قال الله لنبيه عليه السلام : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فأضاف الرمي إلى نبي الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمى به إلى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله . وعن ابن عباس قال : (رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال : يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً ! فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ! فاخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخرية وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين) (٣) .

وقال القرطبي : المعنى (وما رميت) الفرع والرعب في قلوبهم (إذ رميت) بالحصاء فانهمزوا (ولكن الله رمى) أي أعانك وأظفرك والعرب تقول : رمى الله لك أي أعانك وأظفرك وصنع لك . وقيل وما رميت بقوتك إذ رميت ولكنك بقوة الله رميت (٤) .

وقال ابن كثير : (وما رميت) أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت (٥) .

وذكر الشوكاني ما ذكره القرطبي وأضاف قائلاً : أن تلك الرمية بالقبضة من التراب التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها ما بلغ أثرها إلا

(١) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٣٧/٧ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٣٢٧/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٠٢/٦ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٣٧/٧ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٩١/٢ .

ما يبلغه رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبتت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكأن الله فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلاً^(١) . وأيضاً ذكر ذلك الكشاف^(٢) .

وأما البغوي فقال : ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاً من الحصا إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء . وقيل معنى الآية : وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ .

وقيل : وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا^(٣) .

ورمى فلان فلاناً بأمر قبيح أي قذفه ومنه قول الله عز وجل (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ) معناه القذف .. أي الذين يقذفون بالزنا المسلمات الحرائر العفائف فإذا لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة أي : اضربوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون^(٤) .

وفي مفردات القرآن رمي : الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر كما في هذه الآية . ويقال في الكناية عن الشتم كالقذف نحو (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ)^(٥) ، وأرمى فلان على مائة استعارة للزيادة وخرج يترمي : إذ رمى في الفرض^(٦) .

وقيل في هذه الآية قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة لا يقال للأسد ليس بشجاع ، والمراد بالرمي هنا المرتب عليه وهو وصوله إلى الكفار قالوا رد

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٢٩/٢ .

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ٤٥٢/١ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٣٣٩/١ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ١٠/١ .

(٥) النور آية ٦ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٨/١ .

عليه السلب هنا مجاز لا حقيقة والتقدير وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء وما رميت مجازاً إذ رميت حقيقة^(١) .

وفي الناسخ والمنسوخ قيل قوله تعالى (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)^(٢) ناسخ لقوله تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)^(٣) فاختلف العلماء في هذا الذنب فقيل عدة آراء منها ما تقدم من ذنبك يوم بدر لأنه قال فيه أن تهلك هذه العصابة فلا تعبد في الأرض أبداً فأوحى الله إليه من أين تعلم ذلك فكان هذا هو الذنب المتقدم . وأما المتأخر فهو يوم حنين لأنه لما انهزم الناس قال لعنه العباس وابن عمه أبي سفيان ناولاني كفاً من الحصاة فناولاه فرمى به في وجوه المشركين وقال شامت الوجوه فلم يبق أحد منهم إلا وامتلات عيناه رملاً وحصى فانهزموا ثم نادى عليه الصلاة والسلام في أصحابه فرجعوا فقال لهم : لولا لم أرمهم لم ينهزموا فأنزل الله تعالى وما رميت الآية فكان هذا هو الذنب المتأخر^(٤) .

وسبب النزول : لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقنل وهو يقذي عينيه وفاه فأنزل الله (وما رميت إذ رميت)^(٥) .

وفي كتب اللغة رمى الله له إذ نصره^(٦) . وقال الفراهيدي : رمى يرمي رمياً فهو رام والرمي : قطع صغار من السحاب رفاق قدر الكف أو أكبر شيئاً^(٧) . إذا ذكر كل المفسرين أن هذه الآية المقصود بها ما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم به أعين المشركين من الحصى والتراب فأوصله الله إلى أعينهم ووافقهم ابن منظور هذا الرأي .

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٤٠٨/٣ . انظر أيضاً السيوطي : الإتيان ، ٢٠٩/٢ .

(٢) الفتح ، آية ١-٢ .

(٣) الأنعام ، آية ١٥ .

(٤) الكرمي : الناسخ والمنسوخ ، ١٩٣/١ .

(٥) السيوطي : لباب النقول ١٠٦/١ .

(٦) الزبيدي : تاج العروس ٨٤١١/١ .

(٧) الفراهيدي : كتاب العين ٢٩٣/٨ .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) ببدر بقوتكم (وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) بنصره إياكم (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد أعين القوم (إِذْ رَمَيْتَ) بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً) عطاء (حَسَنًا) هو الغنيمة (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١) .

النص رقم (١١٥)

قال تعالى : (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رهب : رهب يرهب رهبة ورهباً بالضم ورهباً بالتحريك أي خاف . ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبة : خافه . والاسم : الرهب ، والرهبى ، والرهبوت والرهبوتي ، ورجل رهبوت . يقال : رهبوت خير من رحموت (٣) ، أي لأن ترهب خير من أن ترحم ، واسترهبه : استدعى رهبته حتى رهبه الناس ، وبذلك فسر قوله عز وجل (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) أي أرهبوهم . وفي حديث بهز بن حكيم (٤) : إني لأسمع الراهبة (٥) . قال ابن الأثير : هي الحالة التي ترهب أي تفرع وتخوف ، وفي رواية اسمعك راهباً أي خائفاً ،

(١) الجلالين : تفسير الجلالين ٢٢٩/١ .

(٢) الأعراف / ١١٦ (قَالَ الْقَوْمُ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) .

(٣) انظر الطبري : جامع البيان ٢٤١/٥ . وأيضاً صحيح البخاري : كتاب الدعوات ، باب النوم على الشق الأيمن ، ٢٣٢٧/٥ (٥٩٥٦) . وأيضاً : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، ١٠٧/٢ .

وأيضاً : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري : مجمع الأمثال ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢٨٨/١ .

(٤) بهز بن حكيم بن معاوية القشيري أبو عبد الملك صدوق ، من السادسة ، مات قبل الستين . انظر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : تقريب التهذيب ، دار الرشيد ، سوريا ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦ م ، تحقيق محمد عوامة ، ٢٨/١ .

(٥) الحديث طويل ذكره أحمد بن حنبل في مسنده : ٤/٥ (٢٠٠٥١) .

وترهب الرجل إذا صار راهباً يخشى الله^(١) .

والراهب المتعبد في الصومعة ، وأحد رهبان النصارى ومصدره الرهبة والرهبانية . والجمع الرهبان ، والرهبانية مصدر الراهب والاسم الرهبانية ، وفي التنزيل العزيز : (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)^(٢) . وأصل الرهبانية من الرهبة ثم صارت اسماً لما فضل عن المقدار وأفرط فيه ، وفي الحديث : (لا رهبانية في الإسلام)^(٣) . وأيضاً في الحديث (عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي)^(٤) . فكما أنه ليس عند النصارى أفضل من الترهّب ففي الإسلام لا عمل أفضل من الجهاد .

وأيضاً قوله تعالى : (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ)^(٥) قال الأزهري وأكثر الناس ذهبوا في تفسير (من الرهب) أنه بمعنى الرهبة^(٦)^(٧) .

دراسة النص :

(واسترهبوهم) يقول الطبري : واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم حتى خافوا من العصى والحبال ظناً منهم أنها حيات ، فالرهب هو الخوف^(٨) . وقال ابن كثير : أي فرقوهم من الفرق^(٩) .

(١) ابن الأثير : النهاية ٦٦٩/٢ .

(٢) الحديد / ٢٧ .

(٣) الحديث عن عروة قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها حولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتها ما شأنك فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال : يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أفما لك في أسوة فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده . هذا في معنى (لا رهبانية في الإسلام) . انظر : مسند أحمد بن حنبل : ٢٢٦/٦ (٢٥٩٣٥) . وأيضاً في سنن الدارمي : كتاب النكاح ، باب النهي عن التبتل ، ١٧٩/٢ (٢١٦٩) .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٨٢/٣ (١١٧٩١) .

(٥) القصص / ٣٢ . تتمّة الآية (اسلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

(٦) الأزهري : التهذيب ، ٢٠٩/٦ .

(٧) ابن منظور : اللسان ، ٣٣٧/٥ ، انظر تاج العروس ٥٤٤/١ .

(٨) الطبري : جامع البيان ٢١/٦ ، ٦٩/١٠ .

(٩) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٩/٢ .

والشوكاني قال : أي ادخلوا الرهبة في قلوبهم إدخالاً شديداً^(١) .
وكذلك ذكر البغوي : أي أرهبوهم وأفزعوهم^(٢) .
وفي الجلالين : (استرهبوهم) : أي خوفوهم^(٣) . وقال أبو حيان : (واسترهبوهم)
أي أرهبوهم (واستفعل) هنا بمعنى (أفعل) . والرهبنة الخوف والفزع^(٤) .
والرهبانية من الرهب وهو الخوف وذلك أنهم غلوا في العبادة وحملوا على
أنفسهم المشقات في الامتناع عن المطعم والمشرب والمنكح وتعلقوا بالكهوف
والصوامع لأن ملوكهم غيروا وبقى منهم نفر قليل فترهبوا وتبتلوا^(٥) .
وقال البيضاوي : الرهبانية هي المبالغة في العبادة منسوبة إلى الرهان وهو المبالغ
في الخوف من الرهب^(٦) .

وقوله تعالى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) أي ابتدعوها من قبل أنفسهم ، رهبانية
أي الترهّب في الصوامع (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما أمرنا بها . (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ
اللَّهِ) لكنهم ابتغوا بتلك الرهبانية رضوان الله (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا) أي قصرُوا
في تلك الرهبانية حين لم يؤمنوا بمحمد عليه السلام (فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ)
بمحمد عليه السلام (أَجْرَهُمْ) (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) وهم الذين لم يؤمنوا به^(٧) .
والرهب أيضاً : الخوف كما في قوله تعالى : (واضمم إليك جناحك من الرهب)
قال الطبري : أي من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول
الحية^(٨) .

وتحدث القرطبي عن القراءات المختلفة في قوله تعالى : (من الرهب) فقال قرأت
بفتح الراء وإسكان الهاء ، وأيضاً بضم الراء وجزم الهاء ، وأيضاً قرأت بفتح

(١) الشوكاني : فتح القدير ٨٣٣/٢ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي ٢٦٥/١ .

(٣) تفسير الجلالين ٢٠٩/١ .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٦١/٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ٢٥٢/٥ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٠٤/١ .

(٧) الواحدي : الوجيز ١٠٧١/١ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ٦٩/١٠ .

الراء والهاء . والرهب هو الخوف والمعنى إذا هلك أمر يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك وأرددها إليه تعد كما كانت ، وقيل أمره الله أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه خوف الحية^(١) .

وقال ابن كثير (من الرهب) : أي من الفرع ، والظاهر أن المراد أعم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب ، وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده أو يخف إن شاء الله^(٢) ، وهذا قول ابن كثير في هذه الآية .

وتحدث الزمخشري عن المعجزة من ضم الجناح ، فقال : الرهب الخوف وفي الآية معنيين : أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية : فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له : إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء . فإذا ألقيتها فكلما تتقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها ليحصل الأمران : اجتناب الغضاضة وإظهار معجزة أخرى ، وأضاف والمراد بالجناح اليد ، لأن يد الإنسان بمنزلة جناحي الطائر ، فإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه^(٣) .

والثاني : أن يراد بضم جناحه إليه : تجلده وضبطه نفسه استعارة من فعل الطائر . وفي مفردات القرآن : الرهبة والرهب : مخافة مع تحرز واضطراب ، واسترهبوهم : حملوهم على أن يرهبوا والرهب : التعبد وهو استعمال الرهبة والرهبانية : غلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة^(٤) .

إذاً الرهب هو الخوف واسترهبوهم أخافوهم أو حملوهم على الخوف . بذلك قال ابن منظور والمفسرون وابن كثير قال الرهب هو الفرق .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٥٢/٣ ، انظر أيضاً : ابن خالويه : الحجة في القراءات السبعة ، ٢٧٧/١

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥١٤/٣ . .

(٣) الزمخشري : الكشاف ، ٠٩٣/١

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٩/١ .

المعنى العام للنص :

قال موسى (أَلْقُوا) كرماً وتسامحاً أو ازدراء بهم ووثوقاً على شأنه (فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه (وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ) وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم طلبوا رهبتهم (وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ) في فنه روي أنهم ألقوا حبلاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً^(١) .

النص رقم ١١٦

قال تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ) (٢)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رهط : رهط الرجل : قومه وقبيلته ، يقال هم رهطة دنية ، والرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة وبعض يقول من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر ، وقيل الرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة ، ورهط جمع لا واحد له من لفظه مثل ذو ، ولذلك نسب إليه نسب على لفظه فقيل رهطي وجمع الرهط أرهط وأرهاط وأراهط ، وقال ابن سيدة : والسابق إلى من أول وهلة أن أراهط جمع أرهط لضيقه أن يكون جمع رهط ، ولكن سيبويه جعله جمع رهط^(٣) ، وقال الليث : يجمع الرهط من الرجال أرهطاً والعدد أرهطة ثم أراهط^(٤) ، قال الشاعر :

يا بؤس للحرب التي وصفت أراهط فاستراحوا

وقد يكون الرهط من العشرة ، الليث : تخفيف الرهط أحسن من تثقيله ، وروي الأزهري عن أبي العباس أنه قال : المعشر والرهط والنفر والقوم هؤلاء معناتهم الجمع ولا واحد لهم من لفظهم ، وهو للرجال دون النساء^(٥) ، قال :

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٧/١ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٨

(٣) ابن سيدة / المحكم ١٧٦/٤

(٤) سيبويه ، الكتاب ٢٥٩/١

(٥) الأزهري : التهذيب ، ١٧٤/٦

والعشيرة أيضا الرجال(١) .

دراسة النص :

قال الطبري : وكان في مدينة صالح وهي حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون(٢) .

وقال القرطبي : (تسعة رهط) أي تسعة رجال من أبناء أشرفهم(٣)

وقال الشوكاني : أي تسعة رجال من أبناء الأشراف ، و اضاف الشوكاني قائلاً : والرهط اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم جماعة ، والجمع أرهط ، وارهط وهؤلاء التسعة هم أصحاب قدار عافر الناقة(٤) .

وقال البيضاوي : (تسعة رهط) أي تسعة أنفس ، وإنما رفع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة إلى السبعة أو السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة(٥) .

وفي الجلالين : (رهط) هم الرجال(٦)

وقال النسفي (رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به ، فكأنه قيل تسعة أنفس ، وهو من الثلاثة إلى العشرة(٧) .

وابن كثير قال : الرهط هم النفر(٨)

وفي مفردات القرآن : الرهط العصابة دون العشرة ، وقيل يقال إلى الأربعين ، كما جاء في الآية ، وأيضا قال تعالى : (وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) (٩)

(١) ابن منظور : اللسان ٣٤٣/٥ انظر تاج العروس ٤٨٤٨/١

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٥٣/٩

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٣/١٣

(٤) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ٢٠٥/٤

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٧٠/١

(٦) الجلالين : تفسير الجلالين ٥٠٠/١

(٧) النسفي : تفسير النسفي ٢١٦/٣

(٨) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٨٩٢/٢

(٩) سورة هود الآية ٩١

(ويا قوم ارهطي) (١) والرهطاء : يقال الرهط والرهطاء والراهطاء : حجر من حجر اليربوع ويقال لي رهطة (٢)

وقال الزركشي : حق ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يكون اسم جنس أو اسم جمع وحينئذ يجر بـ(من) نحو (أربعة من الطير) ويجوز إضافته نحو (تسعة رهط) (٣)

وقال الزمخشري : أنهم أضافوا إلى رهط ونفر ولم يضيفوا إلى قوم وبشر فقالوا : ثلاثة نفر وتسعة رهط ولم يقولوا ثلاثة بشر وثلاثة قوم ، قال لأن بشراً يكون للكثير وقوم للقليل ، والكثير ورهط ونفر لا يكونان إلا للقليل ، فلذلك أضافوا إليه ما بين الثلاثة إلى العشرة لأن ذلك في معنى ما كان لأدنى عدد (٤) .

وقال الرازي : رهط الرجل قومه وقبيلته ، والرهط ما دون العشرة من الرجال ، لا يكون فيهم رهط المرأة ، وفي الآية (رهط) جمع وليس لهم واحد من لفظهم ، والجمع أرهط وأرهاط وأراهط كأنه جمع أرهط وأراهيط (٥) .

وفي كتاب معجم البلدان وجدته يذكر ما ذكره ابن منظور حيث قال : رهط بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره طاء مهملة ورهط الرجل قومه وقبيلته ، والرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، قال تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ) وليس لهم واحد من لفظهم والجمع أرهط وأرهاط وأراهط (٦) .

وبذلك نجد جموع ما ذكره المفسرون وعلماء اللغة ، هو ما ساقه ابن منظور موضعاً به معنى الرهط ، وهو النفر ، وهو الرجال دون النساء ، ورهط الرجل قومه وقبيلته ، والرهط من الثلاثة إلى العشرة وأيضاً هو اسم جمع لا واحد له .

(١) سورة هود الآية ٩٢

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٠٩/١

(٣) البرهان في علوم القرآن ١١٨/٤

(٤) محمود بن عمر الزمخشري : الفائق في غريب الحديث - دار المعرفة - لبنان - ط ٢ - تحقيق علي محمد

البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٤٣/٣

(٥) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١

(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٠٨/٣

المعنى العام للنص :

قال البغوي : قال تعالى (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) يعني : مدينة ثمود وهي الحجر (تِسْعَةَ رَهْطٍ) من أبناء أشرافهم (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقرها كانوا يعملون المعاصي(١) .

النص رقم ١١٧

قال تعالى : (وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (٢)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رهق : الرهق الكذب والرهق السفه والنوك(٣) ، والرهق : الاثم ، والرهق : التهمة ، ورهق فلان فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه ، وارهقناهم الخيل : الحقناهم اياها ، وفي التنزيل (وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) أي لا تخشى شيئاً وارهق عسرا : أي كلفه اياه ، تقول : لا ترهقني لا ارهقك الله أي لا تعسرني لا أعسرك الله ، والرهق : غشيان الشيء ورهقه بالكسر يرهقه رهقاً أي غشيه ، وفي التنزيل (وَلَا يَرَهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) (٤) أي لا يغشاها ولا يلحقها ، وفي الحديث : (إذا صلى أحدكم إلي شيء فليرهقه) (٥) أي فليغشه ويدن منه ولا يبعد عنه ، وقال الزجاج في قوله تعالى : (وَأَنَّهَ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قيل كان أهل الجاهلية إذا مرت فرقة منهم بواد يقولون : نعوذ بعزير هذا الوادي من مردة الجن ، فزادوهم رهقا أي ذلة وضعفا(٦) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/١٧٠

(٢) الكهف / ٧٣ (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)

(٣) النوك : هو الحمق ، انظر الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ١/١٢٣٤ .

(٤) يونس / ٢٦

(٥) الحديث : (إذا صلى أحدكم إلى ستره فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته)

انظر أبو نعيم امد بن عبد الله الاصبهاني : حلية الاولياء وطبقات الأصفياء - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٤ -

١٤٠٥هـ - ١٦٥/٣

(٦) الزجاج : معاني القرآن ، ١٨٣/٥ والآية من سورة الجن

وقال قتادة : زادوهم اثماً^(١)

وقال الكلبي : زادوهم غياً^(٢)

وقال الزهري : فزادوهم رهقا هو السرعة إلى الشر^(٣) وفي حديث موسى والخضر : فلو أنه أدرك أبويه لارهقهما طغيانا وكفرا^(٤) أي اغشاهما وأعجلهما وفي التنزيل : (أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا)^(٥) والرهق الظلم ، وفي التنزيل (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا)^(٦) أي ظلماً ، وقال الازهري : في هذه الآية الرهق اسم من الإرهاق وهو أن يحمل عليه ما لا يطيقه^(٧) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري حيث قال الطبري : ترهقني : أي لا تغشني من أمري عسرا . (وَلَا يَرْهِقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرًا وَلَا ذَلَّةً) لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر وفي قصة موسى والخضر فالغلام كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فكان يرهقهما أي يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به ، وقال الطبري في معنى قوله تعالى (فزادوهم رهقا) قال : فزاد الإنس الجن بفعالهم اثما ، وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله ، والرهق في كلام العرب : الإثم وغشيان المحارم (وأرهق) أيضا يأتي بمعنى الظلم كما في الآية (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) أي فمن يصدق بربه فلا يخاف أن ينقص من حسناته فلا يجازى عليه ولا رهقا ولا اثما يحمل عليه من سيئات غيره أو سيئة يحملها^(٨) .

(١) انظر الطبري - جامع البيان ٢٦٣/١٤

(٢) الكلبي ، التسهيل ١٥٣/٤

(٣) الازهري : التهذيب ٣٩٧/٥

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧/٤ (٢٣٨٠)

(٥) الكهف / ٨٠

(٦) الجن / ١٣

(٧) ابن منظور ، اللسان ٣٤٥/٥ انظر تاج العروس ٦٣٤٩/١

(٨) انظر الطبري ، جامع البيان ٢٥٧/٨ ، ٥٤٩/٦ ، ٢٦٥/٨ ، ٢٦٧/١٢

وقال القرطبي (ترهقهم) أي تغشاهم (ويرهق) أي يكلفها والمعنى يلغيهما حبه في اتباعه فيضلاً ويتدينا بدينه^(١) .

وقال ابن كثير (لا ترهقني) أي لا تضيق على ولا تشدد علي^(٢)

وذكر الشوكاني أن معنى يرهق يلحق ، ومنه قيل : غلام راهق إذا لحق بالرجال ، وقيل يعلو ، وقيل يغشى ، والمعنى متقارب (لا ترهقني) : أرهقه عسراً إذا كلفه ، والمعنى عاملني باليسر لا بالعسر ، ورهقه : أي غشيه وارهقه أغشاه واطاف أن الرهق يكون بمعنى الظلم أيضاً ، كما في قوله تعالى : (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) أي لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادة في سيئاته^(٣) .

وقال الإمام الرازي في معنى قوله تعالى (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأُنسِ يَعُونُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) وإنه كان رجال فيه قولان : الأول وهو قول جمهور المفسرين : أن الرجل في الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزير هذا المكان من شر سفهاء قومه فيبيت في جوار منهم حتى يصبح ، وقال آخرون كان أهل الجاهلية إذا قحطوا بعثوا رائدهم فإذا وجد مكاناً فيه كلاً وماء ، رجع إلى أهله فيناديهم فإذا انتهوا إلى تلك الأرض نادوا نعوذ برب هذا الوادي من أن يصيبنا آفة ، يعنون الجن (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أي زادوهم اثماً وجرأة وطغياناً وخطيئة وغيا وشرأ^(٤) .

وقال البغوي : الرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم^(٥) . وكذلك قال ابن حيان : لا ترهقني لا تغشني وتكلفني^(٦) .

وذكر ابن الأثير المعاني التي ذكرها ابن منظور والمفسرون فقال : الرهق من باب تعب ورهقه أدركته (ورهقه الدين) غشيه وغيرها من المعاني^(٧) .

(١) الرازي ، التفسير الكبير ١٦٨/٣٠

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ١١٣٢/٣

(٣) انظر الشوكاني ، فتح القدير ٦٣٤/٣ ، ٦٣٢/٣ ، ٤٣٤/٣ ، ٤٢٦/٥

(٤) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/٨ ، ٣٥/١١

(٥) البغوي ، تفسير البغوي ٢٣٨/١

(٦) ابن حيان : البحر المحيط ، ١٤١/٦ .

(٧) ابن الاثير ، النهاية ٦٧٧/٢ انظر أيضا الفراهيدي ، كتاب العين ٣٦٦/٣

إذا الرهق يأخذ معاني كثيرة وفي الآية يأتي بمعنى الغشيان وايضا الظلم .

المعنى العام للنص :

هذه الآية تتحدث عن قصة الخضر وموسى عليهما السلام ، عندما اشترط الخضر عليه السلام على سيدنا موسى عليه السلام أن يصحبه مقابل ألا يسأله عن شيء حتى يخبره هو ، ولكن سيدنا موسى عليه السلام خالف الشرط فقال عن الخضر عليه السلام : (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) وهنا اعتذر موسى عليه السلام قائلاً (قَالَ لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا) أي لا تغشني من أمري عسراً ، وهو اتباعه اياه ، يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإفشاء وترك المناقشة^(١) .

النص رقم ١١٨

قال تعالى : (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ)^(٢)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رهن : الرهن : معروف قال ابن سيدة : الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه^(٣) ، يقال : رهنت فلاناً داراً رهناً وارتهنته إذا أخذه رهناً ، والجمع رهون ، ورهان ورهن ضم الهاء والرهينة واحدة الرهائن ، في الحديث (كل غلام رهينة بعقيقته)^(٤) .
وفي التنزيل العزيز (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ) قرأ نافع وعاصم (فرهان مقبوضة)
وقرأ أبو عمرو وابن كثير (فرهن مقبوضة) وكان أبو عمرو^(٥) يقول : الرهان

(١) انظر الرازي : التفسير الكبير ١٣١/٢١

(٢) (وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ) (البقرة: من الآية ٢٨٣)

(٣) ابن سيدة ، المحكم ٢١٤/٤

(٤) الموطأ - رواية محمد بن الحسن ٦٢٨/٢ (٦٥٨) سنن أبي داود ٨١٧/٢ (٨٣٧) سنن احمد بن حنبل ٧/٥ (٤٠٠٩٥)

(٥) أبو عمرو هو : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحسين التميمي ، المازني البصري ، الإمام العلامة المقرئ اللغوي الشعري النحوي ، وهو أحد القراء السبعة وكان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعريبة والشعر ، ولد سنة ٧٠هـ ، وتوفي سنة ١٥٦هـ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ٨٧/١ .

في الخيل^(١) .

وقال الفراء : من قرأ فرهن فهي جمع رهان يقال هذا رهن لك أي دائم محبوس عليك ، وقوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)^(٢) وكل امرئ بما كسب رهين^(٣) أي محتبس بعمل ورهينة محبوسة بكسبها ، وقال الفراء : الرهن جمع رهانا مثل نعل ونعال ، ثم الرهان يجمع رهنا ، وكل شيء ثبت ودام فقد رهن والمراهنة والرهن : المسبقة على الخيل وغير ذلك^(٤) .

دراسة النص :

ذكر الطبري القراءات المختلفة للاية ، فذكر أن بعضهم قرأها رهن ، ورجح قراءة (رهان) قائلاً لأن ذلك الجمع معروف لما كان اسم على فعل كما يقال حبل وحبال ، ولم يذكر معنى تحديداً لكلمة (رهان) قال تأوله البعض أن رهناً بضم الراء والهاء جمع رهان^(٥) .

أما القرطبي فقال : معنى الرهن : احتباس العين وثيقة بالحق يستوفي الحق من ثمنها أو من ثمن منافعها عند تعذر أخذه من الغريم وذكر المعاني المختلفة من أقوال أهل اللغة والتفسير^(٦) .

وكذلك ابن كثير لم يذكر معنى كلمة رهن وإنما قال في هذه الآية إذا لم يجدوا كاتباً أو وجدوه ولم يجدوا أدوات الكتابة فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة أي في يد صاحب الحق^(٧) .

وقال البغوي : أي ارتهنوا واقتبضوا^(٨) .

(١) انظر الطبري : جامع البيان ، ١٣٩/٣ .

(٢) المدثر / ٣٨

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ١٨٨/١

(٤) ابن منظور : اللسان ، ٣٤٨/٥

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٣٩/٣

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٨٦/٣

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٥٠/١

(٨) البغوي : تفسير البغوي ٣٥٢/١

وذكر أبو السعود : فرهان مقبوضة أي فالذي يتوثق به^(١)

وقال البخاري : الرهان جمع رهن وهو في اللغة مطلق الحبس وشرعا حبس شيء وثيقة بدين يمكن استيفاءه منه عند تعذر الوفاء (مقبوضة) في يد صاحب الدين وهو المرتهن ولا يلزم الرهن إلا بالقبض^(٢) .
وقال الجصاص في هذه الآية : أي إذا عدتم التوثق بالكتاب والأشهاد فالوثيقة برهان مقبوضة ، وقام الرهن في باب التوثق في الحال التي لا يصل فيها إلى التوثق بالكتاب ، والإشهاد مقامهما وإنما ذكر حال السفر لأن الأغلب فيما عدم الكتاب والشهود ، وقد روى مجاهد : أنه كان يكره الرهن إلا في السفر ، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار وعامة السلف في جوازه في الحضر ، فقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ورهنه درعه^(٣) وكذلك ذكر البخاري أن مسافرين جرى هذا القيد على الغالب وليس بشرط وكذلك قوله تعالى ولم تجدوا كاتباً فيصح الرهن في الحضر مع وجود الكاتب .

ذكر ابن منظور أن الرهن معروف ووافقه المفسرون فإنهم لم يذكروا معنى كلمة رهن لأنها معروفة وواضحة ما عدا القرطبي الذي ذكر معناها اللغوي أما باقي المفسرين فذكروا القراءات المذكورة أو المعاني الفقهية أو معنى عام الآية .
وقوله تعالى (فرهان مقبوضة) يقرأ بضم الراء والهاء وبكسر الراء ، واثبات ألف بعد الهاء فالحجة لمن ضم أنه جمع رهنا ورهانا وجمع رهان رهنا وليس في كلام العرب جمع لاسم على هذا الوزن غير رهن ، وسقف والحجة لمن كسر واثبت الألف أنه أراد جمع رهن^(٤) .

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٢٧١/١

(٢) صحيح البخاري ٨٨٢/٢

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢٥٨/٢ والحديث عن عائشة (اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً من يهودي نسيئة ورهن درعاً له من حديد) رواه البخاري في صحيحه ٨٨٦/٢ (٢٣٧٤) وفي سنن البيهقي الكبرى ٣٦/٦ (١٠٩٧٢)

(٤) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ١٠٤/١

وقيل أنها قرئت رهن ، ليفصل بين الرهان في الخيل وبين جمع رهن في غيرها تقول في الخيل راهنته رهانا ، والرهن جمع رهن ، وقال الفراء : الرهن جمع الجمع ورهن ورهان ، وقرأ الباقر فرهان ، وحجتهم أن هذا في العربية أقيس من يجمع فعل على فعال^(١) .

وأما قوله تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) ، قال الطبري : أي كل نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله في الدنيا رهينة في جهنم (إلا أصحاب اليمين)^(٢) . وقال القرطبي : كل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله فأما الزيادة على ثواب العمل فهي من تفضل الله وأضاف يحتمل هذا في الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم . وقال كل نفس مرتهنة بكسبها مأخوذة بعملها إما خلصها وإما أبقها وليست (رهينة) تأنيث رهين في قوله تعالى : (كل امرء بما كسب رهين) لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة ل قيل رهين^(٣) .

وقال ابن كثير أي كل نفس مرتهنة بعملها السيء إلا اصحاب اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم^(٤) .

إذاً اتفق ابن منظور والمفسرون أن (مرهونة) معناها مأخوذة أو محبوسة بعلمها .

المعنى العام للنص :

(وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) الآية أمر الله تعالى عند عدم الكاتب بأخذ الرهن ليكون وثيقة بالأموال ، وذلك قوله (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ) أي فالوثيقة رهن مقبوضة (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا) أي لم يخف خيانتة وجوده الحق (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ أَمَانَتَهُ) أي أمن عليه أمانته (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) بأداء الأمانة (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) إذا دعيتم لاقامتها (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)^(٥) .

(١) ابن زنجلة : حجة القراءات ١٥١/١

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٣١٧/١٢

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٥٩/١٧ ، ٧٨/١٩ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢١٧/٢ .

(٥) الواحدي : الوجيز ، ١٩٥/١

النص رقم ١١٩

قال تعالى : (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رها : رها الشيء رهوا سكن وعيش راه خصيباً ساكناً رافه ، وخمس راه إذا كان سهلاً ، وكل ساكن لا يتحرك راه ورهوا ، وأرهى على نفسه : وقف بها وسكنها ، والأمر منه أراه على نفسك : ي ارفق بها ويقال : افعل ذلك رهوا أي سكتاً على هيئتك ، الاصمعي : يقال لكل ساكن لا يتحرك ساج وراه وزاد

الليثاني : يقال ما أرهيت ذاك أي ما تركته ساكناً ، والارهاء الاسكان ، والرهو : المطر الساكن ، ورها البحر أي سكن ، وفي التنزيل : (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) يعني تفرق الماء منه ، وقيل أي ساكناً على هيئتك ، وقال الزجاج : رها هنا ببس (٢) ، وكذلك جاء في التفسير كما قال عز وجل : (فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) (٣) وقال ابن الأعرابي : (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) قال : واسعا ما بين الطاقات قال الأزهري : رهواً ساكناً ، من نعت موسى أي على هيئتك (٤) قال : وأجود منه أن تجعل رهو من نعت البحر وذلك أنه قام فرقاها ساكنين فقال لموسى : دع البحر قائماً ماؤه ساكناً واعبر أنت البر ، وقيل الرهو أيضا : الكثير الحركة ، وقيل : الرهو الحركة نفسها ، والرهو أيضا : السريع (٥) .

دراسة النص :

قال الطبري اختلف أهل التأويل في معنى الرهو ، قال بعضهم : معناه أتركه على هيئته وحاله التي كان عليها وقال آخرون : اتركه سهلاً وقال بعضهم : اتركه ببساً جدوا ، وقال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال

(١) (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) (الدخان: ٢٤)

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٣٢٤/٤

(٣) طه / ٧٧

(٤) الأزهري : التهذيب ، ٤٠٣/٦

(٥) ابن منظور ، اللسان ، ٣٥٠/٥

معناه : اتركه على هيئته كما هو الحال التي كان عليها حين سلكته ، وذلك أن الرهو في كلام العرب السكون فإذا ترك ساكنا معناه متروك سهلا دمثا وطريقا يبسا ولما أخذ فرعون على آل موسى الأرض إلى البحر قال لهم فرعون : قولوا لهم يدخلون البحر إن كانوا صادقين ، فلما رأهم أصحاب موسى قالوا : إنا لمدركون ، قال : كلا إن معي ربي سيهدين ، فقال موسى للبحر : الست تعلم أنني رسول الله ؟ قال : بلى ! قال وتعلم أن هؤلاء عباد من عباد الله أمرني أن آتي بهم؟ قال : بلى ، قال : اتعلم أن هذا عدو الله ؟ قال : بلى ، قال فافرق لي طريقا ولمن معي ، قال : يا موسى إنما أنا عبد مملوك ليس لي أمر إلا أن يأمرني الله تعالى فأوحى الله عز وجل إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفرك وأوحى إلى موسى أن يضرب البحر وقرأ قوله : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخَشَى) وقرأ قوله (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً) فانفرك اثني عشرة فرقة فسلك كل سبط في طريق (١) .

وأيضاً ذكر القرطبي الأقوال المختلفة للعلماء واطاف أن الرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض أيضاً ومجتمع فيه الماء ، فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت البحر ، وعلى الأولى هو من نعت البحر أي اتركه ساكنا كما هو ، قد انفرك فلا تأمره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه قال قتادة : أراد موسى أن يضرب البحر لما قطعه بعصاه حتى يلتئم وخاف أن يتبعه فرعون فقبل له هذا ، وقيل : ليس الرهو من السكون بل هو من الفرجة بين الشيين يقال : رها ما بين الرجلين أي فرج ، فقوله (رهواً) أي منفرجا ، ورجح القرطبي قول الليث وهو مشى في سكون يقال : رها يرهو رهواً فهو راه وعيش راه وادع خافض وافعل ذلك سهوا رهواً أي ساكنا بغير شدة (٢) .

وقال الشوكاني : أي ساكناً يقال رها يرهو رهواً إذا سكن أي ترك وعيش راه : أي ساكن ورها البحر سكن ، والمعنى : اترك البحر ساكنا على صفته بعد

(١) الطبري ، جامع البيان ٢٣٤/١١

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١١٩/١٦

أن ضربته بعصاك ولا تأمره أن يرجع كما كان ليدخل آل فرعون بعدك وبعد بني إسرائيل فينطبق عليهم فيغرقون^(١) .

وقال البيضاوي : (رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئة بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا فيدخله القبط^(٢) .

وقال النسفي : رهوا : ساكنا^(٣) وأيضا قال النحاس : ساكناً لا تأمره أن يرجع إلى ما كان عليه حتى يحصل فيه آخرهم^(٤) .

وفي مفردات القرآن : رهوا : أي ساكنا وقيل سعة من الطريق ومنه : الرهاء للمفازة المستوية ويقال لكل حفرة مستوية اجتمع فيها الماء رهوا^(٥) .

ورهواً حال في معنى ساكن حيث حصلوا فيه ولا ينفروا منه^(٦) وأيضا اجمع أهل اللغة على أن رها البحر : أي سكن^(٧) .

فقال ابن منظور أن معنى (رهوا) ساكن وقال كذلك بعض علماء التفسير ، وذكر بعضهم أن معنى الرهو منفرج ، أو يابس وكلها معان يمكن أن تتدرج تحت المعنى العام ساكنا ، لأن الله طلب من موسى تركه على حاله ساكنا فكان على حاله ساكناً يابساً منفرجاً .

المعنى العام للنص :

(وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) خلفه وراءك ساكنا غير مضطرب وذلك أن الماء وقف لك كالطود العظيم حين جاوز البحر (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) نغرقهم في ذلك البحر الذي تجاوزه رهوا^(٨) .

(١) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ٨١٦/٤

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٦١/١

(٣) النسفي : تفسير النسفي ١٢٥/٤

(٤) النحاس : معاني القرآن ، ٤٣/٦

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٥٩٣/١

(٦) القيسي : مشكل اعراب القرآن ٦٥٦/٢

(٧) انظر الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١ غريب الحديث للحري ٦٨٠/٢ كتاب العين ٨٤/٤

(٨) الواحدي : تفسير الوجيز ، ٩٨٤/١

النص رقم ١٢٠

قال تعالى : (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : روح : الريح : نسيم الهواء وكذلك نسيم كل شيء وهي مؤنثة وفي التنزيل (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ) هو عند سيبويه فعل، وهو عند أبي الحسن فعل ، والريحة : طائفة من الرح ، عن سيبويه قال : وقد يجوز أن يدل الواحد على ما يدل عليه الجمع ، وجمع الريح أرواح واراويح جمع الجمع وقد حكى أرياح وأرايح ، وأيضا تجمع على أرياح كما قال تعالى : (وأرسلنا الرياح) (٢) وإنما الأرواح جمع روح ، وفي الحديث : (كان يقول إذا هاجت الريح : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) (٣) والعرب تقول : لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة ، يريد : اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها عذابا ، ويحقق ذلك مجئ الجمع في آيات الرحمة ، والواحد في قصص العذاب : (الريح العقيم) (٤) (وريحا صرصرا) (٥) وفي الحديث : (الريح من روح الله) أي من رحمته بعباده (٦) .

وقد تكون الريح بمعنى الغلبة والقوة ومنه قوله تعالى : (وتذهب ريحكم) (٧) .

دراسة النص :

قال الطبري : في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ) قرأ بعضهم وأرسلنا الريح لواقح والريح وهي موصوفة بالجمع (لواقح) أي أن الريح وإن كان لفظها واحدا فمعناها الجمع ، وقيل الرياح لواقح كأنها لقحت لأن منها خير ، وذلك أنها

(١) (مَثَلٌ مَّا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: ١١٧)

(٢) الحجر / ٢٢ (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)

(٣) الطبري في المعجم الكبير ١١/ ٢١٣

(٤) الذاريات / ٤١

(٥) الحاقة ٦- ٨

(٦) ابن منظور ، اللسان ٥/ ٣٥٥

(٧) الأنفال / ٤٦ (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)

تلقح السحاب والشجر ، وقال ابن كثير : (فأرسلنا الرياح لواقح) أي تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردا ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعداً^(١) . وتوصف الريح بالعذاب كما في قوله تعالى (الريح العقيم) وهي التي أرسلت إلى عاد بالعذاب^(٢) وكذلك (ريحا صرصراً) أي ذات صوت شديد وهي التي أهلكت عاداً وقوم هود ، كما قال تعالى : (وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)^(٣) . وقال القرطبي : (ريح صرصر) أي باردة تحرق ببردها كإحراق النار مأخوذ من الصر وهو البرد وقيل أنها الصوت الشديد^(٤) .

وقوله تعالى : (كمثل ريح صر) قال الطبري : ريح فيها برد شديد ، وكذلك قال ابن كثير أنها ريح فيها برد ، ونقل قول مجاهد الذي قال أنها نار^(٥) . وقال الشوكاني : هو البرد الشديد واصله من الصرير الذي هو الصوت فهو حدوث الريح ، وقيل هو صوت النار التي في الريح ، والمقصود نفقة الكفار في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح باردة ، أو نار فاحرقته ، وأهلكته ، فلم ينتفع أصحابه بشيء^(٦) . وقال البغوي : أكثر المفسرين على أنها ريح فيها برد شديد^(٧) . وقال الإمام الزركشي : في الآية إضمار فقد ومع التشبيه على الحرث الذي أهلكته الريح ، أي مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح ، وقيل في الآية

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٢٣/٢

(٢) الطبري ، جامع البيان ٥٠٤/٧

(٣) الطبري ، جامع البيان ٥٢٣/٥

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩١/٥ .

(٥) ابن كثير ، التفسير العظيم ٥٢٧/١

(٦) الشوكاني ، فتح القدير ٥٦٤/١

(٧) البغوي ، تفسير البغوي ٩٤/١

تقديم وتأخير أي كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح فيها صر فاهلكته^(١) .
وقد تكون بمعنى القوة والغلبة كما في قوله تعالى (وذهب ريحكم) قال
الطبري : هذا مثال المراد به : تذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن
والخلل ، بل اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا
تتهزموا^(٢) . وأيضاً قال القرطبي : أي تذهب قوتكم ونصركم^(٣) .

قال ابن كثير أي مودتكم ووجدتكم وما كنتم عليه من الإقبال ، فأمر الله
تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم^(٤) .

وفي المعنى العام لهذه الآية قال الشوكاني : (أمرهم الله سبحانه وتعالى
بطاعة رسوله ونهاهم عن التنازع والاختلاف لأن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو
الجبين في الحرب) (وتذهب ريحكم) قرئ بنصب الفعل وجزمه عطفاً على تفشلوا
على الوجهين . والريح القوة والنصر ، وقيل الريح : الدولة شبهت في نفوذ أمرها
بالريح في هبوبها^(٥) .

وأما مفردات القرآن قال : والريح معروف ، وهي فيما قيل الهواء
المتحرك ، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد
فعبارة عن العذاب ، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع عبارة عن الرحمة فمن
الريح : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا)^(٦) (وكمثل ريح فيها صر) وغيره
وقال في الجمع (وأرسلنا الرياح لواقح) (وأن يرسل الرياح مبشرات)^(٧)
وأيضاً قد يستعار الريح للغلبة في قوله (وتذهب ريحكم)^(٨) .

(١) الزركشي ، البرهان ٣/٤٣٠

(٢) الطبري ، جامع البيان ٦/٢٦١

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨/٢٧

(٤) ابن كثير ، التفسير العظيم ٢/٤١٧

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٢/٤٥٨ .

(٦) القمر / ١٩

(٧) الروم / ٤٦

(٨) الأصبهاني : مفردات القرآن ١/٥٩٥

وفي تاج العروس قال : في الحديث عن أبي هريرة الريح من الروح التي تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوا ، واسألوا الله من خيرها ، واستعينوا بالله من شرها وقوله (من روح الله) أي من رحمة الله والجمع أرواح ، الروح برد (نسيم الريح) وقد جاء في ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها كان الناس يسكنون العالية يحضرون ربهم (وسخ) فإذا أصابهم الروح سطعت أرواحهم ، فيتأذى به الناس فأمرُوا بالغسل .

قالوا الروح بالفتح نسيم الريح كانوا إذا مر عليهم النسيم تلتف بأرواحهم وحملها إلى الناس ، والروح بالتحريك : السعة^(١) .

فتكون الريح مفرد وجمعها رياح ، وقد تكون ريح نفسها توحدت على أنها جمع ، والريح تكون للعذاب والرياح للخير كما يتضح من الآيات وأيضاً تجيء الريح بمعنى القوة وهذا ما ذكره ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي في معنى هذه الآية : أي مثل ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة ، أو المنافقون رياء أو خوفاً ، في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها برد شديد (أَصَابَتْ حَرْتٌ قَوْمٍ) (ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والمعاصي (فَأَهْلَكْتَهُ) عقوبة لهم والمراد تشبيهه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته ريح صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها^(٢) .

النص رقم ١٢١

قال تعالى : (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ)^(٣)

(١) الزبيدي : تاج العروس ١/١٥٩٧ وحديث عائشة ذكر في الموطأ رواية محمد بن الحسن / ابواب الصلاة / باب

الاجتسال يوم الجمعة ١/١٢٧ (٦٨)

(٢) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ١/٨٢

(٣) الواقعة / ٨٩ (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : والريحان : كل بقل طيب الريح واحدة ريحانة .
وقال :

بريحانة من بطن حلية نورت

لها أريح من حولها يد مسنت^(١)

والجمع رياحين ، وقيل : الريحان أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليها أوائل النور ، وفي الحديث : (إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردده)^(٢) وهو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم ، والريحانة الطاقة من الريحان ، الازهري : اسم جامع للرياحين الطيبة الريح ، والطاقة الواحدة : ريحانة .

أبو عبيد : إذا طال النبت قيل قد تروحت البقول فهي متروحة والريحانة: اسم للحنوة^(٣) كالقلم ، والريحان : الرزق ، وقوله تعالى : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) أي رحمة ورزق ، وأما قوله تعالى : (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)^(٤) فمعناه برحمة منه ، وقال قد يكون الروح بمعنى الرحمة ، قال الله تعالى : (وَلَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ)^(٥) سماها روحاً لأن الروح والراحة بها ، قال الازهري : وكذلك في قول عيسى (روح منه) أي رحمة ، وفي الحديث : قال لعلي رضي الله عنه : أوصيك

(١) البيت للشنفرى وهو : عمرو بن مالك الأزدي من قحطان ، شاعر جاهلي يمني صاحب لامية العرب ، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائهم تيرأت منه عشيرته ، ولد سنة ٧٠٠هـ ق.هـ ، ومات ٥٥٤م ، انظر الأصفهاني : الأغاني ، ١/١٨٣ . معنى البيت : حلية مراد بتهامة أعلاه لهذيل واسفله لكانة وبطن حلية في حزن أي أرض غليظة ، ونبت الحزن أطيب من غيره ریحاً . الأرح : توهج الريح وتفرقها في كل جانب ، المسنت : المجذب . انظر ديوان الشنفرى : إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ، ١٩٩٦م ، ص ٣٦ .

(٢) الحديث (إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردده فإنه خرج من الجنة) سنن الترمذي ، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب كراهية رد الطيب ١٠٨/٥ (٢٧٩١) والحديث ضعيف ، ضعفه الالباني انظر : محمد ناصر الدين الالباني : صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ١٤٠/١ حديث رقم ٣٨٥ في ضعيف الجامع

(٣) الحنوة : هو نبات سهلي . انظر الفيروزابادي : القاموس المحيط ، ١/١٦٤٨ .

(٤) المجادلة / ٢٢

(٥) يوسف / ٨٧ (يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)

بريحانتي خيرا قبل أن ينهد ركنك ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا أحد الركنين ، فلما ماتت فطامة قال : هذا الركن الآخر (١) وأراد بريحانته الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وقوله تعالى : (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) (٢) قيل : هو الورد ، وقال الفراء : ذو الورد والرزق ، وقال أيضا العصف ساق الزرع والريحان ورقه (٣) والروح : النفس تذكر وتؤنث والجمع أرواح ، وفي التهذيب : الروح والنفس واحد غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب ، وفي التنزيل : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٤) وتأويل الروح ما به حياة النفس ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود سألوه عن الروح فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله تعالى : (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (٥) قال : أضاف الروح المرسل إلى ربهم إلى نفسه كما تقول ارض الله وسماؤه ، وهكذا قوله تعالى للملائكة : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (٦) ومثل : (وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (٧) والروح في كل خلق من خلق الله تعالى لم يعط علمه أحد ، وقوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (٨) .

قال الزجاج : جاء في التفسير أن الروح الوحي أو أمر النبوة ويسمى القرآن روحاً وقال ابن الأعرابي : الروح الفرح والروح القران ، والروح : الأمر ، والروح : النفس ، قوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) قال أبو العباس : هذا كله معناه الوحي

(١) الاصبهاني ، حلية الأولياء ٢٠١/٣

(٢) الرحمن / ١٢

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ١١٣/٣ .

(٤) الإسراء / ٨٥

(٥) مريم / ١٧

(٦) الحجر / ٢٩

(٧) النساء / ١٧١

(٨) غافر / ١٥

والغالب من الروح الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة ، واطلق أيضا الروح على جبريل (الروح الأمين) و (روح القدس) والروح يذكر ويؤنث .
وقال الزجاج : الروح خلق كالإنس وليس هو بالإنس ، وقال ابن عباس : هو ملك في السماء السابعة ، وجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة والروح عيسى عليه السلام والروح حفظه من الملائكة الحفظة على بني آدم^(١) .

دراسة النص :

ذكر ابن منظور معاني مختلفة لمعنى الروح ، موافق الطبري ، وذلك بقول الطبري الروح بفتح الراء أي له برد والريحان هو الرزق الواسع^(٢) . وأما الروح بضم الراء ففي قوله تعالى : (وأيدهم بروح) أي وقواهم ببرهان منه ونور وهدى وقال الروح في هذا الموضع معناها رحمة منه^(٣) .

وفي قوله تعالى : (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته إلى مريم وروح منه) فقد تحدث الطبري عن اختلاف أهل التأويل في معنى قوله وروح من الله لأنه بأمره كان ، وإنما سمي النفخ روحاً لأنها ریح تخرج من الروح وبعضهم قال وحياة منه بمعنى إحياء الله إياه بتكوينه وقال آخرون ورحمة منه ، أي فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدقته لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد^(٤) .

وتأتي الروح بمعنى الوحي ، ففي قوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) فالروح الوحي من أمره وقال بعضهم النبوة . وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) قال الطبري : هذا القرآن هو الروح أوحاه الله إلى جبريل وجبريل روح نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (نزل به الروح الأمين) فالكتب التي انزلها الله على أنبيائه هي الروح ، والروح هو جبريل

(١) ابن منظور ، اللسان ٣٥٨/٥

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١١/٦٦٥

(٣) المصدر السابق ، ٤/٣٧٢

(٤) المصدر السابق ، ١١/٤٦

كما في قوله (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) أي جبريل (وروح القدس) هو جبريل عليه السلام(١) .

وأضاف والروح خلق من الملائكة ، والروح من الأمور التي استأثر الله بعلمها فقد سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٢) .

وقال القرطبي : الروح والرحمة والروح الاستراحة ، والروح النظر إلى وجه الله تعالى : والريحان الاستماع إلى كلامه ، والريحان هو الرزق(٣) .
وقال ابن كثير روح وريحان أي راحة ورزق(٤) .

وقال الشوكاني : (روح) قراءة الجمهور بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالهم وأما الريحان فقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه(٥) .
وأما السيوطي فذكر الروح : راحة والريحان اختار قول ابن عباس :
الريحان المستريح من الدنيا(٦) .

وقيل الروح نسيم طيب والريحان رزق(٧) .
وفي مفردات القرآن الروح والروح في الأصل واحد وجعل الروح اسماً للنفس ، والروح التنفس وقد أراح الإنسان ، إذا تنفس وأما الريحان ماله رائحة وقيل رزق ثم يقال للحب المأكول وكان في قوله (والحب ذو العصف والريحان)(٨) ، وقيل لأعرابي : إلى أين ؟ فقال : أطلب من ريحان الله أي : من رزقه ، وروى عن

(١) الطبري ، جامع البيان ، ٣٧٩/٨ ،

(٢) المصدر السابق ، ٢٢٠/١٠ ،

(٣) القرطبي : جامع البيان ، ٢٠/١٧ ،

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٠٠/٣ ،

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٢٢٩/٥ ،

(٦) السيوطي : الدر المنثور ، ٣٦/٨ ،

(٧) الجبائي : التبيان ، ٤٠٨/١ ،

(٨) سورة الرحمن / ١٢ .

عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الولد من ريحان الله) (١) لأن
الولد من رزق الله تعالى (٢)

وذكر أبو عمر الدوري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ روح
وريحان بالرفع (٣) .

وفي تاج العروس : الروح : الفرج والروح القرآن والروح الأمر والروح
النفس . والروح بالفتح : الراحة والسرور والروح : الاستراحة من غم القلب .
والروح : الفرج وقيل أصله النفس ثم استقر للفرج . وفي تفسير قوله تعالى
(فروح وريحان) معناه فاستراحة . وقال : قد يكون الروح بمعنى (الرحمة) قال
الله تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله) أي من رحمة الله سماها روحاً لأن الروح
والراحة بها . وكذلك قوله في عيسى : (وروح منه) ، أي رحمة منه (٤) .

وجاء في الترغيب في حفظ القرآن ، الحديث : مثل المؤمن الذي يقرأ
القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ
القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل
الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كممثل
الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر .

إذاً نلاحظ بعد ذكر الأقوال المختلفة اتفاق المفسرين وابن منظور أ، الروح
هو الراحة والريحان المقصود به الرزق (والروح النفس والروح الرحمة والروح
جبريل عليه السلام ، والروح عامة مما استأثر الله بعلمه .

المعنى العام للنص :

قال قتادة : كان الناس ثلاث منازل في الدنيا وثلاث منازل عند الموت

(١) الحديث عن عمر بن عبدالعزيز قال : زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج محتضناً أحد ابني ابنته وهو يقول والله إنكم لتجنون وتبخلون ، إنكم لمن ريحان الله عز وجل ، سنن
الترمذي : كتاب البر والصلة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في حب الولد ، ٣١٧/٤ ، (٢٧٣٥٥) .

(٢) مفردات القرآن ، ٥٩٥/١

(٣) حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهيبان بن عدي بن صهيبان : جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ،
مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، تحقيق د. حكمت بشير ياسين ، ١٦١/١ .

(٤) انظر الزبيدي : تاج العروس ، ١٥٩٧/١ .

وثلاث منازل في الآخرة ، أما الدنيا فكانوا : مؤمن ومنافق ومشارك ، وأما عند الموت فإن الله قال : (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ) ، وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ (١) . ومعنى قوله (فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ)(٢) يقول الله تعالى : فأما إن كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جناته (فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ) أي له برد ورزق واسع(٣) .

النص رقم ١٢٢

قال تعالى : (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) (٤)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : أراد الشيء : شاءه قال ثعلب : الإرادة تكون محبة وغير

محبة فأما قوله :

إذا المرء كان أبوه عبس فحسبك ما تريد إلى الكلام

فإنما عداه بالي لأن فيه حسن الذي يحوجك أو يجيئك إلى الكلام ومثله قول كثير(٥) :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل(٦)

أي أريد أن انسى ، قال ابن سيده : وأرى سيبويه قد حكى ارادتي بهذلي

لك(٧) وقوله عز وجل : (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ) أي أقامه

(١) الواقعة / ٨٨-٩٤

(٢) الواقعة / ٨-١١

(٣) الطبري / ١٠/٤١١ ، ١١/٦٦٥

(٤) (فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَفْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ

لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (الكهف: ٧٧)

(٥) كثير : هو كثير بن عبدالرحمن الخزاعي ، وهو ابن أبي جمعة وكنيته أبو صخر وهو عند أهل الحجاز من أشعر

الشعراء ، ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٥٣٤/٢ .

(٦) ديوان كثير عزة ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م ، ص ١٠٨ .

(٧) ابن سيده / المحكم / ٩/٢١٨

الخضر وقال : يريد والإرادة إنما تكون من الحيوان والجدار لا يريد إرادة حقيقية لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريرين فوصف الجدار بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة ، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر ، قال الراعي :
في مهمة خلقت به هاماتها قلق للفؤوس إذا أردن نعنولا (١)
وقال آخر :

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
واردته بكل ريدة أي بكل نوع من أنواع الاردة ، وأراده على الشيء :
كاداره وقال الليث : وتقول راود فلان جارته عن نفسها وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطء والجماع ومنه قوله تعالى : (تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ) (٢) فجعل الفعل لها وراودته على كذا مرادة وروادا أي أردته ، وفي حديث أبي هريرة : حيث يراود عمه أبا طالب على الإسلام أي يراجعه يراوده ومنه حديث الإسراء : قال له موسى صلى الله عليهما وسلم : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه وراودته عن الأمر وعليه داريته (٣) .
دراسة النص :

قال الطبري : يقول وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط ويقع ، يقال منه انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ، ومنه انقضاض الكوكب .
وأضاف الطبري قائلاً : اختلف أهل العلم بكلام العرب ، في معنى قول الله عز وجل (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) وقال بعض أهل البصرة : ليس للحائط إرادة ولا للموات ولكنه إذا كان في هذه الحال من ورثة فهو إرادته وقال آخرون : إنما كلم القوم بما يعقلون ، قال : وذلك لما دنا من الانقضاض جاز أن يقول : يريد أن ينقض ، قال : ومثله (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرُنَ) (٤) وقولهم : إني لأكاد أطيّر من

(١) أي ثبوتا في الأرض ومنه قولهم نصل السيف إذا ثبت في الرمية مشبه وقع السيف على رؤوسهم بوقع الفؤوس في الأرض فإن الفأس يقع فيه ويثبت لا يكاد يخرج .

(٢) يوسف / ٣٠

(٣) ابن منظور ، اللسان ٣٦٦/٥

(٤) مريم / ٩٠

الفرح ، وأنت لم تقرب من ذلك ، ولم تهتم به ولكن لعظيم الأمر عندك ، ومثله قوله تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) (١) والغضب لا يسكت وإنما يسكت صاحبه ، وهذا من افصح كلام العرب ، وقال : إنما أرادة الجدار : ميله (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) معناه : قد قارب من أن يفع أو يسقط ، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه وقد عقلوا ما عنى به وما استعمى عن فهمه ذور البلادة والعمى ، وضل فيه ذو الجهالة والغباء (٢) هذا ما ذكره الطبري في معنى (يريد) .

وأما القرطبي فقال (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) أي قرب أن يسقط وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله (مائل) فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن ، هو مذهب الجمهور ، وجميع الأفعال التي حقها أن تكون للحي الناطق متى اسندت إلى جماد أو رعية فإنما هي استعارة أي لو كان مكانها إنسان لكان ممثلاً لذلك الفعل ، وهذا في كلام العرب واشعارها كثير فمن ذلك قول الأعشى (٣) :
اتنهنون ولا ينهى ذوى شطط
كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل (٤)
وهذا في هذا المعنى كثير جدا ومنه قول الناس : إن داري تنظر إلى دار
فلان وفي الحديث اشتكت النار إلى ربها، وذهب قوم إلى منع المجاز في القرآن (٥)

(١) الأعراف / ١٥٤

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٢٦١/٨

(٣) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة أحد الأعلام ، من شعراء الجاهلية ، مات سنة ٧هـ . انظر كشف الظنون للقسطنطي ٧٢٦/١٠ . وأيضاً أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ٢٦٢/١ .

(٤) هل تنهنون : انظر ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص ١٥٠ .

(٥) ومن منع المجاز في القرآن أبو اسحق الإسفراييني ، وأبو بكر محمد بن داود الأصبهاني وغيرهما وقالوا إن كلام الله عز وجل وكلام رسوله حمله على الحقيقة أولى بذي الفضل والدين لأنه يقص الحق كما أخبر الله تعالى في كتابه ومما احتجوا به قالوا : لو خاطبنا الله تعالى المجاز لزم وصفه بأنه متجاوز أيضاً فإن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله تعالى محال ، قال الله تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال : (وتقول هل من مزيد) وغيرها كثير ، انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٣/١١ . والمجاز من البلاغة يزيد من قيمة الكلام ويرفع من شأنه والقرآن أولى بالرفعة من غيره من الكلام .

وقال ابن كثير (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) إسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة ، فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل ، والانقضاء هو السقوط(١) .

وقال الشوكاني : إسناد الإرادة إلى الجدار مجاز قال الزجاج : الجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت فيه كما تظهر في أفعال المريرين القاصدين فوصف بالإرادة(٢) .

وقال البغوي : أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب ، لأن الجدار لا إرادة له ، وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب : داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها(٣) .

وقال أبو السعود : أي يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمقاومة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاء الإسراع في السقوط(٤) .

وذكر الزركشي : أنه ليس في الآية مجاز وإنما تضمين حيث قال : (وهذا بخلاف المجاز فإن العدول عن مسماه بالكلية ويراد به غيره ، كقوله جدار يريد أن ينقض ، فإنه استعمل أراد في معنى مقاربة السقوط ، لأنه من لوازم الإرادة ، وإنه من أراد شيئاً فقد قارب فعله ، ولم يرد باللفظ هذا المعنى الحقيقي اذلي هو الإرادة البتة والتضمين أيضاً مجاز لأن اللفظ بالتضمين تفرقة بينه وبين المجاز المطلق(٥) .

وقال السيوطي : يريد كاد بمعنى أراد ، ومنه كذلك (كدنا ليوسف) (أكاد أخفيها) وعكسه قوله كقوله جدار يريد أن ينقض(٦) وأضاف أن في الآية تشبيهاً حيث وصف الجدار بالإرادة وهي من صفات الحي تشبيهاً لميله للوقع بإرادته(٧) .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٣٣/٣

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٣٣/٣

(٣) البغوي : تفسير البغوي ١٩٢/١

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود ٢٣٨/٥

(٥) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٣٣٩/٣

(٦) السيوطي : الإتقان ، ٤٩٠/١

(٧) المرجع نفسه ، ١٠٢/٢

وقال مسلم في صحيحه : هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة
إرادة ومعناه قرب من الانتقاض وهو السقوط^(١) .

وفي تاج العروس : ذكر من المجاز قوله تعالى (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ) أي إقامة الخضر وقال يريد ، والإرادة إنما تكون من من الحيوان
والجدار لا يريد إرادة حقيقية لأن تهيوئه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريرين
فوصف الجدار بالإرادة إذا كانت الصورتان واحدة^(٢) .

إذا مما سبق أراد الشيء : شاءه ، والإرادة لا تكون إلا من عاقل وإنما
استعمالها لغير العاقل كما في الجدار في الآية فهي من باب المجاز ، وبذلك قال
ابن منظور ومعظم علماء التفسير واللغة ، وهذا كثير في اللغة كما أوضحناه من
آبيات الشعر المذكورة .

وأما قوله تعالى (تراود فتاها) فهنا (تراود) ذكر ابن منظور هو طلب
الوطء وبذلك قال الإمام البغوي حيث قال : (إنما تطلب من عبدها الفاحشة)^(٣)
وهذا كما هو معروف في قصة سيدنا يوسف وامرأة العزيز ، وأيضا قال
البيضاوي : (أي تطلب موقعة غلامها)^(٤) .

المعنى العام للنص :

(فَانْطَلَقَا) أي موسى عليه السلام والخضر (حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) قيل
هي قرية أنطاكية ، وقيل ابلة البصرة وقيل باحرزان أرمينية (اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا) وقرئ (يضيفوهما) من أضاف قيل ضافه إذا نزل به ضيفا
واضافه وضيفه أنزله (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) يداني أن يسقط
فاستبعدت الإرادة للمشاركة كما استعير لها العزم (فَأَقَامَهُ) بعموده أو بعموده
به وقيل سمه بيده فقم وقيل نقضه وبناءه^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧/٤ (٢٣٨٠)

(٢) الزبيدي : تاج العروس ٢٠٠١/١ انظر أيضا غريب الحديث لابن سلام ٥٦/٣

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٢٣٦/١

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٨٤/١

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٥١٤/١

النص رقم ١٢٣

قال تعالى : (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) (١)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : روع : راغ يروغ روعاً وروغاناً : حاد وراغ إلى كذا أي مال إليه سراً وحاد ، وفلان يراوغ فلاناً إذا كان يحيي عما يدبره عليه واراغه : خادعه ، وراغ الصيد : ذهب هاهنا وراغ الثعلب : وروغى جدار (وجدار اسم الضبع) ولا تقل روغى إلا للمؤنث والاسم منه الرواغ ، وأراغ وارتاغ بمعنى طلب وأراد ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه سمع بكاء صبي فسأله أه فقالت : إنما أريغه على الطعام (٢) أي أديره عليه وأريده منه ويقال فلان يريغني على أمر وعن أمر أي يراودني وطلبه مني .

وراغ فلان إلى فلان أي مال إليه سراً ، ومنه قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) (٣) كل ذلك انحراف في استخفاء وقيل : اقبل ، وقال الفراء : في قوله تعالى (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) معناه رجع إلى أهله في حال إخفاء لرجوعه ، ولا يقال للذي رجع قد راغ إلا أن يكون مخفياً لرجوعه وقال في قوله تعالى (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ) مال عليهم وكأن الروغ ههنا أي أنه اعتل عليهم روعاً ليفعل بالهتهم ما فعل ، وطريق رائع : مائل ، وفي حديث الاحنف : فعدلت إلى رائعة من روائع المدينة أي طريق يعدل ويميل عن الطريق الأعظم ، قال ومنه قوله تعالى (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا) أي مال واقبل (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) أي عدل إلى أهله ورجع والروغ لا ينطق

به حتى يكون ذهابه أو مجيئه أي لو أخفى رجوعه حسن فيه راغ يروغ (٥) .

(١) الذاريات ٢٦/

(٢) انظر المتقي الهندي وكتز العمال ، ٨٨٧/٤ ، ابن سعد : الطبقات ، ٣٠١/٣ .

(٣) الصافات / ٩٣

(٤) ابن منظور ، اللسان ٣٧٣/٥

(٥) الطبري ، جامع البيان ٤٦٣/١١

وقال ابن كثير (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ) أي انسل خفيةً في سرعة^(١)
وقال الشوكاني : أي عدل إلى أهله خفية^(٢) . وقال الزمخشري : ذهب في خفية
من ورغة^(٣) .

وأيضاً قال البيضاوي : فذهب إليهم في خفية من ضيفه ، فإن من أدب
المضيف أن يبادر بالقول حذراً من أن يكفه الضيف أو يصير منتظراً^(٤) .
وفي قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ) أي مال على آلهة قومه
ضرباً لها باليمين بفأس في يديه يكسرهن^(٥) . وقال القرطبي : أي بالقوة وقوة
الرجل في يمينه^(٦) . وقال ابن كثير : أي مال عليهم ضرباً باليمين ، وقيل باليمين
لأنها أشد وأنكى^(٧) .

وكذلك قال الشوكاني : فمال عليهم يضربهم ضرباً باليمين^(٨) . وقال
البيضاوي : أي مال عليهم مستخفياً ، والتعدية بعلی للاستعلاء وإن الميل لمكروه
(ضرباً باليمين) مصدر لراغ عليهم لأنه في معنى ضربهم أو لمضمر تقديره فراغ
عليهم يضربهم وتقبيده باليمين للدلالة على قوته فإن الآلة تستدعي قوة الفعل .
وقيل (باليمين) بسبب الحلف وهو قوله (تالله لأكيدن أصنامكم)^(٩) .

وقال الأصفهاني : الروغ الميل على سبيل الاحتيال ، ومنه راغ لتغلب
يروغ وروغاناً وطريق رائع إذا لم يكن مستقيماً كأنه يراوغ وراغ فلاناً وراغ
فلان إلى فلان : مال نحوه لأمر يريده منه بالإقبال (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ) أي مال^(١٠) .

(١) ابن كثير ، التفسير العظيم ٣٠٠/٤

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ١٢٤/٥

(٣) الزمخشري : الكشف ، ١٠٦٥/١

(٤) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ٢٣٨/١

(٥) الطبري ، جامع البيان ٥٠٢/١

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦٨/١٥ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٨/٤

(٨) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٧١/٤

(٩) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ١٨/١

(١٠) الأصفهاني ، مفردات القرآن ٦٠٢/١

وفي كتب اللغة : راغ الرجل : يروغ روغاناً وروغاناً بالتحريك أي مال
وحداد عن الشيء ، (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ) رجع إليهم في حال إخفاء ، واصل الروغ
الميل في جانب ليخدع من خلفه^(١) .

إذا اتفق ابن منظور والمفسرون أن راغ معناها مال وفي الآية رجع في خفية .

المعنى العام للنص :

هذه الآية تذكر قصة إبراهيم عليه السلام عندما جاء الملائكة وهم جبريل
وميكائيل واسرافيل ، قدموا إليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة (فَرَاغَ
إِلَى أَهْلِهِ) أي انسل في خفية وسرعة (فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ) أي من خيار ماله لأن
غالبه أموالهم كانت البقرة وفي آية أخرى في سورة هود (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ
حَنِيدٍ)^(٢) أي مشوي^(٣) .

النص رقم ١٢٤

قال تعالى : (لَا رَيْبَ فِيهِ)^(٤)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : ريب : الريب صرف الدهر ، والريب والريبة والشك
والمظنة والتهمة والريبة بالكسر والجمع ريب : والريب ما أربك من أمر ، وقد
رابني الأمر وارايني ، وأربت الرجل : جعلت فيه ريبة ، وربته : أرسلت إليه
الريبة، وقيل: رابني : علمت منه الريبة، وأرابني أوصلت إليه الريبة وظننت ذلك به
ورابني فلان إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه ، وهذيل تقول ارابني فلان
وارتابت فيه أي شك ، واستربت به إذا رأيت منه ما يريبك وأراب الرجل صار ذا
ريبة فهو مريب وفي حديث فاطمة : (يربيني ما يريبها)^(٥) أي يسؤني ما يسؤها

(١) انظر الزبيدي ، تاج العروس ١/٥٦٦٤

(٢) هود / ٦٩

(٣) انظر السيوطي ، ال المنشور ٧/٦٢٠

(٤) البقرة / ١ (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) .

(٥) حديث فاطمة بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذي ما أذاها / انظر سنن الترمذي الكبرى / كتاب المناقب ، مناقب
فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ٥/٩٧ (٨٣٧٠) وفي صحيح البخاري نص الحديث هو :

ويزعجني ما يزعجها .

هو من رابني هذا الأمر وأرابني إذا رأيت منه ما تكرهه وفي حديث : لا يرييه أحد بشيء أي لا يتعرض له ويزعجه^(١) .

وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : مكسبة فيها بعض الربية خير من مسألة الناس)^(٢) ، قال القتيبي : الربية والريب الشك ، يقول : كسب يشك فيه أحلال هو أم حرام خير من سؤال الناس ، لمن يقدر على الكسب ، قال ونحو ذلك المشتبهات .

وقوله تعالى (لا ريبَ فيه) معناه لا شك فيه .

وأراب الرجل : صار ذا ريبة فهو مريب ، قال ابن الأثير : الريب بمعنى الشك مع التهمة^(٣) ، تقول رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني ، وقيل أراب في كذا أي شككت وأوهمني الربية منه ، فإذا استيقنته قلت رابني بغير ألف وفي الحديث : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)^(٤) أي دع ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه .

وقال الأصمعي : هذيل نقلت : أرابني أمره ، وأراب الأمر : صار ذا ريب وفي التنزيل العزيز (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) أي ذي ريب^(٥) .
دراسة النص :

قال الطبري : (لا ريبَ فيه) : أي لا شك فيه^(٦)

وقال القرطبي : (لا ريب) نفي عام ولذلك نصب الريب به ، والريب يأتي بمعنى الشك ، والتهمة والحاجة ، وتقول : رابني هذا الأمر إذا ادخل عليك شكاً

فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم ١٣٦١/٤ (٣٥١٠)

(١) موطأ مالك : رواية يحيى الليثي ، كتاب الحج ، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد ، ٣٥١/١ (٧٨١) .

(٢) الطبراني : المعجم الكبير ، ٧٨/٢٢ .

(٣) ابن الأثير / النهاية ٦٨٤/٣

(٤) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب تفسير المشتبهات ٧٢٣/٢

(٥) ابن منظور ، اللسان ٣٨٥/٥

(٦) الطبري ، جامع البيان ١٢٨/١

وخوفاً ، وأراب : صار ذا ريبة ، فهو مريب ، ورابي أمره ، وريب الدهر صروفه^(١) .

وقال ابن كثير : (لا رَيْبَ فِيهِ) أي لا شك فيه وقد يستعمل الريب في التهمة ومعنى الكلام أن هذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه أنه منزل من عند الله كما قال تعالى في السجدة : (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وقال بعضهم هذه خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه^(٢) .

وقال الشوكاني : (لا رَيْبَ فِيهِ) أي لا مبدل له ، والريب مصدر وهو قلق النفس واضطرابها ، وقيل إن الريب : الشك وقال أيضاً يستعمل الريب في التهمة والحاجة ومعنى هذا النص العام أن الكتاب ليس بمظنة للريب لوضوح دلالاته وضوحاً يقوم مقام البرهان المقتضي لكونه لا ينبغي الارتباب^(٣) .
وقال البغوي : أي لا ترتابوا فيه^(٤) .

وجاء في مفردات القرآن : بين الريب والشك فرق ، فالريب : تحصيل القلق وإفادة الاضطراب والشك : وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا ترجح أحدهما على الآخر ، فنقع في الاضطراب والحيرة ، فاستعمال الريب في الشك مجاز من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ، ولا ريب فيه لا شك فيه^(٥) .
إذاً الريب هو الشك وهو التهمة ذكر ذلك ابن منظور موافقاً فيه ما جاء عند المفسرين .

المعنى العام للنص :

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) أي كتاب الله تعالى لا شك فيه ولا ارتياب ، والمعنى : أنه في ذاته حق ، وأنه منزل من عند الله ، وصفة من صفاته غير مخلوق ولا محدث وإن وقع ريب للكفار ، وقيل هو خبر معناه النهي أي لا ترتابوا وتم الكلام كأن قال ذلك حقاً^(٦) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٦٥/١

(٣) الشوكاني ، فتح القدير ٥٤/١

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٢٥/١

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ٣/١

(٦) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١

النص رقم ١٢٥

قال تعالى : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الريح : الريح النماء والزيادة ، والريح : الجبل والجمع كالجمع ، وقيل الواحدة ريعة والجمع رياح ، وحكى ابن بري عن أبي عبيدة : الريعة جمع ريع خلاف قول الجوهري (٢) ، قال ذو الرمة (٣) : طراق الخوافي واقفاً فوق ريعة فولى ليله في ريشه يترقرق (٤) .

والريح : السبيل ، سلك أو لم يسلك ، قال : كظهر الترس ليس بهن ريع والريح والريح : الطريق المنفرج من الجبل ، وقوله قال : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً) وقرئ بكل ريع قال في تفسيره : بكل مكان مرتفع ، قال الأزهري : ومن ذلك كم ريع أرفعك ، أي كم ارتفاع أرفعك وقيل معناه بكل فج ، والفج الطريق المنفرج في الجبال خاصة وقيل : بكل طريق وقال الفراء : الريح والريح لغتان مثل اليرير واليرير (٥) ، والريح برج الحمام (٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : والريح : كل مكان مشرف من الأرض مرتفع أو طريق أو واد ، وفيه لغتان : ريع وريع بكسر الراء وفتحها (٧) . وقال القرطبي : الريح ما ارتفع من الأرض وهو جمع ريعة وكم ريع أرفعك ، أي كم ارتفاعها ، ونقل قول قتادة : الريح الطريق (٨) .

(١) الشعراء / ١٢٨

(٢) ابن بري : مهمل

(٣) ذو الرمة هو غيلان بن عقبة ، ويكنى أبا الحارث وأمه ظبية ، كان من أحسن الشعراء حتى قيل أنه ختم الشعر به ، وتوفي وهو في الأربعين من عمره . ابن سلام : طبقات فحول الشعراء .

(٤) ديوان ذو الرمة ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٤م ، ص ٤٨٨ .

(٥) الفراء : معاني القرآن ، ٢٨١/٢ .

(٦) ابن منظور : اللسان ، ٣٩٢/٥ .

(٧) الطبري ، جامع البيان ٤٥٩/٩

(٨) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٣

وأضاف القرطبي قائلاً : الريع الجبل الواحد ريعه ، والجمع ريعا وقال مجاهد : هو الفج بين جبلين^(١) .

وقال ابن كثير : (اختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع ، عند جواد الطرق المشهورة بينون هناك بنياناً محكماً هائلاً باهراً)^(٢) .
وأيضاً قال الشوكاني : الريع المكان المرتفع من الأرض جمع ربيعة^(٣) .
وقال الواحدي : أي شرف ومكان مرتفع^(٤) .

وقال النحاس : (معروف في اللغة أن يقال لما ارتفع من الأرض ريع والطريق ريع)^(٥)

ومن مفردات القرآن : الريع : المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد الواحدة ربيعة ، وفي الآية : أي بكل مكان مرتفع وللاارتفاع ، قيل : ريع البئر : الجثوة المرتفعة حو اليها ، وريعات كل شيء أوائله التي تبدو منه ، ومنه استعير الريع للزيادة والارتفاع الحاصل منه^(٦) .

وفي مختار الصحاح : الريع بالفتح النماء والزيادة ، أرض مريعة بالفتح بوزن مبيعة اي مخصبة وريعان ريع كل شيء أوله ، ومنه ريعان الشباب وفرس رائع أي جواد ، والريع بالكسر المرتفع من الأرض ، وقيل الجبل ، ومنه قوله تعالى : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)^(٧) .

ذكر ابن منظور معاني كثيرة لكلمة ريع ، فقال الريع النماء والريع الجبل ، والريع الطريق ، والمكان المرتفع ، واتفق جميع المفسرين على المعنيين الأخيرين وأضاف البعض باقي المعاني كما ورد في الدراسة .

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٣

(٢) ابن كثير ، التفسير العظيم ٤٥٤/٣

(٣) الشوكاني ، فتح القدير ١٥٧/٤

(٤) الواحدي ، الوجيز ٧٩٣/١

(٥) النحاس ، معاني القرآن ٩٢/٥

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٠/١

(٧) الرازي ، مختار الصحاح ٢٦٧/١

المعنى العام للنص :

قال البيضاوي : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) أي بكل مكان مرتفع ، ومنه ريع الأرض لارتفاعها (آية) علماً للمارة (تعبتون) بنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فلا يحتاجون إليها ، أو ببرج الحمام أو بنياناً يجتمعون إليه للعبث بمن يمر عليهم أو قصور يفتخرون بها^(١) .

النص رقم ١٢٦

قال تعالى : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٢)

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : رين : الرين الطبع والدنس ، والرین : الصداً الذي يعلو السيف والمرآة ، وران الثوب : رينا تطبع والرین الصداً يغشى القلب ، وران الذنب على قلبه يرين رينا وريوناً غلب عليه وغطاه ، وفي التنزيل العزيز : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي غلب وطبع وختم ، وقال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ورانت عليه الخمر : غلبته وغشيته ، وكذلك النعاس والهم ، وقال الفراء في الآية : كثرة المعاصي منهم والذنوب فأطاحت بقلوبهم فذلك الرين عليها^(٣) وجاء في الحديث : أن عمر رضي الله عنه قال في اسبوع جهينة لما ركب الرين : قد رين به^(٤) يقال قد أحاط بماله الرين وعلقه الديون ، وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال العبد يذنب الذنب فتنتكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن عاد نكتت أخرى حتى يسود القلب ، فذلك الرين^(٥) ، وقال أبو معاذ النحوي^(٦) : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع أن يطبع على القلب وهو اشد من الرين ، قال وهو الختم قال والأفقال اشد من الطبع وهو

(١) انظر البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٤٧/١

(٢) سورة المطففين / ١٤

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٢٤٦/٣

(٤) موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى الليثي ، كتاب الوصية ، باب جامع القضاء وكرهيته ، ٧٧٠/٢ ، ٠١٤٦٠ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ، ٢٩٧/٢ (٧٩٣٩)

(٦) أبو معاذ النحوي من أهل مرو ، روى عن عبدالله بن المبارك . ابن سعد : الطبقات ، ٣٧٩/٧ .

أن يقفل على القلب ، وقال الزجاج : وران بمعنى غطى على قلوبهم(١) يقال : ران على قلبه إذا غشى على قلبه ، وفي حديث مجاهد في قوله تعالى : (وأحاطت به خطيئته)(٢) قال : هو الران والرین سواء ، وفي حديث علي عليه السلام : لتعلم أينا الرين على قلبه والمغطى على بصره ، المرين المفعول به الرين والرین سواد القلب وجمعه ريان(٣) .

دراسة النص :

يقول الطبري : (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أي غلب على قلوبهم وغمرها ، وأحاطت به الذنوب فغطتها ، يقال منه : رانت الخمر على عقله ، فهي ترين عليه رينا إذا سكر فغلبت على عقله(٤) .

وذكر القرطبي : أنه الذنب على الذنب حتى يسود القلب ، وذكر قول مجاهد : هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، ثم يذنب الذنب فيحيط بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه(٥) .

وأما ابن كثير فقد فسر الرين قائلاً : (ليس الأمر كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه ، وتنزيل على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين كالذي قد يصيب قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، والرین قلوب الكافرين ، والقيم للأبرار والغين للمقربين)(٦) .

وقال البغوي : وأصل الرين : الغلبة يقال : رانت الخمر على عقله رينا وريونا ، إذا غلبت عليه ، فسكر ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها(٧) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٣١/٥

(٢) (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٨١)

(٣) ابن منظور ، اللسان ٣٩٥/٥

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٤٨٩/١٢

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٧/١٩

(٦) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٢٤/٤

(٧) البغوي تفسير البغوي ، ٣٦٥/١

وقال ابن الجوزي : ران على قلبه يرين ريناً إذا غشى على قلبه والرين كالصدأ يغشى على القلب^(١) .

وقال الصنعاني : هو الذنب على الذنب حتى يرين على القلب فيسود^(٢) .
وفي مفردات القرآن الرين:الصدأ يعلو الشيء الجلي،قال (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر، أوردته القوم قد ران النعاس بهم،فقلت إن نهلوا من جملة قيلوا وقد رين على قلبه^(٣).
وذكر الترمذي في سننه عن أبي هريرة : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد إذا اخطأ خطيئة نكثت في قلبه نكثة سوداء فإذا هو استغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها ، حتى تعلق قلبه ، وهو الران الذي ذكره الله : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٤) .

وفي كتب اللغة ذكر الرازي : أن الرين هو الطبع والدنس يقال ران ذنبه على قلبه : أي غلب^(٥) .

وقال ابن الأثير : اصل الرين : الطبع والتغطية ، أي طبع وختم^(٦) .
إذا الرين هو الطبع والدنس وهو الصدأ وهو كثرة الذنوب وتراكمها على القلب وبذلك قال ابن منظور والمفسرون .

وقرأ حمزة والكسائي (بل ران على قلوبهم) بالإمالة ، وقرأ الباقر وغير إمالة ، وإنما جاءت الإمالة لأن الألف منقلبة عن ياء ، وترك الإمالة أحسن ، لأنه ليس فيها ياء في لفظها ولا كسرة بعدها ولا قبلها ، وقرأ حفص بل ران بإظهار اللام

(١) ابن الجوزي : زاد المسير ٥٦/١

(٢) الصنعاني : تفسير الصنعاني : ٣٥٦/٣

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٠٥/١٠

(٤) الحديث ذكره الترمذي في سننه باب ومن سورة ويل للمطففين ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ٤٣٤/٥ (٣٣٣٤)

وأيضاً في سنن ابن ماجه ، باب ذكر الذنوب ، كتاب الزهد ، ١٤١٨/٢ (٤٢٤٤)

(٥) الرازي : مختار الصحاح ٢٦٧/١

(٦) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٦٩٦/٢

عند الراء ، قال لأن بل من كلمة واران من كلمة أخرى ، وقرأ الباقون بالإدغام لقرب المخرجين^(١) .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (بل ران) بفتح الراء مدغمة^(٢) .

المعنى العام للنص :

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أي غلب عليها حتى غمرها وغشيها (مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ) من المعاصي وهو كالصدأ يغشي القلب^(٣) .

^(١) ابن زنجلة : حجة القراءات ٧٥٤/١

^(٢) ابن مجاهد : السبعة في القراءات ٦٧٥/١

^(٣) الواحدي : الوجيز ، ١١٨٣/١

الفصل الثالث

حرف الزاي

النص قم ١٢٧

قال تعالى : (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزبر الحجارة ، وزبره بالحجارة : رماه بها ، والزبر : طئ البئر بالحجارة ، يقال : بئر مزبورة ، وزبر البئر زبراً : طواها بالحجارة ، وزبرت الكتاب ، وزبرته : قرأته . والزبر : الكتابة ، وزبر الكتاب يزبره ويزبره: كتبه ، وزبرت الكتاب إذا اتقنت كتابته ، والزبر : الكتاب والجمع زبور مثل قدر قدور وقرأ بعضهم (وأتينا داود زبوراً) والزبور الكتاب المزبور ، والجمع زبر ، وقد غلب الزبور على صحف داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وكل كتاب زبور ، قال الله تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) (٢) قال أبو هريرة : الزبور ما أنزل على داود من بعد الذكر من بعد التوراة (٣) وقرأ سعيد بن جبير : في الزبور بضم الزاي (٤) ، وقال : الزبور التوراة والإنجيل والقرآن ، قال والذكر الذي في السماء ، وقيل الزبور فعول على مفعول كأنه زبر أي كتب (٥) .

دراسة النص :

ذكر الطبري القراءات المختلفة لكلمة (زبوراً) - والتي سأذكرها لاحقاً - ورجح الطبري (زبوراً) بفتح الزاي ، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيته داود ، كما سمي الكتاب الذي أوتيته موسى التوراة ، والذي أوتيته عيسى الإنجيل ، والذي أوتيته محمداً الفرقان ، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود . وإنما تقول العرب : زبور داود بذلك تعرف كتابه سائر الأمم (٦) .

(١) سورة النساء / ١٦٣ ، تنمة الآية : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) .

(٢) الأنبياء / ١٠٥ .

(٣) ذكره الحاكم في المستدرک : ٦٤٢/٢ (٤١٣٦) عن الشعبي ، في ذكر نبي الله داود صاحب الزبور عليه السلام.

(٤) انظر الطبري : جامع البيان ٣٦٦/٤ .

(٥) ابن منظور : اللسان ١١/٩ ، انظر الزبيدي : تاج العروس ٢٨٧٤/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٣٦٦/٤ .

وأما القرطبي فقال : الزبور كتاب داود ، وكان مائة وخمسين سورة ، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام ، وإنما هي حكم ومواعظ ، والزبور الكتابة بمعنى المزبور ، أي : المكتوب ، كالرسول ، والأصل في الكلمة التوثيق يقال : بئر مزبورة ، أي مطوية بالحجارة^(١) .

واكتفى ابن كثير بالقول أن الزبور هو اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام^(٢) .

واتفق الشوكاني مع ما قاله القرطبي ، وأضاف : الزبور هو مائة وخمسون مزموراً ، والمزمور : فصل يشتمل على كلام لداود ، يستغيث بالله من خصومه ، ويدعو الله عليهم ، ويستتصره ، وتارة يأتي بمواعظ . وكان يقول ذلك في الغالب في الكنيسة ، ويستعمل مع تكلمه بذلك شيئاً من الآلات ، التي لها نغمات حسنة ، كما هو مصرح بذلك في كثير من تلك المزمورات ، والزبير : الكتابة ، والزبور بمعنى المزبور : أي المكتوب كالرسول ، والأصل في الكلمة التوثيق لقوة الوثيقة به^(٣) .

وفي الجلالين (زبوراً) بالفتح : اسم للكتاب المؤتى ، والضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً^(٤) .

وأيضاً لم يختلف النسفي عن ما قاله السابقون ، حيث قال زبور بمعنى مفعول ، سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام^(٥) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٦/٦ .

(٢) وذكر من فضائل داود أنه كان يستمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته ، وكان متواضعاً يأكل من عمل يده ، روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : (إن كان داود صلى الله عليه وسلم ليخطب الناس ، وفي يده القفة من الخوص ، فإذا فرغ ناولها بعض من إلى جنبه يبيعها ، وكان يصنع الدروع ، وفي الحديث الزرقة في العين يمن وكان داود أزرق) .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧٧٨/١ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٨١١/١ .

(٥) الجلالين : تفسير الجلالين ١٣١/١ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ٢٦٢/١ .

وفي قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الزبور هو أيضاً كتاب داود عليه السلام ، وقال أبو السعود في تفسير هذه الآية ، أن الزبور هو كتاب داود عليه السلام ، وقيل هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء عليهم السلام من بعد الذكر ، أي التوراة ، وقيل اللوح المحفوظ ، . أي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود ، بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة ، بعد ما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، أي عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار ، وهذا وعد الله . وعن ابن عباس قال هي الجنة ، وقيل المقصود الأرض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم^(١) .

وفي مفردات القرآن : زبر الكتاب : كتبه كتابة غليظة ، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له : زبور ، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام قال : (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) وقرئ زبوراً بضم الزاي ، جمع زبور ، وزبر مصدر سمي به ككتاب ، ثم جمع على زبر ، كما جمع كتاب على كتب ، وقيل : بل الزبور كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية ، قال (وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ)^(٢) وقال : (وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)^(٣) ، وأيضاً : (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)^(٤) .

وقال بعضهم : الزبور : اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الشرعية والكتاب : لما يتضمن الأحكام والحكم ، ويدل على ذلك أن زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئاً من الأحكام^(٥) .

وذكر البخاري في صحيحه أن : (زبوراً) هو اسم الكتاب المنزل على داود عليه السلام^(٦) .

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٦/٨٨ . انظر أيضاً الكشاف للزمخشري ١/٧٩٣ .

(٢) سورة الشعراء / ١٩٦ .

(٣) سورة آل عمران / ١٨٤ .

(٤) سورة القمر / ٤٣ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٦١٠ .

(٦) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ٣/١٢٥٥ ، باب قول الله تعالى (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) النساء ، ٣/١٢٥٥ .

وفي مختار الصحاح : الزبور هو الكتاب ، وهو فعول بمعنى مفعول ، من زبر ، والزبور أيضاً : كتاب داود عليه السلام^(١) .

وقال الخطابي : سمي الكتاب زبوراً على أنه مزبور ، ويقال زبرت الكتاب، أزبره ، وأزبره وزبرته ازبره وأزبره^(٢) .

يتضح مما سبق اتفاق ابن منظور والمفسرين وعلماء اللغة أن الزبور هو الكتاب ، وهو الكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام .

وقرأ حمزة^(٣) (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) برفع الزاي أي كتباً وصحفاً ، جمع زبر وزبور كبيت وبيوت ، وقرأ الباقر زبوراً بالفتح وحجتهم أن الآثار كذا جاءت زبور داود^(٤) .

وقال ابن خالويه : زبوراً يقرأ بفتح الزاي ، وضمها فالحجة لمن فتح أنه أراد واحداً مفرداً ، والحجة لمن ضم أنه أراد الجمع ، فالأول كقولك عمود والثاني كقولك عمد^(٥) .

وذكر الطبري في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك من قوله : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) فتلا ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء من بعد موسى ، فأنزل الله هذه الآيات ، تكذيباً لهم ، وأخيراً نبيه والمؤمنين به ، أنه قد أنزل عليه بعد موسى ، وعلى من سماهم في هذه الآية وعلى آخرين لم يسمهم^(٦) .

(١) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

(٢) الخطابي : غريب الحديث للخطابي ٢٠/٢ .

(٣) حمزة : هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل بن كوفي الزيات أحد القراء السبعة وإليه صارت إمامة الإقراء بعد عاصم والأعمش ، ولد سنة ٨٠هـ ، وتوفي في عهد خلافة المنصور سنة ٥٦هـ ، انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩٠/٧ .

(٤) ابن زنجلة : حجة القراءات ٢١٩/١١ .

(٥) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبعة ١٢٨/١ ، انظر أيضاً كتاب السبعة في القراءات ابن مجاهد ٢٤٠/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٣٦٦/٤ .

المعنى العام للنص :

يقول البغوي في هذه الآية أوحينا إليك يا محمد مثل ما أوحينا إلى نوح والنبیین من بعده قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) وهم أولاد يعقوب .. وذكر باقي الأنبياء ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً ، وهذا اسم الكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام ، وكان فيه التحميد والتمجيد ، والثناء على الله عز وجل (١) .

النص رقم ١٢٨

قال تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : وزبرة الحديد : القطعة الضخمة منه والجمع زبر . قال الله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) وزبر : بالرفع أيضاً ، قال الله تعالى : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا) (٣) من قرأ بفتح الباء أراد قطعاً مثل قوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) قال : والمعنى في زبر وزبر واحد ، وقال الزجاج : من قرأ زبراً أراد قطعاً جمع زبرة وإنما أراد تفرقوا في دينهم (٤) . الجوهرى : الزبرة القطعة من الحديد ، والجمع زبر (٥) . قال ابن بري : من قرأ زبراً فهو جمع زبور لا زبرة لأن فعلة لا تجمع على فعل ، والمعنى جعلوا دينهم كتباً مختلفة (٦) ، ومن قرأ زُبُرًا وهي قراءة الأعمش (٧) ، فهي جمع زبرة بمعنى القطعة ، أي فتقطعوا قطعاً ، قال : وقد يجوز أن يكون جمع زبور كما تقدم ، وأصله زبر ثم أبدل من الضمة الثانية فتحة كما قال أهل اللغة أن بعض العرب يقول في جمع جديد جدد ، وأصله وقياسه

(١) انظر البغوي : تفسير البغوي ٣١٠/١ .

(٢) الكهف / ٩٦ تنمة الآية (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) .

(٣) سورة المؤمنون / ٥٣ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن : ٢٥٤/٣ .

(٥) الجوهرى : الصحاح ٥٤٦/١ .

(٦) ابن بري : الصحاح ١٢٦/٢ .

(٧) انظر الطبري : جامع البيان ، ٢٢١/٩ وتفسير مجاهد ٤٣١/٢ .

جدد ، كما قالوا ركبات وأصله ركبات مثل غرفات ، وقد أجازوا غرفات أيضاً ، ويقوى هذا أن ابن خالويه حكى عن أبي عمرو أنه أجاز أن يقرأ زبراً وزبراً وزبراً^(١) ، فزبراً بالإسكان هو مخفف من زبر كعنق مخفف من عنق وزبر ، بفتح الباء مخفف أيضاً من زبر برد الضمة فتحة كتخفيف جدد من جدد ، وزبرة الحداد : سندانه^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : (زبر الحديد) هي جمع زبرة والزبرة : القطعة من الحديد^(٣) . وأما (زبراً) في قوله تعالى : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا) قال الطبري : كتباً أي تفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع ، على الدين الواحد ، والملة الواحدة ، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ، (فزبراً) هنا جمع زبور ، أما مناسبة وضعها مع الآية السابقة عنها ، يقول مجاهد : كتب الله فرقوها قطعاً^(٤) . وذكر اختلاف القراءات قائلاً ذكر عامة قراء أهل الشام (زبراً) بضم الزاي ، وفتح الباء بمعنى : فتفرقوا أمرهم بينهم قطعاً ، كزبر الحديد ، وذلك القطعة منها ، واحدها زبرة ، فصار بعضهم يهوداً ، وبعضهم نصارى ، وأما هو فاختار قراءة من قرأ بضم الزاي والباء لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك ، على أنه مراد به الكتب ، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك . والقول للطبري لأن الزبر هي الكتب ، يقال فيه زبرت الكتاب إذا كتبت^(٥) .

وأما القرطبي فاتفق مع الطبري أن المراد قطع الحديد وأضاف معنى آخر قائلاً : وأصل الكلمة الاجتماع ، ومنه (زبرة الأسد)^(٦) لما اجتمع من الشعر على كاهله . وزبرت الكتاب أي : كتبت ، وجمعت حروفه^(٧) .

(١) انظر ابن خالويه : الحجة في القراءات ١٢٨/١ .

(٢) ابن منظور : اللسان ١٢/٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٨٥/٨ .

(٤) مجاهد : تفسير مجاهد ٤٣١/٢ .

(٥) الطبري : جامع البيان ٢٢١/٩ .

(٦) انظر القاموس المحيط ٤٠٤/١ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥٩/١١ .

كما أنه اختار ما اختاره الطبري في قوله تعالى : فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا (قال يعني كتباً ، وهي بقراءة ضم الباء ، لأن القراءة الأخرى بفتح الباء هي قطعاً كقطع الحديد ، هذا ما قاله القرطبي (١) .

وقال ابن كثير الزبر جمع زبرة وهي القطعة ، ولم يذكر شيئاً عن الآية الأخرى (٢) .

وكذلك قال الشوكاني : زبر الحديد جمع زبرة وهي القطعة . واستشهد بقول الخليل : الزبرة من الحديد القطعة الضخمة (٣) .

وذكر في قوله تعالى : (فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا) القراءتان ومعانيهما ، قائلاً : قرئ زبراً بضم الباء جمع زبور ، قرئ بفتحها أي قطعاً ، كقطع الحديد ، وبذلك اتفق مع الطبري والقرطبي ، ولكنه اختلف معهما بأنه اختار المعنى الثاني قائلاً : أنهم جعلوا دينهم مع اتحاده قطعاً متفرقة مختلفة (٤) .

ولم يختلف البغوي مع من سبقه في أن زبر الحديد قطع الحديد وواحدتها زبرة (٥) . واتفق مع الشوكاني في الآية الأخرى أن زبراً هي أيضاً قطعاً ، حيث قال : تفرقوا فصاروا فرقا يهوداً ونصارى ومجوساً ، أي فرقا وقطعاً مختلفة ، واحدها زبور وهي الفرقة ، والطائفة . ومثله الزبرة ، أي صاروا فرقا كزبر الحديد (٦) .

وقال البيضاوي : (زبر الحديد) قطعه . والزبرة القطعة الكبيرة ، واختار (زبراً) قطعاً ، بفتح الباء (٧) .

وفي مفردات القرآن ، قال الزبرة : قطعة عظيمة من الحديد ، جمعه زبر يقال : الزبرة من الشعر جمعه زبر واستعير للجزء . (فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا)

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١٧/١٢ .

(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٤١/٣ .

(٣) الشوكاني فتح القدير ٤٤٧/٣ .

(٤) الشوكاني فتح القدير ٦٩٧/٣ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٢٠٥/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٤٢٠/١ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٥٢٣/١ ، ١٥٨/١ .

أي : صاروا أحزاباً^(١) .

وأيضاً ذكر الإمام البخاري : أن (زبر الحديد) معناها قطع الحديد^(٢) . وفي القاموس المحيط الزبرة : العظيمة ، والقطعة من الحديد جمعها زبرة وزبر . والشعر المجتمع بين كاهل كتفي الأسد^(٣) .
إذا زبر الحديد أي قطعة الحديد .

المعنى العام للنص :

يقول عز ذكره : قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين ياجوج ومأجوج سداً (أتوني) أي جيئوني ب(زبر الحديد) وهي قطع الحديد قطعة على قدر الحجارة التي يبني بها ، فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافح والنار حول ذلك (قال انفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أي الحديد (ناراً) أي كالنار (قال أتوني أفرغ عليه قطراً) هو النحاس المذاب فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمي ، فدخل بين زبره فصار شيئاً واحداً^(٤) .

النص رقم ١٢٩

قال تعالى : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ)^(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زين : الزين : الدفع . زينت الناقة إذا ضربت بثقنان رجليها عند الحلب ، فالزبن بالثقات والركض بالرجل ، والخبط باليد ، ابن سيده^(٦) وغيره . الزبن دفع الشيء عن الشيء . وناقاة زبون : دفوع . كالناقاة تزبن ولدها عن ضرعها برجلها .

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٠/١ .

(٢) صحيح البخاري باب قصة ياجوج ومأجوج ، كتاب الأنبياء ١٢١٩/٣ .

(٣) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٥١٠/١ .

(٤) انظر : الجلالين : تفسير الجلالين ٣٩٤/١ .

(٥) سورة العلق /١٧-١٨ .

(٦) ابن سيده : المحكم ٥٣/٩ .

والزبونة من الرجال : الشديد المانع لما وراء ظهره ، تزابن القوم : تدافعوا
والزبانية : كل متمرّد من الإنس والجن . وقال قتادة : الزبانية عند العرب الشرط
، وكله من الدفع(١) . وسمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها ، وقوله
تعالى : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةِ) قال قتادة : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) حيه وقومه ف(سَدَّعُ
الزَّبَانِيَةَ) قال الزبانية في قول العرب الشرط ، قال الفراء : يقول الله عز وجل :
(سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ) وهم يعملون بالأيدي والأرجل فهم أقوى ، قال الكسائي : واحد
الزبانية زبني(٢) ، وقال الزجاج : الزبانية الغلاظ الشداد ، واحدهم زبنية ، وهم
هؤلاء الذين قال الله تعالى (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ) وهم الزبانية(٣) . وروى
عن ابن عباس في قوله تعالى (سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ) قال : قال أبو جهل لئن رأيت
محمداً يصلي لأطأن على عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو فعله لأخذته
الملائكة عياناً(٤) ، وقال الأخفش(٥) : قال بعضهم واحد الزبانية الزباني ، وقال
بعضهم : زابن ، وقال بعضهم : زبنية مثل عفرية ، قال : والعرب لا تكاد تعرف
هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل أبايل وعبايد(٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : الزبانية الملائكة(٧) .

وقال القرطبي : الزبانية : الملائكة الغلاظ الشداد ، ونقل أقوال بعض
العلماء فقال : قيل : واحدهم زبنية ، وقيل زباني ، وقيل هو اسم للجمع كالأبايل
والعبايد ، وقال سمو الزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم ، كما يعلمون بأيديهم ،

(١) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١١٦/٢٠ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١١٦/٢٠ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن وإعراجه ٢٦٣/٥ ، والآية من سورة التحريم ٦/ .

(٤) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك ،

٤٤٣/٥ (٣٣٤٨) . انظر أيضاً الطبري : جامع البيان ٦٤٨/١٢ .

(٥) الأخفش : معاني القرآن ، ٧٤١/٢ .

(٦) ابن منظور : اللسان ١٦/٩ .

(٧) الطبري : التفسير العظيم ، ٦٤٨/١٢ .

وأيضاً ذكر قول قتادة قائلاً هم الشرط في كلام العرب وهو مأخوذ من الزبن وهو الدفع^(١) .

وقال ابن كثير : الزبانية : هم ملائكة العذاب^(٢) .

وقال الشوكاني : أي الملائكة الغلاظ الشداد . وذكر كل أقوال العلماء التي ذكرها ابن منظور في هذه الدراسة^(٣) .

وقال البغوي : الزبانية : جمع زبني مأخوذ من الزب وهو الدفع ، قال ابن عباس : يريد زبانية جهنم ، سموها بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها ، وأضاف قول الزجاج : هم الملائكة الغلاظ الشداد^(٤) .

ولم يختلف البيضاوي عنهم حيث قال : ليجروه إلى النار وهو في الأصل الشرط ، واحدها زبنية كعفريه ، من الزبن وهو الدفع ، أو زبني على النسب ، وأصلها زباني ، والتاء معوضة عن الياء^(٥) .
وقال مجاهد : هم الملائكة^(٦) .

وقال البخاري : الزبانية هم الملائكة المكلفون بالنار^(٧) .

وأما مسلم فذكر الزبانية في أصل اللغة الشرط ، وأعوان الولاية ، قيل إنه جمع لا واحد له^(٨) .

ذكر بن منظور المعنى اللغوي للزبانية وقال أصلها الدفع . والمقصود بها في الآية الملائكة ناقلاً هذا القول عن قتادة ، أما المفسرون فلم يذكروا جميعهم المعنى اللغوي وإنما ذكروا التفسير مباشرة وهو الملائكة وجميعهم متفقون مع ابن منظور حول هذا المعنى .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١١٦/٢٠ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٨٣/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٦٧/٥ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٤٨١/١ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٥١٢/١ .

(٦) مجاهد : تفسير مجاهد ٧٧٢/٢ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ١٩١٠/٤ .

(٨) صحيح مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب قوله إن الإنسان ليطغى .. إن رآه استغنى ، ٢١٥٤/٤ .

وأخرج الترمذي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنك عن هذا ؟ فزجره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ) (١) .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى ذكره : فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره وعشيرته وإنما قيل ذلك ، لأن أبا جهل لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند المقام ، انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظ له ، فقال أبو جهل : علام يتوعدني محمد وأنا أكثر أهل الوادي نادياً ؟ فقال الله عز وجل : (كَلَّا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) فليدع حينئذ ناديه ، فإنه إن دعا ناديه ، دعونا الزبانية وهم ملائكة العذاب (٢) .

النص رقم ١٣٠

قال تعالى : (وَأَزْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور: زجر: الزجر: المنع والنهي والانتهاز . زجره يزجره زجراً وازدجره وازدجر . قال الله تعالى : (وَأَزْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ) قال: يوضع الازدجار موضع الانزجار فيكون لازماً ، وازدجر كان في الأصل ازتجر، فقلبت التاء دالاً لقرب مخرجيهما واختيرت الدال لأنها أليق بالزاي من التاء . وفي حديث العزل : كأنه زجر أي نهى عنه ، وحيث وقع الزجر في الحديث فإنما يراد به النهي ، وزجر السبع والكلب وزجر به : نههه . قال سيبويه : وقالوا مني مزجر الكلب أي بتلك المنزلة فحذف وأوصل (٤) ، وهو من الظروف المختصة

(١) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك
٤٤٤/٥ (٣٣٤٩) وقال حسن صحيح .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٦٤٩/١٢ .

(٣) سورة القمر / ٩-١٠ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْجُونٌ وَازْدُجِرَ) .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢٦٩/١ .

التي أجريت مجرى غير المختصة . ومن العرب من يرفع بجعل الآخر هو الأول، وقوله :

من كان لا يزعم أي شاعر فليدن مني تنهه المزاجر^(١)
وزجرت البعير حتى ثار ومضى أزجره زجراً ، وزجرت فلاناً عن السوء
فانزجر ، وهو كالردع للإنسان وأما للبعير فهو كالحث بلفظ يكون زجراً له . قال
الزجاج : الزجر النهر ، والزجر للطير وغيرها التيمن بسنوحها والتشاؤم
ببروحها^(٢) ، وإنما سمي الكاهن زاجراً لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر
بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة ، وكذلك الزجر للدواب
والإبل والسباع . الليث : الزجر أن تزجر طائراً أو ظيباً سانحاً أو بارحاً فتطير
منه ، وقد نهى عن الطيرة^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (ازدجر) : وهو افتعل من زجرت ، وكذا تفعل العرب
بالحرف إذا كان أوله زايماً صيروا تاء الافتعال منه دالاً من ذلك قولهم : ازدجر
من زجرت . وقال : اختلف أهل التأويل في المعنى الذي زجروه ، فقال بعضهم :
كان زجرهم إياه أن قالوا : استطير جنوناً ، وقال آخرون : بل كان زجرهم إياه
وعيدهم له بالثتم ، والرجم بالقول القبيح ، ولم يرجح أحدهما^(٤) .
وقال القرطبي : (ازدجر) أي زجر عن دعوى النبوة ، بالسب ، والوعيد
بالقتل^(٥) .

وقال ابن كثير : (وازدجر) أي استطير جنوناً ، وقيل : ازدجر أي انتهره
وزجروه ، وتواعده لئن لم تنته يا نوح لتكون من المرجومين^(٦) .

(١) عني الأسباب التي من شأنها أن تزجر ، كقولك نتهه النواهي .

(٢) الزجاج : معاني القرآن ، ٦٨/٥ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٢١/٦ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٥٥٠/١١ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٩٤/١٧ .

(٦) تفسير ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٣٧/٤ .

وأما البغوي فقال : أي زجروه عن دعوته ، ومقالته بالشتم والوعيد وقالوا :
(لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) (١) .

وفي الجلالين ذكر أن ازدجر معناها انتهره بالسب وغيره (٢) . وأضاف
الواحدى زجر هي نهر ونهى عن دعوته ومقالته (٣) . وأيضاً قال السيوطي :
ازدجر استطير جنوناً (٤) .

وقال الألوسي : زجر عن التبليغ بأنواع الأذية (٥) .

ونلاحظ هنا الغالبية من المفسرين لم يخوضوا في المعنى اللغوي لكلمة
(ازدجر) وإنما فسرت مباشرة بربطها ببقية الآية ، وإن كان البعض ذكروا أن
معناها نهر ونهى .

وفي مفردات القرآن قيل : الزجر طرد بصوت يقال : زجرته فانزجر قال
(فإنما هي زجرة واحدة) (٦) ثم يستعمل في الطرد تارة ، وفي الصوت أخرى ،
وقوله : (فالزجرات زجراً) (٧) أي : الملائكة التي تزجر السحاب وقوله : (ما فيه
مزدجر) (٨) أي : طرد ومنع عن ارتكاب المآثم . وقال : (وقالوا مجنوناً وازدجر)
أي : طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطروود ، نحو أن يقال : أغرب وتتح
وراءك (٩) .

وفي تاج العروس قيل : الزجر : طرد بصوت ثم يستعمل في الطرد تارة ،
وفي الصوت أخرى ، (وازدجر) أي طرد (١٠) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ، ٤٢٨/١ .

(٢) الجلالين ، تفسير الجلالين ٧٠٥/١ .

(٣) الواحدى : الوجيز ، ١٠٤٦/١ .

(٤) السيوطي : الدر المنثور ، ٦٧٥/٧ .

(٥) الألوسي : روح المعاني ، ٦١/٢٧ .

(٦) الصافات / ١٩ .

(٧) الصافات / ٢ .

(٨) القمر / ٤ .

(٩) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١١/١ .

(١٠) الزبيدي : تاج العروس ٢٨٨٠/١ .

ويتضح مما سبق أن (ازدجر) هي بمعنى منع عن الدعوى سواء بالنهر ، أو الشتم بالجنون وغيره وقد يكون بالطرد . وهذا ما اتفق ابن منظور والمفسرون عليه .

المعنى العام للنص :

قال الطبري : هذه الآية وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمشركين من أهل مكة على تكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ثناؤه : كذبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذبوك من قومك الذين إذا رأوا آية أعرضوا عنها ، وقالوا سحر مستمر - قوم نوح - فكذبوا عبدنا نوح إذا أرسلناه إليهم (وقالوا مجنونٌ وازدجر) فقالوا استطيعر جنونا ، كما قال آخرون توعدوه بالشتم والرجم وانتهروه عن دعوته ومقالته^(١) .

النص رقم ١٣١

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زجا ، زجا الشيء يزجو زجواً وزجواً وزجاء تيسر واستقام زجا الخراج يزجو زجاء : جبايته والتزجيه : دفع الشيء كما تزجي البقرة ولدها أي تسوقه . ويقال : زجيت الشيء تزجيه إذا دفعته برفق ، وزجى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه ، والريح تزجي السحاب أي تسوقه سوقاً رقيقاً . وفي التنزيل العزيز : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) . وقال الأعشى : أي ذودة الوهاب أزجى مطيتي أرجى عطاء فاضلاً من نوالكا^(٣) .
وقيل : زجاه وأزجاه ساقه سوقاً ليناً^(٤) .

(١) انظر تفسير الطبري ٥٥٠/١١ ، وأيضاً الوجيز للواحيدي ١٠٤٦/١ .

(٢) النور / ٤٣ . (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) .

(٣) البيت : إلى هودة الوهاب أهديت مرحتي أزجي نوالاً فاضلاً من عطائكا . انظر الأعشى ص ١٣٣ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٢٤/٦ .

دراسة النص :

قال الطبري (يزجي) : معناها يسوق^(١) .

وأما القرطبي فإنه قال : يزجي يسوق إلى حيث يشاء ، وأضاف والريح تزجي السحاب ، والبقرة تزجي ولدها ، أي تسوقه ، ومنه زجا الخراج ، يزجو زجاء إذا تيسرت جبايته^(٢) .

وقال ابن كثير : يزجي أي يسوق السحاب ، بقدرته أول ما ينشئها ، وهي ضعيفة وهو الإزجاء^(٣) .

وقال الشوكاني : الإزجاء : السوق قليلاً قليلاً ، والمعنى أنه سبحانه يسوق السحاب سوقاً رقيقاً أي حيث يشاء^(٤) .

وأبو السعود قال : الإزجاء سوق الشيء برفق ، وسهولة . غلب في سوق شيء يسير ، أو غير معتد به ، ومنه البضاعة المزجاة^(٥) .

وفي مفردات القرآن : الترجية : دفع الشيء لينساق كترجية ردئ البعير ، وترجية الريح السحاب^(٦) .

وفي الآية من الإعجاز العلمي الواضح ، عن حركة السحاب والبحار والأمطار وكان الحديث حديث العليم الخبير المحيط بعلمها ومعارفها ، وكل هذه العلوم لم تضح حقائقها العلمية إلا بعد عهد النبوة ، ومهبط الوحي بقرون ، وأجيال فكيف يكون لرجل أمي كمحمد أن يعرفها ، إن لم يكن يتلقاها من لدن حكيم عليم ، حيث قال سبحانه مقررًا هذا الإعجاز العلمي : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٣٧/٩ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦٤/١٢ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٩٧/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٠/٤ .

(٥) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٨٤/٦ .

(٦) الاصفهاني : مفردات القرآن ٥٨٢/١ .

الْعَلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ(١)(٢) .

وفي تاج العروس زجاء يزجوه زجواً ، ساقه سوقاً ضعيفاً رقيقاً ، وأيضاً دفعه برفق لينساق (كزجاه) تزجية ، يقال كيف تزجي الأيام أي كيف تدافعها(٣) .
إذا الإزجاء ، هو السوق برفق ، كما قال ابن منظور والمفسرون .
وقال الفراهيدي : التزجية دفع الشئ كما تزجي البقرة ولدها أي تسوقه والريح تزجي السحاب ، أي تسوقه سوقاً رقيقاً(٤) .

المعنى العام للنص :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) يسوقه برفق ، (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) أي بين القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) أي المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أي مخارجه (وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) أي هذا المطر (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ) أي لمعانه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) أي يخطف الأبصار(٥) .

النص رقم ١٣٢

قال تعالى : (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ)(٦) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : المزجي : القليل ، وبضاعة مزجاة : قليلة . وفي التنزيل : (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) وقال ثعلب : بضاعة مزجاة فيها إغماض لم يتم صلاحها ، وقيل : يسيرة قليلة ، وقيل : كانت حبة الخضراء والسنوبر ، وقال إبراهيم النخعي : وما أراها إلا القليلة ، وقيل : كانت متاع الأعراب الصوف

(١) سورة العنكبوت / ٤٨-٤٩ .

(٢) الزرقاني : مناهل العرفان ١/١٩ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ١/٨٤١٧ .

(٤) الفراهيدي : كتاب العين ٦/١٦٥ .

(٥) الجلالين : تفسير الجلالين ١/٤٦٥ .

(٦) سورة يوسف / ٨٨ (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الصُّرُورَ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) .

والسمن ، وقال سعيد بن جبير : هي دراهم سوء ، وقال عكرمة : هي الناقصة^(١) وقال عطاء : قليل يزجو خير من كثير لا يزجو ، وقوله عز وجل (فتصدق علينا) أي بفضل ما بين الجيد والردئ^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : مزجاة : أي قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن يتجاوز لهم ، وقيل بضاعة مزجاة : لأنها غير نافقة ، وإنما تجوز تجويزاً ، على وضع آخذها^(٣) .

وأفاض القرطبي قليلاً حيث قال (مزجاة) صفة لبضاعة والإجزاء السوق بدفع ، والمعنى أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل أحد وذكر قول ثعلب : البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة . كما أنه قال : اختلف في تعيينها هنا ، فقيل : كانت قديداً ، وحيساً ، وقيل : متاع الأعراب صوف وسمن ، وقيل : الحبة الخضراء والصنوبر^(٤) .

وقال ابن كثير (مزجاة) قليلة ، كما أنه ذكر جملة من أقوال العلماء ، منهم ابن عباس الذي قال : الدراهم الرديئة ، التي لا تجوز إلا بنقصان . وقول سعيد ابن جبير : هي الدراهم الفسول ، وغيرهما^(٥) .

وقال الشوكاني : الإجزاء : السوق بدفع ، والمعنى أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار^(٦) .

وقال البيضاوي : رديئة أو قليلة ، ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته ، ومنه تزجية الزمان^(٧) .

(١) أقوال هؤلاء العلماء انظر الطبري : جامع البيان ٢٨٥/٧ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٢٤/٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٢٨٥/٧ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢١٤/٩ .

(٥) تفسير ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٤١/٢ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٧١/٣ .

(٧) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٠٦/١ .

وفي الجلالين ذكر أنها مدفوعة ، يدفعها كل من رآها لرداعتها ، وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها^(١) .

وقال مجاهد : مزجاة ، يعني قليلة^(٢) .

وفي التبيان : ذكر أنها القليلة ، من قولك فلان يزجي العيش ، أي يدفع بالقليل^(٣) .

وفي مفردات القرآن : أي يسيرة يمكن دفعها ، وسوقها لقلة الاعتداد بها^(٤) .

وقال البخاري : (مزجاة) قليلة^(٥) .

وفي القاموس المحيط : بضاعة مزجاة قليلة ، أو لم يتم صلاحها^(٦) .

وأيضاً قال الفراهيدي : المزجي القليل^(٧) .

اتفق المفسرون وابن منظور أن مزجاة أي قليلة ، والمزجي هو القليل .

المعنى العام للنص :

قال البغوي في معنى هذه الآية (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهَا) فيها إضمار تقديره :

فخرجوا راجعين إلى مصر ، حتى وصلوا إليها ، فدخلوا على يوسف عليه السلام (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ) أي : الشدة والجوع (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) أي قليلة ، رديئة ، كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها ، (فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ) أي أعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) أي تفضل علينا بما بين الثمنين ، الجيد والردئ ولا تنقصنا^(٨) .

(١) الجلالين : تفسير الجلالين ٣١٦/١ .

(٢) مجاهد : تفسير مجاهد ٣٢٠/١ .

(٣) التبيان تفسير غريب القرآن ٢٤٩/١ انظر أيضاً تذكرة الأريب تفسير الغريب ٢٦٧/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٢/١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب تفسير سورة يوسف ١٧٢٧/٤ .

(٦) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١٦٦٥/١ ، انظر أيضاً الزبيدي : تاج العروس ٨٤١٧/١ .

(٧) الفراهيدي : كتاب العين ١٦٥/٦ .

(٨) البغوي : تفسير البغوي ٢٧١/١ .

النص رقم ١٣٣

قال تعالى : (فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زحرح أي نجى وبعد . وزحرح الشيء : جذبته في عجلة .
وزحرحه فتزحرح : دفعه ونحاه عن موضعه فتنحى وباعده منه ، قال ذو الرمة :
يا قابض الروح عن جسم عصى زمناً و غافر الذنب ، زحرحني عن النار (٢)
ويقال هو يزحرح عن ذلك أي يبعد منه . الأزهرى : قال بعضهم هذا
مكرر من باب المعتل . وأصله من زاح يزحح إذا تأخر . ومنه قول لبيد : زاح
عن مثل مقامي وازجل (٣) .
ومنه يقال : زاحت علتها وأزحتها ، وقيل : هو مأخوذ من الزوج وهو
السوق الشديد وكذلك الزوج .

وفي الحديث : من صام يوماً في سبيل الله زحرحه الله عن النار سبعين
خريفاً (٤) . زحرحه أي نحاه عن مكانه وباعده منه ، يعني باعده عن النار مسافة
تقطع في سبعين سنة (٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : (فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ) أي فمن نحي عن النار وأبعد
عنها (٦) . وقال القرطبي : أي أبعاد (٧) .

(١) آل عمران / ١٨٥ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

(٢) ديوان ذي الرمة ، ص ٦٦٧

(٣) البيت : لو يقوم الفيل أو خياله ذل عن مثل مقامي وزل

انظر ديوان لبيد ، ص ١٢٢ .

(٤) سنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في فضل الصوم في

سبيل الله ١٦٦/٤ (١٦٢٢) .

(٥) ابن منظور : اللسان ٢٤/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٥٤٠/٣ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨٨/٤ .

وقال ابن كثير : أي من جنب النار ، ونجا منها ، وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز^(١) . وقال أبو حيان : الزحزحة التنحية والإبعاد^(٢) .
وكذلك قال الشوكاني : الزحزحة : التنحية والإبعاد : تكرير الزح ، وهو الجذب بعجلة : أي فمن بعد عن النار يومئذ ، ونحي فقد فاز^(٣) .
وقال البيضاوي : فمن زحزح عن النار أي أبعد عنها ، والزحزحة في الأصل تكرير الزح ، وهو الجذب بعجلة^(٤) . وبمثله أيضاً قال أبو السعود^(٥) .
وفي مفردات القرآن (زحزح) : أي أزيل عن مقره فيها^(٦) .
وقال البخاري في معنى (زحزح) أبعد ونحي^(٧) .
وجاء في كتاب الأفعال ، الزحزحة : التنحية عن الشيء ، وتزحزح وتزحز سواء^(٨) .
وفي تاج العروس : يزحزح منه : أي يبعد منه ، وأصله من زاح يزيح : إذا تأخر . والزحزاح : البعيد . وهو اسم من التزحزح ، أي التباعد والتنحي^(٩) .
وأيضاً في مختار الصحاح : زحزح أي تنحي^(١٠) .
ونلاحظ هناك اتفاق تام بين أهل اللغة ، والتفسير حول كلمة (تزحزح) فقد ذكر ابن منظور وغيره من علماء اللغة ، أن معناها : نحي وبعد . وكذلك قال أهل التفسير ، ولم يخالف منهم أحد .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٧٧/١ .

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ، ١٣٥/٣ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٢٦/١ .

(٤) الشوكاني تفسير فتح القدير ، ٦١٣/١ . انظر أيضاً الزمخشري : الكشاف ٢٢٠/١ .

(٥) انظر أبو السعود : تفسير أبي السعود ، ١٢٣/٢ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٣/١ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ٢٣٥٨/٥ .

(٨) أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ابن القطاع) ، كتاب الأفعال ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١٩٨٣ ، ١ ، ص ٢

(٩) الزبيدي : تاج العروس ١٦١٣/١ .

(١٠) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

ووردت كثيرٌ من الأحاديث المتعلقة بهذه الآية ، سأذكر بعضاً منها ، حتى تتم الفائدة من هذه الدراسة ، فقد ذكر مسلم في صحيحه عن عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً من طريق الناس ، وأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي ، فإنه يمشي يوماً ، وقد زحزح نفسه عن النار)(^١) .

وأيضاً ذكر الفتن ، وقال : (فمن أحب أن يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر)(^٢) .

وذكر الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها ، اقرؤوا إن شئتم (فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)(^٣) .

وأيضاً ذكر البيهقي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تزوه ، قال : فيقولون فما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويزحزحنا عن النار ، ويدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، قال فوالله ما أعطاهم الله عز وجل شيئاً ، هو أحب إليهم منه ، قال ثم قرأ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)(^٤) .

المعنى العام للنص :

قال البغوي : (كُلُّ نَفْسٍ مَنفُوسَةٌ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ) وفي الحديث : لما خلق الله تعالى آدم اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها ، فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها ، فما من أحد إلا يدفن في التربة التي خلق منها ، (وَإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ) أي

(^١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ٦٩٨/٢ (٥٤) .

(^٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، ١٤٧٢/٣ (٤٦) .

(^٣) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة آل عمران ، ٢٣٢/٥ (٣٠١٣) .

(^٤) أحمد بن الحسن البيهقي : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ (تحقيق أحمد عصام الكاتب) ١٢٤/١ .

جزاء أعمالكم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إن خيراً فخير أو إن شراً فشر ، (فَمَنْ زُحِرِحَ) نجى وأزِيل (عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) ظفر بالنجاة ، ونجا من الخوف (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) يعني منفعة ، ومتعة ، كالفأس ، والقدر ، والقصعة ، ثم تزول ولا تبقى^(١) .

النص رقم ١٣٤

قال تعالى : (إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زحف : زحف إليه يزحف زحفاً وزحوفاً وزحفاً : مشى . ويقال : زحف الدّبي^(٣) إذا مضى قدماً ، والزحف : الجماعة يزحفون إلى العدو بمرّة . وفي الحديث : اللهم اغفر له وإن كان فر من الزحف أي فر من الجهاد ولقاء العدو في الحرب^(٤) . والجمع : زحوف . قال الأزهرى^(٥) : أصل الزحف للصبى وهو أن يزحف على أسته قبل أن يقوم . وإذا فعل ذلك على بطنه قيل قد حبا وشبه بزحف الصبيان مشي الفتيتين تلنقيان للقتال ، فيمشي كل فئة مشياً رويداً إلى الفئة الأخرى قبل التداني للضراب ، وهي مزاحف أهل الحرب ، ويقال : أزحف لنا عدونا إزحافاً أي صاروا يزحفون إلينا زحفاً ليقاتلونا . زحف القوم إلى القوم : دلفوا إليهم ، الزحف : المشي قليلاً قليلاً^(٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : (زحفاً) متزاحفاً بعضكم إلى بعض ، والتزاحف التداني

والتقارب^(٧) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ١/١٤٥ .

(٢) الأنفال/١٥ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) .

(٣) اللدي : هو المشي الرويد وأصغر الجراد والنمل . انظر الفيروزآبادي : القاموس ، ١/١٦٥٤ .

(٤) سنن أبو داود : كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ١/٤٧٥ (١٥١٧) .

(٥) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي أبو منصور : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ ، تحقيق (محمد جبر الألفي) .

(٦) ابن منظور : اللسان ٦/٢٥ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ٦/١٩٩ .

وقال القرطبي : الزحف الدنو قليلاً قليلاً ، وأصله الاندفاع على الإلية ، ثم سمي كل ماشٍ في الحرب إلى آخر زحفاً ، والتزاحف : التنادي والتقارب . يقال : زحف إلى العدو زحفاً ، وازدحف القوم ، أي مشى بعضهم إلى بعض^(١) . وقال ابن كثير : أي تقاربتهم ، ودنوتهم إليهم^(٢) .

وأما الشوكاني فقد ذكر كل ما ذكره القرطبي ، وأضاف انتصاب زحفاً إما على أنه مصدر لفعل محذوف ، أي تزحفون زحفاً أو على أنه حال من المؤمنين : أي حال كونكم زاحفين إلى الكفار ، أو حال من الذين كفروا^(٣) .

وأوضح البغوي (زحفاً) أي : مجتمعين متزاحمين بعضكم إلى بعض ، والتزاحف : التنادي في القتال : والزحف مصدر لذلك لم يجمع . وأضاف : الزحف جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة فهم الزحف والجمع : الزحوف^(٤) .

وقال أبو السعود : الزحف الدبيب ، يقال زحف الصبي زحفاً إذا دب على أسته قليلاً قليلاً . سمي به الجيش الدايم المتوجه إلى العدو ، لأنه لكثرتة وتكاثفه ليرى كأنه يزحف ، وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء ، وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة^(٥) .

وأيضاً ذكر الزمخشري أن الزحف : الجيش الدهم الذي يرى لكثرتة كأنه يزحف ، أي يدب ديبياً من زحف الصبي إذا دب على أسته قليلاً قليلاً ، سمي بالمصدر ، والجمع زحوف^(٦) .

وفي التبيان : الزحف تقارب القوم إلى القوم في الحرب^(٧) .

وفي مفردات القرآن قال : أصل الزحف : انبعاث مع جر الرجل . كانبعاث الصبي قبل أن يمشي ، وكالبعير إذا أعيأ فجر فرسنه . الفرسن من البعير بمنزلة

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٣٣/٧ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٣٨٩/٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٢٧/٢ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٣٣٧/١ .

(٥) أبو السعود : تفسير أبو السعود ١٢/٤ .

(٦) الزمخشري : الكشاف ، ٤٥١/١ .

(٧) أبو البقاء : التبيان تفسير غريب القرآن ٢١٧/١ .

الحافر من الدابة ، وكالعسكر إذا كثرت فبعثت انبعائه^(١) .
وذكر الفيروزآبادي أن زحف مشى ، والزحف : الجيش يزحفون إلى العدو ، والصبي يزحف قبل أن يمشي^(٢) .
وقال الفراهيدي : الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم بمرة ، فهم الزحف والجمع زحوف^(٣) .

إذاً الزحف هو المشي قليلاً قليلاً ، هذا ما ذكره ابن منظور ، وذكر الطبري والقرطبي وغيره من المفسرين أن معناها التذاني والتقارب . وهذا ما أوضحه أبو السعود حيث قال سمي مشي الجيش بالزحف ، لكثرتة فيظهر للناظر ، كأنه يسير ببطء ، مع أنه يسير بسرعة ، إذاً هناك اتفاق بين ابن منظور والمفسرين .
وأيضاً حديث جابر : أن ابن مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني مكفوف البصر ، وأنا أسمع الأذان ، قال : إذا سمعت الأذان فأتها ولو حبواً ولو زحفاً^(٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ، فذكرهن ، وذكر فيهن التولي يوم الزحف^(٥) .

ذكر الشافعي عن ابن عباس قال : من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر^(٦) . وذكر الإمام الجصاص : أن المراد بالفئة جماعة الكفار ، فأمرهم بالثبات لهم ، وقتالهم ، وهو معنى قوله تعالى (إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَاً

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٤/١ .

(٢) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١٠٥٣/١ .

(٣) الفراهيدي : كتاب العين ١٦٣/٣ .

(٤) عن جابر عن عبد الله قال : أتى ابن أم مكتوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله متزلي شاسع وأنا مكفوف البصر وأنا أسمع الأذان ، قال فإن سمعت الأذان فأجب ولو حبواً أو زحفاً . مسند أحمد بن حنبل ٣٦٧/٣ (٤٩٩١) .

(٥) سنن البيهقي : كتاب السير ، باب تحريم الفرار من الزحف وصبر الواحد مع الاثنين ٧٥/٩ (١٧٨٥٦) .

(٦) الشافعي : أحكام القرآن ، ٤١/٢ .

فَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) ومعناه مرتب على ما ذكر في هذه الآية ، من جواز التحرف للقتال ، أو الانحياز إلى فئة من المسلمين ليقاتل معهم^(١) .

المعنى العام للنص :

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في القتال (زَحْفًا) يقول : متزاحفاً بعضكم إلى بعض (والتزاحف) التداني والتقارب (فَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) يقول : فلا تولوهم ظهوركم فتهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم^(٢) .

النص رقم (١٣٣)

قال تعالى : (وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَيْبَاتَ وَسُررًا عَلَيْهِمْ يَتَكُونُونَ وَزُخْرُفًا) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زخرف : الزخرف : الزينة . ابن سيده : الزخرف الذهب هذا الأصل ، ثم سمي كل زينة زخرفاً ثم شبه كل مموه مزور به^(٤) . وبيت مزخرف . وزخرف البيت زخرفه : زينه وأكمه . وكل ما ذوق وزين ، فقد زخرف . وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحى . قال : والزخرف ههنا نقوش وتصاوير تزين بها الكعبة وكانت بالذهب فأمر بها حتى حنت . ومنه قوله تعالى : (وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَيْبَاتَ وَسُررًا عَلَيْهِمْ يَتَكُونُونَ وَزُخْرُفًا) قال الفراء : الزخرف : الذهب^(٥) . وجاء في التفسير : إنا نجعلها لهم من فضة ومن زخرف . فإذا ألقيت من الزخرف أوقعت الفعل عليه أي وزخرفاً . نجعل لهم ذلك ، قيل : ومعناه ونجعل لهم مع ذلك ذهباً وغنى . قال : وهو أشبه الوجهين بالصواب . وفي الحديث نهى أن تزخرف المساجد أي تنقش وتموه بالذهب ، ووجه النهي يحتمل أن يكون لئلا تشغل المصلي . وفي الحديث

(١) الجصاص : أحكام القرآن ، ٢٥٠/٤ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٩٩/٦ .

(٣) الزخرف / ٣٤-٣٥ .

(٤) ابن سيده : المحكم ٢٠٣/٥ .

(٥) الفراء : معاني القرآن ، ٣٢/٣ .

الآخر : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى^(١) ، يعني المساجد .

وفي حديث صفة الجنة : لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض^(٢) .
قال ابن الإعرابي في قوله تعالى : (زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)^(٣) أي حسن القول بترقيش الكذب . والزخرف الذهب في غيره . وقوله عز وجل : (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا)^(٤) أي زينتها من الأنوار والزهر من بين أحمر وأصفر وأبيض . وقال ابن أسلم : الزخرف متاع البيت . والزخرف في اللغة : الزينة وكمال حسن الشيء . والمزخرف المزين ، وفي وصيته لعباس بن أبي ربيعة لما بعثه إلى اليمن : فلن تأتيك حجة إلا دحضت ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره ، أي كتاب تمويه وترقيش يزعمون أنه من كتب الله وقد حرف وغير ما فيه وزين ذلك التغيير وموه .

والتزخرف التزين . والزخارف ما زين من السفن . وفي التهذيب :
والزخارف السفن . والزخرف : زينة النبات ، ومنه قوله عز وجل : (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) قيل : زينتها بالنبات ، وقيل : تمامها وكمالها ، وزخرف الكلام نظمه ، وتزخرف الرجل إذا تزين^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : الزخرف : هو الذهب . وزخرف القول أي تزيينه ، وتحسينه بالباطل^(٦) .

وقال القرطبي : (زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) هو عبارة عمّا يوسوس به شياطين الجن إلى شياطين الإنس . وجعل تمويههم زخرفاً ، لتزيينهم إياه . ومنه سمي الذهب زخرفاً ، وكل شيء حسن مموه فهو زخرف ، والمزخرف المزين

(١) صحيح البخاري : أبواب المساجد : باب بيان المساجد ١٧١/١ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في صفة أهل الجنة ، ٦٧٨/٤ (٢٥٣٨) وأيضاً مسند أحمد بن حنبل ١٦٩/١ (١٤٤٩) .

(٣) الأنعام / ١١٢ .

(٤) يونس / ٢٤ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٣١/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١١/١٨٦ ، ٥/٣١٣ .

وزخارف الماء طرائقه . وفي قوله تعالى (لبيوتهم أبواباً .. وزخرفاً) الآية قال موافقاً الطبري الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس وغيره ونظيره (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ) (١) كما ذكر أقوال بعض العلماء ، ومنها قول ابن زيد : هو ما يتخذُه الناس في منازلهم من الأمتعة ، والأثاث . وأيضاً قال الحسن : النقوش . وأصله الزينة ، يقال زخرفت الدار أي زينتها ، تزخرف فلان تزين (٢) .

وأيضاً ذكر ابن كثير : أن معنى (زخرفاً) في الآية هو الذهب (٣) .

كما أوضح الشوكاني : أن زخرفاً : ذهباً ، وزخرف القول هو وسوسة شياطين الجن إلى الإنس (٤) .

وقال البيضاوي : أن الزخرف هو الزينة أو ذهباً (٥) .

وقال النسفي : زخرفاً أي زينة ، من كل شيء والزخرف الذهب ، والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفاً من فضة ، وزخرف أي بعضها من فضة وبعضها من ذهب (٦) .

وأضاف الألوسي : قيل الزخرف حقيقة في الزينة ، ولكون كمالها بالذهب استعمل فيه أيضاً (٧) .

وجمعها الزمخشري حيث قال : الزخرف الزينة والذهب (٨) .

وفي مفردات القرآن : الزخرف : الزينة المذوقة . ومنه قيل للذهب : زخرف . وزخرف القول أي المزوقات من الكلام (٩) .

(١) سورة الإسراء / ٩٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٦٠/٧ ، ٧٦/١٦ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٦١/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٩/٤ ، ٢٢٢/٢ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ١٤٥/١ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ، ١١٤/٤ .

(٧) الألوسي : روح المعاني ، ٨٠/ .

(٨) الزمخشري : الكشاف ، ١١٦٩/١ .

(٩) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٥/١ .

وفي تاج العروس الزخرف الزينة ، وكمال حسن الشئ . والزخرف من القول : زينته وحسنه بترقيش الكذب . والزخرف من الأرض ألوان نباتها ، من بين أحمر واصفر ، وأبيض ، والمقصود زينتها من الأنوار والزهر ، وقيل تمامها وكمالها^(١) .

وفي صحيح البخاري زخرف القول : كل شئ حسنته ، ووشيته وهو باطل ، فهو زخرف^(٢) .

وذكر الزمخشري ، في كتاب الفائق : أن زخرف أي كتاب تمويه وترقيش ، وأصله الزينة ، لما استعير واش يزيد من القول ومن ثم قيل للنام^(٣) .

ذكر ابن منظور أن الزخرف هو الزينة .. وذكر المفسرون أن الزخرف هو الذهب ، مثل الطبري والقرطبي وابن كثير . وجمع بعضهم بين القولين ، حيث قال كل من البيضاوي والنسفي والزمخشري هو الذهب والزينة .. وأوضح الألوسي : أن حقيقة الزخرف الزينة ولكن استعمل في الذهب .. والذي يتضح لي أن الزخرف هو : الذهب لما قال النحاس : (روى شعبة عن الحكم عن مجاهد قال كنت لا أدري ما معنى وزخرفاً ، حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود وذهباً)^(٤) . فالراجح أن معنى الزخرف: هو الذهب لما قاله المفسرون وعلماء اللغة وأما زخرف الأرض فهو حسنها ، وبهاؤها ، وزينتها تكون بالحبوب والثمار والأزهار ، التي تعطىها لون الذهب وغيره^(٥) ، كما أن زخرف القول تزيينه ، وتحسينه ، فهنا يمكن أن يكون معنى الزخرف الزينة ، سواء كانت حسية كجمال الأرض ، أو معنوية كجمال الكلام .

ونلاحظ من هذه الآية أن زخرفاً موضوعة في المصحف بداية آية ، مع أنها معطوفة على ما قبلها ففي ذلك يقول السيوطي : (الوقف ينقسم إلى أربعة

(١) الزبيدي : تاج العروس ١/٥٨٨٦ .

(٢) صحيح البخاري : باب ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، كتاب التفسير ٤/١٦٩٦ .

(٣) الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ، ٢/١٠٥ .

(٤) النحاس : معاني القرآن ، ٦/٣٥٥ .

(٥) انظر الطبري : جامع البيان ، ١/٥٤٦ ، وابن كثير : التفسير العظيم ، ٨/٢٩٥ .

أقسام تام مختار وكاف جائز وحسن مفهوم وقبيح متروك ، فالتام هو الذي لا يتعلق بشئ لما بعده فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي غالباً وقد يوجد في أثنائها وقد يوجد بعدها كما في هذه الآية (يتكئون.. وزخرفاً) رأس الآية . يتكئون وزخرفاً هو التمام لأنه معطوف على ما قبله(١).

المعنى العام للنص :

الآية معطوفة على ما قبلها يقول جل ثناؤه (وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) أي يعلون إلى السطح (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) من فضة ، وجعلنا لهم سرراً من فضة (عَلَيْهَا يَتَّكُونَ) (وَزُخْرُفًا) أي ذهباً .. فلولا خوف الكفر على المؤمن ، من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك ، لقله خطر الدنيا عندنا ، وعدم حظه في الآخرة في النعيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)(٢) . (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ) أي الجنة (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)(٣) .

النص رقم ١٣٥

قال تعالى : (وَزَرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ)(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زرب : الزرب : المدخل والزرب والزرب : موضع الغنم فيهما زروب : وهو الزريبة أيضاً . والزرب والزريبة حظيرة الغنم من خشب تقول : زربت الغنم أزربها زرباً وهو من الزرب الذي هو المدخل ،

(١) السيوطي : الإتيان ، ٢٢٣/١ ، انظر أيضاً التمهيد في علم التجويد ١٧٩/١ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ، ٥٦٠/٤ (٣٢٣٢٠) . مستدرک الحاكم : كتاب الرقاق ٣٤١/٤ (٧٨٤٧) .

(٣) الجلالين : تفسير الجلالين ٦٥٠/١ .

(٤) الغاشية / ١٦ .

والزرابي : البسط ، وقيل كل ما بسط واتكى عليه ، وقيل : هي الطنافس ، وفي الصحاح : النمارق^(١) والواحد من كل ذلك زريبة عن ابن الإعرابي . الزجاج في قوله تعالى : (وَزَرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ) الزرابي : البسط^(٢) ، وقال الفراء : هي الطنافس ، لها حمل رقيق^(٣) ، وروي عن المؤرخ أنه قال في قوله تعالى : (وَزَرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ) قال زرابي النبات إذا أصفر وأحمر وفيه خضرة وقد أزرَب ، فلما رأوا الألوان في البسط والفرش شبهوها بزرابي النبات ، وكذلك العبقرى من الثياب والفرش ، وفي حديث بني العنبر : فأخذوا زريبة أمي فأمرُوا بها فردت^(٤) . الزريبة : الطنفسة ، وقيل : البساط ذو الخمل ، وتكسر زايبها وتفتح وتضم ، وجمعها زرابي^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : وفيها طنافس ، وبسط كثيرة ، مَبْتُوثَةٌ ومفروشة ، والواحدة : زريبة ، وهي الطنفسة التي لها خل رقيق^(٦) .
وأورد القرطبي الأقوال المختلفة فقال : قال أبو عبيدة : الزرابي : البسط وقال ابن عباس : الزرابي : الطنافس التي لها خمل رقيق ، واحدتها زريبة وقاله الكلبي والفراء والمبثوثة : المبسوطة ، قاله قتادة ، وقيل بعضها فوق بعض قاله عكرمة وقيل : كثيرة ، قاله الفراء وقيل : متفرقة في المجالس قاله القتيبي . وقال

(١) الجوهري : الصحاح ١/١٦٣ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن إعرابه ٥/٢٤٤ .

(٣) الفراء : معاني القرآن ، ٣/٢٥٨ .

(٤) الطبراني : المعجم الكبير ٤/٢٣١ (٤٢١٥) ، حدثنا موسى بن هارون ثنا عطاء بن خالد بن الزبير بن عبد الله بن رويح بن ذؤيب العنبري بالبصرة حدثني أبي خالد عن أبيه الزبير عن أبيه عبد الله عن أبيه رويح : عن أبيه ذؤيب ، أن وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا بأُم زبيب فأخذوا زربيتها فلحق زبيب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أخذ الوفد زريبة أمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ردوا عليه زريبة أمه فأخذ من الذي أخذ زريبة أمه صاعاً من شعير وسيقة ومنطقته ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فمسح بها رأس زبيب ، ثم قال : بارك الله فيك يا غلام وبارك لأمك ، قال موسى بن هارون : الزريبة مفرش أثقل من الزيلولة قال الله عز وجل (وزرابي مَبْتُوثَةٌ) يعني مبسوطة .

(٥) ابن منظور : اللسان ٦/٣٣ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١٢/٥٥٥ .

القرطبي هذا أصوب فهي كثيرة متفرقة ومنه (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) (١) .
وقال ابن كثير : قال ابن عباس : الزرابي البسط ، ومعنى مبنوثة أي ههنا ،
وههنا لمن أراد الجلوس عليها (٢) .

وقال الشوكاني : يعني البسط واحدها زرابي وزربية (٣) .
وفي مفردات القرآن : الزرابي : جمع زرب ، وهو ضرب من الثياب
محبر ، منسوب إلى موضع (قيل : منسوبة إلى الزرب وهو الحظيرة التي تأوي
إليها الغنم) وعلى طريق التشبيه والاستعارة ، والزرب والزربية : موضع الغنم
وكثره فترة الرامي (٤) .

وذكر البخاري : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : (أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو
بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب
فاستمالت غرباً فلم أر عبقرياً يفدي فدية حتى روى الناس ، وضربوا بعطن) (٥) .
قال ابن جبير العبكري عتقا الزرابي ، وقال يحيى الزرابي الطنافس لها
خمل رقيق ، مبنوثة كثيرة .

إذاً الطنافس جمع طنفسة ، وهي البساط الذي له خمل ، والخمل الأهداب .
وقال موسى بن هارون (٦) : الزربية مفرش أثقل من الزيلولة . قال عز
وجل (وَزَرَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ) يعني مبسوطة (٧) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٢/٢ والآية من سورة البقرة / ١٦٤ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٤٨/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٠٩/٥ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦١٦/١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله
عنه ، ١٣٤٧/٣ (٣٤٧٩) .

(٦) موسى بن هارون هو : أبو عمران موسى بن هارون بن سعيد ، انظر ابن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان
أبو محمد الأنصاري ، طبقات المحدثين بأصبهان ، والواردين عليها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ -
١٩٩٢م ، تحقيق عبدالغفور عبدالحق حسين ، ١٨٦/٤ .

(٧) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، تحقيق أحمد بن عبد المجيد السلفي (٤٢١٥) .

وفي تاج العروس ذكر حديث أبي هريرة : ويل للعرب من شر قد اقترب
ويل للزربية قيل : وما الزربية ؟ قال : الذين يدخلون على الأمراء فإذا قالوا شراً
أو قالوا شيئاً قالوا : صدق . شبههم في تلونهم بواحدة الزرابي ، وما كان على
صفتها وألوانها . أو شبههم بالغنم المنسوبة إلى الزرب وهو الحظيرة التي تأوي
إليها . في أنهم ينفادون للأمراء ، ويمضون على مشيتهم انقياد الغنم لراعيتها(١) .
إذا الزرابي هي البسط هذا ما قاله ابن منظور ، ووافقه المفسرون حيث
قالوا هي الطنافس أي البسط .

المعنى العام للنص :

هذا وصف الجنة ، أي فيها بسط متفرقة ، هنا وهناك ، فيها طنافس ،
وبسط كثيرة ، مبنوثة مفروشة ، والواحدة : زربية وهي الطنفسة التي لها خل
رقيق(٢) .

النص رقم ١٣٦

قال تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زرع : زرع الحب يزرعه زرعاً وزراعة ، بذره ،
والاسم الزرع وقد غلب على البر والشعير ، وجمعه زروع ، وقيل : الزرع نبات
كل شئ يحارث ، وقيل : الزرع طرح البذر .

والله يزرع الزرع ينميه حتى يبلغ غايته ، على المثل ، والزرع : الإنبات ،
يقال : زرعه الله أي أنبته . وفي التنزيل : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ
نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أي أنتم تنمونونه أم نحن المنمون له . وتقول للصبى : زرعه الله
أي جبره الله وأنبته . وقوله تعالى : (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)(٤) ، قال
الزجاج : الزراع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدعاة إلى الإسلام ،

(١) الزبيدي : تاج العروس ١/٥٥٦ .

(٢) انظر : الطبري : جامع البيان ، ١٢/٥٥٥ .

(٣) الواقعة ٦٣-٦٤ .

(٤) الفتح ٢٩ .

رضوان الله عليهم^(١) ، وأزرع الزرع : نبت ورقه ، وقال أبو حنيفة : ما على الأرض زرعه واحدة لا زرعة ، ولا زرعة ، أي موضع يزرع فيه . والزرع معالج الزرع ، وحرفته الزراعة^(٢) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في هذه الآية حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت . قال أبو هريرة : ألم تسمع قول الله (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) . أي أنتم تجعلونه زرعاً أم نحن نجعله كذلك ؟ والذي يوافقه قول ابن منظور (والله يزرع الزرع ينميه حتى يبلغ غايته)^(٣) .

وقال القرطبي : معنى الآية أي تجعلونه زرعاً ، وقد يقال : فلان زراع ، كما يقال حراث ، أي يفعل ما يقول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزراع ، وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها تجوزاً^(٤) .

ووافق ابن كثير ابن منظور ، حيث قال الحرث شق الأرض وإثارتها ، والبذر فيها ، والزراعة الإنبات في الأرض^(٥) .

وأيضاً قال الألوسي : (والحرث إلقاء البذر في الأرض ، وهو غير الزرع لأنه إنباته ، كما توضحه الآية)^(٦) .

ونقل السيوطي قول مجاهد قال : أخرج ابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله : أنتم تزرعون ، قال : تنبتونه^(٧) .

وذكر في مفردات القرآن (أن الزرع الإنبات ، وحقيقة ذلك تكون بالأمر الإلهية دون البشرية ، قال (أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) فنسب الحرث إليه ،

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعراجه ، ٢٤/٥ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٣٧/٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٦٥٢/١١ . وانظر أيضاً صحيح ابن حبان ٣٠/١٣ (٥٧٢٣) .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٧ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٣٧٩/٤ .

(٦) الألوسي : روح المعاني ١٢٤/٢ .

(٧) السيوطي : الدر المنثور ٢٣/٨ .

ونفى عنهم الزرع ، ونسبه إلى نفسه ، وإذا نسب إلى العبد فلكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع ، كما تقول أنبت كذا : إذا كنت من أسباب نباته ، والزرع في الأصل مصدر ، وعبر به عن المزروع نحو قوله : (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً) (١) ، وقال : (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) (٢) ويقال : زرع الله ولد تشبيهاً ، كما تقول : أنبته الله ، والمزروع : الزراع وازدراع النبات : صار ذا زرع (٣) .

وأكد البخاري هذا القول بقوله (تحرثونه) من الحراثة وهي حفر الأرض وإثارة ترابها لإلقاء البذر فيها (تزرعونه) : تتبثونه (٤) .

وجاء في كتاب الاعتقاد : سلب الله الزرع من البشر ، مع مباشرتهم إياه ، وأنبته لنفسه ليدل بذلك على أن المعنى المؤثر في وجودها بعد عدمها هو إيجادها ، وخلقها وإنما وجدت من عباده مباشرة بقدرة حادثة أحدثها خالقنا عز وجل على ما أراد ، فهي من الله سبحانه وتعالى خلق على معنى أنه هو الذي اخترعها بقدرته القديمة وهي من عباده (٥) .

وفي كتب اللغة : زرع : الزرع واحد الزروع وموضعه مزرعة ومزروع ، والزرع أيضاً طرح البذر ، والزرع أيضاً الإنبات يقال زرعه الله أي أنبته (٦) . إذاً الزرع هو الإنبات ، وعلى ذلك اتفق المفسرون وابن منظور؟ وحقيقة فاعله هو الله سبحانه وتعالى ، كما يتضح من الأقوال المختلفة للعلماء .

وأما قوله تعالى : (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) . قال الطبري (يقول تعالى ذكره : يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته وبلوغه وانتهاؤه الذين زرعه (ليغيظ بهم الكفار) يقول : فكذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا وغلظ أمرهم

(١) السجدة / ٢٧ .

(٢) الدخان / ٢٦ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ١ / ٦١٧ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب المزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، ٨١٥ / ٢ .

(٥) انظر البيهقي : كتاب الاعتقاد ١ / ١٤٣ .

(٦) انظر : الزبيدي ، تاج العروس ١ / ٢٨٠ ، وأيضاً الرازي : مختار الصحاح ١ /

كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته ، ثم قال (ليغيظ بهم الكفار) فدل ذلك على متروك من الكلام وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار(١) .

وكذلك قال القرطبي : أي يعجب هذا الزرع زراعه وهو مثل فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه كانوا قليلاً فكثروا . (ليغيظ بهم الكفار) اللام متعلقة بمحذوف أي فعل هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار . وذكر قول مالك بن أنس : (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية) (٢) .

وفي قول ابن كثير : فهو أي يعجب هذا الزرع زارعه لقوته وحسن منظره وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع فإنه يكون في الابتداء ضعيفاً ، ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه (ليغيظ بهم الكفار) أي كثرهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين(٣) . وهذا ما ذكره ابن منظور .

المعنى العام للنص :

يقول تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) وهو شق الأرض ، وإثارتها ، والبذر فيها (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) ؟ أي تتبثونه ، (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) ؟ أي بل نحن الذين نقر قراره وتبثته الأرض(٤) .

النص رقم ١٣٧

قال تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا)(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زرق : التهذيب ، الزرقة في العين ، تقول : زرقت عينه

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٦٩/١١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٤٣/٧ .

(٤) انظر الشوكاني فتح القدير ٧٩/٥ .

(٥) ط/١٠٢ .

بالكسر ، تزرق زرقاً ، ابن سيدة : الزرقة البياض حيثما كان ، والزرقة : خضرة
في سواد العين ، وقيل : هو أن يتغشى سوادها بياض ، زرق زرقاً فهو أزرق ،
وأزرقى ، قال الأعشى : تتبعه أزرقى لحم^(١) .
وقد زرقت عينه بالكسر ، قال الشاعر :

لقد زرقت عينك بابن مكعبير كما كل ضبي من اللوعم أزرق^(٢)
وأزرقت عينه ازرقاقاً وارزاقات عينه ازريقاقاً ، وهو أزرق العين ، ونصل
أزرق بين الزرق : شديد الصفاء ، والأزارقة من الحرورية : صنف من
الخوارج ، واحدهم أزرقى ينسبون إلى نافع بن الأزرق^(٣) .
وقوله تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) فسره ثعلب فقال : معناه
عطاش ، قال ابن سيدة : وعندى أن هذا ليس على القصد الأول ، إنما معناه
أزرقت أعينهم من شدة العطش ، وقيل : عمياً يخرجون من قبورهم بصراء كما
خلقوا أول مرة ويعمون في المحشر ، وإنما قيل : زرقاً لأن السواد يزرق إذا
ذهبت نواظرهم ، ويقال : زرقاً طامعين فيما لا ينالونه . وقال غيره : الزرق
المياه الصافية ، ومنه قول زهير :

فلما وردت الماء زرقاً جمامه وضعت عصي الحاضر المتخيم^(٤)

(١) البيت كاملاً : تدلى حثيثاً حثيثاً كأن الصوار أتبعه أزرقى لحم
(٢) البيت لسويد اليشكري . وهو سويد بن أبي كاهل (غطيف أو شبيب) بن حارثة بن حسل الذيباني اليشكري ،
شاعر من مخزومي الجاهلية والإسلام ، في بادية العراق . انظر : ابن سلام : طبقات الشعراء ، ١٥٢/١ . والبيت
ذكره الاصفهاني في كتابه الأغاني ، ٣٩٩/١٠ ، والمكعبير من أسماء الرجال ، ويجمع كعابر والمعنى : هو عقد أنابيب
الزرع والسنبل . انظر : الفراهيدي : كتاب العين ، ٣٧/٢ . وابن المكعبير : الشاعر هو كرز بن المكعبير الصبي .
انظر الزبيدي : تاج العروس ، ٧٨٠/١ .

(٣) والحرورية هم خمس وعشرون فرقة منهم صنف يقال له الأزارقة وهم أصعب الخوارج وأشهرهم فعلاً وأسوأهم
حالاً . انظر : أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب الشافعي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ،
المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م ، تحقيق زاهد بن الحسن الكوثري ، ص ١٧٨ .
وأيضاً انظر : محمد بن عمر الرازي أبو عبد الله : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، دار الكتب العلمية ، بيروت
، ١٤٠٢ هـ ، تحقيق (علي سامي النشار) ص ٤٦ .

(٤) ديوان زهير ، ص ١٣

والماء يكون أزرق ، ويكون أسحر^(١) ، ويكون أخضر ، ويكون أبيض^(٢) .
دراسة النص :

قال الطبري : عني بالزرق في هذا الموضع : ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند المحشر لرأي العين من الزرق . وقيل : أريد بذلك أنهم يحشرون عمياً كالذي قال الله (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا)^(٣) .
وقال القرطبي : (زرقاً) حال من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه أي تشوه خلقتهم بزرقه عيونهم وسواد وجوههم (وأورد أقوال العلماء المختلفة فقال : قال الكلبي والفراء : (زرقاً) أي عمياً وقال الأزهري : عطاشاً قد أزرق أعينهم من شدة العطش وقال ه الزجاج قال : لأن سواد العين يتغير ويزرق من العطش ، وقيل : إنه الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة، وقول خامس : إن المراد بالزرقه شخوص البصر من شدة الخوف) .

يقال رجل أزرق العين والمرأة زرقاء بينة الزرق والاسم الزرقه وقد زرقت عينه بالكسر وأزرقته عينه ازرقاقاً وأزراقت عينه أزريقاقاً ، وقال سعيد ابن جبير : قيل لابن عباس في قوله : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) وقال في موضع آخر : (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا) فقال : إن ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقاً وحالة عمياً^(٤) .

وقال ابن كثير : معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال^(٥) .

وقال البغوي : والزرقه : هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه ، وقيل : (زرقاً) : أي عمياً وقيل عطاشاً^(٦) .

(١) الماء الأسحر : المائل إلى الحمرة ، إذا كان حديث عهد بالسماء قبل أن يصفو . انظر : الزبيدي ، تاج العروس . ٢٩٢٠/١ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٣٨/٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤٥٥/٨ والآية من سورة الإسراء ٩٧/ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١١ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ٢٢٢/٣ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٢٩٤/١ .

وقال ابن الجوزي : (زرقاً) فيها قولان أحدهما عمياً وهذا القول عن ابن عباس والثاني زرق العيون من شدة العطش^(١) .

وفي مفردات القرآن : الزرقة : بعض الألوان بين البياض والسواد ، يقال : زرقت عينه زرقة وزرقاناً ، وفي الآية (زرقاً) أي عمياً عيونهم لا نور لها^(٢) .
وقيل .. والعدو الأزرق الشديد العداوة والأصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) أي عطاشاً^(٣) .

وفي القاموس المحيط : الزرق : العمى ، ويومئذ زرقاً أي عمياً^(٤) .
وفي تاج العروس : الزرق : العمى^(٥) ، وكذلك قال الفراهيدي^(٦) .
ذكر ابن منظور أن الزرقة في العين .. وفي قوله تعالى (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) قيل عطاشاً وقيل عمياً ولم يرجح ، وكذلك المفسرون لم يرجحوا وإنما ذكر القرطبي قول ابن عباس إن ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقاً وحالة عمياً . والواضح أنها توضح ما يكون عليه حالة المجرمين أن عيونهم تكون زرقاً سواء من عطش يوم القيامة أو عمياً كما في قوله تعالى : (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا) .

المعنى العام للنص :

قال الطبري : يقول تعالى ذكره : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقاً وهو ما يظهر في أعينهم من شدة العطش وقيل أنهم يحشرون عمياً^(٧) .

النص رقم ١٣٨

(١) ابن الجوزي : زاد المسير ٣٢١/٥ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢١/١ .

(٣) تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي : خزنة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، تحقيق عصام شعيتو ، ٤٩٨/٢ .

(٤) الرازي : القاموس المحيط ٢١٤٩/١ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ٦٣٥٣/١ .

(٦) الفراهيدي : كتاب العين ٨٩/٥ .

(٧) الطبري : جامع البيان ٤٥٥/٨ .

قال تعالى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) (١) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : الزَّعَمَ وَالزُّعَمَ وَالزَّرْعَمَ ثلاث لغات : القول زعم زَعَمًا وزُعَمًا وزِعَمًا أي قال ، وقيل : هو القول يكون حقًا ويكون باطلاً ، وأنشد ابن الإعرابي لأمية في الزعم الذي هو حق :

وإني أدين لكم أنه سينجزكم ربكم ما زعم

وقال الليث : سمعت أهل العربية يقولون إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأمر يستيقن أنه حق ، وإذا شك فيه فلم يدر لعله كذب أو باطل قيل زعم فلان ، قال : وكذلك تفسر هذه الآية : (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ) (٢) أي بقولهم الكذب ، وقيل : الزعم الظن ، وقيل : الكذب : زعمه يزعمه .

وتزاعم القوم على كذا تزاعماً إذا تضافروا عليه ، قال : وأصله أنه صار بعضهم لبعض زعيماً ، وفي قوله مزاعم أي لا يوثق به ، قال الأزهري : الزعم إنما هو في الكلام (٣) ، يقال : أمر فيه مزاعم أي أمر غير مستقيم فيه منازعة بعد. قال ابن السكيت (٤) : ويقال للأمر الذي يوثق به مزعم أي يزعم هذا أنه كذا ويزعم هذا أنه كذا . والزعم يأتي في كلام العرب على أربعة أوجه ، يكون بمعنى الكفالة والضمان والوعد ورابعاً بمعنى الظن كما قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود :

فذق هجرها ! قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم (٥)

وحكى ابن خالويه (١) : الزعم يستعمل فيما يذم كقوله تعالى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) حتى قال بعض المفسرين : الزعم أصله الكذب والزعيم :

(١) النجاين / ٧ تنمة الآية (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) .

(٢) الأنعام / ١٣٦ .

(٣) الأزهري : التهذيب ١٥٦/٢ .

(٤) ابن السكيت : إصلاح المنطق ص ٨٥ .

(٥) وعبدالله بن عبدالله كان قاضي المدينة ، ومن فقهاؤها ، انظر تاريخ الطبري ، ٥٣٢/٣ . انظر الأصفهاني : الأغاني ، ١٧٤/٩ .

الكفيل . زعم به يزعم زعماً وزعامه أي كفل وقال الله تعالى : (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ)^(٢) قالوا جميعاً : معناه وأنا به كفيل ومنه حديث علي رضوان الله عليه : ذمتي رهينة وأنا به زعيم ، وزعمت به أزعم زعماً وزعامه أي كفلت . وزعيم القوم : رئيسهم وسيدهم ، والجمع زعماء . والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامه ، قال الشاعر :

حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيماً^(٣)

دراسة النص :

قال الطبري : قال ابن عمر : زعم كنية الكذب . (وزعيم) : كفيل^(٤) .
وأما القرطبي فقال : (زعم) أي ظنوا ، والزعم هو القول بالظن . وذكر قول شريح^(٥) : (لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ، وأما الزعيم فهو الكفيل والضمين والرئيس)^(٦) .

ولم يذكر ابن كثير معنى لكلمة (زعم) ، وأما زعيم فقال عنها من باب الضمان والكفالة^(٧) .

(١) ابن خالويه : هو حسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه أبو عبد الله الهمداني الشافعي ، إمام اللغة والعريية ، وغيرهما من العلوم الأدبية ، قدم بغداد وأخذ عن أبي بكر الأنباري وغيره ، وصنف في اللغة ، وكتاب البديع في القراءات ، وغيرها توفي سنة سبعين وثمانمائة . الأذنروي : طبقات المفسرين ، ص ٨٢ .

(٢) سورة يوسف / ٧٢ .

(٣) والشاعر هو : حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري ، أبو المثني شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية ، وشهد حيناً مع المشركين ، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان ، انظر : ابن حجر : الإصابة ، ١٢٦/٢ . والخميس هو الحبيش الجرار سمي كذلك لأنه يكون خمس كتائب أو خمسة صفوف . وعيماً سيداً وشريفاً . انظر ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صفة الأستاذ عبدالعزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧١هـ - ١٩٥١م ، ص ٣١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ١١٤/١٢ ، ٢٥٤/٧ .

(٥) قول شريح : مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٢/٥ (٢٥٧٩٤) . هو شريح بن الحارث الكندي أبو أمية القاضي ، يعد من كبار التابعين ، وكان قاضياً لعمر بن الخطاب على الكوفة ، ثم لعثمان ، ثم لعلي رضي الله عنهم ، فلم يزل قاضياً بها إلى زمن الحجاج ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، وكان ذا فطنة وذكاء ، ومعرفة وعقل ، ورصانة ، وكان شاعراً محسناً ، توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة سنة . انظر الاستيعاب ٢١١/١ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٢١/٨ ، ١٦٦/٩ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٣٧/٢ .

وقال الشوكاني : الزعم هو القول بالظن ، ويطلق على الكذب ، والزعيم هو الكفيل^(١) .

والبيضاوي قال : الزعم ادعاء العلم . وأيضاً قال الزعيم هو الكفيل^(٢) .
وأما الثعالبي : فذكر أنه لا توجد زعم مستعملة في فصيح الكلام إلا عبارة عن الكذب ، أو قول انفراد به قائله . وأما عن الزعيم فذكر قول مجاهد هو : المؤذن الذي قال أيتها العير .. والزعيم هو الضامن في كلام العرب^(٣) .

وفي مفردات القرآن : الزعم : حكاية قول يكون مظنة للكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به ، وقيل للضمان بالقول والرئاسة : زعامة فقيل للمتكفل والرئيس : زعيم ، للاعتقاد في قوليهما أنها مظنة للكذب . (وأنا به زعيم) إما من الزعامة أي الكفالة ، أو من الزعم في القول^(٤) .

وفي المصباح المنير : وأكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق ، وقال بعضهم هو كناية عن الكذب وهو أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب^(٥) .

يتضح مما سبق أن زعم بمعنى كذب ، أو ظن . فهي تكون في القول غير الموثوق به..والزعيم هو الكفيل .. واتفق ابن منظور والمفسرون حول هذا المعنى
المعنى العام للنص :

قال الطبري في هذه الآية : يقول تعالى ذكره : زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم والزعم الكذب ، (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ).
يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : بلى وربى لتبعثن من قبوركم ، (ثُمَّ لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمَلْتُمْ) يقول : ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٣١/٥ ، ٦١/٣ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٣٤٥/١ ، ٣٠٠/١ .

(٣) الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ٣٠٧/٤ ، ٢٤٩/٢ وانظر تفسير مجاهد ٣١٨/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٣١٨/١ .

(٥) الفيومي : المصباح المنير ، ٢٥٣/١ .

الدنيا .. (وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يقول وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين (١) .

النص رقم ١٣٩

قال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) (٢) .
التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زفر : الزفر والزفير : أن يملأ الرجل صدره غماً ثم هو يزفر به ، والشهيق النفس ثم يرمي به . ابن سيدة : زفر يزفر زفراً وزفيراً أخرج نفسه بعد مدة ، وإزفير : إفعيل منه ، والزفرة والزفرة : التنفس (٣) . الليث : وفي التنزيل العزيز : (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) الزفير : أول نهيق الحمار وشبهه . والشهيق آخره ، لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجها ، والاسم الزفرة ، والجمع زفرات ، بالتحريك ، لأنه اسم وليس بنعت ، وربما سكنها الشاعر للضرورة ، كما قال :

فتستريح النفس من زفراتها .

وقال الزجاج (٤) : الزفر من شدة الأنين وقبحه ، والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جداً ، والزفير اغتراف النفس للشدة (٥) .

دراسة النص :

ذكر الطبري : أن الزفير هو أول نهاق الحمار وشبهه ، وشهيق هو آخر نهيقه إذا رده في الجوف عند فراغه من نهاقه ، وهذا ما ذكره ابن منظور عن الليث (٦) .

وأما القرطبي فإنه ذكر الأقوال المختلفة للعلماء فقال : الزفير من الصدر ، والشهيق من الحلق . وقال أهل اللغة : الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير في

(١) الطبري : جامع البيان ، ١١٤/١٢ .

(٢) هود / ١٠٦ تنمة الآية (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) (هود:١٠٦)

(٣) ابن سيدة : المحكم ٢٦/٩ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٦٤/٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٥٥/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١١٣/٧ .

النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوت الحمار في النهيق . كما أنه ذكر قول ابن عباس : قال الزفير الصوت الشديد ، والشهيق الضعيف ، وقيل : الزفير إخراج النفس من شدة الحزن مأخوذ من الزفر ، وهو الحمل على الظهر لشدته ، والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم : جبل شاهق أي طويل ، والزفير والشهيق من أصوات المحزونين^(١) .

وذكر الشوكاني : ما ذكره القرطبي وأضاف عليه أن الزفير إخراج النفس والشهيق رد النفس . وقال قيل أيضاً : الزفير : ترديد النفس من شدة الخوف والشهيق : النفس الطويل الممتد^(٢) .

وأما البغوي : فلم يذكر شيئاً أكثر من الذي ذكره المفسرون السابقون . وكذلك الثعالبي^(٣) .

وقال البيضاوي : الزفير إخراج النفس ، والشهيق : رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ، وغمهم ، وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه ، وانحصر فيه روحه ، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير^(٤) .

وفي مفردات القرآن : الشهيق : طول الزفير وهو رد النفس والزفير مده ومنه قوله (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا)^(٥) وقال تعالى : (سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا)^(٦) . وأصله من جبل شاهق ، أي : متناهي الطول^(٧) .

وفي تاج العروس : الزفير والزفر : أن يملأ الرجل صدره غماً ثم هو يزفر به . وقيل : هو إخراج النفس مع صوت ممدود^(٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٤/٦ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٧٥٧/٢ .

(٣) انظر البغوي : تفسير البغوي ، ٢٠٠/١ ، والثعالبي : تفسير الثعالبي ، ٢١٨/٢ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٦٢/١ .

(٥) سورة الفرقان / ١٢ .

(٦) سورة الملك / ٧ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٧٩٣/١ .

(٨) الزبيدي : تاج العروس ٢٨٩٠/١ .

يتضح أن الزفير هو إخراج النفس ، والشهيق عكسه ، وهما عمليتان متبادلتان مهمتان لعملية التنفس عند الكائن الحي . وخص بها في الآية الأشقياء من البشر يوم القيامة ، لأن أحياناً يصاحبهما قبح في شدة الصوت ، كما شبههم بعض المفسرين بأصوات الحمير .. ولقد ذكر ابن منظور والمفسرون معاني كثيرة للزفير اتفقوا جميعهم عليها .

وذكر في شرح العقيدة الطحاوية في هذه الآية : أن الله يخرج من النار من يشاء ، ثم يبقيها شيئاً ثم ينفئها ، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ودليل ذلك قوله تعالى (قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) . وقال أيضاً : إن الله تعالى يخرج منها من شاء ، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له . قال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّارِ لِمَ أُخْرِجُوا فِيهَا وَنَبَذُوا فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) وما عدا هذين القولين باطل (١) .

وأيضاً ذكر الزركشي : أنه سبحانه لما علم أن وصف الشقاء يعم المؤمن العاصي ، والكافر استثنى من حكم بخلوده في النار بلفظ فطمع ، حيث أثبت الاستثناء المطلق ، وأكد بقوله أن ربك فعال لما يريد ، أي لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار ، ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة ، أكد خلودهم بعد الاستثناء ، بما يرفع أصل الاستثناء حيث قال عطاء غير مجزوذ (٢) .

المعنى العام للنص :

قال ابن كثير : قال ابن عباس : الزفير في الحلق والشهيق في الصدر أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس الشهيق لما هم فيه من العذاب ، وهما من أصوات المكروبين والمحزونين والزفير مثل أول نهيق الحمار والشهيق آخره إذا رده في

(١) ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، ٤٢٠/١ . انظر أيضاً عبد الحميد بن باديس : العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، دار الفتح ، الشارقة ، ط ١ ، ١٩٩٥م (تحقيق محمد صالح رمضان) ١٠١/١ .
(٢) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٤٩/٣ .

الجوف ، وهذا حال الذين سبق لهم الشقاوة فمستقرون في النار لهم فيها زفير وشهيق^(١) .

النص رقم ١٤٠

قال تعالى : (فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زفف : الزفيف : سرعة المشي مع تقارب خطو وسكون ، وقيل : هو أول عدو النعام ، وقيل : هو كالذميل . وقال اللحياني : الزفيف الإسراع ومقاربة الخطو ، زف يزف زفاً وزفوفاً وأزف ، الأخيرة عن ابن الإعرابي ، وقال اللحياني : يكون ذلك في الناس وغيرهم ، قال وأزف أبعد اللغتين . وزف القوم في مشيهم اسرعوا ، وفي التنزيل العزيز : (فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ) قال الفراء : والناس يزفون بفتح الياء ، أي يسرعون ، وقرأها الأعمش يزفون أي يجيئون على هيئة الزفيف بمنزلة المزفوفة على هذه الحال^(٣) ، وقال الزجاج : يزفون يسرعون وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عدوها ، والنعامة يقال لها زفوف^(٤) ، قال ابن حلزة :

يزفون كأنها هقلة أصم رئال دوسة شققاء

والزفيف : السريع مثل الزفيف . وزف الظلم والبعير يزف بالكسر ، زفيفاً أي أسرع ، وأزفه صاحبه وأزف البعير : حمله أن يزف . وزفرف النعام في مشيه : حرك جناحيه والزفان : السريع الخفيف .

وجاء في حديث تزويج فاطمة عليها السلام : أنه صلى الله عليه وسلم صنع

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٠٤/٢ ، وانظر أيضاً الواحدي : الوجيز ، ٥٣٤/١ .

(٢) الصافات / ٩٤ .

(٣) الفراء : معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٣/٤ .

طعاماً وقال لبلال : أدخل علي الناس زفة زفة^(١) حكاة الهروي في الغريبيين ، فقال : فوجاً بعد فوج وطائفة بعد طائفة وزمرة بعد زمرة ، قال : سميت بذلك لزيفها في مشيها أي إسراعها^(٢) .

دراسة النص :

قال الطبري : ذكر الطبري القراءات المختلفة ، ورجح قراءة من قرأ بفتح الياء وتشديد الفاء ، لقوله أن ذلك هو الصحيح من كلام العرب الفصحاء ، ومعناها من زفت النعامة : وذلك أول عدوها وآخر مشيها ، وذكر قول ابن عباس أن (يزفون) معناها : يجرون وقال آخرون : يمشون وقيل يستعجلون^(٣) .

وأما القرطبي فقد ذكر أقوال كثير من العلماء فقال قال ابن زيد : يسرعون وقتادة والسدي : يمشون وقيل : المعنى يمشون بجمعهم على مهل آمنين أن يصيب أحد آلهتهم بسوء وقيل : المعنى يتسللون تسلاً بين المشي والعدو ، ومنه زيف النعامة . وقال الضحاك : يسعون . وقيل أيضاً : يرعدون غضباً ، وقيل : يختالون وهو مشي الخيلاء ، قاله مجاهد ، ومنه أخذ زفاف العروس إلى زوجها ، وقال أبو إسحاق : الزيف أول عدو النعامة^(٤) .

وذكر ابن كثير أن يزفون معناها : يسرعون عن مجاهد^(٥) .

وقال الشوكاني : يسرعون^(٦) وكذلك قال أبو السعود والنسفي : يسرعون من زيف النعام^(٧) .

وفي مفردات القرآن : زف الإبل يزف زفاً وزفيفاً وأزفها سائقها ، وقرئ : (إليه يزفون) أي يسرعون ، (ويزفون) وهي قراءة حمزة من أزف الظليم : دخل في الزيف ، وهو الإسراع ، أي : يحملون أصحابهم على الزيف . واصل

(١) الطبراني : المعجم الكبير ١٣٢/٢٤ (٣٦٢) .

(٢) ابن منظور : اللسان ٥٦/٦ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٥٠٣/١٠ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٥/١٥ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٨/٤ ، مجاهد : تفسير مجاهد ٥٤٣/٢ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٧٢/٤ .

(٧) أبو السعود : تفسير أبو السعود ١٩٨/٧ . وانظر تفسير النسفي ٢٤/٤ .

الزفيف في هبوب الريح ، وسرعة النعام التي تخطط الطيران بالمشي . وزفzf
النعام : أسرع ، ومنه استعير : زف العروس واستعارة ما يقتضي السرعة لا
لأجل مشيتها ، ولكن للذهاب بها على خفة من السرور^(١) .

وقال البخاري (يزفون) : يسرعون في المشي^(٢) .

وفي تاج العروس : الزفيف : أول عدو النعام ، وكذلك زف القوم في
مشيتهم وفي قوله تعالى : (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ)^(٣) .

وفي مختار الصحاح : زف القوم في مشيهم يزفون بالكسر زفيفاً
أسرعوا^(٤) .

إذا يزفون معناها يسرعون من زفيف النعامة أي سرعة مشيها ، وذلك ما
قاله ابن منظور متفقاً مع المفسرين والعلماء الآخرين .

وفي قوله تعالى : (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) أجمع القراء على فتح الياء ، إلا ما
قرأه حمزة من ضمها ، فمن فتح أخذه من زف يزف ، ومن ضم أخذه من أزف
يزف ، وهما لغتان معناهما الإسراع في المشي^(٥) .

المعنى العام للنص :

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ) يعني : إلى إبراهيم (يَزْفُونَ) يسرعون وذلك أنهم أخبروا
بصنيع إبراهيم بألتهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه^(٦) .

النص رقم ١٤١

قال تعالى : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ النَّائِمِ)^(٧) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زقم : الأزهري : الزقم الفعل من الزقوم ، والإزدقام

(١) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢٢/١ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب يزفون الصافات / ٩٤ ، ١٢٢٦/٣ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ٥٨٩٢/١ .

(٤) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

(٥) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ٣٠٢/١ . انظر أيضاً ابن زنجلة : حجة القراءات ٦٠٩/١ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٤٥/١ .

(٧) الدخان / ٤٣-٤٤ .

كالابتلاع^(١) . ابن سيده : أزدقم الشيء وتزقمه ابتلعه ، والتزقم : التلقم^(٢) . قال أبو عمر : الزقم واللقم واحد ، والفعل زقم يزقم ولقم يلقم . والتزقم : كثرة شرب اللبن ، والاسم الزقم ، ابن دريد : يقال تزقم فلان اللبن إذا أفرط في شربه . وهو يزقم اللقم زقماً أي يلقمها . وزقم اللحم زقماً بلعه وأزقمته الشيء أي أبلعته إياه^(٣) .

الجوهري : الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد^(٤) . والزقم : أكله . ابن سيده : والزقوم طعام أهل النار ، قال وبلغنا أنه لما أنزلت آية الزقوم : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) لم يعرفه قريش ، فقال أبو جهل : إن هذا لشجر ما ينبت في بلادنا فمن منكم يعرف الزقوم ؟ فقال رجل قدم عليهم من إفريقية : الزقوم بلغة إفريقية الزبد بالتمر ، فقال أبو جهل : يا جارية هاتي لنا تمراً وزبداً نزدقمه ، فجعلوا يأكلون منه ويقولون : أفبهذا يخوفنا محمد في الآخرة؟^(٥) فبين الله تبارك وتعالى ذلك في آية أخرى فقال في صفتها : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)^(٦) وقال تعالى : (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)^(٧) . الأزهري : فافتتن بذكر هذه الشجرة جماعة من مشركي مكة ، فقال أبو جهل : ما نعرف الزقوم إلا أكل التمر بالزبد ، فقال لجاريته : زقمينا . وقال رجل آخر من المشركين : كيف يكون في النار شجر والنار تأكل الشجر ؟ فأنزل الله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) أي وما جعلنا هذه الشجرة إلا فتنة للكفار ، وكان أبو جهل ينكر أن يكون الزقوم من كلام العرب ، ولما نزلت (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) قال : يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : هي العجوة فانزل الله تعالى (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ

(١) الأزهري : التهذيب ٤٤٠/٨ .

(٢) ابن سيده : المحكم ١٦١/٦ .

(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ٨٢٣/٢ .

(٤) الجوهري : الصحاح ١٤٣٦/٢ .

(٥) انظر الطبري : جامع البيان ٤٩٤/١٠ .

(٦) الصافات ٦٤-٦٥ .

(٧) الإسراء / ٦٠ .

الشَّيَاطِينِ) قال : وللشياطين فيها ثلاثة أوجه : أحدها أن يشبه طلوعها في قبحة رؤوس الشياطين لأنها موصوفة بالقبح وإن كانت غير مشاهدة فيقال كأنه رأس شيطان إذا كان قبيحاً ، الثاني أن الشيطان ضرب من الحيات قبيح الوجه وهو ذو العرف ، الثالث أنه نبت قبيح يسمى رؤوس الشياطين ، قال أبو حنيفة : أخبرني أعرابي من أزد السراة قال : الزقوم شجرة غرباء صغيرة الورق مدورتها لا شوكة لها ، زفرة ، لها كعابر في سوقها كثيرة ، ولها وريد ضعيف يجرسه النحل ، ونورتها بيضاء ، ورأس ورقها قبيح جداً ، والزقوم : كل طعام يقتل . عن ثعلب . والزقمة : الطاعون عنه أيضاً . وفي صفة أهل النار : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا (١) ، الزقوم : ما وصف الله في كتابه فقال : إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، قال : هو فعول من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط (٢) .

دراسة النص :

قال الطبري (الزقوم) هي شجرة تنبت في أصل الجحيم ، جعلها الله طعاماً لأهل الجحيم ، وأن بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة تنتهي عند شجرة الزقوم في أصل الجحيم ، وأضاف أن الغسلين والزقوم شئ لا يعرفه أهل الدنيا (٣) .

وأما القرطبي فقد ذكر : أن الزقوم مشتق من التزقم ، وهو البلع على جهد ، لكراتها وهي تحيا بلهب جهنم كما تحيا الشجرة ببرد الماء . فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها ، وكذلك يصعد إليها من كان أسفل . وقال أيضاً اختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب ، أم لا على

(١) الحديث لابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه . سنن الترمذي : كتاب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، ٧٠٦/٤ (٢٥٨٥) .

سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، ١٤٤٦/٢ (٣٢٥) .

مسند أحمد بن حنبل ٣٠٠/١ (٢٧٣٥) .

سنن النسائي سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) ٣١٣/٦ (١١٠٧) .

(٢) ابن منظور : اللسان ٦ / . انظر كتاب العين للفراهيدي ٩٤/٥ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ٤٦٩/٨ ، ٤٢٤/١ .

قولين : أحدهما أنها معروفة من شجر الدنيا ، ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب : إنها شجرة مرة تكون بتهامة من أخبث الشجر ، وقال غيره : بل هو كل نبات قاتل . القول الثاني : إنها لا تعرف في الدنيا ، فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قالت كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من أفريقية فسألوه فقال هو عندنا الزيد والتمر^(١) .

وأما ابن كثير فقد ذكر ما ذكره ابن منظور من أن لو قطرة قطرت لأفسدت الدنيا ، وأضاف قول ابن عباس في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فقال الرؤيا هي رؤية حق والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم^(٢) .

وقال الشوكاني : هو شئ مر كربه ، يكره أهل النار على تناوله ، فهم يتزقموه ، وهي على هذا مشتقة من التزقم ، وهو البلع على جهد لكرهتها ومنتها ، وأيضاً ذكر شجرة الزقوم هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم ، وسماها الشجرة الملعونة فإذا جاع أهل النار التجأوا إليها فأكلوا منها^(٣) .

وذكر البغوي : الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم ، يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقموه على أشد كراهية ، ومنه قولهم تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشتقة^(٤) .

وأما البيضاوي فقال : الزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ، زفر ، مرة تكون بتهامة ، سميت به الشجرة الموصوفة^(٥) .

وقال الواحدي : الشجرة الملعونة ، هي شجرة الزقوم ، فكانت الفتنة في الرؤيا أن بعضهم ارتد حين أعلمهم صلى الله عليه وسلم بقصة الإسراء ، وازداد

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٧/١ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥١٤/١ ، ٣٣/٣ .

قول ابن عباس في أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة : كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٥ ، ١٩٩٤ م ، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، ٤٩٤/٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ٥٦٥/٤ ، ٨٢٢/٤ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٤٢/١ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٤/١ .

الكفار تكذيباً ، وكانت الفتنة في الزقوم أنهم قالوا أن محمداً يزعم أن في النار شجراً ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) (١) .

وفي مفردات القرآن : إن شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة ، في النار ، ومنه استعير زقم فلان وتزقم : إذا ابتلع شيئاً كريهاً (٢) .

وقال البخاري : هي شجرة تنبت في قعر جهنم ، ثمرها من حيث الكراهية وقبح المنظر كأنه رؤوس الشياطين ، والزقوم من الزقم ، وهو اللقم الشديد ، والشرب المفرط ، ووصفت بأنها ملعونة ، لأنها طعام ملعونين أو لأن العرب تقول لكل طعام ضار ملعون (٣) .

ونجد في كتب اللغة أن الزقم : اللقم ، والتزقم : التلقم ، وأزقمه فإزدقمه . أبلعه فابتلعه ، والزقوم كتنور : الزبد بالتمر ، وشجرة بجهنم وطعام أهل النار وغيره (٤) .

وفي تاج العروس : تزقم اللقمة ابتلعها والتزقم كثرة شرب اللبن والاسم : الزقم . ونقل قول ثعلب الزقوم كل طعام يقتل (٥) .

وفي كتاب التعاريف الزقوم : عبارة عن أطعمة كثيرة في النار ، ومنه استعير زقم فلان وتزقم ابتلع شيئاً كريهاً (٦) .

إذاً الزقوم هو من الزقم وهو البلع مع الكره ، والزقوم هي شجرة في جهنم ، وهي من أطعمة أهل النار ، وهذا ما اتفق عليه ابن منظور والمفسرون .

وفي هذه الآية زعم الزنادقة أن في القرآن تناقضاً ، وذلك في قوله تعالى : (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ) وقوله (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ) فقيل كيف هذا وقد قال تعالى : (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ) ؟

(١) الواحدي : الوجيز ، ٦٣٩/١ .

(٢) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢٤/١ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب المعراج ، ١٤١٢/٣ (٣٦٧٥) .

(٤) الفيروزي أبادي : القاموس المحيط ١٤٤٣/١ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ٧٧٤٦/١ .

(٦) محمد بن عبد الرؤوف المناوي : التوفيق على مهمات التعاريف ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، ٣٨٧/١ .

فيكون الرد كما في قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع يقول ليس لهم طعام في ذلك الباب إلا من ضريع ، ويأكلون الزقوم في غير ذلك الباب ، فذلك قوله (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) (١) .

وعن ابن عباس قال : ذكر الله الزقوم خوف به الحي من قريش قال أبو جهل : هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد ؟ قالوا : لا . قال : الثريد بالزبد ، أما لئن أمكننا فيها لتزقمننا زقماً فأنزل الله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) . وأنزل : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) (٢) .

المعنى العام للنص :

إن المشركين عندما خوطبوا بهذه الآية لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ، ولا برؤوس الشياطين ، ولا كانوا رأوها .. فبينها الله تعالى : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) وهي جعلها الله لأهل النار إذا جاعوا ، استغاثوا فأغيثوا بها ، فيأكلون منها على كره .. فهي أخبث الشجر المر بتهمامة ، ينبتها الله في أصل الجحيم ، وقال تعالى : (طَعَامُ الْأَثِيمِ) وقيل الأثيم هو : أبو جهل ، ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به ، حيث أنه ورد أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ) فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه : قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر ، أي ليست له طعام من غيرها (٣) (٤) .

النص رقم ١٤٢

قال تعالى : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (٥) .

(١) انظر أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله : الرد على الزنادقة والجهمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ ، تحقيق محمد حسن راشد ، ١٥/١ .

(٢) السيوطي : لباب النقول ، ١٣٥/١ .

(٣) حديث أبو الدرداء ذكره الحاكم في المستدرک : تفسير سورة الدخان ٤٨٩/٢ (٣٦٨٤) .

(٤) انظر ابن كثير : جامع البيان ، ١٨٦/٤ . وأيضاً الجلالين : تفسير الجلالين ٦٥٩/١ .

(٥) آل عمران / ٣٧ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زكري اسم وفي التنزيل : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) وقرئ :
(وكفلها زكرياء) وقرأ : زكريا بالقصر ، ابن سيدة : وفي زكريا أربع لغات :
زكري مثل عربي ، وزكري بتخفيف الياء ، زكريا مقصور وزكرياء ممدود^(١) .
الزجاج : في زكريا ثلاث لغات : ممدود ومقصور وزكري بحذف الألف غير
منون^(٢) ، وقال بعض النحويين لم ينصرف لأنه نكرة . وقال الليث : في زكريا
أربع لغات : نقول هذا زكرياء قد جاء وفي التثنية زكرياءان وفي الجمع
زكرياؤون واللغة الثانية هذا زكريا قد جاء وفي التثنية زكريان وفي الجمع
زكرون . واللغة الثالثة هذا زكري وفي التثنية زكريان واللغة الرابعة هذا زكري
بتخفيف الياء وفي التثنية زكريان الياء خفيفة وفي الجمع زكرون بطرح الياء .
الجوهري : في زكريا ثلاث لغات : المد والقصر وحذف الألف^(٣) .

دراسة النص :

تحدث الطبري أيضاً عن القراءات المختلفة فقال : (وكفلها) قرأت عامة
أهل الحجاز والمدينة والبصرة : وكفلها مخففة الفاء بمعنى : ضمها زكريا إليه
اعتباراً بقول الله عز وجل : (يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) . وكفلها مشددة أي
وكفلها الله زكريا^(٤) .

واتفق القرطبي مع الطبري في أن قراءة مخففة تعني أن زكريا ضمها إليه
ومشددة أي أن الله ألزمه كفالتها^(٥) .

وأيضاً لم يختلف عنهما ابن كثير حيث قال إن الله جعله كافلاً لها ، لأنها
كانت يتيمة ، ولا منافاة بين القولين - والله أعلم - وإنما قدر الله كون زكريا كافلاً

(١) ابن سيدة : المحكم ٤٥٩/٦ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه : ٣٣٨/١ .

(٣) الجوهري : الصحاح ٥٤٩/١ .

(٤) ابن منظور : اللسان ٦/٦٢ ، انظر الزبيدي : تاج العروس ٢٨٩١/١ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٢٤٠/٣ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٠/٤ .

لسعادتها ، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً ، لأنه كان زوج خالتها
والبعض قال زوج أختها^(١) .

وقال الشوكاني : أي جعلها معه في محرابه^(٢) .

وذكر البغوي : أن زكريا تقرأ مقصورة عند حمزة والكسائي ، وحفص عن
عاصم ، ويقرأها الآخرون ممدودة^(٣) .

أما في الجلالين فإنه ضم كل الأقوال حيث قال : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها
إليه ، وفي قراءة بالتشديد ، ونصب زكريا ممدوداً ومقصوراً والفاعل الله^(٤) .

وقال مجاهد : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) يقول ساهمهم بقلمه فسهمهم^(٥) . وقال أبو حيان :
زكريا اسم أعجمي بما فيه الألف الممدودة والألف المقصورة فهو ممدود ومقصور
ولذلك يمتنع صرفه وهاتان اللغتان فيه عند أهل الحجاز ولو كان امتناعه للعلمية .
وفي مفردات القرآن : الكفالة الضمان أي ضمنها زكريا^(٦) .

وفي صحيح البخاري يقول المعنى أي ضم زكرياء مريم عليهما السلام إلى
نفسه^(٧) .

وقال الفراهيدي : أي أن زكريا هو كفل مريم لينفق عليها حيث ساهموا
على نفقتها حين مات أبواها^(٨) .

لم يتحدث ابن منظور عن معنى الآية وإنما ذكر القراءات المختلفة لكلمة
(زكريا) وقال هي اسم .. ونلاحظ ان جميع المفسرين لم يتحدثوا عن معنى كلمة
زكريا وبعضهم مثل البغوي والجلالين تحدثوا عن بعض الاختلاف في قراءة كلمة
زكريا أحياناً تمد وأحياناً تقصر .. ولعل المفسرين لم يتحدثوا عن معنى كلمة

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٧٩/١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٠٥/١ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٣١/١ .

(٤) الجلالين : تفسير الجلالين ٦٨/١ .

(٥) مجاهد : تفسير مجاهد ١٢٥/١ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ١٢٥٨/١ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داؤود ذا الأيد أنه أواب ، ١٢٥٧/٣ .

(٨) الفراهيدي : كتاب العين ٣٧٣/٥ .

زكريا لأنها ضمناً معروفة أنه اسم نبي الله . وأما ابن حيان فقد ذكر ما لم يذكره ابن منظور أو أحد المفسرين أن زكريا اسم أعجمي .

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وكفلها بالتشديد وزكريا مقصوراً . وقرأ أبو بكر زكرياء بالنصب أي وكفلها الله زكرياء أي ضمها إليه^(١) .

وذكر الإمام الجصاص إن كفلها زكريا إذا قرئ بالتخفيف كان معناه أنه تضمن مؤنتها .. وإذا قرأ بالثقل كان معناه أن الله تعالى كفله إياها وضمه مؤنتها ، وأمره بالقيام بها والقراءتان صحيحتان^(٢) .

المعنى العام للنص :

(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أي جعله عليه الصلاة والسلام كافلاً لها ، وضامناً لمصالحها ، قائماً بتدبير أمورها . فقليل أنه ما إن ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى بها بيتاً ، واسترضع لها ، وقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت ، وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد ، وجعل بابه في وسطها ، لا يرقى إليها إلا بسلم وكان يأتيها بطعامها وشرابها ، ودهنها كل يوم^(٣) .

النص رقم ١٤٣

قال تعالى : (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : قال ابن الأنباري : في قوله تعالى : (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً) معناه : وفعلنا ذلك رحمة لأبويه وتزكية له ، قال الأزهري : أقام الاسم مقام المصدر الحقيقي^(٥) (وَالزَّكَاةُ : الصَّلَاحُ وَرَجُلٌ تَقِيٌّ زَكِيٌّ أَي زَاكٌ مِنْ قَوْمٍ أَتَقِيَاءَ أَزْكَيَاءَ ، وَقَدْ زَكَ زَكَاءً وَزَكَواً وَزَكَى وَتَزَكَى وَزَكَاهُ اللهُ وَزَكَى نَفْسَهُ تَزْكِيَةً مَدَحَهَا . وَفِي حَدِيثِ زَيْنَبَ كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ فَغَيَّرَهُ ، وَقَالَ تَزَكَى نَفْسَهَا)^(٦) . وَزَكَى

(١) ابن زنجلة : حجة القراءات ١/١٦١ .

(٢) الجصاص : أحكام القرآن ، ٢/٢٩٢ .

(٣) انظر أبو السعود : تفسير أبي السعود ٢/٣٠ . وأيضاً البغوي : تفسير البغوي ، ١/٣١ .

(٤) سورة مريم / ١٣

(٥) الأزهري : التهذيب ، ١٠/٣٧٧

(٦) صحيح البخاري : كتاب الأدب ، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، ٥/٢٢٨٩ ، (٥٨٣٩) .

الرجل نفسه إذا وصفها وأثنى عليها .

والزكاة : زكاة المال معروفة ، وهو تطهيره ، والفعل فيه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته ، غيره الزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به ، وقد زكى المال . وقوله تعالى : (وتزكئهم)^(١) قالوا : تطهرهم بها ، قال أبو علي : الزكاة صفوة الشيء . وزكاه إذا أخذ زكاته . وتزكي : أي تصدق . وفي التنزيل العزيز : (والذين هم فاعلون)^(٢) . قال بعضهم : الذين هم للزكاة مؤتون ، وقال آخرون : الذين هم للعمل الصالح فاعلون ، وقوله تعالى (خيراً من زكاة)^(٣) أي خيراً منه عملاً صالحاً . وقال الفراء : زكاة صلاحاً^(٤) ، وكذلك قوله عز وجل : (وحناناً من لدنا وزكاة) قال : صلاحاً ، وقال : أبو زيد النحوي في قوله عز وجل (لَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(٥) وقرئ : (ما زكى منكم) فمن قرأ ما زكا فمعناه ما صلح منكم ، ومن قرأ زكى فمعناه ما أصلح ، (ولكن الله يزكي من يشاء) أي يصلح وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء كل ذلك قيل ، وقد تكرر ذكر الزكاة والتزكية في الحديث ، قال : وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث . ووزنها فعله كالصدقة . والزكاة هرة للمال وزكاة الفطر طهرة للأبدان ، وفي الحديث : زكاة الأرض يبسها^(٦) ، يزيد طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه بأن يجف ويذهب أثره^(٧) .

دراسة النص :

قال الطبري قوله تعالى : (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ

(١) التوبة / ١٠٣

(٢) المؤمنون / ٤

(٣) الكهف / ٨١

(٤) الفراء : معاني القرآن ، ١٥٧/٢

(٥) سورة النور / ٢١

(٦) الحديث (زكاة الأرض يبسها) انظر مصنف ابن أبي شيبة ، ٥٩/١ (٦٢٤)

(٧) ابن منظور : اللسان ، ٦٤/٦

مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) وقوله : (وحناناً من لدنا وزكاة) ونحو هذا في القرآن قال : يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص^(١) .

ومعنى التزكية : التطهير ، وأن معنى الزكاة : النماء والزيادة ، ويزكيهم ، أي يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان وينميهم ويكثرهم بطاعة الله^(٢) . وفي قوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)^(٣) ، أي تنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص^(٤) . وكذلك في قوله تعالى : (خيراً منه زكاة) أي خيراً من الغلام الذي قتلته الخضر صلاحاً وديناً^(٥) .

والزكاة تطل على المال الذي فرضه الله للمحتاجين وذلك في قوله تعالى يمدح المؤمنين (والذين هم للزكاة فاعلون) أي لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم مؤدون وفعلهم الذي وصفوا به هو أدأؤهما^(٦) .

وقال القرطبي : الزكاة : التطهير والركة والتنمية في وجوه الخير والبر ، أي جعلناه مباركاً للناس يهديهم ، وقيل المعنى زكينا بحسن الثناء ، عليه كما تزكى الشهود إنساناً ، وقيل (زكاة) صدقة به على أبويه^(٧) .

وقال ابن كثير : الزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب وأيضاً الزكاة العمل الصالح وزكاة : بركة^(٨) ، قوله تعالى (خيراً منه زكاة) أي ولداً خيراً من هذا وأرحم بهما^(٩) . والزكاة : زكاة النفس ونقاؤها من الخبائث كما في قوله تعالى

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٢٩/٩

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٦٦/١

(٣) سورة التوبة / ١٠٣

(٤) الطبري ، جامع البيان ، ٤٦٣/٦

(٥) المصدر السابق ، ٢٦٥/٨ أنظر أيضاً : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٦/١١

(٦) المصدر السابق ، ١٩٩/٩

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٣/١١

(٨) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٥٣/٣

(٩) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٣٤/٣

(فقل هل لك إلى أن تزكى) أو أريد بها البركة(١) .

وقال الشوكاني : (زكاة) أي بركة والزكاة ، زكاة المال(٢) أو تطهير النفس

وأصل الزكاة : النمو والزيادة ، ومنه زكاة الزرع : إذا كثر(٣) .

وقال النسفي : وزكاة أي طهارة وصلاًحاً(٤) .

وأورد النحاس عن الضحاك أن الزكاة هي العقل(٥) .

وفي مفردات القرآن قال : أصل الزكاة : النمو الحاصل عن بركة الله

تعالى ويعتبر ذلك بالأمر الدنيوية والآخروية ، يقال زكا الزرع يزكو : إذا حصل

منه نمو وبركة وقوله : (أيها أزكى طعاماً) إشارة إلى ما يكون حلالاً ، ومنه

الزكاة : لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء وتسميته بذلك لما يكون

فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تتميتها بالخيرات والبركات أو لهما

جميعاً فإن الخيرين موجدان فيها ، وفي الآية (وحناناً من لدنا وزكاة) أي مزكى

بالخلقة وذلك عن طريق الإجتباء ، وهو أن يجعل بعض عباده عالماً وطاهر الخلق

لا بالتعلم والممارسة بل بتوفيق إلهي كما يكون لجل الأنبياء والرسل . ويجوز أن

يكون تسميته بالمزكى لما يكون عليه في الاستقبال لا في الحال والمعنى :

سَيَتَزَكَى (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)(٦) . أي : يفعلون ما يفعلون من العبادة

ليزكيهم الله أو ليزكوا أنفسهم والمعنيان واحد(٧) .

وكل شيء في القرآن من ذكر الزكاة فهي في المال إلا في سورة مريم

وحناناً من لدنا وزكاة فالمقصود الطهارة(٨) .

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ٢٥٨٩/١ ،

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٤٦٦/٣ ،

(٣) المصدر نفسه ، ٦٣٧/٥ ،

(٤) النسفي : تفسير النسفي ، ٣٢/٣ ،

(٥) النحاس : معاني القرآن ، ٣١٧/٤ ،

(٦) المؤمنون / ٤

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٦٢٥/١ ، انظر أيضاً : الزبيدي : تاج العروس ، ٨٤١٩/١ .

(٨) انظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١٠٧/١ . وأيضاً السيوطي : الإتقان ، ٤١٨/١

وقال البخاري (زكاة) طهارة وصلاحاً^(١) .

إذاً الزكاة هي الصلاح والتقوى وفي المال هي الطهارة والبركة والنماء هذا

ما ذكره ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

هذه الآية تتحدث عن يحيى عليه السلام . قال القرطبي : قال جمهور

المفسرين : الحنان الشفقة والرحمة والمحبة أي تعطف الله عليه بالرحمة أو ما

أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك ، وجعلناه مباركاً للناس

يهداهم ، وقد كان مطيعاً لله تعالى ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يلم بها^(٢) .

والمعنى زكياه بحسن الثناء عليه كما تزكي الشهود إنساناً وقيل زكاة صدقة على

أبويه .

النص رقم ١٤٤

قال تعالى : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) ^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زلف : الزلف والزلفة والزلفى : القربة والدرجة والمنزلة

. وفي التنزيل العزيز : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) قال :

هي اسم كأنه قال بالتي تقرّبكم عندنا ازدلّافاً وقول العجاج :

ناج طواه مما وجفا

طي الليالي زلفاً فلزفا

سماوة الهلال حتى أحقوقفا^(٤)

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى .. ، ١٢٦٢/٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٨٣/١١ .

(٣) سبأ/ ٣٧ .

(٤) والعجاج اسمه عبد الله بن رؤبة بن لييد بن صخر بن كثيف بن عمرو بني حي بن ربيعة سعد بن مالك بن سعد

بن زيد مناة بن تميم . وهو راجز مجيد من الشعراء ، ولد في الجاهلية وأسلم . تصحيح البيت :

ينضو الهماليج وينضو الزفنا ناج طواه الأين مما وجفا

ينضو : يسليخ والهماليج : التي تمشي الهملجة من الإبل والزف : التي تزف زفيفاً . والزفيف مقاربة الخطو ، والأين :

الفترة . وطواه أضمره ، والوجيف : ضرب من السير . والبيات الثاني :

يقول منزلة بعد منزلة ودرجة بعد درجة .

وزلف إليه وازدلف وتزلف : دنا منه .

وأزلف الشيء قربه ، وفي التنزيل (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) (١) أي قربت . قال الزجاج : وتأويله أي قرب دخولهم فيها ونظرهم إليها (٢) ، وأزدلفه : أدناه إلى هلكه .

ومزدلفة والمزدلفة : موضع بمكة ، قيل سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات . وأزلفه الشيء صار جميعه حكاه الزجاج عن أبي عبيدة . وقوله عز وجل : (وَأُزْلِفْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ) (٣) معنى أزلفنا جمعنا ، وقيل قربنا الآخرين من الغرق وهم أصحاب فرعون وكلاهما حسن جميل لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض ومن ذلك سميت مزدلفة جمعاً . وأصل الزلفي في كلام العرب القربى . وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي رأوا العذاب قريباً (٤) . وفي الحديث : إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة أزلفها أي أسلفها وقدمها (٥) . والأصل فيه القرب والتقدم . والزلفة : الطائفة من أول الليل ، والجمع زلف وزلفات .

ابن سيده (٦) وزلف الليل : ساعات من أوله ، وقيل : هي ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل ، واحدتها زلفة ، وقيل هي الطائفة من الليل ، قليلة كانت أو كثيرة . وفي التنزيل العزيز : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

طي الليالي زلفاً فرلفاً سماوة الهال حتى أحقوقنا

يريد لزفة : أي درجة فدرجة : والزلف : الدرج . يريد مثل طي الليالي سماوة الهلال ، وهي أعلاه . والسماوة : الشخص ، شخص كل شيء . ديوان العجاج : دكتور سعدي ضناوي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، ص ٣٧٤ . ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ٧٣٨/٢ . خزانة الأدب ، ١١٧/١ .

(١) الشعراء / ٩٠ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه : ٧٣/٤ .

(٣) الشعراء / ٦٤ .

(٤) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٥ ، والآية من سورة الملك / ٢٧ .

(٥) سنن النسائي : كتاب الإيمان وشرائعه ، حسن إسلام المرء ، ١٠٥/٨ (٤٩٩٨) .

(٦) المحكم : ابن سيده ٤١/٩ .

طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) (١) فطرف النهار غدوة وعشية . وصلاة طرف النهار : الصبح في أحد الطرفين والأولى والعصر في الطرف الأخير ، وزلفاً من الليل ، وقال الزجاج معنى زلفاً من الليل الصلاة القريبة من أول الليل (٢) . ومنه الحديث أنه كتب إلى مصعب بن عمير وهو بالمدينة : انظر من اليوم الذي تتجمز فيه اليهود لبستها ، فإذا زالت الشمس فاذلف إلى الله بركعتين وأخطب فيهما (٣) ، أي تقرب (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : يقول جل ثناؤه : وما أموالكم التي تفخرون بها أيها القوم على الناس ، ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم ، بالتي تقربكم منا قرية . فيقول زلفى : معناها قرية ، كما في قوله تعالى : (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ) أي وقربنا هنالك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم إليه ، ومنه قوله (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) بمعنى قربت ، وأدنيت (٥) .

وأيضاً ذكر القرطبي في الآية : أي لا تزيدكم الأموال عندنا رفعة ، ودرجة ، ولا تقربكم تقريباً . فالزلف هو القرية ، كما في قوله تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال لم يختلف أهل التأويل أن المقصود هي الصلاة المكتوبة ، وزلفاً من الليل ، قال الزلف هو الساعات القريبة بعضها من بعض ، ومنه سميت المزدلفة لأنها منزل بعد عرفة بقرب مكة (٦) .

وقال ابن كثير : أزلفت أدنيت ، وقربت (٧) .

وكذلك ذكر الشوكاني : أن زلفى معناها قري ، وذكر قول مجاهد الزلفى :

(١) هود / ١١٤ . معاني القرآن وإعرابه ٦٧/٣ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٦٧/٣ .

(٣) ذكره الخطابي في غريب الحديث ٢٥/٢ .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ٦٩/٦ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٣٨٠/١٠ ، ٤٤٩/٩ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦٨/١٤ ، ٩٣/٩ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٨٩/٤ .

القربى والزلفة القربة^(١) .

وذكر السيوطي : أن زلفة بمعنى قربة موضحاً ذلك في قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) أي فلما رأى الكافرون عذاب الله قد اقترب ، ساءت وجوههم بما رأته^(٢) .

ولم يختلف عنهم كل من البغوي ، والبيضاوي أن زلفى معناها قربة^(٣) .

وفي مفردات القرآن : الزلفة : المنزلة والحظوة .

وقيل : استعمال الزلفة في منزلة العذاب ، كاستعمال البشارة ونحوها من الألفاظ . وقيل لمنازل الليل زلف ، والمزالف : المراقبي وأزلفته : جعلت له زلفى وليلة مزدلفة : خصت بذلك لقربها من منى بعد الإفاضة^(٤) .

وفي تاج العروس زلفى درجة ، والزلفة : الطائفة من أول الليل قليلة كانت أو كثيرة^(٥) .

وفي مختار الصحاح أزلفه قربه ، والزلفة والزلفى القربة والمنزلة والزلفة أيضاً الطائفة من أول الليل ، والجمع زلف وزلفات ومزدلفة موضع بمكة^(٦) . وفي إعراب هذه الآية قيل (عندنا زلفى) في موضع نصب على المصدر ، كأنه قال إزلفاً ، والزلفى القربى ، وعند الفراء للأموال والأولاد وقيل هي للأولاد خاصة ، فقيل وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، ولا أولادكم بالتي تقربكم ، ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه^(٧) .

إذا زلفى هي قربى ، كما ذكرنا في معاني الآيات السابقة سواء كانت قربة بمعنى درجة كما في الآية (وما أموالكم ولا أولادكم ..) أو قربية كما في الآيات

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٤/٤٦٩ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ٨/٢٣٩ .

(٣) انظر البغوي : تفسير البغوي ١/٤٠٢ . وأيضاً البيضاوي : تفسير البيضاوي ١/٤٠٣ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ١/٦٢٧ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ١/٥٨٩٦ .

(٦) الرازي : مختار الصحاح ١/٢٨٠ .

(٧) مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد : مشكل إعراب القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ،

تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، ٢/٥٨٩ .

الأخرى ولم يختلف ابن منظور مع المفسرين في هذا المعنى .
 وفي الآية ذم للجاهلية الأولى ، وذلك أن الفخر بالأحساب أي التشرف
 بالأباء ، والتعاضم بعد مناقبهم ومآثرهم ، وفضائلهم ، ذلك جهل عظيم إذ لا شرف
 إلا بالتقوى ، كما قال تعالى : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى
 إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) وأيضاً قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١) (٢) .
المعنى العام للنص :

أي أن الأموال والأولاد لا تقرب أحداً ، إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله
 في سبيل الله ، ويعلم ولده الخير ، ويربّيه على الصلاح (٣) .

النص رقم ١٤٥

قال تعالى : (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زلق : الزلق : الزحل ، زلق زلقاً وأزلقه هو . والزلق :
 المكان المزلق . وأرض مزلقة ومزلقة وزلق وزلق ومزلق : لا يثبت عليها قدم ،
 وكذلك الزلافة ، ومنه قوله تعالى : (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) أي أرض ملساء لا نبات
 فيها أو ملساء ليس بها شيء ، قال الأخفش : لا يثبت عليها القدمان ، والزلق :
 أصلاً الدابة (٥) . قال رؤبة :

كأنها حقباء بلقاء الزلق أو جادر اللبتين مطوي الحنق (٦)

(١) سورة الحجرات / ١٣ .

(٢) انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة
 الرياض الحديثة ، الرياض ، ٣٩٨/١ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٠٣/١ .

(٤) الكهف / ٤٠ تنمة الآية : (فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ حَتَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) .

(٥) الأخفش : معان القرآن ، ٦١٦/٢ .

(٦) هو رؤبة بن العجاج ويكنى أبا الجحاف وهو أول من قال في تقصير الاسم وتخفيف عدد النسب والبعض قال
 أنه أكثر شعراً من أبيه . وهو راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر
 مقامه بالبصرة ، وأخذ منه أعيان أهل اللغة وكان يجتجون بشعره ، ويقولون بإمامته في اللغة . انظر ابن سلام :
 طبقات فحول الشعراء ٧٦١/٢ .

والزلق : العجز من كل دابة . وفي الحديث : كان اسم ترس النبي صلى الله عليه وسلم الزلوق^(١) أي يزلق عنه السلاح فلا يخرقه . وزلق المكان : ملسه . وزلق رأسه يزلقه زلقاً : حلقه . والتزليق : تلميسك الموضع حتى يصير كالمزقة . ويقال : زلقه وأزلقه إذا نجاه عن مكانه وقوله تعالى : (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) ^(٢) أي ليصيبونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك ، قال أبو إسحاق : مذهب أهل اللغة في مثل هذا أن الكفار من شدة إيغاضهم لك وعداوتهم يكادون ينظروهم إليك نظر البغضاء أن يصدعوك^(٣) .

قال القتيبي : أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالبغضاء يكاد يسقطك . وبعض المفسرين يذهب إلى أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن المعين ، قال الفراء : وكانت العرب إذا أراد أحدهم أن يعتان المال يجوع ثلاثاً ثم يعرض لذلك المال فقال : تالله ما رأيت أكثر ولا أحسن فيتساقط^(٤) فأرادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقالوا : ما رأينا مثل حججه ، ونظروا إليه ليعينوه^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : (صَعِيداً زَلَقاً) أي أرض ملساء لا شئ فيها ، قد ذهب كل ما فيها من غرس ونبت ، وعادت خراباً بلاقع ، زلقاً لا يثبت في أرضها قدم لأملساسها ، ودروس ما كان نباتاً فيها^(٦) .

وقال القرطبي : يعني أرض بيضاء لا ينبت فيها نبات ، ولا يثبت عليها قدم ، وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض ، وزلقاً تأكيد لوصف الصعيد ، أي تزل عنها الأقدام لملاستها ، يقال : وكان زلق : أي دحض ، وهو

(١) انظر ابن الأثير : النهاية ، ٧٧٢/٢ .

(٢) القلم / ٥١ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه : ١٦٥/٥ .

(٤) الفراء : معاني القرآن ، ١٧٩/٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٧١/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٢٢٥/٨ .

في الأصل مصدر قولك : زلقت رجله تزلق زلقاً وأزلقها غيره ، والزلق أيضاً عجز الدابة^(١) .

وقال ابن كثير : أي تراباً أملس لا يثبت فيه قدم^(٢) .

وقال الشوكاني : أي تصبح جنة الكافر بعد إرسال الله سبحانه عليها حساباً صعيداً ، أي أرضاً لا نبات بها ، وزلقاً : أي تزلق فيها الأقدام لملاستها . والمزقة الموضع الذي لا يثبت عليه قدم^(٣) .

وقال البيضاوي : أي أرض ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها^(٤) .

وذكر أبو السعود : أنها الأرض الملساء التي يزلق عليها^(٥) .

وقال السيوطي : الصعيد الأملس ، والزلق التي ليس فيها نبات^(٦) .

وأما قوله تعالى : (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ فَمَنْ ابْن منظور الطبري حيث قال الطبري يقول جل ثناؤه : وإن يكاد الذين كفروا يا محمد ينفذونك بأبصارهم ، من شدة عداوتهم لك ، ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك ، غيظاً عليك ، وقد قيل عنه عني بذلك : وإن يكاد الذين كفروا مما عاتوك بأبصارهم ، ليرمون بك يا محمد ويصرعونك كما تقول العرب : كاد فلان يصرعني بشدة نظره إلي . قالوا : وإنما كانت قريش عانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين ، فنظروا إليه ليعينوه ، وقالوا : ما رأينا رجلاً مثله أو إنه لمجنون^(٧) . وقال ابن كثير : (ليزلقونك بأبصارهم) أي يعينوك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم وفي هذه الآية

(١) القرطي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٥٤/١٠ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١١٤/٣ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٤١٠/٣ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٩٨/١ .

(٥) أبو السعود : تفسير أبي السعود ٢٢٣/٥ .

(٦) السيوطي : الدر المنثور ، ٣٩٥/٥ .

(٧) البيضاوي : تفسير الطبري : جامع البيان ، ٢٠٣/١٢ .

دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل^(١) .

وقال الشوكاني : (ليزلقونك) بضم الياء من أزلقه : أي أزل رجله ، يقال أزلقه عن موضعه إذا نجاه ، أي فيقتالونك بعيونهم فيزلقونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه عدواة لك^(٢) .

وفي مفردات القرآن ، الزلق والزلل متقاربان (صَعِيداً زَلَقاً) أي : دحضاً لا نبات فيه نحو قوله : (فَتَرَكَهُ صَلْدًا)^(٣) والمزلق : المكان الدحض . ويقال : زلقه وأزلقه فزلق^(٤) .

وفي تاج العروس ، المزلفة وهي المدحضة لا يثبت عليها قدم ، ومنه قوله تعالى : (فَتُصْبِحُ صَعِيداً زَلَقاً) أي : أرضاً ملساء ، ليست بها شئ ، أو لا نبات فيها^(٥) .

وفي مختار الصحاح ، مكان زلق أي دحض ، وهو في الأصل مصدر زلقت رجله ، وأزلقها غيره ، والمزلق والمزلفة الموضع الذي لا يثبت عليه قدم ، أي أرضٌ ملساء ليس بها شئ^(٦) .

إذاً (الزلق) هي الأرض الملساء ، التي ليس بها نبات ولا تثبت فيها قدم ، هذا ما أوضحه ابن منظور متفقاً فيه مع جميع المفسرين .

المعنى العام للنص :

قال البغوي في هذه الآية ، يقول المؤمن للكافر عسى ، أو لعل ربي أن يعطيني في الآخرة ، خيراً من جنتك ، ويرسل عليها (حسباناً من السماء) وهو عذاباً أو ناراً ، أو كرامٍ من السماء مثل الصاعقة ، أو شئ يهلكها ، فتصبح أرضاً جرداء ملساء ، لا نبات فيها ، تزلق الأقدام ، وقال مجاهد تصبح رملاً هائلاً^(٧) .

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٢٥/٤ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٨٧/٥ .

(٣) البقرة / ٢٦٤ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢٨/١ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ٦٣٦١/١ .

(٦) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ١٧٢/١ .

النص رقم ١٤٦

قال تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زل : زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة يزل وتزل زلاً وزليلاً ومزلة : زلق وأزله عنها . وزللت يا فلان تزل زليلاً إذا زل في طين أو منطق ، وقال الفراء : زللت بالكسر ، تزل زلاً ، والاسم الزلة والزليلي (٢) . وزل في الطين زلاً وزليلاً وزلولاً ، هذه الثلاثة عن اللحياني ، وزلته قدمه زلاً وزل في منطقه زلة وزللاً ، إذا زلت قدمه قيل زل ، وإذا زل في مقال أو نحوه قيل زل زلة ، وفي الحطيئة ونحوها ، وأنشد :

هلا على غيري جعلت الزلة ؟ فسوف أعلو بالحسام القلة

وزل في رأيه ودينه يزل زلاً وزلولاً وزليلي تمد وتقصر عن اللحياني ، وأزله هو واستزله غيره ، وكذلك زل في المزلة وأزل فلان فلاناً عن مكانه إزلالاً وأزاله وقرئ : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا) وقرئ : (فَأَزَلَّهُمَا) أي فنحاهما ، وقيل : أزلهما الشيطان أي كسبهما الزلة ، وفسره ثعلب فقال : أزلهما في الرأي ، وقال اللحياني : أزلهما . وفي حديث عبد الله بن أبي سرح : فأزله الشيطان فلحق بالكفار أي حملة على الزلل وهو الخطأ والذنب . ومقام زل : يزل فيه ، ومقامه زل كذلك (٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : (فَأَزَلَّهُمَا) بتشديد اللام بمعنى : استزلهما من قولك زل الرجل في دينه : إذا هفا فيه ، وأخطأ ، فأنتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزله غيره : إذا سبب له ما يزد من أجله في دينه أو دنياه (٤) .

(١) البقرة ٣٦/ تمة الآية (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ

في الأرضٍ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٣١/١ .

(٣) ابن منظور : اللسان ٧٢/٦ ، انظر الزبيدي : تاج العروس ٧١٣٥/١ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٢٧٢/١ .

وقال القرطبي : قرأ الجماعة فأزلهما بغير ألف من الزلّة ، وهي الخطيئة ، أي استزلهما وأوقعهما فيها ، وقرأ حمزة فأزلهما بألف من التّحية ، أي ناهما يقال أزلته فزال . قال ابن كيسان : فأزلهما من الزوال ، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية^(١) .

وقال ابن كثير : (فأزلهما) إذا كان الضمير عائداً إلى الجنة ، فيكون معنى الكلام ناهما ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الشجرة فيكون معنى الكلام فأزلهما أي من قبل الزلزل^(٢) . وقال أبو حيان : أزل من الزلل وهو عثور القدم ، يقال زلت قدمه وزلت به النعل والزلل في الرأي والنظر مجاز وأزال من الزوال وأصله التّحية^(٣) .

وقال البيضاوي : (أزلهما) أي أصدر زلتهما عن الشجرة ، وحملهما على الزلّة بسببها ، أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ، وأزل يقتضي عثرة مع الزوال وإزالته^(٤) .

وقال الواحدي : أي ناهما وعدهما^(٥) .

ولم يختلف النسفي عن السابقين حيث قال : أزلهما الشيطان عنها أي عن الشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلّة بسببها ، وتحقيقه ، فأصدر الشيطان زلتهما عنها ، أو فأزلهما عن الجنة ، بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما^(٦) .

وفي مفردات القرآن : الزلّة في الأصل : استرسال الرجل من غير قصد ، يقال : زلت رجل تزل ، وقيل للذنب من غير قصد : زلة تشبيهاً بزلّة الرجل^(٧) . اتفق ابن منظور والمفسرون أن أزلهما تأتي بمعنى ناهما عن الجنة .. إذا قرأن (أزلهما) وتأتي بمعنى حملهم على الزلل وهو الخطأ والذنب .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٥٢/١ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١١٦/١ .

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣١١/١ .

(٤) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٩٧/١ .

(٥) الواحدي : الوجيز ، ١٠٠/١ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ٣٨/١ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢٦/١ .

وأما وجوه القراءات في النص فقد قرأ حمزة فأزالهما الشيطان عنها بالألف، أي نحاها عن الحال التي كانا عليها ، من قول القائل أزال فلان فلاناً عن موضعه ، إذا نحاها عنه ، وزال هو . وحجته قوله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اثبتا فثبتا ، فأزالهما الشيطان ، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه ، ومما يقول قراءته قوله فأخرجهما مما كانا فيه ، فأخرجهما في المعنى قريب من إزالتهما ، وقرأ الباقر فأزالهما من زللت ، وأزلني غيري أي أوقعهما في الزلل ، وهو أن يزل الإنسان عن الصواب إلى الخطأ ، والزلة وحجتهم قوله إنما استزلهم الشيطان ، ونسب الفعل إلى الشيطان لأنهما زلا باغواء الشيطان إياهما ، فصار كأنه أزالهما (١) .

وجاء في القاموس المحيط : أن الفاء المفردة تفيد الترتيب ، فهو إما معنوي، كقام زيد ، فعمرو ، وذكره وهو عطف مفصل على مجمل ، نحو فأزالهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وأيضاً تفيد التعقيب (٢) .

المعنى العام للنص :

(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) أي إبليس اذهبهما أو نحاها عن الجنة بأن قال لهما : هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعيم (وَقَلْنَا اهْبِطُوا) إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) بعضكم أي بعض الذرية لبعض عدو من ظلم بعضكم بعضاً (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) أي موضع قرار (وَمَتَاعٌ) ما تتمتعون به من نباتها (إِلَى حِينٍ) وقت انقضاء آجالكم (٣) .

النص رقم (١٤٥)

قال تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا) (٤) .

(١) ابن زنجلة : حجة القراءات ٩٤/١ .

(٢) الفيروزبادي : القاموس المحيط ١٧٤١/١ .

(٣) الجلالين : تفسير الجلالين ٩/١ .

(٤) الزلزلة / ١ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزلزلة والزلزال : تحريك الشيء ، وقد زلزله زلزلة وزلزالاً ، وقد قالوا : إن الفعلال والفعالل مطرد في جميع مصادر المضاعف ، والاسم الزلزال وزلزل الله الأرض وزلزالاً بالكسر فتزلزلت هي . وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) المعنى إذا حركت حركة شديدة^(١) ، والقراءة زلزالها بكسر الزاي ويجوز في الكلام زلزالها ، قال والزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم ، قال ابن الأنباري : في قولهم أصابت القوم زلزلة ، قال الزلزلة : التخويف والتحذير من قوله تعالى : (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) ^(٢) أي خوفوا وحذروا . والزلزال الشدائد والزلزال : الأهوال ، وقال بعضهم : الزلزلة مأخوذ من الزلل في الرأي ، فإذا قيل زلزل القوم فمعناه صرفوا عن الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر . وأزل الرجل في رأيه حتى زل ، وأزيل في موضعه حتى زال ، وفي الحديث : اللهم أهزم الأحزاب وزلزهم^(٣) والزلزلة في الأصل : الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض وهو ههنا كناية عن التخويف والتحذير ، أي اجعل أمرهم مضطرباً متقلقلًا غير ثابت^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : زلزلت حركت ورجت رجاً ، وزلزال إذا كسرت الزاي تكون مصدر ، وإذا فتحت كانت اسماً . وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها^(٥) .
قال القرطبي : الزلزلة : شدة التحريك ، تكون في الأشخاص وفي الأحوال ، يقال : زلزل الله الأرض زلزلة ، وزلزالاً - بالكسر - فتزلزلت إذا

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعراجه ٢٦٨/٥ .

(٢) البقرة ٢١٤/ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ، ١٣٦٢/٣ (١٧٤٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، ١٠٧٣/٣ (٢٧٧٥) .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ٧٣/٦ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ٦٥٩/١٢ .

تحركت واضطربت ، فمعنى (زلزلوا) خوفوا ، وحركوا ، والزلزال - بالفتح - الاسم والزلزال : الشدائد ، ونقل قول الزجاج : أصل الزلزلة من زل الشيء عن مكانه . فإذا قلت زلزته فمعناه حركته من مكانه^(١) .

وقال ابن كثير : (زلزلت) أي تحركت من أسفلها^(٢) .

وقال الشوكاني : الزلزلة شدة التحريك يكون في الأشخاص ، وفي الأحوال وزلزلوا : خوفوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً كما هو في قوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول ..) أي خوفوا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل رسول بعث إلى أمته متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب . وزلزلت الأرض حركت حركة شديدة عند قيام الساعة ، فإنها تضطرب حتى يتكسر كل شئ عليها^(٣) .

وذكر البغوي : أنها الحركة الشديدة للأرض^(٤) .

وفي الجلالين (زلزلت) : أي حركت لقيام الساعة ، التحريك الشديد المناسب لعظمتها^(٥) .

وجاء في مفردات القرآن التزلزل : الاضطراب^(٦) .

وأيضاً ذكر البخاري : أن زلزلت معناها تحركت تحريكاً شديداً ، واضطربت^(٧) .

وورد أن سورة الزلزلة تعدل ربع القرآن ، فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ربع القرآن ، وإذا زلزلت الأرض ربع القرآن ، وإذا جاء نصر الله ربع القرآن^(٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٥/٣ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٩٦/٤ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٢٨/١ ، ٦٧٩/٥ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٥٠١/١ .

(٥) الجلالين : تفسير الجلالين ٨١٧/١ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٢٦/١ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الزلزلة (إذا زلزلت الأرض زلزالها) ١٨٩٧/٤ .

(٨) مسند أحمد بن حنبل : ١٤٦/٣ (١٢٥١٥) .

وفي حديث آخر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها
الكافرون تعدل ربع القرآن^(١) .

وعن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه هل
تزوجت يا فلان ؟ قال لا والله يا رسول الله ، ولا عندي ما أتزوج به قال أليس
معك قل هو الله أحد ؟ قال بلى ، قال ثلث القرآن ، قال أليس معك إذا جاء نصر
الله والفتح ؟ قال بلى ، قال ربع القرآن ، قال أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ قال
بلى ، قال ربع القرآن ، قال أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟ قال بلى قال ربع
القرآن ، قال تزوج تزوج^(٢) .

وفي تاج العروس : زلزلة زلزلة وزلزلاً : حرك شديداً وأزعجه ، وزلزل
الله الأرض زلزلة وزلزلاً أي حركت حركة شديدة^(٣) .

وفي مختار الصحاح : الزلازل : الشدائد^(٤) .

وفي المصباح المنير : زلزلت تحركت ، أو اضطربت^(٥) .

وأما قوله تعالى : (وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) يقول الطبري : أم حسبتم
أيها المؤمنون بالله ورسوله تدخلون الجنة ، ولم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم
من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن ، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من
(البأساء) وهو شدة الحاجة والفاقة (والضراء) وهي العلل والأوصاب ولم تزلزلوا
زلزالهم يعني : ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد ، حتى
يستبطنى القوم نصر الله إياهم . فيقولون : متى الله ناصرنا ؟ ثم أخبرهم أن نصره
منهم قريب ، وأنه معلهم على عدوهم ، ومظهرهم عليه وأضاف أن هذه الآية قيل

(١) سنن الترمذي : باب ما جاء في إذا زلزلت ، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
١٦٦/٥ (٢٨٩٤) .

(٢) سنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في إذا زلزلت ،
١٦٦/٥ (٢٨٩٤) .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ١/٧١٣٦ .

(٤) الرازي : مختار الصحاح ١/٢٨٠ .

(٥) الفيومي : المصباح المنير ١/٢٥٥ .

أنها نزلت يوم الخندق ، حين لقي المؤمنون ما لقوا من شدة الجهد من خوف الأحزاب ، وشدة أذى البرد ، وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ ، يقول الله عز وجل للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) إلى قوله : (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) (١) هنا وافق ابن منظور الطبري أن زلزلوا معناها خوفوا .

إذا زلزلت معناها تحركت للأرض وللناس ، وزلزلوا تأتي بمعنى خوفوا وحذروا ، كما قال ابن منظور ، وكذلك المفسرون وعلماء اللغة .

المعنى العام للنص :

قال الإمام البيضاوي : تتحدث الآية عن اضطراب الأرض المقدر لها عند النفخة الأولى أو الثانية ، أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة فإذا زلزلت الأرض زلزالها أي حركت حركة شديدة لقيام الساعة (٢) .

النص رقم ١٤٨

قال تعالى : (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) (٣) .

التفسير اللغوي للنص :

ذقال ابن منظور : زلم ، الزلم والزلم : القدح الذي لا ريش عليه ، والجمع أزلام ، الجوهرى : الزلم بالتحريك ، القدح (٤) ، قال الشاعر :

(١) انظر : الطبري جامع البيان ٣٥٣/٢ ، والآيات من سورة الأحزاب ٩-١١ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٥١٨/١ .

(٣) المائدة ٣/ تنمة الآية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

(٤) الجوهرى : الصحاح ١٤٣٦/٢ .

بات يقاسيها غلام كالزلم ليس يراعي إيل ولا غنم^(١)
قال : وكذلك الزلم ، بضم الزاي ، والجمع الأزلام ، وهي السهام التي كان
أهل الجاهلية يستقسمون بها .
وزلم القدح : سواه ولينه ، وزلم الرحي : أدارها وأخذ من حروفها ، قال
ذو الرمة :

تفض الحصى عن مجمرات وقبعة كأرحاء رقد زلمتها المناقر^(٢)
وزلمت الحجر أي قطعته وأصلحته للرحى ، وقال : وهذا قولهم هو العبد
زلمة ، وقيل : كل ما حذق وأخذ من حروفه فقد زلم ، ويقال : قدم مزلم و قدح
زليم إذا طر وأجيد قده وصنعتة ، وعضا مزلمة ، وما أحسن ما زلم سهمه .
وفي التنزيل العزيز : (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) قال الأزهري^(٣) :
والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي وأفعل ولا تفعل ، قد
زلمت وسويت ووضعت في الكعبة ، يقوم بها سدنة البيت ، فإذا أراد رجل سفراً
أو نكاحاً أتى السادن فقال : أخرج لي زلماً ، فيخرجه فينظر إليه ، فإذا خرج قدح
الأمر مضى على ما عزم عليه ، وإن خرج قدح النهي قعد عما أراده ، وربما كان
مع الرجل زمانه وضعهما في قرابه ، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما ، قال
الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري :

لم يزجر الطير إن مرت بنا سخاً ولا يغيض على قسم بأزلام^(٤)(٥) .

(١) البيت لرشيد بن رميض العتري بقوله في الحطم وهو شريح بن ضبيعة وأمه هند بنت حسان . انظر الأصفهاني :
الأغاني ، ٢٤٦/١٥ . انظر أيضاً : أبي هلال العسكري : كتاب جمهرة لسان الأمثال ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ،
١٩٨٨م ، ٣٦٢/٢ .

(٢) شبه خف البعير بالرحى أي قد أخذت المناقر والمعاول من حروفها وسوتها . انظر ديوان ذي الرمة ص ٢٠٥ .

(٣) الأزهري : التهذيب ، ٢١٩/٣ .

(٤) الحطيئة : هو جحول بن أوس بن مالك ، كان من فحول الشعراء ، ومقدميهم وفصحائهم ، وكان يتصرف في
جميع فنون الشعر من مدح وهجاء ونسب ، وكان ذا قسر ومنعة وكان كثير الهجاء حتى هجا أباه وأمه وأخاه
وزوجته ونفسه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ثم
أسر وعاد إلى الإسلام ، وكان يلقب بالحطيئة قيل لقصر قامته وروايات أخرى . انظر الإصابة ١٧٦/٢ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٧٥/٦ .

دراسة النص :

قال الطبري : الأزلام واحدها زلم ، وهي القداح . (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) أي أن تطلبوا علم ما قسم لكم ، أو لم يقسم بالأزلام ، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا اراد سفراً ، أو غزواً ، أو نحو ذلك ، أحال القداح ، وهي الأزلام ، وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها : نهاني ربي ، وعلى بعضها أمرني ربي ، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك ، وإن خرج الذي عليه مكتوب نهاني ربي كف عن المضي لذلك وأمسك . لأنهم بفعلهم ذلك كأنهم يسألون أزلامهم أن يقسمن لهم^(١) .

وقال القرطبي : أي وحرّم عليكم الاستقسام ، والأزلام قداح الميسر واحدهما زلم وزلم^(٢) .

وقال ابن كثير : هي سهام العرب ، وكعاب فارس والروم ، كانوا يتقامرون بها ، أو كانوا يستعملونها تارة في الاستخارة ، وتارة في القمار وهي قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور ، واحدها زلم^(٣) .

وأيضاً ذكر الشوكاني قائلاً : هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور^(٤) . وقال أبو حيان : الاستقسام بالأزلام وهو طلب القسم وهو النصيب^(٥) وأيضاً قال البغوي : الاستقسام هو طلب القسم ، والحكم أن الأزلام وهي القداح التي لا ريش لها ولا نصل ، واحدها : زلم وزلم بفتح الزاي وضمها ، وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية^(٦) .

ولم يختلف معهم الألويسي أنها القداح التي كان العرب يستقسمون بها^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٤٠٦/٤ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤٦/٦ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١١/٢ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ١٣/٢ .

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٣٩/٣ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ١٠/١ .

(٧) الألويسي : روح المعاني ، ٥٨/٦ .

وقال البخاري : الأزلام جمع زلم ، وهي قطع خشبية كتب على بعضها
أفعل، وبعضها لا تفعل، وبعضها مهمل ، يضربون بها إذا أرادوا القيام بعمل ما(١)
وقال البيهقي : هي القداح ، كان أهل الجاهلية يستقسمون بها في أمورهم ،
فجمع الله تبارك وتعالى هذا كله فحرمه فقال (ذلكم فسق)(٢) .

إذاً اتفق ابن منظور والمفسرون أن المقصود بالأزلام هي القداح ، التي
كان يستقسم بها العرب في جاهليتهم إذا أرادوا القيام بعمل ، والاستقسام على(٣)
وجهين إما طلب علم ما قسم بالأزلام ، والثاني إلزام أنفسهم بما تأمرهم به القداح.
المعنى العام للنص :

تضمن الآية ما حرم من الصيد ، والذبائح بقوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ
وَالدَّمُ وَالْحَمُ الْخَنِزِيرِ..) ثم قال تعالى (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) فالواو للعطف ، أي
حرم عليكم أن تطلبوا ما قسم لكم من الخير والشر من الأزلام ، وهي القداح التي
كان أهل الجاهلية يلجأون إليها إذا أرادوا أمراً (ذَلِكَمُ فِسْقٌ) أي أن الاستقسام
بالأزلام خروج عن الحلال إلى الحرام . (الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي يوم عرفة
عام حج النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح يبس الكفار أن تترتدوا راجعين إلى
دينهم (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) في مظاهرة محمد واتباع دينه (وَآخِشُونَ) في عبادة الأصنام
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) اليوم أكمل الله الدين بذكر كل الحلال والحرام (وَأَتَمَّمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بدخول مكة آمنين كما وعدتكم(٤) .

النص رقم ١٤٩

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)(٥) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زمل الشئ : أخفاه ، أنشد ابن الأعرابي :

(١) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد ، باب التسمية على الصيد ٢٠٨٣/٥ .

(٢) البيهقي : شعب الإيمان ، الفصل الأول فيما يجلب ويحرم من الحيوانات ، ٢٠/٥ (٥٦٢٦) .

(٣) انظر الجصاص : أحكام القرآن ، ٣٠٦/٣ .

(٤) الواحدي : الوجيز ، ٣٠٨/١ .

(٥) المزمل / ١ .

يزملون حنين الضغن بينهم والضغن أسود ، أو وجهه كلف
وزمله في ثوبه أي لفه ، والتزمل التلفف بالثوب ، وقد تزمل بالثوب وبثيابه
أي تدثر ، وزملته به ، قال امرؤ القيس :

كأن أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل^(١)

وأراد مزمل فيه أو به ثم حذف الجار فارتفع الضمير فاستتر في اسم
المفعول ، وفي التنزيل العزيز (يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ) قال أبو إسحاق : المزمّل أصله
المتزمل والتاء تدغم في الزاي لقربها منها^(٢) ، يقال : تزمل فلاناً إذا تلفف بثيابه ،
وكل شيء لفف فقد زمل . وقال أبو منصور : ويقال للفاقة الرواية زمال ، وجمعه
زمل . وثلاثة أزملة^(٣) . ورجل زمال وزميل إذا كان ضعيفاً فسلاً ، وهو الزمّل
أيضاً . وفي حديث قتلى أحد : زملوهم بثيابهم أي لفوهم فيها^(٤) ، وفي حديث
السفينة: فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم أي مغطى مدثر ، يعني سعد بن
عبادة^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : (المزمّل) هو الملتف بثيابه ، وإنما عني بذلك نبي الله صلى
الله عليه وسلم ، وقال : قال بعض أهل التأويل وصفه أنه متزمل في ثيابه متأهب
للصلاة^(٦) .

(١) تصحيح البيت : كأن كبيراً في عرّانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

ديوان امرؤ القيس ، ص ٥٣ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١٨٦/٥ .

(٣) أبو منصور : التهذيب ، ٢٢١/١٣ .

(٤) حديث قتلى أحد : مسند أحمد بن حنبل ٤٣١/٥ (٢٣٧٠٦) .

(٥) حديث السفينة : صحيح البخاري : كتاب المحاريب من أهل الكفر والردة ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا
أحصنت ، ٢٥٠٣/٦ (٦٤٤٢) .

سعد بن عبادة بن دليم ، وهو ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقد قيل أبو
قيس والأول أصح وكان نقيباً شهد العقبة وبدراً ، وكان سيداً في الأنصار مقدماً وجيهاً له رياسة وسيادة يعترف
قومه له بها . انظر الاستيعاب ١٨٠/١

(٦) ابن منظور : اللسان ٨٣/٦

(٧) تفسير الطبري جامع البيان ٢٧٨/١٢ .

وقال القرطبي : المزمّل أصله المتزمل ، فأدغمت التاء في الزاء ، وفي أصل (المزمّل) قولان : أحدهما أنه المحتمل يقال : زمّل الشيء إذا حمّله ، ومنه الزاملة لأنها تحمل القماش ، والثاني أن المزمّل هو المتلف ، يقال : تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى ، وزمل غيره إذا غطاه ، وكل شيء لفف فقد زمّل ودثر^(١).

وقال ابن كثير : في الآية أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل ، وهو التغطي في الليل^(٢) . وأيضاً قال أبو حيان : تزمل في ثوبه التلف وزمل لف^(٣) .

وقال الشوكاني : المزمّل أصله المتزمل والتزمل التلف في الثوب^(٤) . وكذلك ذكر البغوي مثل قولهم المزمّل هو المتلف بثيابه^(٥) . وفي مفردات القرآن زمّل أي المتزمل في ثوبه على سبيل الاستعارة^(٦) ، على سبيل التأنيس والملاطفة ليشعر أنه غير عاتب^(٧) .

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٩ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٥٨/٤ .

(٣) أبو حيان : البحر الحيط ، ٣٥١/٨ .

حديث السفينة : صحيح البخاري : كتاب المحارِبين من أهل الكفر والردة ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت ، ٢٥٠٣/٦ (٦٤٤٢) .

سعد بن عباد بن دليم ، وهو ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقد قيل أبو قيس والأول أصح وكان نقيباً شهد العقبة وبدراً ، وكان سيداً في الأنصار مقدماً وجيهاً له رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها . انظر الاستيعاب ١٨٠/١ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٤٤٠/٥ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ٢٤٩/١ .

(٦) ذكر الزمخشري : كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً متزماً في قطيفة ، فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة واستعداده للاستئقال في النوم ، كما يفعل من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن . الكشف ١٣٠٦/١ وأيضاً ذكر البيضاوي مثل ذلك ورد عليه ابن المنير فقال : أما قوله : إن نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها فخطأ وسوء أدب ، ومن علم عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشري . وقال العلماء : أنه لم يخاطب باسمه نداء دون سائر الرسل إكراماً له وتشريفاً .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣٠/١ .

وقال البخاري : المزمّل المتلف بثيابه^(١) .

وفي القاموس المحيط : التزميل : الإخفاء ، واللف في الثوب وتزمل : تلف^(٢) .

وأيضاً في تاج العروس قال : أصله المتزمل والتاء تدغم في الزاي لقربها منها يقال : تزمل فلان ، إذا تلف بثيابه^(٣) .

وذكر الفراهيدي أن التزمّل : التلف بالثياب^(٤) .

إذا المزمّل هو المتلف بثيابه ، والخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن منظور موافقاً لجميع المفسرين .

والمزمّل أصله المتزمل فأبدلت التاء زايّاً وأدغمت ، وقد قرئ بتشديد الميم ، وتخفيف الزاي ، وفيه وجهان أحدهما هو مضاعف والمفعول محذوف أي المزمّل نفسه ، والثاني هو مفتعل فأبدلت الفاء ميماً^(٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : يا أيها المزمّل قم الليل قال فلما قدم المدينة نسختها هذه الآية (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ) .

فعن قتادة قال : فرض قيام الليل في أول سورة المزمّل فقام أصحاب رسول الله حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء حولاً ثم أنزل التخفيف في آخرها^(٦) .

وفي سبب نزول الآية عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت سمو هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس قالوا : كاهن ، قالوا : ليس بكاهن ،

(١) صحيح البخاري : أبواب التهجد ، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم ونومه وما نسخ من قيام الليل ، ٣٨٢/١ .

(٢) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ١/١٣٠٦ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ١/٧١٣٩ .

(٤) الفراهيدي : كتاب العين ٣/١١٠ .

(٥) أبو البقاء : التبيان في إعراب القرآن ٢/٢٧١ .

(٦) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج : نواسخ القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ،

٢٤٧/١ هـ ، ١٤٠٥

قالوا: مجنون ، قالوا : ليس بمجنون ، قالوا : ساحر ، قالوا : ليس بساحر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه ، فتدثر فيها ، فأتاه جبريل فقال : يا أيها المزمّل يا أيها المدثر ، وقيل نزلت وهو في قطيفة^(١) .

المعنى العام للنص :

(يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ) هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصله المتزمل أي المتلف في ثيابه حين يجيئ الوحي له خوفاً منه لهيبته^(٢) .

النص رقم ١٥٠

قال تعالى : (كَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلاً)^(٣) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زنجبيل : الزنجبيل : مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض ، ونباته شبيه بنبات الراسن وليس منه برياً ، وليس بشجر ، يؤكل رطباً كما يؤكل البقل ، ويستعمل يابساً وأجوده ما يؤتى به من الزنج وبلاد الصين ، وزعم قوم أن الخمر يسمى زنجبيلاً ، قال : وزنجبيل عاتق مطيب .

وقيل : الزنجبيل العود الحريف الذي يحذي اللسان . وفي التنزيل العزيز في خمر الجنة : (كَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلاً) والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جداً ، قال الأعشى يذكر طعم ريق جارية :
كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وادياً مشورا^(٤)

قال : فجائز أن يكون الزنجبيل في خمر الجنة ، وجائز أن يكون مزاجها ولا غائلة له ، وجائز أن يكون اسماً للعين التي يؤخذ منها هذا الخمر ، واسمه السلسبيل أيضاً^(٥) .

(١) السيوطي : لباب النقول ١/٢٢٢ .

(٢) الجلالين : تفسير الجلالين ١/٧٧٣ .

(٣) الإنسان /١٧ (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلاً) .

(٤) يقول البيت : كأن جنياً من الزنجبيل خالط فاها وأربا مشوار . انظر ديوان الأعشى ص ٨٧ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٦/٩٠ .

دراسة النص :

قال الطبري : يسقى الأبرار في الجنة كأساً كان مزاج شراب الكأس التي يسقون منها زنجبيلاً^(١) . ولم يذكر ما المقصود بالزنجبيل .

وأما القرطبي : فإنه توسع قليلاً حيث قال هي الخمر في الإناء كان مزاجها زنجبيلاً ، وكانت العرب تستلذ من الشراب بما يمزج بالزنجبيل ، لطيب راحته ، لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول ، فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة ، والطيب . وأضاف بعض أقوال العلماء حيث قال : قال مجاهد : الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار ، كذلك قال قتادة : والزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ، وتمزج لسائر أهل الجنة ، وقيل : هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل وقيل : إن فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل والمعنى كأن فيها زنجبيلاً^(٢) .

وأما ابن كثير فقال : يسقى الأبرار خمرًا تارةً ممزوجة بالكافور وهو بارد ، وتارةً بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارةً ومن هذا تارةً ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً . وقيل الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً^(٣) .

والشوكاني قال : إن أهل الجنة يسقون في الجنة كأساً من الخمر ممزوجة بالزنجبيل ، وقال : قال مقاتل : هو زنجبيل لا يشبه زنجبيل الدنيا^(٤) .

وقال الواحدي: الزنجبيل شئ تستلذه العرب ، فوعدهم الله ذلك في الجنة^(٥)

(١) الطبري : جامع البيان ، ٣٦٧/١٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٢٦/١٩ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ٥٨٦/٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ٤٩٣/٥ .

(٥) الواحدي : تفسير الوجيز ١١٥٩/١ .

وأبو السعود قال : أي ما يشبه الزنجبيل في الطعم ، وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيه العرب ، وألذ ما تستلذ به ، وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعاماً فيها^(١) .

وفي تاج العروس : الزنجبيل في خمر الجنة وجائز أن يكون مزاجها . والزنجبيل مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض حرقه تحذي اللسان ، ويستعمل يابساً وله فوائد صحية^(٢) .

ذكر ابن منظور ما المقصود بالزنجبيل .. أما المفسرون فلم يذكروا ما هو الزنجبيل - ولعل المعنى مفهوم - فاكتفوا بذكر تفسير الآية .. وجاء تفسير ابن منظور موافقاً لما قاله المفسرون ، أن الزنجبيل شئ مستطاب عند العرب ، كما أنهم اتفقوا في أنه ربما يكون المقصود به مزاج خمر الجنة ، أو هو عين في الجنة
المعنى العام للنص :

قال البغوي : الزنجبيل مما كانت العرب تستطيه جداً ، فوعدهم الله أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة . وهو ليس يشبه زنجبيل الدنيا ، وقيل هو عين في الجنة .. ويشربها المقربون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة^(٣) .

النص رقم ١٥١

قال تعالى : (عُتِّلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : أصل الزنمة العلامة . والزنيم الدعي . والمزمنم : الدعي ، قال : ولكن قومي يقتنون المزمنما . أي : يستعبدونه ، قال أبو منصور : قوله في المزمنم أنه الدعي وإنه صغار الإبل باطل ، إنما المزمنم من الإبل الكريم الذي جعل له زنمة علامة لكرمه . وأما الدعي فهو الزنيم وفي التنزيل العزيز : (عُتِّلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ) وقال الفراء : الزنيم الدعي الملتصق بالقوم وليس منهم ، وقيل : الزنيم

(١) أبي السعود : تفسير أبو السعود ٧٤/٩ .

(٢) انظر الزبيدي : تاج العروس ٧١٤٢/١ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ٢٩٦/١ .

(٤) القلم / ١٣ .

الذي يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزئمتها والزئمتان المعلقتان عند حلق المعزى ، وهو العبد زئما وزئمة وزئمة وزئمة وزئمة وزئمة أي قره قد العبد(١) . وقال اللحياني : هو العبد زئمة وزئمة وزئمة وزئمة أي حقاً . والزئيم والمزئم المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زئمة ومنه قول حسان : وأنت زئيم نيط في آل هاشم كما ينط خلف الراكب القدر الفرد(٢) وقال ابن عباس في قوله تعالى : (عُلِّبَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ) الزئيم هو : الدعي الملقق(٣) أما سمعت قول حسان بن ثابت :

زئيم تدعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع(٤)

وورد في الحديث أيضاً : الزئيم هو الدعي في النسب(٥) ، وفي حديث علي وفاطمة عليهما السلام : بنت نبي ليس بالزئيم(٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : الزئيم في كلام العرب : الملقق بالقوم وليس منهم(٧) . وأيضاً قال القرطبي : الزئيم الملقق بالقوم الدعي . وعن ابن عباس : أنه رجل من قريش كانت له زئمة كزئمة الشاة ، وذكر أقوالاً أخرى أن الزئيم هو الذي يعرف الشر، وأيضاً قيل هو اللئيم، وقيل هو الظلوم، وأيضاً هو ولد الزنى الملحق بالقوم، وكان الوليد دعياً في قريش أدعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده(٨) .

(١) الفراء : معاني القرآن ، ١٧٣/٣ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٢١٦ . والبيت لحسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث .

(٣) انظر : الطبري جامع البيان ١٨٤/١٢ .

(٤) البيت : فإن تذكروا كعباً إذا ما نسيتم فهل من أديم ليس فيه أكارعه

يقول : أنتم من كعب بمثلة الأكارع من الأدم ، فلا يضير كعب أنتسابكم إليهم إذ هم الرأس وأنتم الأذنان . انظر ديوان حساب بن ثابت ص ٣٢٨ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ٢١٩٠/٤ (٢٨٥٣) .

(٦) ابن منظور : اللسان ٩٤/٦ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ١٨٤/١٢ .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١٨ .

وقال ابن كثير : (الزنيمة) رجل من قريش له زنيمة مثل زنيمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنيمة من بين أخواتها والزنيمة في لغة العرب هو الدعي في القوم (١) .

وقال السيوطي : هو الفاحش اللئيم ، وهو الدعي (٢) .

وقال مجاهد : الزنيمة هو الرجل يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنيمة (٣) .

وفي مفردات القرآن : زنيمة : الزنيمة والمزنيمة : الزائد في القوم وليس منهم تشبيهاً بالزنيمة من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن أذن الحلق ، وفي الآية هو العبد زنيمة وزنيمة أي المنتسب إلى قوم معلق بهم لا منهم (٤) .

وقال البخاري : الزنيمة هو الدعي الملقب بالقوم وليس منهم والزنيمة أيضاً

اللئيم المعروف بلؤمه وشره وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل غيره ، (وزنيمة) قطعة جلد أو لحم زائدة (٥) .

وقال النسائي : رجل من قريش كانت له زنيمة مثل زنيمة الشاة (٦) .

وفي مختار الصحاح : الزنيمة المستلحق في قوم ليس منهم والزنيمة لا يحتاج

إليه فكأنه فيهم زنيمة وهي شئ يكون للمعز في أذنها كالقرط وهي أيضاً شئ يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً (٧) .

وقال الفراهيدي : الزنيمة : الدعي (٨) .

وأضاف السيوطي : إذا تكررت النعوت لواحد فالأحسن إن تباعد معنى

الصفات العطف نحو هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وإلا تركه نحو ولا تطع

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ٥١٨/٤ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ٢٤٦/٨ .

(٣) مجاهد : تفسير مجاهد ٦٣١/١ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣١/١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب تفسير سورة القلم (باب عتل بعد ذلك زنيمة) ، ١٨٧٠/٤ .

(٦) سنن النسائي الكبرى : سورة القلم قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيمة) ٤٩٧/٦ (١١٦١٦) .

(٧) الرازي : مختار الصحاح ٢٨/١ .

(٨) الفراهيدي : كتاب العين ٣٧٥/٧ .

كل حلاف مهين هـماز مشاء بنميم مـناع للخير للخير معتد أـثم عـتل بعد ذلك
زـنيم(١) .

إذا الزنيم هو الدعي المـلصق بالقوم وليس منهم ذكر ذلك ابن منظور واتفق
المفسرون على هذا المعنى .

(١) السيوطي : الإتيان ١٨٨/٢ .

المعنى العام للنص :

قال الزمخشري : الزنيم هو الدعي ، وكان الوليد دعياً في قريش ليس منهم أدعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده ، وقيل : بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية ، جعل جفاه ودعوته أشد معاييه ، لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها^(١) .

النص رقم ١٥٢

قال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زنا : الزنا يمد ويقصر ، زنى الرجل يزني زنى مقصور وزناء ممدود . وكذلك المرأة وزاني مزناة وزنى ، كزنى ومنه قول الأعشى :
إما نكاحاً وإما أزن^(٣) .

يريد : أزني ، وحكى ذلك بعض المفسرين للشعر ، وزاني مزناة وزناء وكذلك المرأة أيضاً ، وأنشد :

أما الزناء فإني لست قاربه المال بيني وبين الخمر نصفان
والمرأة تزاني مزناة وزناء أي تباغي ، قال اللحياني : الزنى مقصورة ،
لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى) بالقصر . والنسبة إلى
المقصور زنوي ، والزناء ممدود لغة بني تميم ، وفي الصحاح المد لأهل نجد^(٤) .
والنسبة إلى الممدود زنائي ، وزناة تزنيه نسبة إلى الزنى ، وقال له يا زاني وفي
الحديث ذكر قسطنطينية الزانية ، يريد الزاني أهلها ، وقد زانى المرأة مزناة
وزناء^(٥) .

(١) الزمخشري : الكشاف ١/١٢٨٢ .

(٢) الإسراء/ ٣٢ (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) .

(٣) بقية البيت : وأقررت عيني من الغانيات إما نكاحاً وإما أزن . انظر ديوان الأعشى ، ص ٢٠٧ .

(٤) الجوهري : الصحاح ٢/١٧٢٣ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٦/٩٦ .

دراسة النص :

قال الطبري : يقول تعالى هنا أي أيها الناس لا تقربوا الزنا إن الزنا كان فاحشة . وساء طريق الزنا طريقاً ، لأنه طريق أهل معصية الله ، والمخالفين أمره ، فأسوأ به طريقاً يورد صاحبه نار جهنم^(١) .

وقال القرطبي : ولا تقربوا الزنى أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا ، فإن معناه لا تدنوا من الزنى ، والزنى يمد ويقصر لغتان ، والزنى من الكبائر ولا خلاف فيه وفي قبحه^(٢) .

وقال ابن كثير : يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا ، وعن مقاربتة ، ومخالطة أسبابه ، ودواعيه ، إنه ذنباً عظيماً^(٣) .

وقال الشوكاني : ذكر تعالى النهي عن الزنا المفضي لإفناء النسل من اختلاط الأنساب ، وفي النهي عن قربانه بمباشرة مقدماته ، نهى عنه بالأولى فإن الوسيلة إلى الشيء إذا كانت حراماً كان المتوسل إليه حراماً بفحوى الخطاب ، والزنا فيه لغتان : المد والقصر . وعلل النهي عن الزنا بقوله إنه كان فاحشة ، أي قبيحاً متبالغاً في القبح مجاوزاً للحد^(٤) .

وقال البيضاوي : ((وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ بِالْعِزْمِ وَالْإِيتَانِ بِالْمَقْدَمَاتِ ، فَضلاً عن أن تباشروه ، لأنه فعلة ظاهرة القبح زائدته^(٥) .

وجاء في كتب اللغة زنى يزني زنى وزناء ، وزانها مزانة وزناه تزنية نسبة إلى الزنى وهو ولد زنية ولزنية^(٦) .

وقال الأزهرى : زنى يزني من الزنى مقصور ويقال الزناء مهموز^(٧) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٧٤/٨ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢٢/١٠ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٥/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ٣١٩/٣ .

(٥) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ٤٤٣/١ .

(٦) أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز : المغرب في ترتيب المعرب ، مكتبة أسامة بن زيد ،

حلب ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، تحقيق محمود فاحوري وعبد الحميد مختار ، ٣٧١/١ .

(٧) الأزهرى : الزاهر ، ٣٣٩/١ .

لم يذكر ابن منظور في هذه الآية معنى كلمة زنى ولا المفسرون وإنما بعضهم ذكر أن كلمة الزنى تقصر وتمد وهذا ما ذكره ابن منظور والمفسرون وتحدثوا عن معنى الآية .

المعنى العام للنص :

(وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى) أبلغ من إتيانه وكان فاحشة أي قبيحاً وساء سييلاً هو

بئس الطريق (١) .

النص رقم ١٥٣

قال تعالى : (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزهد والزهادة في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدنيا خاصة ، والزهد : ضد الرغبة والحرص على الدنيا ، والزهادة في الأشياء كلها : ضد الرغبة ، زهد وزهد وهي أعلى ، يزهد فيهما زهداً وزهداً ، الفتح عن سيبويه (٣) ، وزهادة فهو زاهد من قوم زهاد ، وما كان زهيداً ولقد زهد يزهد منهما جميعاً ، وزاد ثعلب : وزهد أيضاً بالضم . والتزهيد : في الشئ وعن الشئ خلاف الترغيب فيه وزهده في الأمر : رغبه عنه ، وفي حديث الزهري وسئل عن الزهد في الدنيا فقال : هو أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (٤) ، أراد أن لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره عن ترك الحرام ، الصحاح : يقال زهد في الشئ وعن الشئ وفلان يتزهد أي يتعبد (٥) ، وقوله عز وجل : (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال ثعلب : اشتروه على زهد فيه . والزهد : الحقير ، وعطاء زهيد : قليل . وازدهد العطاء : استله . ابن السكيت : يقولون فلان يزدهد عطاء من أعطاه أي يعده زهيداً قليلاً (٦) . والمزهد : القليل

(١) الجلالين : تفسير الجلالين ٣٦٩/١ .

(٢) يوسف / ٢٠ (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢٧٦/١ .

(٤) البيهقي : شعب الإيمان ١٣١/٤ (٤٥٥٣) .

(٥) الجوهري : الصحاح ٤١١/١ .

(٦) ابن السكيت : إصلاح المنطق ٣٦٣/١ .

المال ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : افضل الناس مؤمن مزهد ،
المزهد : القليل الشئ وإنما سمي مزهداً لأن ما عنده من قلته يزهد فيه ، وشئ
زهيد : قليل . قال الأعشى يمدح قوماً بحسن مجاورتهم جارة لهم :
فلن يطلبوا سرها للغنى ولن يتركوها لإزهادها^(١)
وفي الحديث ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد^(٢) ومنه حديث ساعة
الجمعة : فجعل يزهدا أي يقللها^(٣)^(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري : كان إخوة يوسف من الزاهدين ، لا يعلمون كرامته على الله
ولا يعرفون منزلته عنده ، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ، ليخلو
لهم وجهه منه ، ويقطعوه عن القرب منه ، لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى
يوسف دونهم مصروفة إليهم^(٥) .

وقال القرطبي : الزهد قلة الرغبة ، ولم يعلموا منزلته عند الله تعالى^(٦) .

وقال ابن كثير : أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل^(٧) .

وقال الشوكاني : يقال زهدت وزهدت بفتح الهاء وكسرهما ، وأضاف وقال
أهل اللغة : يقال : زهد فيه : أي رغب عنه وزهد عنه ، أي رغب فيه والمعنى :
أنهم كانوا فيه من الراغبين عنه ، الذين لا يبالون به ، فلذلك باعوه بذلك الثمن
البخس ، وذلك لأنهم التقطوه والمثقت للشئ متهاون به^(٨) .

(١) ديوان الأعشى ص ٦٣ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة الله ، ١٢٨٥/٣ ،
(١٦٦٦) . مسند أحمد بن حنبل ٢/٢٥٢ (٧٤٢٢) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب في الساعة التي في يوم الجمعة ٥٨٣/٢ (٨٥٢) . البخاري : كتاب
الطلاق ، باب الإشارة في الطلاق والأمور ، ٢٠٢٩/٥ (٤٩٨٨) .

(٤) ابن منظور : اللسان ٦/٩٧ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٦٧/٧ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٤/٩ .

(٧) ابن كثير : جامع البيان ، ٦٢٠/٢ .

(٨) الشوكاني : فتح القدير ، ١٩/٣ .

وقال السيوطي : إخوته زهدوا فيه لم يعلموا بنبوته ، ولا بمنزلته من الله ومكانه^(١) .

وذكر النسفي : الزاهدين أي غير الراغبين ، لأنهم اعتقدوا أنه أبق ، ويروى أن أخوته اتبعوهم ، وقالوا استوثقوا منه لا يَأْبَق ، كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه^(٢) .

وقال ابن الجوزي : الزهد قلة الرغبة في الشيء^(٣) .

وفي مفردات القرآن : زهد ، الزهيد : الشيء القليل ، والزاهد في الشيء : الراغب عنه والراضي بالزهيد أي : القليل^(٤) .

وفي تاج العروس : زاهد من قوم زهاد ، أو هي أي الزهادة في الدنيا ، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة ، وهو ضد رغب^(٥) .

إذاً الزهد هو ضد الرغبة قاله ابن منظور ، ووافقه القرطبي وكثير من المفسرين ، أما الطبري وابن كثير فلم يصرحا بهذا المعنى وإنما كان متضمناً ضمن ما نقلنا من أقوالهما في هذه الآية .

وجاء في الحديث عن علي رضي الله عنه أنه : قضى في اللقيط أنه حر وقرأ هذه الآية (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)^(٦) .

المعنى العام للنص :

قال الثعالبي : قوله سبحانه (وكانوا فيه من الزاهدين) يترتب في أخوة يوسف ، وفي الوارد ولكنه في أخوة يوسف أرتب إذ حقيقة الزهد في الشيء إخراج حبه من القلب ، ورضفه من اليد ، وهذه كانت حال أخوة يوسف لأنه كان

(١) السيوطي : الدر المنثور ، ٥١٧/٤ .

(٢) النسفي : تفسير النسفي ، ١٨٢/٢ . وأبق العبد يَأْبَق ويَأْبَق ، بفتح الباء وكسرهما ، إياقاً إذا هرب وتَأْبَق إذا أبق : استتر ، انظر ابن الأثير : النهاية ، ١٥/١ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير ١٩٧/٤ .

(٤) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣٣/١ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ٢٠١١/١ .

(٦) سنن البيهقي الكبرى : كتاب اللقطة ، باب من قال اللقيط حر لا ولاء عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما الولاء لمن اعتق ، ٢٠٢/٦ (١١٩١٥) .

مقصدهم زوال عينه .

والزهّد ضد الرغبة فأخوة يوسف لم يعلموا بنبوته ومكانته عند الله وأرادوا أن يخلو لهم وجه أبيه .

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) أي باعوه بثمن ناقص (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) عبارة عن قلة الثمن (١) .

النص رقم ١٥٤

قال تعالى : (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زهر : الزهرة نور كل نبات وخص بعضهم به الأبيض ، وزهر النبات نوره . وكذلك الزهرة بالتحريك ، قال والزهرة البياض عن يعقوب ، ويقال أزهر بين الزهرة وهو بياض عتق . قال شمر : الأزهر من الرجال الأبيض العتيق البياض النير الحسن وهو أحسن البياض كأن له بريقاً ونوراً ، يزهو كما يزهو النجم والسراج . ابن الأعرابي : النور الأبيض والزهرة الأصفر ، وذلك لأنه يبيض ثم يصفر ، والجمع أزهار وأزاهير جمع الجمع . وقد أزهر الشجر والنبات . وقال أبو حنيفة : أزهر النبات ، بالألف إذ نور وظهر زهره وزهر بغير ألف إذا حسن ، والزهرة : الحسن من النبات . والزهرة : المشرق من ألوان الرجال ، وزهرة الدنيا حسنها وبهجتها ونضارتها . وفي التنزيل العزيز (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال أبو حاتم : زهرة الحياة الدنيا بالفتح وهي قراءة العامة بالبصرة ، قال : وزهرة هي قراءة أهل الحرمين ، وفي الحديث : إن أخوف ما أخاف عليكم من زهرة الدنيا (٣)

(١) انظر تفسير الثعالبي ٢/٢٢٩ . والرضفة : عظم بين الحوشب والوظيف وملتقى الجبة في الرسخ . انظر ابن منظور : اللسان ، ١١٩/٩ .

(٢) طه ١٣١/ تتمة الآية (وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) .

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج من بركات الأرض ، قيل وما بركات الأرض قال زهرة الدنيا) . رواه مسلم في صحيحه : كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، ٧٢٧/٢ (١٠٥٢) . والبخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ٥/٢٣٦٢ (٦٠٦٣) .

وزينتها أي حسنها وبهجتها وكثرة خيرها^(١) .

دراسة النص :

قال الطبري : (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) عاجل الدنيا ونضرتها^(٢) .

وقال القرطبي : يعني زينتها بالنبات ، والزهرة بالفتح في الزاي والهاء نور النبات ، والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء النجم . ويقال : سراج زاهر أي له بريق ، وزهر الأشجار ما يروق من ألوانها ، وفي الحديث : كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهر اللون أي نير اللون يقال لكل شئٍ مستتير : زاهر وهو أحسن الألوان^(٣) .

قال ابن كثير : قال قتادة والسدي : زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا^(٤) .

وقال الشوكاني : زينتها وبهجتها بالنبات وغيره^(٥) .

وقال البغوي : أي زينتها وبهجتها^(٦) .

وأيضاً قال الألوسي : أي زينتها وبهجتها^(٧) .

وأما الثعالبي فقال : شبه سبحانه نعم هؤلاء الكفار بالزهر ، وهو ما أصفر من النور ، وقيل الزهر النور جملة ، لأن الزهر له منظر ثم يضمحل عن قرب^(٨) .

وفي تاج العروس : زهرة الدنيا حسنها وبهجتها وعضارتها^(٩) .

إذا زهرة الحياة الدنيا.. أي حسنها وبهجتها هذا ما قاله ابن منظور وجميع المفسرين

(١) ابن منظور : اللسان ٩٨/٦ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٤٧٨/٨ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٣١/١١ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ٢٣٠/٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ٥٦٣/٣ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ٣٠٣/١ .

(٧) الألوسي : روح المعاني ٢٨٣/١٦ .

(٨) الثعالبي : تفسير الثعالبي ٤٤/٣ .

(٩) الزبيدي : تاج العروس ٢٩٠٨/١ .

وفي الآية وصية الله سبحانه وتعالى لنبيه بالزهد وترك الدنيا . وذكر عمر ابن الخطاب قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره ، وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة ، وإذا إهاب معلق قال فابتدرت عيناى فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت : يا نبي الله وما لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك ، فقال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، قلت : بلى (١) . وفي سبب نزول النص : جاء في الطبري عن أبي رافع قال : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي يستلفه فأبى أن يعطيه إلا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : (وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٢) .

ونلاحظ في الآية زهرة الحياة الدنيا نصبت زهرة على فعل مضمر دل عليه متعنا ، لأن متعنا بمنزلة جعلنا فكأنه قال جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع (٣) .

المعنى العام للنص :

(وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ) أي نظر عينيك (إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ) استحساناً له وتمنياً أن يكون لك مثله (أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) وأصنافاً من الكفرة (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها جعلت لهم فتنة بأن يطغوا ورزق ربك خير أي في الجنة حيث أنهم أوتوا هذا في الدنيا .. وقال ابن عباس في الآية تعزية للرسول صلى الله عليه وسلم (٤) .

(١) البيهقي : شعب الإيمان ، فصل في زهد النبي صلى الله عليه وسلم وصبره على شدائد الدنيا ، ١٦٦/٢ (٤٤٩) .

(٢) الطبري : جامع البيان ٤٧٨/٨ .

(٣) القيسي : مشكل إعراب القرآن ٤٧٤/٢ .

(٤) انظر البيضاوي : تفسير البيضاوي ٧٨/١ .

النص رقم ١٥٥

قال تعالى : (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (١) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زهق : زهق الشيء يزهب زهوقاً فهو زاهق وزهوق : بطل وهلك واضمحل ، وفي التنزيل : (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) وزهق الباطل إذا غلبه الحق ، وقد زاهق الحق الباطل . وزهق الباطل أي اضمحل ، وأزهقه الله . وقوله عز وجل : (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) (٢) أي باطل ذاهب ، وزهوق النفس : بطلانها . وقال قتادة : وزهق الباطل يعني الشيطان ، وزهقت نفسه تزهب زهوقاً وزهقت لغتان : خرجت (٣) . وفي الحديث : إن النحر في الحلق واللثة وأقروا الأنفس حتى تزهب أي حتى تخرج الروح من الذبيحة ولا يبقى فيها حركة ، ثم تسلخ وتقطع (٤) . وقال تعالى : (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (٥) أي تخرج . وفي الحديث : دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة وما تسمع نفس من حس تلك الحجب شيئاً إلا زهقت أي هلكت وماتت (٦) . وزهق فلان بين أيدينا يزهب زهقاً وزهوقاً وانزهق (٧) .

دراسة النص :

- (١) الإسراء / ٨١ (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) .
(٢) الأنبياء / ١٨ . تتمة الآية (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) .
(٣) انظر الطبري : جامع البيان ١٣٨/٨ .
(٤) انظر سنن الدار قطني : ٢٨٢/٤ : (٤٥) .
(٥) التوبة / ٥٥ . تتمة الآية (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) .
(٦) رواه الطبراني في المعجم ١٤٨/٦ (٥٨٠٢) .
(٧) ابن منظور : اللسان ١٠١/٦ .

قال الطبري : وأن الباطل قد زهق يقول : وذهب كل ما كان لا رضى الله فيه ، ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة . وتزهق أنفسهم أي تخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله، وجودهم بنبوّة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم^(١). وقال القرطبي : (زهق الباطل) بطل الباطل ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها ، يقال زهقت نفسه تزهق زهوقاً وأزهقتها . إن الباطل (كان زهوقاً) أي لا بقاء له والحق الذي يثبت ، (وتَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) أي يريد الله أن يموتوا كافرين^(٢) .

أما ابن كثير فقال : لم يبق للباطل مقالة ، ولا رياسة ولا كلمة ، (وتزهق أنفسهم) أي يريد أن يموتهم على الكفر ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم^(٣) . وقال البغوي : (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ذاهباً يقال : زهقت نفسه أي خرجت^(٤) .

وقال الشوكاني : زهق بطل واضمحل ، ومنه زهوق النفس وهو بطلانها^(٥) . وكذلك قال البيضاوي : زهق الباطل ذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج (وزهوقاً) مضمحلاً^(٦) .

وذكر البخاري في هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) الآية. وزهق: هلك واضمحل^(٧) . وجاء في القاموس المحيط : زهوقاً : للباطل واضمحل وأزهقه الله تعالى^(٨)

(١) الطبري : جامع البيان ، ١٣٨/٨ ، ٣٩٠/٦ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٣/٤ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٧١٧/٣ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ١٢٢/١ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٦٢/٣ .

(٦) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٦٣/١ .

(٧) صحيح البخاري : كتاب المظالم ، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ٨٧٦/٢ (٢٣٤٦) وأيضاً ذكره مسلم في صحيحه : كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، ١٤٠٨/٣ (٨٧) .

وفي تاج العروس : زهق الشيء : إذا بطل وهلك واطمحل فهو زاهق
وزهوق أي باطلاً ذاهباً ، وزهقت نفسه : خرجت من الأسف على الشيء^(٢) .
وقال الفراهيدي : زهقت نفسه ، وهي تزهق زهوقاً أي ذهبت وشئ هلك
وبطل فقد زهق^(٣) .

إذاً زهق ذهب واطمحل ، وزهوق الباطل أي انتهاء الشرك .. واتفق ابن
منظور والمفسرون على هذا المعنى .

وهذه عادة كانت عند العرب كان الرجل يتخذ صنماً أو حجراً يتخذه رباً
ويلتجئ إليه في حله وترحاله ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة
فجعل يطعن بقوسه عيونها ووجوهها ويردد الآية وأمر بها فحرق^(٤) .

ومعنى قوله تعالى : (تزهق أنفسهم وهم كارهون) قال الشوكاني : المعنى
ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في
الآخرة لأنهم منافقون فهم ينفقون كارهين فيعذبهم بما ينفقون ، والزهوق : الخروج
بصعوبة والمعنى : أن الله يريد أن تزهق أنفسهم وتخرج أرواحهم حال كفرهم
لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء وأرسلت به الرسل ، تصميمهم على الكفر
وتماديهم في الضلالة^(٥) .

وأما قوله تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ) أي يتبين الحق فيدحض
الباطل ولهذا قال : (فيدمغه فإذا هو زاهق) أي ذاهب مضمحل (ولكم الويل) أي
أيها القائلون لله ولد (مما تصفون) أي تقولون وتفترون^(٦) .

المعنى العام للنص :

-
- (١) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٧٥١/١ .
(٢) الزبيدي : تاج العروس ٦٣٦٦/١ ، ٦٣٤/١ .
(٣) الفراهيدي : كتاب العين ٤٦٣/٣ .
(٤) (ابن الجوزي) . عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج : تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١
١١٤٠هـ - ١٩٨٥م تحقيق السيد الجميلي ، ٧٥/١ .
(٥) الشوكاني : فتح القدير ، ٥٣٨/٢ .
(٦) ابن كثير : جامع البيان ، ٢٣٥/٣ .

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) المراد بالحق الإسلام ، وقيل القرآن ، وقيل الجهاد ، ويمكن حمل الآية على جميع ذلك ، والمراد بالباطل الشرك وقيل الشيطان ، ولا يبعد أن يحمل على كل ما يقابل الحق من غير فرق بين باطل وباطل . وزهق أي اضمحل (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) أي أن هذا شأنه فهو يبطل ولا يثبت والحق ثابت دائماً^(١) .

النص رقم ١٥٦

قال تعالى : (وَأُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زوج : الزوج : خلاف الفرد ، يقال : زوج أو فرد ، وكل واحد منهما يسمى زوجاً ، ويقال : هما زوجان للاثنين ، وهما زوج كما يقال : هما سيان وهما سواء ، ابن سيده^(٣) : الزوج الفرد الذي له قرين ، والزوج الاثنان ، وعنده زوجاً يقال ، وزوجا حمام ، يعني ذكرين أو اثنيين ، وقيل : يعني ذكراً وأنثى ولا يقال : زوج حمام لأن الزوج هنا هو الفرد ، وقال أبو بكر : العامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان ، وليس ذلك من مذاهب العرب ، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً في مثل قولهم زوج حمام ، ولكنهم يثنونه فيقولون : عندي زوجان من الحمام يعنون ذكراً وأنثى ، وعندي زوجان من الخفاف يعني اليمين والشمال ، ويوقعون الزوجين على الجنسين المختلفين الأسود والأبيض والخلو والحامض . قال ابن سيده : ويدل على أن الزوجين في كلام العرب اثنان قول الله عز وجل : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)^(٤) فكل واحد منهما كما ترى زوج ذكراً كان أو أنثى ، وقال الله تعالى : (فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)^(٥) وكان الحسن يقول في قوله عز وجل : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) قال : السماء

(١) الشوكاني : فتح القدير ٣/٣٦٢ .

(٢) ق/٧ .

(٣) ابن سيده : المحكم ٧/٣٦٤ .

(٤) النجم /٤٥ .

(٥) المؤمنون / ٢٧ .

زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، ويجمع الزوج أزواجاً وأزويجاً^(١) ، ومنه قوله تعالى (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)^(٢) وقال (احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)^(٣) والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شئ . وزوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته . قال تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ)^(٤) (وَزَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)^(٥) أي قرناهم بهن . (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ)^(٦) أي وقرنائهم ، وفي التنزيل : (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) قيل : من كل لون أو ضرب حسن من النبات ، (وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا)^(٧) قال معناه : ألوان وأنواع من العذاب^(٨) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري ، حيث قال الطبري : الزوج النوع ، في قوله تعالى : (أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) ، أي وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن وهو البهيج^(٩) .

وفي قوله تعالى : (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال الطبري : (يعني بالزوجين الذكر والأنثى ، والزوجان في كلام العرب الاثنان ، ويقال عليه زوجا نعال إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال : عليه زوج نعال ، وكذلك : عنده زوجا حمام ، وعليه زوجا قيود وقال ألا تسمع إلى قوله : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) فإنما هما اثنان ، وقال بعض البصريين من أهل العربية في قوله : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : فجعل الزوجين الضربين الذكور والإناث ، وأضاف ،

(١) قول الحسن انظر الطبري : جامع البيان ٣٨/٧ والآية من سورة الذاريات ٤٩ .

(٢) الأنعام / ١٤٣ .

(٣) هود / ٤٠ .

(٤) البقرة / ٣٥ .

(٥) الدخان / ٥٤ .

(٦) الصافات / ٢٢ .

(٧) ص / ٥٨ .

(٨) ابن منظور : اللسان ١٠٧/٦ .

(٩) الطبري : جامع البيان ، ٤٠٩/١١ .

وقال آخر : الزوج : اللون ، وكل ضرب يدعى لونا ، وذكر أن الحسن قال في قوله : ومن كل شئ خلقنا زوجين : السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج والصيف زوج ، والليل زوج والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي

لا يشبهه شئ^(١) .

وقال الإمام الطبري أيضاً في قوله تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) قال: يقال لامرأة الرجل : زوجة أو زوجته والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب هو زوج المرأة^(٢) .

ووافق القرطبي ابن منظور قال القرطبي : (زَوْجٌ بَهِيْجٌ) أي من كل لون وصنف كما في قوله تعالى : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يعني ذكراً وأنثى لبقاء أصل النسل ، أي من كل شئ زوجين ، والعرب تسمي كل واحد منهما زوجاً ، يقال زوجا نعل ، وزوجا حمام ، ويقال للمرأة زوج الرجل وللرجل زوجها ، فيكون الزوجان بمعنى الضريبين والصنفين ، وكل ضرب يدعى زوجاً^(٣) وأيضاً وافقه في قوله تعالى (وَزَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) أي قرناهم بهن ، وكذلك (احْسُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) أي قرناءهم^(٤) .

وأما ابن كثير فلم يذكر شيئاً عن معنى الأزواج في هذه الآية^(٥) .

وأما الشوكاني فقال : الزوجان للثنتين الذي لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، ويطلق على كل واحد منهما زوج كما يقال للرجل زوج وللمرأة زوج ويطلق الزوج على الاثنين إذا استعمل مقابلاً للفرد ويطلق الزوج على الضرب والصنف كما في الآية^(٦) .

(١) المصدر السابق ، ٣٨/٧ .

(٢) المصدر السابق ، ٢٦٦/١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣١/٩ .

(٤) المصدر السابق ٥٨/١٧ .

(٥) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٢٨٤/٤ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ، ٧١٩/٢ .

وقال البغوي: (زَوْجٌ بَهِيحٌ) أي صنف حسن^(١). وكذلك قال الواحدي : لون حسن^(٢) وفي مفردات القرآن قال : يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ، وجمع زوج أزواج ، والأزواج هما القرناء المقتدي كل واحد بأفعال الآخر ، والأزواج الأصناف^(٣) .

وفي تاج العروس : الزوج (للمرأة) : البعل وللرجل الزوجة ، وأضاف قال بعض النحويين : أما الزوج فأهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وصفاً واحداً ، فتقول المرأة : هذا زوجي ، ويقول الرجل : هذه زوجي . والجمع أزواج^(٤) . وفي قوله تعالى : (مَنْ كُلَّ زَوْجٍ بَهِيحٍ) أي من كل ضرب من النبات حسن ناصر^(٥) .

وأيضاً قال الفراهيدي : زوج أي ذكر وأنثى ، وزوج لون ، ويجمع أزواج^(٦) . إذاً زوج تأتي بمعنى لون أو ضرب وتأتي بمعنى قرين أو صاحب ، والزوج هو الواحد من الاثنين الذي لا يستغنى أحدهما عن الآخر والاثنان زوجان ، والجمع أزواج ، هذا ما ذكره ابن منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

قال البغوي : (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ) أي بسطنا الأرض على وجه الماء وألقينا فيها جبلاً ثوابت وأنبتنا أي يسرنا فيها من كل لون ونوع من النباتات حسن كريم بهيچ^(٧) .

النص رقم ١٥٧

قال تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (١) .

(١) البغوي : تفسير البغوي ٣٦٦/١ .

(٢) الواحدي : الوجيز ، ١٠٢٢/١ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٦٣٦/١ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ، ١٤٢٦/١ .

(٥) المصدر السابق ، ١٣٣٩/١ .

(٦) الفراهيدي : كتاب العين ، ١٦٦/٦ .

(٧) البغوي : تفسير البغوي ، ٣٥٧/١ .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زود : الزود تأسيس الزاد وهو طعام السفر والحضر جميعاً ، والجمع أزواد وفي الحديث : قال لوفد عبد القيس : أمعكم من أزودتكم شئ ؟ قالوا : نعم ، الأزودة جمع زاد على غير القياس ، ومنه حديث أبي هريرة : ملأنا أزودتنا يريد مزاودنا جمع مزود حملاً له على نظيره كالأوعية في وعاء . وتزود اتخذ زاداً وزوده بالزاد وأزاده . والمزود : وعاء يجعل فيه الزاد . وكل عمل انقلب به من خير شرد عمل أو كسب : زاد على المثل . وفي التنزيل العزيز : (وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) قال جرير :

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زاداً^(٢)

وزودت فلاناً الزاد تزويداً ، فتزوده تزوداً وفي حديث ابن الأكوع فأمرنا نبي الله فجمعنا تزادنا أي ما تزودناه في سفرنا من طعان . وأزواد الركب من قریش : أبو أمية بن المغيرة ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ومسافر بن أبي عمرو بن أمية عم عقبة ، كانوا إذا سافروا فخرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً معهم ولم يوقدوا يكفونهم ويغنونهم^(٣) .

دراسة النص :

قال الطبري : أي تزودوا من أقواتكم ما فيه بلاغكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حركم ومناسككم فإنه لا بر لله جل ثناؤه في ترككم التزود لأنفسكم ومساءلتكم الناس ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها ولكن البر في تقوى ربكم باجتناب المعاصي وفعل الطاعات^(٤) .

(١) البقرة / ١٩٧ (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) .

(٢) ديوان جرير ص ١٣٥ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، ١١٠/٦ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٢٨٢/٢ .

وقال القرطبي : (تزودوا) أمر باتخاذ الزاد .. حيث كان البعض يحج إلى بيت الله بلا زاد فكانوا يبقون عالة على غيرهم فنهوا عن ذلك وأمروا بالزاد وقيل الزاد هو الدقيق والسويق والكعك والأمر لمن كان له مال^(١) .

وذكر ابن كثير ما ذكره القرطبي أن التزود يكون للحج بالدقيق والسويق والكعك^(٢) .

وقال الشوكاني : وتزودوا فيها الأمر باتخاذ الزاد أي ما يتقي به المسافر من الهلكة والحاجة إلى السؤال والتكفف^(٣) .

وقال البغوي : (تزودوا) أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم وقيل هو : الكعك والزبيب والسويق والتمر^(٤) .

وقال النسفي : أي تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتنقيل عليهم^(٥) .

وفي مفردات القرآن : الزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت والتزود أخذ الزاد . والمزود : ما يجعل فيه الزاد من الطعام والمزادة : ما يجعل فيه الزاد من الماء^(٦) .

وفي تاج العروس الزود : تأسيس الزاد والزاد طعام السفر والحضر جميعاً والجمع : أزواد وأزودة ، والمزود وعأؤه^(٧) .

إذاً الزاد هو المتخذ للأكل حقيقة أي هو المدخر .. من المأكول في الدنيا .. والمدخر من الأعمال الصالحة في الآخرة . وذكر هنا ابن منظور المعنى الأول هو المأكول في السفر والحضر جميعاً ووافق المفسرون وزادوا عليه المعنى الآخر كما توضح بقية الآية .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٤٠١/٢ .

(٢) ابن كثير : جامع البيان ، ٣١٩/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٠٦/١ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ٢٢٥/١ .

(٥) النسفي : تفسير النسفي ٩٧/١ .

(٦) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣٧/١ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ٢٠١٣/١ .

وفي سبب نزول النص : أسند الواحدي من طريق البخاري كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله عز وجل (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (١) .

وذكر الجصاص في هذه الآية أن أناساً من أهل اليمن كانوا لا يتزودون في حجهم حتى نزلت هذه الآية . وقيل إن قوماً كانوا يرمون بأزوادهم يسمون بالمتوكله فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تطرحوا كلكم على الناس وقيل فيه أن معناه أن تزودوا بالأعمال الصالحة .. أي أن الآية احتملت الأمرين من زاد الطعام وزاد التقوى وجب أن يكون عليهما إذا لم تقم دلالة على تخصيص زاد من زاد ، فجمع الزادين في مجموع اللفظ ، ثم أخبر أن زاد التقوى خيرهما لبقاء نفعه ، وهذا يدل على بطلان مذهب المتصوفة الذين يتسمون بالمتوكله في تركهم التزود والسعي في المعاش وهو يدل على أن من شرط استطاعة الحج الزاد والراحلة لأنه خاطب بذلك من خاطبه بالحج وعلى هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاستطاعة فقال هي الزاد والراحلة (٢) .

المعنى العام للنص :

هذه الآية تتحدث عن الحج حيث ذكر تعالى أن للحج أشهراً معلومة أي مؤقتة معينة فمن أوجب على نفسه الحج فيجب عليه أن يتأدب بأداب الحج فلا رفث ولا فسوق أي لا جماع ولا معاصي ولا جدال في الحج ، وكل ما يفعله الإنسان من الخير يجازى به (٣) .

(وتزودوا) فيها الأمر باتخاذ الزاد لأن العرب كانوا يقولون : كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا ؟ فكانوا يحجون بلا زاد ويقولون : نحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى ، وقيل المعنى : تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة ، فالآية ربما احتملت المعنيين أي اتقوا الله في إتيان ما أمركم به من الخروج بالزاد وأيضاً

(١) ابن حجر : العجائب في بيان الأسباب ٤٩٦/١ ، انظر أيضاً السيوطي : لباب النقول ١٣٧/١ . صحيح

البخاري : كتاب الحج ، باب قول الله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) ٥٥٤/٢ (١٤٥١) .

(٢) الجصاص : أحكام القرآن ، ٣٥٨/١ . انظر أيضاً ابن الجوزي : تلبس إبليس ٣٦٨/١ .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ١٥٧/١ .

خير الزاد اتقاء المنهيات .. (وَأَنْتَقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) فِيهِ التَّخْصِيسُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ بِالخَطَابِ بَعْدَ حَثِّ جَمِيعِ الْعِبَادِ عَلَى التَّقْوَى لِأَنَّ أَرْبَابَ الْأَلْبَابِ هُمُ الْقَابِلُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ النَّاهِضُونَ بِهِ وَلِبِ كُلِّ شَيْءٍ خَالِصَهُ (١) .

النص رقم ١٥٨

قال تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) (٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزور بالتحريك : الميل وهو مثل الصَّعْرِ وَعَنْقُ أَزُورٍ مائل . وقوله تعالى (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) قرأ بعضهم : تزاور يريد تتزاور ، وقرأ بعضهم : تزور وتزوار ، قال : وازورارها في هذا الموضع أنها كانت تطلع على كهفهم ذات اليمين فلا تصيبهم وتغرب على كهفهم ذات الشمال فلا تصيبهم ، وقال الأخفش : تزاور عن كهفهم أي تميل (٣) . والازورار عن الشيء العدول عنه (٤) .

دراسة النص :

يقول الطبري : تزاور : تعدل وتميل من الزور وهو العوج والميل يقال منه : في هذه الأرض زور : إذا كان فيها إعوجاج وفي فلان عن فلان إزورار إذا كان فيه إعراض (٥) .

وقال القرطبي : (تزاور) تتنحي وتميل من الأزوار والزور الميل (٦) وقال ابن كثير : أي تميل (٧) .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٠٦/١ . وانظر أيضاً : أبو حيان : البحر المحيط ، ١٠١/٢ .

(٢) الكهف / ١٧ (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) .

(٣) انظر الأخفش : معاني القرآن ، ٦١٦/٢ .

(٤) ابن منظور : اللسان ، ١١١/٦ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ١٩١/٨ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٢٠/١٠ .

(٧) ابن كثير : التفسير العظيم ، ١٠٣/٣ .

وقال الشوكاني : سمي الزور زوراً لأنه مائل^(١) . وأيضاً ذكر البيضاوي
تزاور : تميل عنه^(٢) . ولم يصف الآخرين شيئاً آخر أو معنى آخر .
وفي مفردات القرآن : الزور : الميل والأزور المائل ، وتزاور عن كهفهم أي
تميل عنه^(٣) .

وجاء في تاج العروس : تزاور عنه تزاوراً عدل وانحرف^(٤) .
وفي مختار الصحاح : أزور عن الشيء أزوراراً أي عدل عنه وانحرف^(٥) .
إذاً اتفق ابن منظور والمفسرون على معنى (تزاور) أي تميل وتعدل كما
هو مذكور .

وفي وجوه القراءات في النص : قال الطبري : اختلف القراء في قراءة
(تزاور) فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة (تزاور) بتشديد الزاي بمعنى :
تتزاور بتأعين ثم أدغم إحدى التأعين في الزاي كما قيل : تظاهرون عليهم وقرأ
ذلك عامة قراء الكوفيين (تزاور) بتخفيف التاء والزاي كأنه عني بذلك تفاعل من
الزور وروى عن بعضهم (تزاور) بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل
تحرر وبعضهم : تزاور : مثل تحمار .

والصواب من القول عند الطبري أنها قراءتان بتخفيف الزاي وتشديدها
فبأيهما قرأ القارئ فمصيب^(٦) .

المعنى العام للنص :

هذه الآية حكاية عن أصحاب الكهف الذين اختصم بهذه الآية وهم في
فجوة الكهف أو متسعه فالمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في
طلوعها ولا غروبها ، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس ،
لولا أن الله يحجبها عنهم ، وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء ،

(١) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ٦٤٥/٣ .

(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٤٨٣/١ .

(٣) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣٨/١ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ٢٩٠٦/١ .

(٥) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١٩١/٨ .

وبرد النسيم ، ولا يحسون كرب الغار ، ذلك من آيات الله أي ما اختصهم به من هذه الكرامة^(١) .

النص رقم ١٥٩

قال تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)^(٢) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزور : الكذب والباطل ، وقيل : شهادة الباطل ، رجل زور وقوم زور وكلام مزور ومنتزور : مموه بكذب وقيل : محسن ، وقيل هو المثقف قبل أن يتكلم به ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : ما زورت كلاماً لأقوله إلا سبقني به أبو بكر . وفي رواية : كنت زورت في نفسي كلاماً يوم سقيفة بني ساعدة أي هيأت وأصلحت^(٣) . والتزوير إصلاح الشيء ، والتزوير : تزيين الكذب ، وفي قوله : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال ثعلب : الزور ههنا مجالس اللهو ، قال ابن سيده : ولا أدري كيف هذا إلا أن يريد بمجالس اللهو هنا الشرك بالله^(٤) ، وقيل : أعياد النصارى ، كلاهما عن الزجاج^(٥) . قال : والذي جاء في الرواية الشرك وهو جامع لأعياد النصارى ، وغيرها ، قال وقيل : الزور هنا مجالس الغناء^(٦) .

دراسة النص :

قال الطبري : اختلف أهل التأويل في معنى الزور ، فقال بعضهم معناه الشرك ، وقال بعضهم هو الغناء ، وقال آخرون هو الكذب ، وأضاف قائلًا : أصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل في ذلك لأنه محسن لأهله حتى ظنوا أنه حق وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء لأنه مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلى

(١) انظر الزمخشري : الكشاف ٧٠٣/١ .

(٢) الفرقان ٧٢/ (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت ، ٢٥٠٣/٦ .

(٤) ابن سيده : المحكم ٨٥/٩ .

(٥) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٤٥/٤ .

(٦) ابن منظور : اللسان ١١٣/٦ .

سماعه ، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور ، فيكون المعنى والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل لا شركاً ولا غناء ولا كذباً ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور (١) .
وأيضاً ذكر القرطبي أن الزور هو الكذب والباطل ، والزور كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد وقال أيضاً هو لعب كان في الجاهلية وهو الغناء (٢) .

وأما ابن كثير فلم يختلف عنها في شيء حيث قال هو الشرك وعبادة الأصنام ، وقيل الكذب والفسق ، والكفر واللغو ، والباطل وهو الغناء وأعياد المشركين (٣) .

وقال الشوكاني : أي لا يشهدون الشهادة الكاذبة ، أو لا يحضرون الزور والزور هو الكذب والباطل (٤) .

وكذلك ذكر البغوي أن الزور هو الشرك (٥) .

وأيضاً ذكر أبو السعود : أي لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب (٦) . وقال النسفي : الزور هو الكذب (٧) .

وفي مفردات القرآن قال : قيل للكذب : زور لكونه مائلاً عن جهته ، ويسمى الصنم زوراً (٨) .

وفي تاج العروس : الزور بالضم : الكذب لكونه قولاً مائلاً عن الحق ، والزور : الشرك بالله تعالى (٩) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ٤٢٠/٩ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٧٨/١٣ .

(٣) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٣٩/٣ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ، ١٢٩/٤ .

(٥) البغوي : تفسير البغوي ، ٩٨/١ .

(٦) أبو السعود : تفسير أبي السعود ، ٢٣٠/٦ .

(٧) النسفي : تفسير النسفي ، ١٧٧/٣ .

(٨) الأصفهاني : مفردات القرآن ، ٦٣٨/١ .

(٩) الزبيدي : تاج العروس ، ٢٩٠٢/١ .

وفي المصباح المنير قال : الزور : الكذب ، وزور كلامه أي زخرفه^(١) .
وأيضاً ذكر ابن الأثير أن الزور هو الكذب والباطل والتهمة وشهادة الزور
وهي من الكبائر^(٢) .

إذاً الزور هو الكذب ، وشهادة الزور هي الشهادة الكاذبة ، ويدخل في
معنى الزور كل باطل من شرك وغناء وأعياد المشركين ، ففي ذلك اتفق ابن
منظور والمفسرون .

المعنى العام للنص :

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون
محاضر الكذب والباطل من لهو وغناء وشرك وغيره ، فإن مشاهدة الباطل شركة
فيه . (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) ما يجب أن يلقي وي طرح (مَرُّوا كِرَامًا) معرضين عنه
مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه ، والخوض فيه ، ومن ذلك الإغضاء عن
الفواحش والصفح عن الذنوب ، والكناية فيما يستهجن التصريح به^(٣) .

النص رقم ١٦٠

قال تعالى : (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : الزيتون : شجر معروف ، والزيت دهنه واحده زيتونة ،
وهو في القرآن الكريم ، وفي أفواه الناس ، قال تعالى : (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ) قال ابن
عباس : هو تينكم هذا وزيتونكم هذا^(٥) ، قال الفراء : يقال إنهما مسجدان بالشام
أحدهما الذي كلم الله تعالى عنده موسى عليه السلام^(٦) وقيل : الزيتون جبال

(١) الفيروزآبادي : المصباح المنير ٢٦/١ .

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٧٩٨/٢ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ٢٢٩/١ .

(٤) التين / ١ .

(٥) قول ابن عباس مذكور في تفسير القرطبي ١٠٢/٢٠ .

(٦) الفراء : معاني القرآن ، ٢٧٦/٣ .

الشام، ويقال : للشجرة نفسها زيتونة ، ولثمرتها زيتونة ، والجمع زيتون ، وللدهن الذي يستخرج منه : زيت (١) .

دراسة النص :

قال الطبري : اختلف أهل التأويل في معنى الزيتون فقال بعضهم هو الزيتون الذي يعصر ويؤكل . وقال بعضهم : التين مسجد دمشق والزيتون : بيت المقدس والصواب عند الطبري هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الذي يعصر منه الزيت لأن ذلك هو المعروف عند العرب ، ولا يعرف جبل يسمى تيناً ولا جبل يقال له زيتون إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون المراد القسم بمنابتهما (٢) .

وقال القرطبي : قال ابن عباس والحسن وغيرهما : هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت (٣) .

وذكر ابن كثير قائلاً : اختلف المفسرون على أقوال حيث قال بعضهم الزيتون هو مسجد بيت المقدس وقال آخرون هو الزيتون الذي تعصرون (٤) . وقال الشوكاني : الزيتون هو الذي يعصرون منه الزيت وأقسم الله به لأن زيتته هو إدام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الأدوية ، وقال بعضهم ذكر أنه مسجد المقدس أو هو الجبل الذي عليه بيت المقدس (٥) . وذكر مجاهد أن المقصود بهما هما التين والزيتون الذي يأكل الناس (٦) . ولم يذكر باقي المفسرين أكثر مما ذكره هؤلاء (٧) . وفي مفردات القرآن هما جبلان وقيل : هما المأكولان (٨) .

(١) ابن منظور : اللسان ١٢٢/٦ . انظر تاج العروس ١٠٩٣/١ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٦٣١/١٢ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٠٢/٢٠٠ .

(٤) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٦٨٠/٤ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير للشوكاني ٦٥٨/٥ .

(٦) مجاهد : تفسير مجاهد ٧٦٩/٢ .

(٧) انظر البغوي : تفسير البغوي ٤٧١/١ ، وكذلك تفسير البيضاوي ٥٠٧/١ .

(٨) الأصبهاني : مفردات القرآن ١٩٦/١ .

وكذلك كتب اللغة فقد جاء في مختار الصحاح : هما تينكم وزيتونكم أو هما جبلان^(١) وكذلك ذكر في المصباح المنير^(٢) .

إذا اتفق الجميع أنهما المأكولان .. أو هما جبلان ابن منظور والمفسرون وعلماء اللغة .. وأما مجاهد فقال هما ما يأكل الناس وكذلك الطبري رجح هو المعروف مما يأكل الناس .

وجاء في هذه الآية عن أبي هريرة يقول : من قرأ (والتين والزيتون) فقراً

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين^(٣) .

المعنى العام للنص :

قال أبو السعود هما هذا التين وهذا الزيتون وخصهما سبحانه وتعالى من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له غذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم : فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ، والبعض قال هما جبلان .. ولكن الصحيح الأول لقول ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة ومقاتل والكلبي وغيرهم^(٤) .

النص رقم ١٦١

قال تعالى : (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)^(٥) .

التفسير النغوي للنص :

قال ابن منظور : زيغ : الزيغ : الميل ، زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً وزيوغاً وزيوغة وأزغته أنا إزاغة وهو زائغ من قوم زاغة ، مال . وقوم زاغة عن الشيء

(١) الرازي : مختار الصحاح ٨٣/١ .

(٢) الفيروزآبادي : المصباح المنير ٧٩/١ .

(٣) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة التين ، ٤٤٣/٥

(٤) (٣٣٤٧) .

(٥) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١٧٤/٩ .

(٥) آل عمران ٨/ تتمة الآية (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

: أي زائغون . وقوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) أي لا تملنا عن الهدى والقصد ولا تضلنا ، وقيل : لا تزغ قلوبنا لا تتعبدنا بما يكون سبباً لزيغ قلوبنا ، والواو لغة ، وفي حديث الدعاء : اللهم لا تزغ قلبي ، أي لا تميله عن الإيمان^(١) يقال : زاغ عن الطريق يزيغ إذا عدل عنه ، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : أخاف أن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ أي أجور وأعدل عن الحق^(٢) ، وحديث عائشة : وإذ زاغت الأبصار أي مالت عن مكانها كما يعرض للإنسان عند الخوف^(٣) ، وأزاغه عن الطريق أي أماله . وزاغت الشمس تزيغ زيوغاً ، فهي زائغة : مالت وزاعت ، قال تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)^(٤) وزاغ البصر أي كل^(٥) .

دراسة النص :

قال الطبري : زاغ فلان عن الحق فهو يزيغ عنه زيغاً وزيغاناً وزيغونة وزيوغاً وأزاغه الله إذا أماله فهو يزيغه ، وقوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) أي لا تملها عن الحق . وأيضاً في قوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أي فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم أي أمالهم عنها ، وقرأ حمزة فلما أزاغوا بالإمالة أزاغ الله بالفتح ، لأن فاء الفعل مفتوحة تقول أزاغت^(٦) . وقال القرطبي : إزاغة القلب فساد وميل عن الدين فكانوا يخافون وقد هددوا أن ينقلهم الله إلى الفساد وقوله (فلما زاغوا) قال القرطبي : هذه الآية تعم كل طائفة

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل ، ٧٣٥/٢ ، (٥٠٦١) الحديث عن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم استغفرك لذني وأسألك رحمتك اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الخمس ، باب فرض الخمس ، ١١٢٦/٣ ، (٢٩٢٦) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب ، ٥٠٦/٤ ، (٣٨٧٧) .

(٤) الصف / ٥

(٥) ابن منظور : اللسان ١٢٦/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ١٧٠/٣ ، ٨٢/١٢ . وانظر أيضاً ابن زنجلة : حجة القراءات ٨٨/١ .

من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة ، وإن كان المقصود بها نصارى
نجران^(١) .

وقال ابن كثير : أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه^(٢) .

وقال الشوكاني : الزيغ الميل ، ويقال زاغ يزيغ زيغاً ، إذا ترك القصد ، ومنه
قوله تعالى : (فلما زاغوا أزع الله قلوبهم) وهذه الآية تعم كل طائفة من الطوائف
الخارجة عن الحق . والمعنى أي لما أصروا على الزيغ واستمروا عليه أزع الله
قلوبهم عن الحق وصرفها عن قبوله . وقيل فلما أزاغوا عن الإيمان أزع الله
قلوبهم عن الثواب . وقيل أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن
الحق جزاء ما ارتكبوا . والله لا يهدي القوم الفاسقين^(٣) .

وقال البغوي : أي لا تملها عن الحق والهدى^(٤) .

وقال السيوطي : أي لا تمل قلوبنا وإن ملنا بأجسادنا^(٥) .

وذكر النسفي : أي لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب بعد إذ هديتنا

للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه^(٦) .

وفي مفردات القرآن الزيغ : الميل عن الاستقامة والتزاع التمايل ورجل

زائع وقوم زاغة وذائغون وزاغت الشمس وزاغ البصر ومنها قوله تعالى : (فَلَمَّا

زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أي لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك^(٧) .

وفي تاج العروس : زاغ يزوغ زوغاً وزيغاً : مال عن القصد^(٨) .

وقال ابن الأثير : لا تزغ قلبي أي لا تمله عن الإيمان^(٩) .

(١) القرطي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢/٤ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٤٦/١ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، ٣٠٨/٥ .

(٤) البغوي : تفسير البغوي ١١/١ .

(٥) السيوطي : الدر المنثور ١٥٦/٢ .

(٦) النسفي : تفسير النسفي ١٤٣/١ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٣٩/١ .

(٨) الزبيدي : تاج العروس ٥٦٦٧/١ .

(٩) ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ٨١٥/٢ .

إذا زاغ معناها مال عن الحق والهدى .. اتفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

وذكر البيهقي في هذه الآية دلالة على أن قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن أي تحت قدرة الرحمن ، وفي السنة دلالة على أن الله تعالى إن شاء هداهم وثبتهم وإن شاء أزاغ قلوبهم وأصلهم^(١) .

وعن أم سلمة قالت كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت : قلت يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟ قال : يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ فتلا معاذ (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) (٢) .

المعنى العام للنص :

(رَبَّنَا) أي ويقول الراسخون في العلم (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا) أي لا تملها عن الهدى والقصد كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) للإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك^(٣) .

النص رقم ١٦٢

قال تعالى : (فَرَيْلْنَا بَيْنَهُمْ) (٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زيل : زلت الشيء من مكانه أزيله زيلاً : لغة في أزلته ، قاله الجوهري^(٥) ، قال ابن بري^(٦) : صوابه زلته زيلاً أي أزلته ، وزلته زيلاً

(١) البيهقي : الاعتقاد ١/١٥٢ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب (٩٠) ، ٥٣٨/٥ (٣٥٢١) .

(٣) الواحدي : الوجيز ، ٢٠٠/١ .

(٤) يونس / ٢٨ (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرَيْلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) .

(٥) الجوهري : الصحاح ٢/١٢٨٨ .

(٦) مهمل

أي مزته . ابن سيدة^(١) وغيره : زال الشيء زيلًا وأزاله إزالة وإزالاً الأخيرة عن اللحياني ، وزيله فتزِيل ، كل ذلك فرقه ففترق وفي التنزيل العزيز : (فَزَيْلَانَا بَيْنَهُمْ) وهو فعلت لأنك تقول في مصدره تزِيلًا قال : لو كان فيعلت لقلت زيلة . وقال مرة : أزلت الضأن من المعز والبيض من السود إزالاً وإزالة ، وكذلك زلتها أزيلها زيلًا أي ميزت ، قال الأزهري : أما زال يزيل فإن الفراء قال في قوله تعالى : (فَزَيْلَانَا بَيْنَهُمْ) قال : ليست من زلت وإنما هي من زلت الشيء فأنا أزيله إذا فرقت ذا من ذا ، وقرأ بعضهم فزِيلَانَا بَيْنَهُمْ وهو مثل قولك ولا تصعر ولا تصاعر . وقال تعالى : (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٢) والزيال : الفراق ، والتزائل : التباين ، وقال القتيبي في تفسير قوله تعالى : (فَزَيْلَانَا) أي فرقنا وهو من زال يزول وأزلته أنا ، وتزِيل القوم تزِيلًا وتزِيلًا ، تفرقوا^(٣).

دراسة النص :

قال الطبري : (فَزَيْلَانَا بَيْنَهُمْ) أي فرقنا بين المشركين وما أشركوه به ، من قولهم (زلت الشيء أزيله) إذا فرقت بينه وبين غيره وأبنته . وقال (فَزَيْلَانَا) إرادة تكثير الفعل وتكريره . ولم يقل فلنا بينهم ، (لو تزيلوا) أي لو تميزوا^(٤) .
وأيضاً ذكر القرطبي : (فَزَيْلَانَا بَيْنَهُمْ) أي فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا ، يقال : زيلته فتزِيل أي فرقته ففترق وهو فعلت لأنك تقول في مصدره تزِيلًا ولو كان فيعلت لقلت زيله والمزايلة المفارقة^(٥) .
وقال ابن كثير : أنهم أنكروا عبادتهم وتبرؤوا منهم ، (ولو تزيلوا) أي يقول تعالى لو تزِيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله^(٦) .

(١) ابن سيدة : المحكم ٩/٩ .

(٢) الفتح ٢٥/ (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُمْ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّأُوهُمْ فَتُصَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .

(٣) ابن منظور : اللسان ١٢٧/٦ .

(٤) الطبري : جامع البيان ، ٥٥٥/٦ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٠/٨ .

(٦) ابن كثير : جامع البيان ، ٥٤٦/٢ .

وذكر الشوكاني : (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) أي فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا يقال : زيلته فتزِيل : أي فرقته فتفرق والمزيلة المفارقة . يقال : زايلاه مزيلة وزيالاً إذا فارقه والتزائل التباين (١) . وقال الشوكاني في قوله تعالى (لو تزِيلُوا) التزِيل : التميز : أي لو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا منهم لعذبنا الذين كفروا ، وقيل التزِيل : التفريق : أي لو تفرق هؤلاء من هؤلاء وقيل لو زال المؤمنون من بين أظهرهم ، والمعاني متقاربة والعذاب الأليم هو القتل والأسر والقهر (٢) . وقال أبو السعود : هو التبرؤ من الجانبين وقطع ما بينهم من الأسباب (٣) . وكذلك قال السيوطي : (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) أي فرقنا بينهم (٤) . وذكر في التبيان : (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) أي فرقنا وميزنا بلغة حمير (٥) . وقال النحاس : زلت الشيء من الشيء أي نحيت زيلت على التكثير (٦) . وفي مفردات القرآن : (تزيلوا) تفرقوا ، (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) وذلك على التكثير فيمن قال : زلت متعدد ، نحو : مزته وميزته (٧) . وفي القاموس المحيط : زيله : فرقه ومنه فزِيلنا بينهم (٨) . وكذلك في تاج العروس زيله تزييلاً فتزِيل : فرقه فتفرق ، ومنه قوله تعالى : (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) وهو على التكثير (٩) . وأيضاً في مختار الصحاح : زلت الشيء من مكانه من باب باع لغة في أزلته وزيله فتزِيل أي فرقه فتفرق . والمزيلة المفارقة يقال زايلاه مزيلة وزيالاً أي فارقه والتزائل التباين (١) .

(١) الشوكاني : فتح القدير ، ٦٣٦/٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٧٦/٥ .

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود ١١٩/٣ .

(٤) السيوطي : الدر المنثور ٣٦٢/٤ .

(٥) النحاس : معاني القرآن ، ٢٩١/٣ .

(٦) أبو البقاء : التبيان تفسير غريب القرآن ٢٣٠/١ .

(٧) الأصفهاني : مفردات القرآن ٦٤٠/١ .

(٨) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ١٣٠٧/١ .

(٩) الزبيدي : تاج العروس ٧١٤٨/١ ز .

إذاً يتضح مما سبق أن زيلنا بمعنى فرقنا وهي على التكثر وانفق ابن منظور والمفسرون على هذا المعنى .

وفي الآية (فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) هو فعلنا من زلت الشيء عن الشيء فأنا أزيله إذا نحيته والتشديد للتكثر ولا يجوز أن يكون فعلنا من زال يزول لأنه يلزم فيه الواو فيقال زولنا^(٢) .

المعنى العام للنص :

يقول البيضاوي في قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) يعني الفريقين جميعاً (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) ألزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (أَنْتُمْ) تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله (وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم (وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ) براءة ما عبده من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به وقيل ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين^(٣) .

النص رقم ١٦٣

قال تعالى : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)^(٤) .

التفسير اللغوي للنص :

قال ابن منظور : زين : الزين : خلاف الشين ، وجمعه أزيان ، زانه زينا وأزانه ، على الأصل ، وتزين هو وأزدان ، بمعنى وهو افتعل من الزينة إلا أن التاء لما لأن مخرجها ولم توافق الزاي لشدتها ، أبدلوا منها دالاً فهو مزدان ، وإن أدغمت قلت مزان ، وتصغير مزدان مزين ، مثل مخير تصغير مختار ، ومزيين

(١) الرازي : مختار الصحاح ٢٨٠/١ .

(٢) القيسي : مشكل إعراب القرآن ٣٤٤/١ .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ١٩٥/١ .

(٤) النور / ٣١ تنمة الآية : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ..) .

إن عوضت كما نقول في الجميع مزاین ومزاین ، وفي حديث خزيمة : ما منعني أن لا أكون مزداناً بإعلانك أي متزیناً بإعلان أمرک ، وهو مفتعل من الزينة ، فأبدل التاء دالاً لأجل الزاي ، قال الأزهري : سمعت صبياً من بني عقيل يقول لآخر : وجهي زين ووجهك شين^(١) ، أراد أنه صبيح الوجه وأن الآخر قبيحه ، التهذيب ، الزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به^(٢) ، والزينة ما يتزين به ، ويوم الزينة : العيد ، وتقول : أزينت الأرض بعشبها وأزينت مثله ، واصله تزينت ، فسكنت التاء وأدغمت في الزاي واجتلبت الألف ليصح الابتداء ، وفي حديث الاستسقاء قال : اللهم أنزل علينا في أرضنا زينتها^(٣) أي نباتها الذي يزينها ، وفي الحديث زينوا القرآن بأصواتكم ابن الأثير قيل هو مقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن ، والمعنى ألهجوا بقراءته وتزينوا به ، وليس ذلك على تطريب القول والتخزين كقوله : ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، أي يلهج بتلاوته كما يلهج سائر الناس بالغناء والطرب ، ومعناه الحث على الترتيل الذي أمر به في قوله تعالى : (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)^(٤) أراد بالقرآن القراءة ، وهو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً أي زينوا قراءتكم القرآن بأصواتكم ، قال : ويشهد لصحة هذا وأن القلب لا وجه له حديث أبي موسى : أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى قراءته فقال : لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود ، فقال : لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً أي حسنت قراءته وزينتها^(٥) . ويؤيد ذلك تأييداً لا شبهة فيه حديث ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت^(٦) . والزينة والزونة : اسم جامع لما تزین به ، قلبت الكسرة ضمة فانقلبت الياء واواً ، وقوله عز وجل : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) معناه

(١) الأزهري : التهذيب ، ٢٥٥/٣

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٥/٣

(٣) الحديث عن الحسن بن سمرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استسقى قال اللهم أنزل في أرضنا زينتها وسكنها ، الطبراني : المعجم الكبير ، ٢١٧/٧ (٦٩٠٤) .

(٤) سبق ذكرها وشرحها .

(٥) صحيح ابن حبان : في ذكر إعطاء الله جل وعلا أبا موسى من مزامير آل داود ، ١٦٩/١٦ (٧١٩٧) .

(٦) الطبراني : المعجم الأوسط ، ٢٩٣/٧ (٧٥٣١) .

لا يبيدين الزينة الباطنة كالمخنقة^(١) والخلخال والدملج^(٢) والسوار والذي يظهر هو الثياب والوجه ، وقوله عز وجل : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)^(٣) قال الزجاج : جاء في التفسير أنه خرج هو وأصحابه وعليهم وعلى الخيل الأرجوان^(٤) وقيل : كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر ، وامرأة زائن : متزينة^(٥) .
دراسة النص :

قال الطبري : الزينة زينتان : أحدهما ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد ، والأخرى ما ظهر منها وذلك مختلف في المعنى منه ، فقال بعضهم الثياب الظاهرة ، وقال آخرون الكحل والخاتم والسوران ، وقال آخرون الوجه والكفان^(٦) .

وأيضاً لم يذكر القرطبي شيئاً عن المعنى اللغوي لكلمة زينة وإنما تحدث عن ظاهر الزينة قال هو الثياب وقال بعضهم الوجه والكفان وقال آخرون هو الكحل والسوار والخضاب^(٧) .

وقال ابن كثير : (وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ) أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما يمكن إخفائه ، كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجل ثيابها ، وأضاف أن الزينة هي القرط والدملج والخلخال والقلادة

(١) المخنقة : كمكسنة : القلادة الواقعة على المخنق يقال في جيدها مخنقة وفي أجيادهن مخانق . انظر الزبيدي : تاج العروس ٦٢٩٧/١ . وأيضاً : المخنقة من الحلى ، والمخنقة : بكسر الميم القلادة وسميت بذلك لأنها تطبق العنق وهو موضع الخنق . انظر الفيروزآبادي : مختار الصحاح ، ١١٥١/١ . وأيضاً : الفيومي : المصباح المنير ١٨٣/١ .

(٢) الدملج : هو المعضد من الحلى والدملجة والدملاج تسوية الشيء وقيل هو تسوية صنعة الشيء كما يدملج السوار ، يقال (دملج الله لؤلؤة) إذا سواه وأحسن صنعه . انظر : الزبيدي : تاج العروس ، ١٤١٠/١ . ابن الأثير : النهاية ، ٣٢٨/٢ .
(٣) القصص ٧٩ (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

(٤) الزجاج : معاني القرآن ، ١٥٦/٤ .

(٥) ابن منظور : اللسان ، ١٢٩/٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان ، ٣٠٢/٩ .

(٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٥/١٢ .

. وقال الزينة زينتان : فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار وزينة يراها الأجنب وهي ظاهر الثياب^(١) .

وأيضاً قال الشوكاني : أن الزينة هي السوار والدملج والخلخال والقرط والقلادة ، والزينة زينتان زينة ظاهرة وزينة باطنة^(٢) .

ولم يختلف عنهم البغوي حيث قال أن الزينة زينتان خفية وظاهرة^(٣) .

وقال الزمخشري: النهي عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها^(٤) .

وكذلك في كتب السنة قال البخاري : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أي ولا يظهرن ما

يتزين به لغير من سيذكر ، والزينة منها ما هو ظاهر كالثياب ، وما هو خفي كالسوار والقلادة ونحو ذلك^(٥) .

وقال الجصاص : أن قول (ما ظهر منها) هو الثياب لا معنى له لأنه معلوم

أنه ذكر الزينة والمراد العضو الذي عليه الزينة لأن سائر ما تتزين به المرأة من الحلي والقلب والخلخال والقلادة يجوز أن تظهرها للرجال إذا لم تكن هي لابستها

، إذا المراد موضع الزينة لأن في نسق الآية ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن^(٦) .

وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ)^(٧) .

وأما الزينة في قوله تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) قال الطبري :

خرج قارون على قومه في زينته وهي فكما ذكر ثياب الأرجوان^(٨) .

وقال القرطبي : خرج قارون على بني إسرائيل فيما رآه زينة من متاع

الحياة الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد وقيل في يوم السبت وفي

(١) ابن كثير : التفسير العظيم ٣/٣٧٨ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ٤/٣٤ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي ، ١/٣٢ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ، ١/٣٠١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب النكاح، باب ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن إلى قوله لم يظهروا على عورات النساء) ٥/٢٠٠٩ .

(٦) انظر الجصاص : أحكام القرآن ٥/١٧٣ .

(٧) انظر الكرمي : الناسخ والمنسوخ ، ١/١٥٧ .

(٨) الطبري : جامع البيان ، ١٠/١٠٨ .

زينته أي مع زينته ، وقيل كان زينته القرمز ، والقرمز صبغ أحمر مثل الأرجوان والأرجوان في اللغة صبغ أحمر^(١) .

وقال ابن كثير : قال تعالى مخبراً عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطى (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) أي ذو حظ وافر من الدنيا^(٢) وتحدث الأصفهاني في مفردات القرآن عن الزينة فقال : (الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فأما ما يزينه في حاله دون حاله فهو من وجه شين ، والزينة بالقول المجمل ثلاث : زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة وزينة بدنية كالقوة وطول القامة وزينة خارجية كالجمال والجاه ، فقله (حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)^(٣) فهو من الزينة النفسية . وقوله : (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ)^(٤) فقد حمل على الزينة الخارجية ، وقوله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) فهي الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه ، يقال : زانه كذا وزينه ، إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو القول . وتزيين الله للأشياء قد يكون بإبداعها مزينة وإيجادها كذلك ، وتزيين الناس للشئ : تذويقهم بفعلهم أو بقولهم وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يرفع منه^(٥) .

إذاً بين ابن منظور معنى كلمة زينة وقال هو خلاف الشين ثم ذكر في معنى الآية أن ما ظهر منها هو الزينة الباطنة وفصلها كما سبق ذكره ، أما المفسرون فلم يذكروا معنى كلمة زينة ولكن وافقوه في معنى الآية .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٣ .

(٢) ابن كثير : التفسير العظيم ، ٥٣٠/٣ .

(٣) الحجرات / ٧ .

(٤) الأعراف / ٣٢ .

(٥) الأصفهاني : مفردات القرآن ١٣٩/١ .

المعنى العام للنص :

قال تعالى : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) أي عما لا يحل لهن النظر إليه (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لهن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف الفتنة في أحد وجهين والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل وهو الزوج . أو بقية المذكورين في الآية فيجوز لهم النظر إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج النساء الكافرات وشمل ما ملكت إيمانهن العبيد أو التابعين غير أصحاب الحاجة إلى النساء أو الأطفال الصغار الذين لم يطلعوا على عورات النساء^(١) .

(١) الجلالين : تفسير الجلالين ، ٤٦٢/١ .

الخاتمة

الحمد لله بداية وخاتمة .. فبعون الله وتوفيقه كان العمل في هذه الدراسة ، والتي تناولت كتاباً من أضخم معاجم اللغة العربية ، فمع ضخامته فإن صاحبه صاغه بأسلوب ممتع يجبر القارئ على قراءته والتمتع به ، فإن ابن منظور رحمه الله عالم متفرد ، عارف باللغة العرب وأساليبها ، وحافظ لأصولها وفروعها ، واقف على دقائقها ، فهو بحق أديب متمكن شعراً ونثراً .

وهو قبل هذا وذاك دخل مجال التفسير بصورة فريدة ميزته عن غيره ، فهو يفسر الآية من خلال اللغة العربية ، ويقف على أقوال المفسرين وعلماء الحديث والفقه والشعر وهو بهذا يضيف للتفسير بعداً آخر ، ويجعل لتفسيره قيمة علمية عظيمة .

ومن خلال هذه الدراسة خرجت الباحثة بعدد من النتائج وهي :

- أن ابن منظور عالم فذ متفرد دخل عالم التفسير بكل قوة وله أسلوبه الخاص في شرح الآيات فمجهوده مقدر وعظيم ، ولكن لا يمكن إدراج كتابه لسان العرب ضمن كتب التفاسير ، رغم ما يحمل من مجهود واضح في هذا المجال .
- أن ابن منظور عالم متمكن جدير أن يوصف بالشخصية العلمية الفذة .
- تميز ابن منظور بقدرة فائقة على جمع المعلومات وإيرادها بصورة منظمة حسب موقعها وفائدتها .
- كتابه لسان العرب يعتبر أصلاً ومصدراً يمكن الاعتماد عليه والرجوع إليه في مجال اللغة العربية .
- كثرة استشهاده بالآيات القرآنية حتى أنه لا تخلو صفحة من نص قرآني أو أكثر مما يجعل القارئ في حيرة من أمره بين أنه معجم لغة عربية أو كتاب تفسير .
- أحياناً كثيرة تجد أن ابن منظور يستشهد بالنص القرآني لكن لا يحرص على تفسيره .

- كثيراً ما يذكر أسباب نزول النص الذي استشهد به وكذلك وجوه القراءات المختلفة إن وجدت .
- استعان ابن منظور بكبار المفسرين مثل ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة وغيرهم .
- احتوى كتاب ابن منظور على عدد ضخم جداً من الأحاديث النبوية والآثار ، فقد أحصيت ما لا يقل عن مائتي حديث في الجزء الذي تمت دراسته ونلاحظ أنه لم يقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط فإنه كان يذكر حتى الأحاديث الضعيفة ، لأنه لم يكن يستشهد بها في حكم معين وإنما ليعضد المعنى الذي ذكره ، وأحياناً كثيرة لا يذكر الحديث بالنص وإنما يأخذ الجزء الذي يخص المفردة ، لذلك نجده أحياناً ينتزع الحديث انتزاعاً أو يذكره بالمعنى .
- اعتمد كذلك في دراسته للحروف على الشعر وكان الشعر الذي يذكره متنوعاً سواء في الشعراء أو نوع الشعر فقد نقل عن كبار الشعراء مثل جرير والفرزدق والأخطل حتى أنه كان يذكر شعر أناس لم يعرفوا كشعراء مثل ابن عباس ، وكان شعر ابن منظور متنوعاً بين العبادة والحماسة والمدح والغزل وحتى الشعر الماجن مثل قول الأعشى :
وأقررت عيني من الغانيات
إما نكاحاً وإما أزن
- وهو في إيراده للشعر ينتهج نفس نهجه في إيراده للحديث فأحياناً نجده يذكر جزءاً من بيت الشعر - صدره أو عجزه- أو يذكر بيت الشعر بالمعنى أو ينتزعه مما أوجد أحياناً صعوبة في الرجوع للبيت وردة إلى قائله ،
- كان ابن منظور يذكر الأقوال المختلفة في معنى المفردة أو شرح الآية سواء وكانت متوافقة أو مختلفة أو تحمل أكثر من رأى دون أن يرجح أو يذكر رأيه هذا غييض من فيض تميز به ابن منظور وكتابه .

التصويبات :

بعد هذه النتائج تلفت الباحثة النظر إلى الموجهات التالية :

- يجب أن يعطي كتاب ابن منظور الاهتمام والرعاية التي يستحقها فالكتاب يحتاج لدراسة أدق وأعمق في كل جوانبه ، والموضوع الذي قامت بدراسته الباحثة يمكن أن يبحث من جوانب أخرى وبمناهج شتى .
 - ضرورة الاهتمام باللغة العربية بالنسبة للمفسر والذي يريد التعمق في دراسة كتاب الله العزيز .
 - ضرورة الاهتمام بتحقيق الكتب والمراجع القيمة حتى يستفيد منها طلاب العلم
 - طرحت الجامعة الإسلامية كتاب ابن منظور لدراسته من ناحية التفسير والسنة وأرى ضرورة طرح دراسة آيات الشعر وشرحها وردها إلى قائلها حتى تتم الاستفادة من هذا الكتاب .
 - تشجيع الباحثين على الاستفادة من منهج ابن منظور ومحاكاته في اختصار الكتب المطولة وتجميع العلوم المتفرقة في مكان واحد .
 - أيضا ضرورة ربط كل العلوم بالقرآن الكريم لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وحث الباحثين على النظر في كتاب الله بعين الباحث المتدبر المتأمل في آيات الله .
 - كما أن الباحثة ترى أن كتاب ابن منظور يستحق أن يترجم إلى لغة أو لغات أخرى حتى يعرف الآخرون الثروة العلمية التي تذخر بها المكتبة الإسلامية العربية .
 - وأيضا ترى الباحثة ضرورة قيام جمعيات تهتم بتفسير القرآن الكريم أسوة بالجمعيات التي تهتم بتحفيظه .
- وأخيراً أن الباحثة لا ترى أنها قد جمعت أطراف الموضوع وأكملته فالكمال مثال لا ينال ولكن تظن الباحثة أنها قد بذلت جهداً وسلكت طريقاً واستعانت بالله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً ثم كان الأستاذ المشرف الذي لم يبخل بالمشورة وإبداء الرأي وحسب الباحثة أنها أرادت الإحسان فإن كان كذلك فمن الله والحمد لله ، وإن أساءت فمن نفسها والشيطان ونسأل الله القبول وعظيم الأجر والمغفرة .

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الحديث

فهرس الشعر

فهرس المفردات الغربية

فهرس البلدان

فهرس التراجم

فهرس المفردات الغربية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | رقم |
|------------|-----------|---|-----|
| | | سورة البقرة | |
| ٢٥،٢٧،٤١٠ | ٢ | أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ.. | ١ |
| ٢٦٦ | ٣ | ..وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ | ٢ |
| ١٥٠ | ١٦ | فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ .. | ٣ |
| ٣٠،٣١ | ١٧ | مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا.. | ٤ |
| ٥١٦ | ٣٥ | اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ.. | ٥ |
| ٤٨٦ | ٣٦ | فَازْلِمَا الشَّيْطَانَ عَنْهَا | ٦ |
| ٥٢ | ٤٩ | يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ | ٧ |
| ١٨٧ | ٥٩ | رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ | ٨ |
| ٧٣ | ٦٣ | وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ | ٩ |
| | ٦٤ | وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ | ١٠ |
| ٤١٦ | ٨١ | وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ | ١١ |
| ٣٧٣ | ٩٨ | مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ | ١٢ |
| ٢٩٨ | ١٠٤ | لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا | ١٣ |
| ٢٣١ | ١٠٥ | وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ | ١٤ |
| ٣٠٧ | ١٣٠ | وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ | ١٥ |
| ٣١٦ | ١٨٣ | كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ | ١٦ |
| ٣٦٣ | ١٨٥ | شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ | ١٧ |
| ٣١٣ | ١٨٧ | أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ | ١٨ |
| ٣١٣ | ١٩٧ | فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ | ١٩ |
| ٥١٩ | ١٩٧ | وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى | ٢٠ |
| ٤٨٩ | ٢١٤ | وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ | ٢١ |
| | ٢١٧ | وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ | ٢٢ |

| | | | |
|----|---|-----|-----|
| ٢٣ | وَأَيْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا | ٢١٩ | ١٩٥ |
| ٢٤ | يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ | ٢١٩ | ٢٥ |
| ٢٥ | وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ | ٢٢٨ | ١٥٣ |
| ٢٦ | وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ | ٢٣٣ | ٢٨٨ |
| ٢٧ | حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى | ٢٣٨ | |
| ٢٨ | فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا | ٢٣٩ | ٢١٥ |
| ٢٩ | أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ | ٢٤٣ | ١٢٩ |
| ٣٠ | مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ | ٢٤٥ | ١٦٢ |
| ٣١ | أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ | ٢٥٤ | ٢٦٦ |
| ٣٢ | مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ | ٢٦١ | ١٦٢ |
| ٣٣ | فَتَرَكَهُ صَلْدًا | ٢٦٤ | ٤٨٥ |
| ٣٤ | كَمِثْلِ جَنَّةِ بَرِبُوعٍ | ٢٦٥ | ١٦٩ |
| ٣٥ | وَيُرَبِّي الصَّدَقَاتِ | ٢٧٩ | ١٦٢ |
| ٣٦ | وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ | ٢٨٢ | ٢١٠ |
| ٣٧ | فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ | ٢٨٣ | ٣٨٧ |
| | سورة آل عمران | | |
| ٣٨ | رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا | ٨ | ٥٢٨ |
| ٣٩ | يُرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ | ١٣ | ١٣٣ |
| ٤٠ | إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا | ٣٣ | ٦٠ |
| ٤١ | وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا | ٣٧ | ٤٧١ |
| ٤٢ | وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا | ٣٧ | ٢٦٢ |
| ٤٣ | هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً | ٣٧ | ٤ |
| ٤٤ | أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا | ٤١ | ٣٦٠ |
| ٤٥ | ..وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ.. | ٤٩ | ٥٤ |

| | | | |
|--------------------|-----|---|----|
| ٤١ | ٧٩ | ..كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ | ٤٦ |
| ٣٩٤ | ١١٧ | كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ | ٤٧ |
| ٢٧٤ | ١٤٤ | وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. | ٤٨ |
| ١٤٤ | ١٤٦ | وَكَايِنُ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ.. | ٤٩ |
| ٢٤٧ | ١٤٩ | ..يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ | ٥٠ |
| ١٥٤ | ٢٠٠ | .. اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا.. | ٥١ |
| ٣٦ | ١٧٩ | هَآ أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ | ٥٢ |
| ٤٢٢ | ١٨٤ | وَالزُّبَيْرِ وَآلِ كِتَابِ الْمُنِيرِ | ٥٣ |
| ٤٣٨ | ١٨٥ | فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ | ٥٤ |
| سورة النساء | | | |
| ٢٣٥ | ١ | وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ | ٥٥ |
| ١٥٨ | ٣ | .. مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .. | ٥٦ |
| ٦٥ | ٩ | ذُرِّيَّةً ضِعَافًا | ٥٧ |
| ٣٩٩ | ١٧١ | وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ | ٥٨ |
| ١٩٢ | ٤٣ | .. لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى.. | ٥٩ |
| ١٢٩ | ٤٤ | أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ | ٦٠ |
| ٣٢٨ | ٦٩ | وَحَسَنَ أَوْلَائِكَ رَفِيقًا | ٦١ |
| ١٠٩ | ٨٣ | وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ | ٦٢ |
| ٣٤٩ | ٨٨ | وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا | ٦٣ |
| ٣٠٨ | ١٠٠ | يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا | ٦٤ |
| ٢٢٢ | ١٠٤ | وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ | ٦٥ |
| ١٣١ | ١٠٥ | لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ | ٦٦ |
| ٣٧ | ١٠٩ | هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ | ٦٧ |
| ٤٤٥ | ١١٢ | زُحْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا | ٦٨ |
| ١٢٤ | ١٤٢ | يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا | ٦٩ |

| | | | |
|--------|-----|--|----|
| ٤٨ | ١٤٣ | مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوَاءٍ وَلَا إِلَى هَوَاءٍ | ٧٠ |
| ٤٢ | ١٦٣ | وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا | ٧١ |
| | | سورة المائدة | |
| ٢٥٥ | ٣ | وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحةُ | ٧٢ |
| ٨٠ | ٣ | وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ | ٧٣ |
| ٤٩٢ | ٣ | وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ | ٧٤ |
| ١٩٢ | ٦ | ..وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا.. | ٧٥ |
| ١٩٦ | ٤٨ | إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا | ٧٦ |
| ١١٦ | ٥٢ | فَفَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ | ٧٧ |
| ٨٦،٢٤٥ | ٥٤ | أَدْلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ | ٧٨ |
| ١٩٤ | ٩٠ | إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ | ٧٩ |
| | | سورة الأنعام | |
| ٢٧٤ | ٦ | .. وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا.. | ٨٠ |
| ٣٧٦ | ١٥ | قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ | ٨١ |
| ٢٤٧ | ٢٨ | .. وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.. | ٨٢ |
| ١٠٥ | ٣٠ | فَذُوقُوا الْعَذَابَ | ٨٣ |
| ٤٤٥ | ١١٢ | .. زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.. | ٨٤ |
| ٤٥٨ | ١٣٦ | فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ | ٨٥ |
| ٥١٦ | ١٤٣ | ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ | ٨٦ |
| ١٩٥ | ١٤٥ | أَوْ لَحْمِ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ | ٨٧ |
| ٣١ | ١٥٤ | ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ | ٨٨ |
| | | سورة الأعراف | |
| ٥٣٨ | ٣٢ | قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ.. | ٨٩ |
| ١٠٥ | ٣٩ | ..فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ | ٩٠ |

| | | | |
|-----|-----|---|-----|
| ٢٣٠ | ٥٦ | إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ | ٩١ |
| ٣٧٧ | ١١٦ | وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ | ٩٢ |
| ١٨٧ | ١٣٤ | لَئِن كَشَفْتَنَا الرَّجْزَ | ٩٣ |
| ١٩٧ | ١٥٠ | وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ | ٩٤ |
| ٨٣ | ١٥٢ | سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ | ٩٥ |
| ٤٠٥ | ١٥٤ | وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ | ٩٦ |
| ٢٠٤ | ١٥٥ | فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ | ٩٧ |
| ٢٣٥ | ١٥٦ | .. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.. | ٩٨ |
| ٦٠ | ١٧٢ | وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ | ٩٩ |
| ٥٦ | ١٧٩ | وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ | ١٠٠ |
| ٢٧٥ | ١٨٧ | يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا.. | ١٠١ |
| | | سورة الأنفال | |
| ٤٠ | ١ | فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ | ١٠٢ |
| ١٥٥ | ٦ | وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ | ١٠٣ |
| ٤٠ | ٧ | .. وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ.. | ١٠٤ |
| ٢٤٨ | ٩ | بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ | ١٠٥ |
| ١٩٠ | ١١ | وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ | ١٠٦ |
| ٤٤١ | ١٥ | إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ | ١٠٧ |
| ٣٧٣ | ١٧ | .. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.. | ١٠٨ |
| ١٠٥ | ٣٥ | .. فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ | ١٠٩ |
| ٣٤٤ | ٤٢ | وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ | ١١٠ |
| ٣٩٤ | ٤٦ | .. وَلَا تَتَّزِعُوا فَانفَسِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.. | ١١١ |
| ١٢٣ | ٤٧ | بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ | ١١٢ |

| سورة التوبة | | |
|----------------|-----|--|
| ٢٨١ | ٥ | ١١٣ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ |
| ٩٢ | ١٠ | ١١٤ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا نِمْطَةً |
| ٢٢٦ | ٢٥ | ١١٥ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ |
| ١٩٥ | ٢٨ | ١١٦ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ |
| ٩٧ | ٣٤ | ١١٧ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ |
| ١٥٢ | ٥٢ | ١١٨ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ |
| ٥١٢ | ٥٥ | ١١٩ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ |
| ٣٠٧ | ٥٩ | ١٢٠ .. إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ |
| ٣٣٢ | ٦٠ | ١٢١ .. وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ.. |
| ٣٠٠،٤٧٥ ٤٧٦ | ١٠٣ | ١٢٢ وَتُرْكِيهِمْ بِهَا |
| ١٨٠ | ١٠٦ | ١٢٣ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ |
| ٢٨٠ | ١٠٧ | ١٢٤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا |
| ٢٢٦ | ١١٨ | ١٢٥ ..حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ.. |
| ١٩٥ | ١٢٥ | ١٢٦ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ |
| ٢٣٥،٢٧٤ | ١٢٨ | ١٢٧ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ |
| ٣٠٧ | ٥٩ | ١٢٨ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ |
| سورة يونس | | |
| ٢٣١ | ٢١ | ١٢٩ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ |
| ٤٤٥ | ٢٤ | ١٣٠ ..حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا.. |
| ٣٨٤ | ٢٦ | ١٣١ وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ |
| ٥٣١ | ٢٨ | ١٣٢ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ |
| ١٩٣ | ١٠٠ | ١٣٣ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ |
| سورة هود | | |
| ٢٦١ | ٦ | ١٣٤ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا |

| | | | |
|---------|-----|---|-----|
| ١٠٦،٢٣٠ | ٩ | وَلَنْ أَدْقَنَا الْأَنْسَانَ مِّنَّا رَحْمَةً | ١٣٥ |
| ٥١٦ | ٤٠ | أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ | ١٣٦ |
| ٢٧٥ | ٤١ | بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا | ١٣٧ |
| ٤١٠ | ٦٩ | فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ | ١٣٨ |
| ٣٥٨ | ٨٠ | لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ | ١٣٩ |
| ٢٢١،٣٨٢ | ٩١ | وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ | ١٤٠ |
| ٣٨٣ | ٩٢ | يَا قَوْمِ أَرَهْطِي | ١٤١ |
| ٣١٧ | ٩٩ | بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ | ١٤٢ |
| ٤٦١ | ١٠٦ | لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ | ١٤٣ |
| ٣٥٧ | ١١٣ | وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا | ١٤٤ |
| ٤٨٠ | ١١٤ | وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ | ١٤٥ |
| | | سورة يوسف | |
| ١٧٠،٣٠٢ | ١٢ | أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ | ١٤٦ |
| ٥٠٦ | ٢٠ | ..وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ.. | ١٤٧ |
| ٤٠٤ | ٣٠ | تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِهِ | ١٤٨ |
| ١٣٨ | ٤١ | فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا | ١٤٩ |
| ١٣٧ | ٤٢ | وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ | ١٥٠ |
| ١٢٦ | ٤٣ | إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ | ١٥١ |
| ٧٤ | ٤٥ | وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ | ١٥٢ |
| ١٩٧ | ٦٢ | لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ | ١٥٣ |
| ١٩٨ | ٦٣ | فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا | ١٥٤ |
| ٤٥٩ | ٧٢ | وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ | ١٥٥ |
| ٢٦٣ | ٨٢ | وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ | ١٥٦ |
| ٣٩٨ | ٨٧ | ..وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ.. | ١٥٧ |

| | | | |
|---------|-----|---|-----|
| ٤٣٥ | ٨٨ | وَجِئْنَا بِبِضَاعَةِ مُرْجَاةٍ | ١٥٨ |
| | | سورة الرعد | |
| ٢٤٤ | ١١ | فَلَا مَرَدَّ لَهُ | ١٥٩ |
| ٢٩٥ | ١٣ | وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ | ١٦٠ |
| | | سورة الحجر | |
| ١٤٦ | ٢ | رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا | ١٦١ |
| ١٤٧ | ٣ | ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا | ١٦٢ |
| ٣٩٤ | ٢٢ | وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ | ١٦٣ |
| ٣٩٤ | ٢٩ | فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي.. | ١٦٤ |
| | | سورة النحل | |
| ٣٩٩ | ٢ | يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ | ١٦٥ |
| ١١٥ | ٧ | إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْوْفٌ رَحِيمٌ | ١٦٦ |
| ٢٣٠ | ٦٤ | وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ | ١٦٧ |
| ٨٦ | ٦٩ | فَاسْئَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا | ١٦٨ |
| ٢٥٨ | ٧٠ | وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ | ١٦٩ |
| ٢٤٩ | ٧٢ | قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَيْفَ لَكُمْ | ١٧٠ |
| ١٠٤ | ١١٢ | فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ | ١٧١ |
| | | سورة الإسراء | |
| ٤٤ | ١٨ | مَذْعُومًا مَذْحُورًا | ١٧٢ |
| ٨٥ | ٢٤ | وَآخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ | ١٧٣ |
| ٢٣ | ٢٨ | ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا | ١٧٤ |
| ٥٠٤ | ٣٢ | وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ | ١٧٥ |
| ٣١١ | ٤٩ | أَلِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا | ١٧٦ |
| ١٢٥،٤٦٧ | ٦٠ | وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ | ١٧٧ |

| | | | |
|---------|-----|--|-----|
| ٥١٢ | ٨١ | إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا | ١٧٨ |
| ٣٩٩ | ٨٥ | قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي | ١٧٩ |
| ٣٤٢،٤٤٦ | ٩٣ | وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ | ١٨٠ |
| ٤٥٦ | ٩٧ | .. وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ .. | ١٨١ |
| ١٧٧ | ١٠٦ | وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ .. | ١٨٢ |
| ٧٠ | ١٠٧ | يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا | ١٨٣ |
| ٢٣١ | ١١٠ | قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ | ١٨٤ |
| | | سورة الكهف | |
| ٣٤٠ | ٩ | أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ | ١٨٥ |
| ٣٢٥ | ١٦ | وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا | ١٨٦ |
| ٤٠،٥٢٢ | ١٧ | وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ | ١٨٧ |
| ٤٧٧ | ١٩ | أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا | ١٨٨ |
| ٢٢١ | ٢٠ | إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ .. | ١٨٩ |
| ٢١٨ | ٢٢ | .. رَجْمًا بِالْغَيْبِ .. | ١٩٠ |
| ٦٧ | ٢٥ | تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ | ١٩١ |
| ٣٢٦ | ٣١ | نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا | ١٩٢ |
| ٢٤٧ | ٣٦ | .. وَلَئِنْ رُدِدْتَ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا | ١٩٣ |
| ٤٨٢ | ٤٠ | فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا | ١٩٤ |
| ٣٨٤ | ٧٣ | وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا | ١٩٥ |
| ٤٠٣ | ٧٧ | فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ | ١٩٦ |
| ٣٨٥ | ٨٠ | يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا | ١٩٧ |
| ٤٧٥ | ٨١ | خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً | ١٩٨ |
| ٢٣٨ | ٨١ | وَأَقْرَبَ رُحْمًا | ١٩٩ |

| | | | |
|-----|-----|---|-----|
| ٢٥٣ | ٩٥ | أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا | ٢٠٠ |
| ٤٢٤ | ٩٦ | آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ | ٢٠١ |
| ٢٣٨ | ٩٨ | هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي | ٢٠٢ |
| | | سورة مريم | |
| ٤٧٤ | ١٣ | وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً | ٢٠٣ |
| ٣٩٩ | ١٧ | فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا | ٢٠٤ |
| ٣٠٧ | ٤٦ | أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ | ٢٠٥ |
| ٢١٧ | ٤٦ | لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ | ٢٠٦ |
| ٤٥٦ | ٦٧ | وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّي | ٢٠٧ |
| ١٢٠ | ٧٤ | هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَبِّيًا | ٢٠٨ |
| ٢٧١ | ٨٣ | أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَىٰ | ٢٠٩ |
| ٤٠٥ | ٩٠ | تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرُنَ مِنْهُ.. | ٢١٠ |
| ٣٤٧ | ٩٨ | أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا | ٢١١ |
| | | سورة طه | |
| ٢٥٥ | ١٦ | وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ | ٢١٢ |
| ٣٠٢ | ٥٤ | كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ | ٢١٣ |
| ٢٥ | ٦٣ | إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ | ٢١٤ |
| ٣٩١ | ٧٧ | فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا | ٢١٥ |
| ١٩٦ | ٨٩ | أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا | ٢١٦ |
| ٣٣١ | ٩٤ | وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي | ٢١٧ |
| ٤٥٤ | ١٠٢ | وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا | ٢١٨ |
| ٥٠٩ | ١٣١ | زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا | ٢١٩ |
| | | سورة الأنبياء | |
| ٣٥٢ | ١٢ | إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ | ٢٢٠ |

| | | | |
|----------------------|--------|--|-----|
| ٥١٢ | ١٨ | بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ.. | ٢٢١ |
| ١٧٢ | ٣٠ | كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا | ٢٢٢ |
| ٧٧ | ٣٦ | أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ | ٢٢٣ |
| ٧٧ | ٦٠ | سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ | ٢٢٤ |
| ٢٣١ | ٧٥ | وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا | ٢٢٥ |
| ٣٠٥ | ٩٠ | وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا | ٢٢٦ |
| ٤٢٠ | ١٠٥ | وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ.. | ٢٢٧ |
| ٢٣٠ | ١٠٧ | وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ | ٢٢٨ |
| سورة الحج | | | |
| ١٠٢،٢٩٠ | ٢ | يَوْمَ تَرُؤِنهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ | ٢٢٩ |
| ١٥٨ | ٥ | ..فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ.. | ٢٣٠ |
| ١٨٦ | ١١ | وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ | ٢٣١ |
| ٥١٢ | ١٨ | فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ | ٢٣٢ |
| ٤٦ | ٧٣ | وَإِنْ يَسْأَلِبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ | ٢٣٣ |
| سورة المؤمنون | | | |
| ٤٧٥،٤٧٧ | ٤ | وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ | ٢٣٤ |
| | ١٢ | فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ | ٢٣٥ |
| ٩٥ | ٢٢ | وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ | ٢٣٦ |
| ٥١٥ | ٢٧ | فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ | ٢٣٧ |
| ٤٢٤ | ٥٣ | فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا | ٢٣٨ |
| ١٩٧ | ٩٩-١٠٠ | رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا | ٢٣٩ |
| سورة النور | | | |
| ١١٢ | ٢ | وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ | ٢٤٠ |
| ٣٧٥ | ٦ | وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ.. | ٢٤١ |
| ٤٧٥ | ٢١ | وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ | ٢٤٢ |

| | | | |
|---------|-----|---|-----|
| ٢١٣،٥٣٤ | ٣١ | وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا | ٢٤٣ |
| ٥٣٤ | ٣١ | وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ | ٢٤٤ |
| ٣٢٠ | ٣٦ | فِي بُيُوتٍ أُنزِلَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ | ٢٤٥ |
| ٣٥٥،٤٣٣ | ٤٣ | أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا | ٢٤٦ |
| ٣٥٥ | ٤٣ | ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا | ٢٤٧ |
| ٦٩ | ٤٩ | وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ | ٢٤٨ |
| | | سورة الفرقان | |
| ٤٦٢ | ١٢ | سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا | ٢٤٩ |
| ٢٢٣ | ٢١ | وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا.. | ٢٥٠ |
| ١٧٦ | ٣٢ | .. وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا | ٢٥١ |
| ٢٧١ | ٣٧ | وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ | ٢٥٢ |
| ٢٦٧ | ٣٨ | وَأَصْحَابَ الرِّسِّ | ٢٥٣ |
| ١٣٣ | ٤٥ | أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ | ٢٥٤ |
| ٥٢٤ | ٧٢ | وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ | ٢٥٥ |
| | | سورة الشعراء | |
| ٩٣ | ١٤ | وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ | ٢٥٦ |
| ٢٧٠،٢٧١ | ١٦ | إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ | ٢٥٧ |
| ٤٧٩ | ٦٤ | وَأَزَلَّفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ | ٢٥٨ |
| ٤٧٩ | ٩٠ | وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ | ٢٥٩ |
| ٢٥٨ | ١١١ | قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ | ٢٦٠ |
| ٢١٨ | ١١٦ | لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ | ٢٦١ |
| ٤١٣ | ١٢٨ | أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً | ٢٦٢ |
| ٤٢٢ | ١٩٦ | وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ | ٢٦٣ |
| | | سورة النمل | |
| ٣٨١ | ٤٨ | وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ | ٢٦٤ |

| | | | |
|-----|----|---|-----|
| ٢٤٩ | ٧٢ | قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ.. | ٢٦٥ |
| | | سورة القصص | |
| ٢٩٠ | ١٢ | وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ | ٢٦٦ |
| ٣٠٢ | ٢٣ | حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءُ | ٢٦٧ |
| ٣٧٨ | ٣٢ | وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ | ٢٦٨ |
| ٣٤ | ٣٢ | فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ | ٢٦٩ |
| ٩٥ | ٣٣ | إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ | ٢٧٠ |
| ٢٤٢ | ٣٤ | فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي | ٢٧١ |
| ١٦٨ | ٤٣ | وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى | ٢٧٢ |
| ٥٣٦ | ٧٩ | فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ | ٢٧٣ |
| | | سورة العنكبوت | |
| ٧٧ | ٤٥ | وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ | ٢٧٤ |
| ٤٣٥ | ٤٧ | .. وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ | ٢٧٥ |
| | | سورة الروم | |
| ١٦٢ | ٣٩ | وَمَا آتَيْنَا مِنْ رَبًّا | ٢٧٦ |
| ٢٤٤ | ٤٣ | يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ | ٢٧٧ |
| ٣٩٦ | ٤٦ | يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ | ٢٧٨ |
| | | سورة لقمان | |
| ٤٠ | ٢٣ | .. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ | ٢٧٩ |
| | | سورة السجدة | |
| ٤٥٣ | ٢٧ | فَنُخْرِجْ بِهِ زُرْعًا | ٢٨٠ |
| | | سورة الأحزاب | |
| ٤٩٢ | ٩ | إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا | ٢٨١ |

| | | | |
|-----|----|--|-----|
| ٤٩٢ | ١١ | هَذَاكَ ابْنِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا | ٢٨٢ |
| ٢٦٢ | ٣١ | وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا | ٢٨٣ |
| ١٩٤ | ٣٣ | .. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ.. | ٢٨٤ |
| ٢٣١ | ٤٣ | وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا | ٢٨٥ |
| ١٨٠ | ٥١ | تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ | ٢٨٦ |
| ١٨١ | ٥٢ | لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ | ٢٨٧ |
| ٢٠٨ | ٦٠ | وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ | ٢٨٨ |
| | | سورة سبأ | |
| ١١٧ | ٦ | وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ | ٢٨٩ |
| ٢٧٦ | ١٣ | وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ | ٢٩٠ |
| ٢٠١ | ٣١ | يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ | ٢٩١ |
| ٤٧٨ | ٣٧ | وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُفَى | ٢٩٢ |
| | | سورة فاطر | |
| ١٥٨ | ١ | أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ | ٢٩٣ |
| | | سورة يس | |
| ٦١ | ٤١ | وآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ | ٢٩٤ |
| ٣٣٦ | ٥٢ | قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا | ٢٩٥ |
| ٣٤٥ | ٧٢ | وَذَلَّلَنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ | ٢٩٦ |
| ٣٦٧ | ٧٨ | قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ | ٢٩٧ |
| | | الصفات | |
| ٤٣٢ | ٢ | فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا | ٢٩٨ |
| ٤٣٢ | ١٩ | فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ.. | ٢٩٩ |
| ٥١٦ | ٢٢ | احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ | ٣٠٠ |
| ٤٠٨ | ٢٣ | فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ | ٣٠١ |

| | | | |
|--------------------|-----|--|-----|
| ٢٥٥ | ٥٦ | إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينِ | ٣٠٢ |
| ٤٦٧ | ٦٥ | طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ | ٣٠٣ |
| ٤٦٤ | ٩٤ | فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ | ٣٠٤ |
| ١١٦،١٢٦ | ١٠٢ | إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ | ٣٠٥ |
| | ١٠٧ | وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ | ٣٠٦ |
| سورة ص | | | |
| ٧٧ | ١ | ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ | ٣٠٧ |
| ٢٤١ | ٣٦ | تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ | ٣٠٨ |
| ٣٥٣ | ٤٢ | ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ | ٣٠٩ |
| ٥١٦ | ٥٨ | وَأَخْرَأُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ | ٣١٠ |
| سورة غافر | | | |
| ٣٩٩ | ١٥ | يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ | ٣١١ |
| ٢٧٨ | ٣٨ | يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ | ٣١٢ |
| ١٦٥ | ٣٩ | اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ | ٣١٣ |
| سورة فصلت | | | |
| ١٦٥ | ٣٩ | .. اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ.. | ٣١٤ |
| سورة الشورى | | | |
| ٥٧ | ١١ | جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ | ٣١٦ |
| سورة الزخرف | | | |
| ٥٧،٤٤٤ | ٣٥ | وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ وَزخرفا | ٣١٧ |
| ٧٦ | ٤٤ | وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ | ٣١٨ |
| ٢٣٥ | ٤٥ | وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ | ٣١٩ |
| سورة الدخان | | | |
| ٣٩١ | ٢٤ | وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا | ٣٢٠ |

| | | | |
|-----|----|---|-----|
| ٤٥٣ | ٢٦ | وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ | ٣٢١ |
| ٤٦٦ | ٤٣ | إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ | ٣٢٢ |
| ١٥ | ٤٩ | ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ | ٣٢٣ |
| ٥١٦ | ٥٤ | وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ | ٣٢٤ |
| | | سورة الجاثية | |
| ٢٦٣ | ٥ | وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ | ٣٢٥ |
| ٢٢٢ | ١٤ | لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ | ٣٢٦ |
| | | سورة الفتح | |
| ٣٧٦ | ٢ | لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.. | ٣٢٧ |
| ٥٣٢ | ٢٥ | ..لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا | ٣٢٨ |
| ٤٥١ | ٢٩ | يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ | ٣٢٩ |
| | | سورة الحجرات | |
| ٥٣٨ | ٧ | ..حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ.. | ٣٣٠ |
| | | سورة ق | |
| ٥١٥ | ٧ | وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ | ٣٣١ |
| ٢٦٢ | ١٠ | وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ | ٣٣٢ |
| ٣٧٠ | ١٥ | أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ | ٣٣٣ |
| | | سورة الذاريات | |
| ٦٦ | ١ | وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا | ٣٣٤ |
| ٢٦٣ | ٢٢ | وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ | ٣٣٥ |
| ٤٠٨ | ٢٦ | فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ | ٣٣٦ |
| ٣٥٨ | ٣٩ | فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنَهُ | ٣٣٧ |
| ٣٥٨ | ٤٠ | فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ | ٣٣٨ |
| ٣٩٤ | ٤١ | الرِّيحِ الْعَقِيمِ | ٣٣٩ |

| | | | |
|--------------------|----|--|-----|
| ٥١٦ | ٤٩ | وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ | ٣٤٠ |
| ٧٤ | ٥٥ | وَذَكَرْ فَإِنَّ الذَّكَرَ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ | ٣٤١ |
| ٥٩ | ٥٦ | وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ | ٣٤٢ |
| ٢٦١ | ٥٧ | مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ | ٣٤٣ |
| ٢٦١ | ٥٨ | إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ | ٣٤٤ |
| ٩٤ | ٥٩ | فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ | ٣٤٥ |
| سورة الطور | | | |
| ٣٣٨ | ٣ | فِي رَقٍّ مَنشُورٍ | ٣٤٦ |
| ٦١ | ٢١ | أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ | ٣٤٧ |
| ٣٨٨ | ٢١ | كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ | ٣٤٨ |
| سورة النجم | | | |
| ١٣٣ | ٣ | وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ | ٣٤٩ |
| ٣٢٣ | ١٨ | لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ | ٣٥٠ |
| ٥١٥ | ٤٥ | وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ | ٣٥١ |
| سورة القمر | | | |
| ٤٣٢ | ٤ | مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ | ٣٥٢ |
| ٤٣٠ | ١١ | وَأذْجُر فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ | ٣٥٣ |
| ٣٩٦ | ١٩ | إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا | ٣٥٤ |
| ٤٢٢ | ٤٣ | أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ | ٣٥٥ |
| سورة الرحمن | | | |
| ٣٩٩،٤٠١ | ١٢ | وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ | ٣٥٤ |
| ٣٩ | ٤٨ | ذَوَاتَا أَفْنَانٍ | ٣٥٥ |
| ٣٧٠ | ٦٨ | فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ | ٣٥٦ |
| ٣٢٣ | ٧٦ | مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ رُفْرَفٍ خُضْرٍ | ٣٥٧ |

| | | | |
|---------|----|--|-----|
| | | سورة الواقعة | |
| ٣١٩ | ٣ | خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ | ٣٥٨ |
| ١٨٤ | ٤ | إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا | ٣٥٩ |
| ٤٠٣ | ٨ | فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ | ٣٦٠ |
| ٣٢٠ | ٣٤ | وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ | ٣٦١ |
| ٤٥١ | ٦٤ | أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ | ٣٦٢ |
| ٢٦٣ | ٨٢ | وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ | ٣٦٣ |
| ٣٩٧،٤٠٣ | ٨٩ | فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ | ٣٦٤ |
| | | سورة الحديد | |
| ٣٧٨ | ٢٧ | وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً | ٣٦٥ |
| | | سورة المجادلة | |
| ٣٩٨ | ٢٢ | .. وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ.. | ٣٦٦ |
| | | سورة الصف | |
| ٢٨٥ | ٤ | كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ | ٣٦٧ |
| ٥٢٩ | ٥ | .. فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.. | ٣٦٨ |
| | | سورة المنافقون | |
| ٢٦٦ | ١٠ | وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ | ٣٦٩ |
| | | سورة التغابن | |
| ٤٥٨ | ٧ | زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا | ٣٧٠ |
| | | سورة الطلاق | ٣٧١ |
| ٤٠ | ٢ | .. وَأَشْهَدُوا نَوِيَّ عَدْلٍ مِنْكُمْ.. | ٣٧٢ |
| ١٠٥ | ٩ | فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا | ٣٧٣ |
| | | سورة الملك | |
| ٢١٨ | ٥ | وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ | ٣٧٤ |
| ٤٦٢ | ٧ | سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا | ٣٧٥ |

| | | | |
|-----|----|---|-----|
| ٤٧٩ | ٢٧ | فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا | ٣٧٦ |
| | | سورة القلم | |
| ٥٠١ | | عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ | ٣٧٧ |
| ٤٨٣ | ٥١ | وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ | ٣٧٨ |
| | | سورة الحاقة | |
| ٣٩٤ | ٦ | رِيحاً صَرْصِراً | ٣٧٩ |
| ١٦٧ | ١٠ | فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً | ٣٨٠ |
| ١١٦ | ١١ | فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى | ٣٨١ |
| | ٢٧ | وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا | ٣٨٢ |
| | | سورة نوح | |
| ٢٢ | ١٣ | مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً | ٣٨٣ |
| | | سورة الجن | |
| ٣٨٤ | ٦ | رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مِنَ الْجِنِّ | ٣٨٤ |
| | | فَزَادُوهُمْ رَهَقاً | |
| ٣٨٥ | ١٣ | فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً | ٣٨٥ |
| ٢٨٢ | ٢٧ | فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً | ٣٨٦ |
| | | سورة المزمل | |
| ٤٩٥ | ١ | يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ | ٣٨٧ |
| ١٧٥ | ٤ | وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً | ٣٨٨ |
| | | سورة المدثر | |
| ١٨٦ | ٥ | وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ | ٣٨٩ |
| ٣٨٨ | ٣٨ | كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْئَةً | ٣٩٠ |
| | | سورة الإنسان | |
| ٨٦ | ١٤ | وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا تَدْلِيلاً | ٣٩١ |
| ٤٩٩ | ١٧ | كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً | ٣٩٢ |

| | | | |
|-----|-----|---|-----|
| | | سورة المرسلات | |
| ٢٧٤ | ١ | وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا | ٣٩٣ |
| ٢٧٨ | ١٢٧ | رَوَاسِيٍّ شَامِيَّاتٍ | ٣٩٤ |
| | | سورة النبأ | |
| ٢٨٢ | ٢١ | إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا | ٣٩٥ |
| | | سورة النازعات | |
| ٢٠٥ | ٦ | يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ | ٣٩٦ |
| ٢٤٩ | ٧ | تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ | ٣٩٧ |
| | ١٣ | فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ | ٣٩٨ |
| ٢٧٦ | ٣٢ | وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا | ٣٩٩ |
| ٢٧٥ | ٤٢ | يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا | ٤٠٠ |
| | | سورة المطففين | |
| ٣٤٠ | ٩ | كِتَابٍ مَرْقُومٍ | ٤٠١ |
| ٤١٥ | ١٤ | بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ | ٤٠٢ |
| ٢٢٨ | ٢٥ | مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ | ٤٠٣ |
| | | سورة الطارق | |
| ١٩٨ | ٨ | إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ | ٤٠٤ |
| ١٩٨ | ٩ | يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ | ٤٠٥ |
| ٢٠٢ | ١١ | وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ | ٤٠٦ |
| | | سورة الأعلى | |
| ٣٠٢ | ٤ | وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى | ٤٠٧ |
| | | سورة الغاشية | |
| ٤٤٨ | ١٦ | وَزَرَابِيٍّ مَبْنُوتَةٍ | ٤٠٨ |
| | | سورة الفجر | |
| ٢٨٢ | ١٤ | إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ | ٤٠٩ |

| | | | |
|-----|-------|---|-----|
| ١٣٨ | ٢٨ | ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً | ٤١٠ |
| | | سورة البلد | |
| ٢٣٠ | ١٧ | وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ | ٤١١ |
| | | سورة الليل | |
| ٢٥٥ | ١١ | وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى | ٤١٢ |
| | | سورة الشرح | |
| ٧٧ | ٤ | وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ | ٤١٣ |
| | | سورة التين | |
| ٥٢٦ | ١ | وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ | ٤١٤ |
| | | سورة العلق | |
| ١٩٦ | ٨ | إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ | ٤١٥ |
| ٤٢٧ | ١٧-١٨ | فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ | ٤١٦ |
| | | سورة البينة | |
| ٢٩٤ | ٨ | رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ | ٤١٧ |
| | | سورة الزلزلة | |
| ٤٨٨ | ١ | إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا | ٤١٨ |
| | | سورة الماعون | |
| ١٢٣ | ٦ | الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ | ٤١٩ |

ثانياً : فهرس الحديث

| الرقم | الحديث | الصفحة |
|-------|--|--------|
| ١ | (أنتني أُمي راغبة في العهد) | ٣٠٦ |
| ٢ | (أتى بروت في الاستجاء) | ٣٥٠ |
| ٣ | (أجتنبوا السبع الموبقات) | ٤٤٣ |
| ٤ | (أدخل على الناس زفة زفة) | ٤٦٥ |
| ٥ | (إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردّه) | ٣٩٨ |
| ٦ | (إذا اسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله من كل سيئة أزلفها) | ٤٧٩ |
| ٧ | (إذا حزبهام أمر فزعوا إلى الصلاة) | ٧٧ |
| ٨ | (إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله) | ٢٩٨ |
| ٩ | (إذا صلى أحدكم إلى شيء فليدنه) | ٣٨٤ |
| ١٠ | (إذا صلى أحدكم إلى شيء فيرهقه) | ٣٨٤ |
| ١١ | (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) | ١٧١ |
| ١٢ | (أذكر الله في الرخاء ..) | ٢٤١ |
| ١٣ | (أرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا) | ١٨٠ |
| ١٤ | (إرشاد الضال) | ٢٧٩ |
| ١٥ | (ارقبوا محمد في أهل بيته) | ٣٣١ |
| ١٦ | (أعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه) | ٣١٧ |
| ١٧ | (أعطى كعب بن مالك ثوبين) | ١٨٣ |
| ١٨ | (أعوذ بك من أرد إلى أرذل العمر) | ٢٥٨ |
| ١٩ | (أعوذ بكلمات الله التامات) | ٥٦ |
| ٢٠ | (أفي الجنة فاكهة) | ٣٧٠ |
| ٢١ | (إقامة حد بأرض خير من مطر أربعين ليلة) | ١١٤ |
| ٢٢ | (أقرأ وارق ٠٠) | ١٧٨ |

| | | |
|----|---|--------|
| ٢٣ | (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء) | ٩٨،١٠١ |
| ٢٤ | (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا) | ١٥٤ |
| ٢٥ | (ألا أنها ستكون فتنة) | هـ |
| ٢٦ | (أمر أتخوفه على أمتي) | ٥٠٩ |
| ٢٧ | (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله) | ٢٥٦ |
| ٢٨ | (إن الرحم شجنة معلقة بالعرش) | ٢٣٦٢٣٦ |
| ٢٩ | (إن العبد إذا أخطأ خطيئة) | ٤١٧ |
| ٣٠ | (إن الله تعالى يبعث الملك إلى كل من اشتملت عليه رحم أمه) | ٢٦٢ |
| ٣١ | (إن الله خلق في الجنة ريحاً من دونها باب) | ٦٧ |
| ٣٢ | (إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة) | ٥٩٠ |
| ٣٣ | (إن الله لا يحب الزواقين والزواقات) | ١٠٤ |
| ٣٤ | (إن الله لما ذرأ لجهنم من ذراً كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم) | ٥٧ |
| ٣٥ | (إن الله يرفع العدل ويخفضه) | ٣٢٠ |
| ٣٦ | (إن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً) | ٣٨٩ |
| ٣٧ | (إن النحر في الحلق) | ٥١٢ |
| ٣٨ | (إن رجلاً قال لأولاده إذا مت فأحرقوني ثم ذروني في الريح) | ٦٧ |
| ٣٩ | (إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله) | ١٦٣ |
| ٤٠ | (أن لا يأخذ من راضع لبن) | ٢٨٩ |
| ٤١ | (إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا) | ١٢٦ |
| ٤٢ | (انتظار الصلاة بعد الصلاة) | ١٥٦ |

| | | |
|-----|--|----|
| ١٥٢ | (إنما يريد أن يتربص بكم الدوائر) | ٤٣ |
| ٤٠٨ | (إنني أريفه على الطعام) | ٤٤ |
| ٣٧٧ | (إنني لأسمع الراهبة) | ٤٥ |
| | (أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ) | ٤٦ |
| ٢٨٦ | (تراصوا في الصفوف لا تتخللكم الشياطين) | ٤٧ |
| ٤٩ | (تزوج وإلا فأنت من المذبذبين) | ٤٨ |
| ١٢٦ | (تنام عيني وقلبي يقظان) | ٤٩ |
| ٥٤٩ | (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) | ٥٠ |
| ٣٠٢ | (حتى ترى رعاة الشاة يتناولون) | ٥١ |
| ١٢٠ | (حتى يتبين رئيها) | ٥٢ |
| ٦١ | (حجوا بالذرية لا تأكلوا أرزاقها) | ٥٣ |
| ٢٨٦ | (حديث ابن صياد لرسول الله | ٥٤ |
| ٣٥٥ | (حديث الاستسقاء حتى رأيت ركماً) | ٥٥ |
| ٢٤٥ | (حديث القيامة والحوض لم يزلوا مرتدين) | ٥٦ |
| ٤١١ | (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) | ٥٧ |
| ٥٨ | (دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي) | ٥٨ |
| ٥١٢ | (دون الله سبعون ألف حجاب) | ٥٩ |
| ٣٢٣ | (رأى فرقاً أخضر سد الأفق) | ٦٠ |
| ٤٥٠ | (رأيت في المنام إنني أنزع بدلو بكرة على قليب) | ٦١ |
| ٢٣٣ | (الراحمون يرحمهم الرحمن) | ٦٢ |
| ٣٠٥ | (راغب وراهب) | ٦٣ |
| ١٥٥ | (رباط يوم في سبيل الله خير) | ٦٤ |
| ١٥٥ | (رباط يوم وليلة) | ٦٥ |
| ٣٥٨ | (رحم الله لوطاً إن كان ليأوى إلى ركن شديد) | ٦٦ |
| ٣٣٤ | (الركائب المناخة) | ٦٧ |

| | | |
|-----|--|----|
| ٣٧٨ | (رهبانية أمتي في الجهاد) | ٦٨ |
| ٣٧٧ | (رهبوت خير من رحموت) | ٦٩ |
| ٣٩٧ | (الريح من روح الله) | ٧٠ |
| ٤٢٠ | (الزبور ما أنزل الله على داود من بعد الذكر) | ٧١ |
| ٤٧٥ | (زكاة الأرض يبسها) | ٧٢ |
| ١٨٠ | (زكاة الجنين زكاة أمه) | ٧٣ |
| ٢٥٥ | (زكه من حيث شئت ١٠٠٠) | ٧٤ |
| ٤٩٦ | (زملوهم بثيابهم) | ٧٥ |
| ٥٠٢ | (الزنييم هو المدعي النسب) | ٧٦ |
| ١٧٨ | (زينوا القرآن بأصواتكم) | ٧٧ |
| ٢٩٨ | (سبحان من يسبح الرعد بحمده) | ٧٨ |
| ٢٦٤ | (عبدني استطعمتك فلم تطعمني) | ٧٩ |
| ٤٥ | (عليكم السام والزام واللعنة) | ٨٠ |
| ٢٧٨ | (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) | ٨١ |
| ٤٦ | (عمر الذباب أربعون يوماً) | ٨٢ |
| ٤٤٩ | (فأخذوا زريبة أمي فأمر بها فردت) | ٨٣ |
| ٤٩٦ | (فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم) | ٨٤ |
| ٤٨٠ | (فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله بركعتين) | ٨٥ |
| ٢٤٨ | (فأمدهم الله بألف من الملائكة) | ٨٦ |
| ٢٤٢ | (فإنهم رداء الإسلام وجباة المال) | ٨٧ |
| ٤١٠ | (فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها) | ٨٨ |
| ٩٧ | (فبعث من اليمن بذهبية) | ٨٩ |
| ١٧٤ | (فتبعبت السماء بالغيث وفتقت الأرض بالنبات) | ٩٠ |
| ٢٥٣ | (فتح اليوم من ردم يأجوج) | ٩١ |
| ١٨٤ | (فترنح الأرض بأهلها) | ٩٢ |

| | | |
|-----|--|-----|
| ٣٦٣ | (فجعل يتتبع الفئ من شدة الرمض) | ٩٣ |
| ٥٠٧ | (فجعل يزهدا أي يقللها) | ٩٤ |
| ٢٠٥ | (فرجع ترجف بواده) | ٩٥ |
| ١٦٩ | (الفردوس ربوة الجن) | ٩٦ |
| ٤٠٨ | (فعدلت إلى رائحة من روائح المدينة) | ٩٧ |
| ٤٩ | (فكأنني انظر إلى يديه تذبذبان) | ٩٨ |
| ٣٨٥ | (فلو أنه أدرك أبويه لأرهقهما) | ٩٩ |
| ٣٨٥ | (فلو أنه أدرك أبويه لأرهقهما) | ١٠٠ |
| ٢٤١ | (فليكثر الدعاء في الرخاء) | ١٠١ |
| ٤٤٠ | (فمن أحب أن يزحزح عن النار) | ١٠٢ |
| ١٠١ | (قال أعرابي أخبرني قول الله والذين يكنزون الذهب والفضة) | ١٠٣ |
| ٤٧٤ | (قال تزكي نفسها) | ١٠٤ |
| ٣٥٠ | (قال هذا ركس) | ١٠٥ |
| ٣٣٣ | (كأنما اعتق رقبة) | ١٠٦ |
| ١٨٣ | (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استتار وجهه) | ١٠٧ |
| ٤٩ | (كان علي يرده لها نباذب) | ١٠٨ |
| ١٧٥ | (كان يرتل آية آية) | ١٠٩ |
| ٣٠٨ | (كانت ترغماً للشيطان) | ١١٠ |
| ٣٨٧ | (كل غلام رهينة بعقيقته) | ١١١ |
| ٩٨ | (كل ما أدبت زكاته فليس بكنز) | ١١٢ |
| ٨١ | (كل ما أمسكت كلابك زكى وغير زكى) | ١١٣ |
| ١٥٥ | (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط) | ١١٤ |
| ٥٤ | (كلوا وادخروا) | ١١٥ |

| | | |
|---------|--|-----|
| ١٨٣ | (كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن) | ١١٦ |
| ٣٠٦ | (كيف أنتم إذا مرج الدين) | ١١٧ |
| ٣٦٨ | (كيف تعرض صلاتنا عليك وقد رمت) | ١١٨ |
| ٦١ | (لا تقتل ذرية ولا عسيفا) | ١١٩ |
| ١٧٩ | (لا تنتروه نثر العرقل) | ١٢٠ |
| ٣٧٨ | (لا رهبانية في الإسلام) | ١٢١ |
| ١٣٨ | (لا يقل المملوك لسيدته ربي) | ١٢٢ |
| ٤٤٥ | (لتخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض) | ١٢٣ |
| ٤٤٥ | (لتخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى) | ١٢٤ |
| ١٧٩،٥٣٥ | (لحبرته لك تحبيراً) | ١٢٥ |
| ١٦٥ | (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا) | ١٢٦ |
| ١٧٩ | (لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود) | ١٢٧ |
| ٥٣٥ | (لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود) | ١٢٨ |
| ٥٣٥ | (لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت) | ١٢٩ |
| ٣٤٢ | (لكنهم يرقون فيه) | ١٣٠ |
| ١٢٨ | (لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة) | ١٣١ |
| ١٠٤ | (لم يكن يزم ذواقاً) | ١٣٢ |
| | (لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساؤه دخلت المسجد فإذا بالناس ينكتون الحصى) | ١٣٣ |
| ١٨٥ | (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة) | ١٣٤ |
| ٣٣٤ | (لنا رقاب الأرض) | ١٣٥ |
| ٤٤١ | (اللهم أغفر له وإن كان فر من الزحف) | ١٣٦ |
| ١٩٣،٢٩٤ | (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك) | ١٣٧ |
| ١٩٣ | (اللهم إني أعوذ بك من الرجس النخس) | ١٣٨ |
| ٣٩٤ | (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً) | ١٣٩ |

| | | |
|-----|--|-----|
| ٨٥ | (اللهم اسقنا ذلك السحاب) | ١٤٠ |
| ٥٣٥ | (اللهم انزل علينا في أرضنا زينتها) | ١٤١ |
| ٤٨٩ | (اللهم اهزم الأحزاب وزلزلهم) | ١٤٢ |
| ٥٢٩ | (اللهم لا ترغ قلب..) | ١٤٣ |
| ٢٩٨ | (اللهم لا تقتلنا بغضبك) | ١٤٤ |
| ٤٦٨ | (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا) | ١٤٥ |
| ١١٦ | (لو سرقت فاطمة) | ١٤٦ |
| ٤٢٨ | (لو فعله لأخذته الملائكة عياناً) | ١٤٧ |
| ٤٤٨ | (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة) | ١٤٨ |
| ٥٠٧ | (ليس على حساب ولا على مؤمن مزهد) | ١٤٩ |
| ٥٧ | (ليس على ولد الزنا من وزر أبويه) | ١٥٠ |
| ١٧٩ | (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) | ١٥١ |
| ٥٢٤ | (ما زورت كلاماً لأقوله إلا سبقني به ابو بكر) | ١٥٢ |
| ٣٣١ | (ما من نبي إلا أعطى سبعة نجباء) | ١٥٣ |
| ١٦٣ | (ما نقص مال من صدقة) | ١٥٤ |
| ٥١ | (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة) | ١٥٥ |
| ١٣٨ | (المرء مع من أحب) | ١٥٦ |
| ٩٩ | (مررت بالريزة فإذا أنا بأبي ذر) | ١٥٧ |
| ٤١١ | (مكسة فيها بعض الربية خير من مسالة الناس) | ١٥٨ |
| ٥١٩ | (ملأنا أزودتنا) | ١٥٩ |
| ٣٠٨ | (من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يدخل الجنة) | ١٦٠ |
| ٢١٩ | (من اقتبس باباً من علم النجوم) | ١٦١ |
| ١٥٦ | (من رابط يوماً وليلة) | ١٦٢ |
| ١٨٤ | (من ركب البحر حين يرتج فقد برئت) | ١٦٣ |
| ٤٣٨ | (من صام يوماً في سبيل الله زحزحه الله عن النار) | ١٦٤ |

| | | |
|-----|---------------------------------------|-----|
| ٢٤٤ | (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) | ١٦٥ |
| ١٩٧ | (من كان له مال يبلغه حج بيت اله) | ١٦٦ |
| ٢٢٣ | (من لا يرحم لا يرحم) | ١٦٧ |
| ٢٢٣ | (من لم يحرم صغيرنا) | ١٦٨ |
| ٥٢ | (من ولي قاضياً فكأنما ذبح بغير سكين) | ١٦٩ |
| ٢٨٩ | (نعمت المرضعة وبئست الفاطمة) | ١٧٠ |
| ١٩٣ | (نهى أن يستنجي بالروث) | ١٧١ |
| ٢٠٠ | (هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم) | ١٧٢ |
| ٣٠٨ | (وإن رغم أنف أبي الدرداء) | ١٧٣ |
| ٤٠٢ | (الولد من ريحان الله) | ١٧٤ |
| ١٥٨ | (ولقد رأيتني أني لريع الإسلام) | ١٧٥ |
| ٢١٢ | (يا معشر النساء تصدقن) | ١٧٦ |

ثالثاً : فهرس أبيات الشعر

| رقم | أول البيت | القافية | اسم الشاعر | الصفحة |
|-----|----------------------------|---------|--------------|--------|
| ١ | إذا الجوزاء أردفت الثريا | الظنونا | خزيمة | ٢٤٨ |
| ٢ | إذا المرء كان أبوه عبس | الكلام | كثير | ٤٠٣ |
| ٣ | إذا هي تسبي الناظرين وتجلو | رئل | شمر | ١٧٦ |
| ٤ | أنتهون ولا ينهي نوى شطط | القتل | الاعشى | ٤٠٥ |
| ٥ | اجنى وارحم من أم بولدها | ضاري | الليث | ٢٣٨ |
| ٦ | اشطان الرماح مركزات | الحلول | ثعلب | ٣٤٧ |
| ٧ | أضحى يسح الماء على كل فيفة | الكهنبل | امرؤ القيس | ١٧١ |
| ٨ | أقررت عيني من الغانيات | أزف | الاعشى | ٥٠٤ |
| ٩ | النسر قد يركض وهو | هاني | رؤبة | ٣٥٢ |
| ١٠ | أما الزنا فإني لست قاربه | نصفان | - | ٥٠٤ |
| ١١ | أبي هرزة الوهاب ارجى مطيتي | عطائكا | الاعشى | ٤٣٣ |
| ١٢ | إني رأيت بني سهم وعزهم | فترضع | ابن أحمر | ٢٨٨ |
| ١٣ | إني أزين لكم أنه | ما زعم | ابن الاعرابي | ٤٥٨ |
| ١٤ | أنت زنيم نيط في آل هاشم | الفرد | حسان | ٥٠٢ |
| ١٥ | أو مذهب جرد على ألواح | المحتوم | ليبيد | ٩٧ |
| ١٦ | أهم بنيه صيفهم وشتاؤهم | الاراجل | أبو ذؤيب | ٢١١ |
| ١٧ | بات يقايسها غلام كالزلم | غنم | رشيد | ٤٩٣ |
| ١٨ | بات يراها حصانا وقد جرت | شاكراه | الفرزدق | ١٣٥ |
| ١٩ | بريحانة من بطن حلية نورت | مسنن | الشنفرى | ٣٩٨ |
| ٢٠ | بكرن بكورا واستحرن بسحرة | الفم | زهير | ٢٦٨ |
| ٢١ | ترد بنا في سمل لم ينضب | الارقب | ابن الأعرابي | ٣٣٣ |
| ٢٢ | تظل على الثمراء منها حوارس | رقابها | أبو ذؤيب | ٣٣٣ |
| ٢٣ | تحبى العظام الراجفات البلى | طبيب | - | ٢٠٥ |

| | | | | |
|----|------------------------------|----------|----------------|-----|
| ٢٤ | تقضي الحصى عن حجرات وقبعة | المنابر | ذو الرمة | ٤٩٣ |
| ٢٥ | تتأمله يحفرون الرساسا | الرساسا | النابغة الجعدي | ٢٦٧ |
| ٢٦ | تزود مثلما زاد أبيك فينا | زادا | جرير | ٥١٩ |
| ٢٧ | حوقل ذبذبة الوحيف | رجيف | ثعلب | ٤٩ |
| ٢٨ | حتى إذا رفع اللواء تحت رايته | زعيماً | حمد بن ثور | ٤٥٩ |
| ٢٩ | رزقت رابيع النجوم وصابها | فرماها | ليبيد | ٢٦٢ |
| ٣٠ | زنيتم تدعاه الرجال ريادة | الأكارع | حسان | ٥٠٢ |
| ٣١ | سميت بالفاروق فافرق | رزقه | عويف | ٢٦٣ |
| ٣٢ | شاعر قوم أولى بفضة | ذلالا | عمرو بن قميئة | ٨٣ |
| ٣٣ | صعل من السام ورباني | رباني | شمر | ١٤١ |
| ٣٤ | ضاربة بالمشفر الاذية | الأذبة | النابغة | ٤٧ |
| ٣٥ | طراق الخوافي واقفاً فوق ريعه | يترقرق | ذو الرمة | ٤١٣ |
| ٣٦ | طي الليالي زلفاً فزلفاً | أحقوقنا | العجاج | ٤٧٩ |
| ٣٧ | فدوقوا كما ذقنا غداة حجر | والتجوب | طفيل | ١٠٥ |
| ٣٨ | في مهمة قلقلت به هاماتها | نعنولا | الراعي | ٤٠٤ |
| ٣٩ | فلما وردن الماء زرقا حمامه | المتخيم | زهير | ٤٥٥ |
| ٤٠ | فندق هجرها قد كنت تزعم | الزعم | عبيد الله | ٤٥٨ |
| ٤١ | فهن معترضات والحصى | معتدل | القطامي | ٣٦٤ |
| ٤٢ | فكبر للرؤيا وهش فؤاده | يلومها | الراعي | ١٢٥ |
| ٤٣ | فإن كنت لا تدعو إلى غير نافع | أدام | أوس بن حجر | ٤٤ |
| ٤٤ | فلن يتركوا سرها للغنى | لازدهاها | الأعشى | ٥٠٧ |
| ٤٥ | قد توجس ركزا مقفر برحي | كذب | - | ٣٤٨ |
| ٤٦ | كان ابانا في أفانين | مزمل | امرؤ القيس | ٤٩٦ |
| ٤٧ | كان القرنفل والزنجبيل | شعرا | الاعشى | ٤٩٩ |
| ٤٨ | كأنها حقباء بلقاء كالزلق | الحنق | رؤبة | ٤٨٢ |

| | | | | |
|----|--------------------------------|-----------|----------------|-----|
| ٤٩ | لمن طلل كالوحي عف منازل | معاقله | زهير | ٢٦٨ |
| ٥٠ | لقد زرقت عيناك بابين مكعب | أزرق | سويد البشكري | ٤٥٥ |
| ٥١ | لم يزجر الطير إن جرت | بأزلام | الحطيئة | ٤٩٣ |
| ٥٢ | لو يقوم الفيل أو خياله | زحل | ليبيد | ٤٣٨ |
| ٥٣ | من كان لا يزعم إني شاعر | المزاجر | | ٤٣١ |
| ٥٤ | نطيع نبينا ونطيع ربا | رؤوفا | كعب | ١١٢ |
| ٥٥ | هلا على غيري جعلت الزلة | القلة | - | ٤٨٦ |
| ٥٦ | هن يمشين بنا هميساً | لميسا | ابن عباس | ٣١٤ |
| ٥٧ | هو الرب والشهيد على يوم | بلال | الحارث بن حلزة | ١٣٨ |
| ٥٨ | يزور حبيك البيض | العنبر | ابن هرمة | ٦٦ |
| ٥٩ | يا بؤس للحرب التي وضعت | فاستراحوا | | ٣٨١ |
| ٦٠ | يريد السهم صدر أبا براد | عقيل | | ٤٠٤ |
| ٦١ | يرى للمسلمين عيه حقاً | الرحيم | جرير | ١١٢ |
| ٦٢ | يا قابض الروح عن جسم عصا زمتنا | النار | ذو الرمة | ٤٣٨ |
| ٦٣ | يزفون كأنها هقلة أصم | شقفاء | ابن حلزة | ٤٦٤ |
| ٦٤ | ينضو الهماليح وينضو الزمتنا | وجفا | العجاج | ٤٧٨ |
| ٦٥ | يزملون حنين الضغن بينهم | كلف | ابن الأعرابي | ٤٩٦ |

رابعاً : فهرس المفردات العربية

| الصفحة | الغريب | الرقم |
|--------|----------|-------|
| ٥٠٨ | ابق | ١ |
| ٤٥٦ | الأسحر | ٢ |
| ١٧٦ | الأقحوان | ٣ |
| ٤٤١ | الدبى | ٤ |
| ٣٩٨ | الحنوة | ٥ |
| ٤٥٩ | الخميس | ٦ |
| ١٣٢ | الخوارج | ٧ |
| ٥٣٦ | الدملج | ٨ |
| ٥٠٩ | الرضفة | ٩ |
| ١٣٢ | الشراة | ١٠ |
| ٧١ | الكنهيل | ١١ |
| ١٨٠ | المرجئة | ١٢ |
| ٥٣٦ | المخنقة | ١٣ |
| ٣٨٤ | النوك | ١٤ |
| ٣١٢ | الورس | ١٥ |

خامساً : فهرس البلدان

| الرقم | البلد | الصفحة |
|-------|---------|--------|
| ١ | دمشق | ٢٢ |
| ٢ | طرابلس | ١٤ |
| ٣ | القاهرة | ٢٢ |

سادساً : فهرس التراجم

| الصفحة | العلم |
|--------|---|
| ٢٥ | إبراهيم بن السرة بن سهل الزجاج |
| ٦٦ | إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري المدني أبو القاسم عبدالرحيم بن يوسف |
| ١١٣ | إبراهيم بن يزيد بن الأسود أبو عمران النخعي |
| ٤١ | أبو التثاء السيد محمود الألويسي أبو الفضل |
| ١٥ | أبو القاسم عبدالرحيم بن يوسف |
| | أبو بكر بن الحسن (ابن زيد) |
| ١٢٦ | أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد |
| ١٦٨ | أبو سعيد الخدري |
| ٢٤٩ | أبو عمرو بن العلاء بن عمار |
| ٢٤٤ | أبو مليح الهزلي عامر |
| ٥١ | أثير الدين محمد بن يوسف ابن حيان |
| ٨١ | أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر |
| ٢٠ | أحمد بن علي بن عمر بن حجر العسقلاني |
| ١١ | أحمد بن محمد (ابن خلكان) |
| ١٠٩ | أحمد بن محمد المرادي أبو جعفر النحاس |
| ٦٩ | أحمد بن محمد بن بشر ابن الأعرابي |
| ٢٤ | أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني أبو العباس |
| ٢٤ | أسد بن كرز بن عامر بن عبقرى أبو الهيثم |
| ٢٦ | إسماعيل بن إسحاق (ابن إسحاق) |
| ٢٤ | إسماعيل بن حماد الجوهري |
| ٤٨ | إسماعيل بن عبد الرحمن السدي |
| ٧١ | أمرؤ القيس بن حجر |
| ٤٤ | أوس بن حجر الاسلمي |

| | |
|-----|--|
| | ابن أبي العز الحنفي الطحاوي |
| ٣٣٤ | بلال بن أبي رباح |
| ٣٧٧ | بهز بن حكيم بن معاوية القشيري |
| ١٦ | تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي |
| ١١ | تقي الدين أبو الفتح (ابن دقيق العيد) |
| ١٠ | تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ابن تيمية) |
| ١٧١ | توران شاه |
| ٢٩ | ثعلبة بن غنمة بن عدي |
| ٤٩٣ | جروول بن أرسى الحطيئة |
| ١١٢ | جرير بن عطية الخطفي |
| ٩٩ | جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري |
| ٦ | جنكيز خان |
| ١٣٨ | الحارث بن حلزة بن مكروه |
| ٤٥٩ | حسين بن احمد بن حمدان ابن خالويه |
| ٤٥ | الحسين بن مسعود البغوي |
| ٤٢٣ | حمزة بن حبيب |
| ٤٥٩ | حميد بن ثور الهلالي |
| ١٤٠ | خبيب بن عدي |
| ٢٨٨ | خلف بن حبان (ابن أحمر) |
| ٢٠ | خليل بن أبيك الصفدي |
| ٣٨ | الخليل بن احمد (أبو عبد الرحمن) الفراهيدي |
| ٢١٠ | خويلد بن خالد (ابو زنؤيب الهزلي) |
| ٤٨٢ | رؤية بن العجاج |
| ٣٦ | رشيد الدين أبو بكر المنذري |
| ١٣٠ | رفاعة بن زيد بن تابوت |

| | |
|-----|---|
| ١٨٣ | رفاعة من بني عمر بن عوف أبو لبابة |
| ١٣ | رويفع بن ثابت |
| ١٣٩ | ريان بن الوليد بن ثروان |
| ٢٦٧ | زهير بن أبي سلمى |
| ٤٦ | زياد بن معاوية النابغة |
| ٩٩ | زيد بن وهب الجهني |
| ٤٩٦ | سعد بن عبادة |
| ١٦٧ | سعد بن معاذ |
| ١٨٥ | سعيد بن المسيب |
| ١١٣ | سعيد بن اوس بن ثابت (ابن زيد) |
| ٣٤ | سعيد بن مسعدة البلخي الأخفش |
| ٨٥ | سفيان بن عيينة أبو عمران ميمون |
| ٦٥ | سليم بن عيسى بن سليم أبو عيسى ابن عامر |
| ١٦٢ | سليمان بن مهران الأعمش |
| ٤٥٥ | سويد بن أبي علي سويد اليشكري |
| ٢٨٩ | سويد بن أبي غفلة |
| ٧ | شجرة الدر |
| ١٣٧ | شداد بن أوس بن ثابت |
| ٤٥٩ | شريح بن الحارث الكندي |
| ١٦ | شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي) |
| ١٥ | طفيل بن عوف |
| ١١٣ | عامر بن شرحبيل بن ذي كبار الشعبي |
| ٦٧ | عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الليثي أبو الفضل |
| ١٣٦ | عبادة بن نسي |
| ١٥٧ | عبد الحق بن غالب بن عبد الملك ابن عطية |

| | |
|-----|--|
| ٢٠ | عبد الرحمن الكمال جلال الدين السيوطي |
| ١٣٦ | عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ابن رجب) |
| ١١٤ | عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة |
| ٦٢ | عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي |
| ٥٧ | عبد الله بن أبي الوحش بن بري |
| ١١٩ | عبد الله بن أبي سلول |
| ٥٩ | عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (أبو البركات) |
| ٤٧٨ | عبد الله بن رؤبة بن ليبيد (العجاج) |
| ٢٩ | عبد الله بن عباس بن عبد المطلب |
| ٣٢ | عبد الله بن مسعود |
| ٣٠ | عبد الله بن مسلم بن قتيبة |
| ١٠ | عبد العزيز بن عبد السلام |
| ٤٥٨ | عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود |
| ١٢٥ | عبيد بن حصين (الراعي) |
| ٥٠ | عثمان بن جني أبو الفتح |
| ١١ | عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم ابن الأثير |
| ١٧٣ | عطاء بن أبي رباح |
| ١٧٣ | عكرمة |
| ١٥ | علي بن أبي عبيد الله الحسيني بن المغيرة البغدادي |
| ٦٣ | علي بن أحمد بن سعيد بن حزم |
| ٢٥ | علي بن إسماعيل (ابن سيدة) |
| ٩٠ | علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي |
| ٣٣٤ | علي بن الحسن بن إسماعيل ابن سيرين |
| ٧١ | علي بن المبارك (الليثاني) |
| ٢٧ | علي بن محمد بن حبيب الماوردي |

| | |
|-------------|---|
| ٢٦ | عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير |
| ١٠٢ | عمر بن الحسين أبو عبدالله الرازي |
| ١٥٨ | عمر بن عبسة |
| ٢٩٠١٨٨ | عمرو بن أوس بن عامر الأنصاري (معاذ بن جبل) |
| ١٤١ | عمرو بن الحارث بن أبي شمر |
| ١٨٧ | عمرو بن العاص |
| ٢٨١ | عمرو بن صيفي (أبو عامر الراهبي) |
| ٨٣ | عمرو بن قمئة |
| ٣٩٨ | عمرو بن مالك الأزدي (الشنفرى) |
| ٢٠٠ | عمرو بن هشام (أبو جهل) |
| ٣٦٤ | عمير بن نعيم (القطامي التغلبي) |
| ٢٦٣ | عوف بن معاوية بن عتبية (عويص القوافي) |
| ٤١٣ | غيلان بن عقبة (ذو الرمة) |
| ١٢٨ | فاخته بنت أبي طالب بن عبدالمطلب (أم هانئ) |
| ١٤١ | القاسم بن سلام الهروي |
| ٦٤ | قتادة بن دعامة الدوسي |
| ٨١ | قطرب بن محمد بن المستنير بن أحمد البصري |
| ٤٠٣ | كثير بن عبدالرحن الخزاعي |
| ١١٢، ١٨٠ | كعب بن مالك الأنصاري |
| ٩٧،٢٦٢ | ليبيد بن ربيعة العامري |
| ٣٩ | الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي |
| ٣٢ | مجاهد بن بن جبر مولى السائب |
| ٢٧٢ | محمد الأمين بن مختار الجكني الشنقيطي |
| ٢٥ | محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الازهر (أبو منصور) |
| ١٠٠ | محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله |

| | |
|-----|---|
| ٨٧ | محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري |
| ٢٦ | محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي |
| ٤٠ | محمد بن احمد بن كيسان أبو الحسن النحوي |
| ٧٢ | محمد بن احمد بن محمد الغرناطي الكلبى |
| ٣٠ | محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ابن الأنباري) |
| ١٠١ | محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي |
| ٢٦ | محمد بن جرير بن كثير الطبري |
| ١٤٦ | محمد بن حيان أبو حاتم البستي |
| ٢٤ | محمد بن زيد |
| ٣٣٤ | محمد بن سيرين |
| ١٤١ | محمد بن علي الحنفية |
| ٥٠ | محمد بن علي بن محمد الشوكاني |
| ٤٧ | محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (الغزالي) |
| ١٦ | محمد بن محمد بن مكرم (قطب الدين) |
| ١٠٧ | محمد بن يعقوب الفيروزابادي |
| ٥٠ | محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري |
| ١١ | محي الدين أبو زكريا (النووي) |
| ١٨٢ | مرارة بن ربيعة |
| ١٥ | مرتضى بن العفيف أبو الجود حاتم |
| ١١٠ | مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري |
| ٩٩ | معاوية بن أبي سفيان |
| ٢٢٨ | معمر بن المثنى التيمي (أبو عبيدة) |
| ٣٨ | مفضل بين محمد (الراغب الأصفهاني) |
| ١١٨ | مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني |
| ٤٥٠ | موسى بن هارون |

| | |
|-----|---|
| ٤٠٥ | ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل (الأعشى) |
| ٢٦٧ | نابغة بن جعدي (النابغة الجعدي) |
| ٤١ | ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد الشيرازي (أبو سعيد) البيضاوي |
| ٦٥ | نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم |
| ٩ | نور الدين زنكي |
| ١٨٢ | هلال بن أمية الأنصاري |
| ١٣٥ | همام بن غالب بن صعصعة (الفرزدق) |
| ١٢٨ | الوليد بن المغيرة |
| ٣١ | يحيى بن زياد الفراء |
| ١٨٠ | يعقوب بن اسحق (ابن السكيت) |
| ١٥ | يوسف بن المعطر بن منصور (أبو الفضل) |

فهرس المفردات اللغوية

| الصفحة | الكلمة | رقم |
|--------|--------|-----|
| | ذا | ١ |
| | ذاك | ٢ |
| | ذات | ٣ |
| | ذأم | ٤ |
| | ذباب | ٥ |
| | ذبح | ٦ |
| | ذخر | ٧ |
| | ذراً | ٨ |
| | ذروا | ٩ |
| | ذعن | ١٠ |
| | ذقن | ١١ |
| | ذكر | ١٢ |
| | ذكا | ١٣ |
| | ذلك | ١٤ |
| | ذله | ١٥ |
| | ذمه | ١٦ |
| | ذنب | ١٧ |
| | ذهب | ١٨ |
| | ذهل | ١٩ |
| | ذوق | ٢٠ |
| | ذيع | ٢١ |
| | رأى | ٢٢ |
| | رب | ٢٣ |

| | | |
|--|-----|----|
| | رجح | ٢٤ |
| | ربص | ٢٥ |
| | ربط | ٢٦ |
| | ربع | ٢٧ |
| | ربا | ٢٨ |
| | رتع | ٢٩ |
| | رتق | ٣٠ |
| | رتل | ٣١ |
| | رجأ | ٣٢ |
| | رجح | ٣٣ |
| | رجز | ٣٤ |
| | رجس | ٣٥ |
| | رجع | ٣٦ |
| | رجف | ٣٧ |
| | رجل | ٣٨ |
| | رجم | ٣٩ |
| | رجا | ٤٠ |
| | رحب | ٤١ |
| | رحم | ٤٢ |
| | رخا | ٤٣ |
| | ردد | ٤٤ |
| | ردف | ٤٥ |
| | ردم | ٤٦ |
| | ردى | ٤٧ |
| | رذل | ٤٨ |

| | | |
|--|------|----|
| | رزق | ٤٩ |
| | رسس | ٥٠ |
| | رسل | ٥١ |
| | رسا | ٥٢ |
| | رشد | ٥٣ |
| | رصد | ٥٤ |
| | رصاص | ٥٥ |
| | رضع | ٥٦ |
| | رضى | ٥٧ |
| | رعد | ٥٨ |
| | رعن | ٥٩ |
| | رعى | ٦٠ |
| | رغب | ٦١ |
| | رغم | ٦٢ |
| | رفت | ٦٣ |
| | رفت | ٦٤ |
| | رفدا | ٦٥ |
| | رفع | ٦٦ |
| | رفف | ٦٧ |
| | رفق | ٦٨ |
| | رقب | ٦٩ |
| | رقب | ٧٠ |
| | رقق | ٧١ |
| | رقم | ٧٢ |
| | رقا | ٧٣ |

| | | |
|--|-----|----|
| | رکب | ۷۴ |
| | رکز | ۷۵ |
| | رکس | ۷۶ |
| | رکض | ۸۷ |
| | رکم | ۷۹ |
| | رکن | ۸۰ |
| | رمز | ۸۱ |
| | رمض | ۸۲ |
| | رسم | ۸۳ |
| | رمن | ۸۴ |
| | رمی | ۸۵ |
| | رهب | ۸۶ |
| | رھط | ۸۷ |
| | رھق | ۸۸ |
| | رھن | ۸۹ |
| | روح | ۹۰ |
| | رود | ۹۱ |
| | روغ | ۹۲ |
| | روی | ۹۳ |
| | ریب | ۹۴ |
| | ریع | ۹۵ |
| | رین | ۹۶ |
| | زبر | ۹۷ |
| | زبن | ۹۸ |
| | زجر | ۹۹ |

| | | |
|--|------|-----|
| | زجا | ١٠٠ |
| | زحج | ١٠١ |
| | زحف | ١٠٢ |
| | زخرف | ١٠٣ |
| | زرب | ١٠٤ |
| | زرع | ١٠٥ |
| | زرق | ١٠٦ |
| | زعم | ١٠٧ |
| | زفر | ١٠٨ |
| | زقف | ١٠٩ |
| | زقم | ١١٠ |
| | زكر | ١١١ |
| | زكا | ١١٢ |
| | زلف | ١١٣ |
| | زلق | ١١٤ |
| | زلل | ١١٥ |
| | زلم | ١١٦ |
| | زمل | ١١٧ |
| | زنج | ١١٨ |
| | زنم | ١١٩ |
| | زنا | ١٢٠ |
| | زهر | ١٢١ |
| | زهر | ١٢٢ |
| | زهق | ١٢٣ |
| | زوج | ١٢٤ |

| | | |
|--|-----|-----|
| | زود | ۱۲۵ |
| | زور | ۱۲۶ |
| | زول | ۱۲۷ |
| | زیت | ۱۲۸ |
| | زیغ | ۱۲۹ |
| | زیل | ۱۳۰ |
| | زین | ۱۳۱ |

فهرس المصادر والمراجع

| الرقم | المرجع |
|-----------------------------------|---|
| أولاً التفسير وعلوم القرآن | |
| ١ | إبراهيم بن السرى أبو اسحق الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، تحقيق د. عبد الجليل عبدة الشعبي |
| ٢ | أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي : إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، تحقيق السيد أحمد صقر |
| ٣ | أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (أبو عبد الله) ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية (د.ت) |
| ٤ | أحمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر : الناسخ والمنسوخ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - تحقيق د. عبد السلام محمد |
| ٥ | أحمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر : معاني القرآن الكريم ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - تحقيق محمد علي الصلابوني |
| ٦ | أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر : أحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ - تحقق محمد الصادق قمحاوي |
| ٧ | جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (أبو القاسم) : تفسير الكشاف ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م |
| ٨ | جلال الدين محمد بن أحمد المجلى وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ |
| ٩ | الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله : الحجة في القراءات السبع ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١هـ - تحقيق عبد العال سالم محمد |
| ١٠ | الحسين بن محمد (أبو القاسم) المعروف بالراغب الأصفهاني : مفردات القرآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (د.ت) |
| ١١ | الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد : معالم التنزيل |

| | |
|----|--|
| ١٢ | سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي الأخفش : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد |
| ١٣ | سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله : / تفسير سفيان الثوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ |
| ١٤ | شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي : العجائب في بيان الأسباب ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، تحقيق عبد الحكيم محمد الأقيس |
| ١٥ | شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (الجياني) : التبيان في تفسير غريب القرآن ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، تحقيق د. فتحي أنور الربولي |
| ١٦ | عبد الحق بنت غالب بن عطية الاندلسي (أبو محمد) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٦٣م ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد |
| ١٧ | عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين السيوطي أبو الفضل : لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، بيروت |
| ١٨ | عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م |
| ١٩ | عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٣م |
| ٢٠ | عبد الرحمن بن حمد الجزائري المالكي المعروف بالثعالبي : جواهر الحسان في تفسير القرآن (د٠ت) |
| ٢١ | عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج : زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ |
| ٢٢ | عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج : نواسخ القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ |

| | |
|----|---|
| ٢٣ | عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة : حجة القراءات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، تحقيق سعيد الأفغاني |
| ٢٤ | عبد الله بن احمد بن محمود (أبو البركات) النسفي ، تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م |
| ٢٥ | علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (د٠ت) |
| ٢٦ | علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (أبو محمد) : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - تحقيق د٠ عبد القادر سليمان البنداري |
| ٢٧ | عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، دار البيان الحديثة ، ط ١ |
| ٢٨ | فخر الدين بن محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية (د٠ت) |
| ٢٩ | قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب : الناسخ والمنسوخ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - تحقيق زهير الشاويش محمد كنعان |
| ٣٠ | محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين العكبري (أبو البقاء) البيان في إعراب القرآن ، إحياء الكتب العلمية ، تحقيق علي محمد البجاوي |
| ٣١ | محمد الأمين بن المختار الحبكي الشنقيطي ، أضواء البيان ، دار الفكر للطباعة والنشر (د٠ت) |
| ٣٢ | محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٦٧م |
| ٣٣ | محمد بعبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات |
| ٣٤ | محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (أبو عبد الله) : الجامع لأحكام القرآن ، مكتبة الصفا ، القاهرة |

| | |
|--------|--|
| ٣٥ | محمد بن احمد الخطيب الشربيني المصري : تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على مقدمة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير |
| ٣٦ | محمد بن احمد بن محمد الغرناطي الكلبى : التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م |
| ٣٧ | محمد بن ادريس الشافعي أبو عبد الله ، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق |
| ٣٨ | محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة،بيروت ١٣٩١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم |
| ٣٩ | محمد بن جرير بن زيد بن كثير الطبري (أبو جعفر) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، الرياض - تحقيق أحمد محمد شاكر |
| ٤٠ | محمد بن حبيب الماوردي البصري ، أبو الحسن : النكت والعيون ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان |
| ٤١ | محمد بن حمزة بن نصر الكرمانى ، أسرار التكرير في القرآن ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٦٦هـ - تحقيق عبد القادر احمد عطا |
| ٤٢ | محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير |
| ٤٣ | محمد بن محمد العمادي أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت |
| ٤٤ | محمود الالوسي أبو الفضل : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت |
| ثانياً | كتب الأحاديث والآثار : |
| ٤٥ | إبراهيم بن أبي إسحاق الحربي أبو إسحاق : غريب الحديث ، جامعة أم القرى،مكة المكرمة،ط١ ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق النور سليمان إبراهيم ومحمد العايد . |

| | |
|----|---|
| ٤٦ | أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، تحقيق السعيد بسيوني زغلول . |
| ٤٧ | أبو بكر عبد الله بن محمد أبي شيبة الكوفي : المصنف في الأحاديث والآثار ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١٤٠٩هـ ، تحقيق كمال يوسف الحاج |
| ٤٨ | أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ . |
| ٤٩ | أحمد بن الحسين البيهقي : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١هـ ، تحقيق أحمد عصام الكاتب . |
| ٥٠ | أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة . |
| ٥١ | أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي : مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م ، تحقيق حسين سليم أسد . |
| ٥٢ | أحمد شعيب أبو عبدالرحمن النسائي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية |
| ٥٣ | أحمد شعيب أبو عبدالرحمن النسائي : المجتبى من السنن ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ١٤٠٦ ، ٢هـ — ١٩٨٦م ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة . |
| ٥٤ | حميد بن نصر أبو محمد الكسي : المنتخب من مسند عبيد بن حميد ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م ، تحقيق صبحي البدوي السامرائي ، ومحمود محمد خليل الصعيدي . |
| ٥٥ | سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : المعجم الأوسط ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، تحقيق عوض الله بن محمد ، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسين . |
| ٥٦ | سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٣م ، تحقيق حميد بن عبد المجيد السلفي . |

| | |
|----|--|
| ٥٧ | سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : مسند الشاميين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي . |
| ٥٨ | سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي : سنن أبي داود ، دار الفكر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد . |
| ٥٩ | عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر : غريب الحديث لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي . |
| ٦٠ | عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي : سنن الدارمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، وخان السبع العلي . |
| ٦١ | عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد : غريب الحديث ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، تحقيق د. عبد الله الجبوري . |
| ٦٢ | علي بن حسام الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقال والافعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩م . |
| ٦٣ | علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي : سنن الدار قطني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدني . |
| ٦٤ | علي بن عمر الدار قطني : الصفات ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ، تحقيق عبد الله الغنيمان . |
| ٦٥ | مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . |
| ٦٦ | محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي : الأدب المفرد ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . |

| | |
|----|---|
| ٦٧ | محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي : الجامع الصحيح المختصر ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، تحقيق مصطفى ديب البغا . |
| ٦٨ | محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م |
| ٦٩ | محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرک علی الصحیحین ، دار الکتب العلمیة ، بیروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . |
| ٧٠ | محمد بن علي الحكيم الترمذي : الأمثال من الكتب والسنة ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، تحقيق د. سيد الجميلي . |
| ٧١ | محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاکر وآخرون |
| ٧٢ | محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان : غريب الحديث ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزوبايوي . |
| ٧٣ | محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني : سنن ابن ماجة ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . |
| ٧٤ | محمد ناصر الدين الألباني : السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض . |
| ٧٥ | محمد ناصر الدين الألباني : ظلال في الجنة في تخريج السنة لابن أبي عالم ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . |
| ٧٦ | محمود بن عمر الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . |
| ٧٧ | مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . |

| ثالثاً | كتب العقيدة : |
|--------|--|
| ٧٨ | أبو إسحاق إبراهيم محمد : تفسير أسماء الله الحسنى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤م ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق . |
| ٧٩ | أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧م ، تحقيق زاهد بن الحسن الكوثري . |
| ٨٠ | أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة : كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ٥ ، ١٩٩٤م ، تحقيق د. عبد العزيز إبراهيم الشهوان . |
| ٨١ | أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله : الرد على الزنادقة والجهمية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ ، تحقيق محمد حسن راشد . |
| ٨٢ | ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١هـ . |
| ٨٣ | حافظ بن أحمد حكي : معارج القبول بشرح مسلم الوصول إلى علم الأصول ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، تحقيق عمر محمود أبو عمر . |
| ٨٤ | سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض . |
| ٨٥ | طاهر محمد الأسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، تحقيق كمال يوسف الحوت . |
| ٨٦ | عبد الحميد بن باديس : العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، دار الفتح ، الشارقة ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، تحقيق محمد صالح رمضان . |
| ٨٧ | عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج : تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، تحقيق السيد الجميلي . |

| | |
|--------|---|
| ٨٨ | عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م . |
| ٨٩ | علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة . |
| ٩٠ | محمد الأمين الشنقيطي : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ ، تحقيق عطية محمد سالم . |
| ٩١ | محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشرسستاني : الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني . |
| ٩٢ | محمد بن علي الشوكاني : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، تحقيق جماعة من العلماء . |
| ٩٣ | محمد بن عمر بن الرازي أبو عبد الله : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ ، تحقيق علي سامي النشار |
| ٩٤ | هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي : كرامات أولياء الله عز وجل ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، تحقيق د. أحمد سعد الحمان . |
| رابعاً | كتب اللغة والأدب : |
| ٩٥ | أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الأثر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، تحقيق طاهر أحمد الزاوري ، محمود محمد الطناخي . |
| ٩٦ | أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، تحقيق سمير جابر . |
| ٩٧ | أبو القاسم علي بن جعفر السعدي : كتاب الأفعال (ابن القطاع) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م . |
| ٩٨ | أبو بكر بن الحسن بن دريد : كتاب جمهرة اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، تحقيق د. رمزي مني . |

| | |
|-----|---|
| ٩٩ | أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، تحقيق د. يوسف علي طويل . |
| ١٠٠ | أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (أبو الفضل) : مجمع الأمثال ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . |
| ١٠١ | إسماعيل بن حماد الجوهري (أبي نصر) : تاج اللغة وصحاح العربية ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م . |
| ١٠٢ | تقي الدين أبي بكر بن عبد الله الحموي الأزرازي : خزنة الأدب وغاية الأرب ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٧م ، تحقيق عصام شعبتو |
| ١٠٣ | جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٢ ، تحقيق الخطيب القزويني . |
| ١٠٤ | جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعراب : دار الفكر ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . |
| ١٠٥ | الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن) : كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي . |
| ١٠٦ | عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (أبو البركات) : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، دار الفكر ، دمشق |
| ١٠٧ | عبد الله بن بري المصري (أبو محمد) : كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، مصر ، تحقيق مصطفى حجازي . |
| ١٠٨ | عبد الله بن جمال الدين بن هشام الأنصاري (أبو محمد): شرح قطر الندى وبل الصدى، القاهرة ، ط ١٢٨٢، ١١هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد |
| ١٠٩ | عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، تحقيق عبد الغني الدقر . |

| | |
|-----|--|
| ١١٠ | عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (أبو منصور) : ثمار القلب في المضاف والمنسوب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٥م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . |
| ١١١ | علي بن إسماعيل بن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ، معهد المخطوطات العربية ، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، تحقيق عبد السلام أحمد فراج . |
| ١١٢ | فضل عمار العماري ، خلف الأحمر ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م . |
| ١١٣ | قاسم بن عبد الله بن أمير علي القرنوي : أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، دار الوفاء ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، تحقيق أحمد عبد الرزاق الكبيسي . |
| ١١٤ | محمد (أبو منظور) : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العتيبي ، ط ٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م . |
| ١١٥ | محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق محمود خاطر . |
| ١١٦ | محمد بن أحمد الأزهرى (أبو منصور) : تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . |
| ١١٧ | محمد بن أحمد بن الأزهرى الأزهرى الهروي (أبو منصور) : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ ، تحقيق د. محمد جبر الألفي . |
| ١١٨ | محمد بن عبد الرؤوف المناوي : التوفيق على مهمات التعاريف ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية . |
| ١١٩ | محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط . |

| | |
|-----------------------|--|
| ١٢٠ | محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، دار صادر ، بيروت . |
| ١٢١ | محمود بن عمر الزمخشري : المستقى من أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م . |
| ١٢٢ | محمود بن عمر الزمخشري : المفصل في صيغة الإعراب ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م ، تحقيق د. علي بو ملح . |
| ١٢٣ | ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (أبو الفتح) : المقرب في ترتيب المعرب ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار . |
| ١٢٤ | يعقوب بن إسحاق بن السكيت (أبو يوسف) : إصلاح المنطق ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م ، تحقيق أحمد محمد شاكر . |
| دواوين الشعر : | |
| ١٢٥ | أبو ذؤيب الهذلي : حياته وشعره ثورة الثمان ، جامعة الرياض ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م . |
| ١٢٦ | أحمد كمال زكي : شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، للطباعة والنشر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م |
| ١٢٧ | ديوان أوس بن حجر (تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم) الجامعة الأمريكية ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ م . |
| ١٢٨ | ديوان الأعشى : دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م . |
| ١٢٩ | ديوان الحارث بن حلزة : شرح مجيد مراد ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٧١هـ - ١٩٩٨ م . |
| ١٣٠ | ديوان الشنفرى ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٦ م . |
| ١٣١ | ديوان العجاج : د. سعد حفناوي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م . |
| ١٣٢ | ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م . |

| | |
|---------------|---|
| ١٣٣ | ديوان النابغة الجعدي ، خليل إبراهيم أبو زياب ، دار القلم ، دمشق ، المنارة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . |
| ١٣٤ | ديوان النابغة الذبياني : تحقيق د. شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨م . |
| ١٣٥ | شرح ديوان جرير : محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠م . |
| ١٣٦ | ديوان حسان بن ثابت ، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقوتي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٧٨م . |
| ١٣٧ | ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنفه الأستاذ عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧١هـ - ١٩٥١م .. |
| ١٣٨ | ديوان ذو الرمة ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٤م . |
| ١٣٩ | ديوان طفيل الغنوي ، شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م . |
| ١٤٠ | ديوان عمرو بن قميئة : تحقيق وتعليق حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م . |
| ١٤١ | شرح ديوان لبيد بن ربيعة : تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، وزارة الإرشاد ، ١٩٦٢م . |
| خامساً | كتب التاريخ والتراجم : |
| ١٤٢ | أبو المحاسن الحسيني الدمشقي : ذيل تذكرة الحفاظ الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٣٣هـ . |
| ١٤٣ | أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت . |
| ١٤٤ | أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن معني شهبة : طبقات الشافعية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، تحقيق زاد الحافظ عبد الحلیم خان . |
| ١٤٥ | أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ . |

| | |
|-----|--|
| ١٤٦ | أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي . |
| ١٤٧ | أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق . |
| ١٤٨ | أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . |
| ١٤٩ | أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق . |
| ١٥٠ | أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، تحقيق دائرة المعارف النظامية ، الهند . |
| ١٥١ | إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف |
| ١٥٢ | تاج الدين علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، هجر للنشر والطباعة ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . |
| ١٥٣ | جلال الدين عبد لرحمن بن أبي بكر السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . |
| ١٥٤ | جلال الدين عبد لرحمن بن أبي بكر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧١هـ - ١٩٧٢م ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . |
| ١٥٥ | جلال الدين عبد لرحمن بن أبي بكر السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٦٨م ، تحقيق محمد أبو الفضل . |

| | |
|-----|--|
| ١٥٦ | جلال الدين عبد لرحمن بن أبي بكر السيوطي : طبقات المفسرين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق علي محمد عمر . |
| ١٥٧ | جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي : صفة الصفوة ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م . |
| ١٥٨ | خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٦ ، ٢٠٠٥م . |
| ١٥٩ | شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م ، تحقيق إحسان عباس . |
| ١٦٠ | شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . |
| ١٦١ | شمس الدين محمد بن علي الداودي : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . |
| ١٦٢ | شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، تحقيق عبد القادر عطا . |
| ١٦٣ | صديق بن الحسن القنوجي : أبجد العلوم الواش المرقوم في بيان أحوال العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، تحقيق عبد الجبار زكار |
| ١٦٤ | صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق أحمد الأرنؤوط ، ترك مصطفى . |
| ١٦٥ | عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ . |
| ١٦٦ | عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، تحقيق وليد بن محمد بن سلامة ، وخالد محمد بن عثمان . |

| | |
|-----|---|
| ١٦٧ | علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . |
| ١٦٨ | علي بن وهبة الله بن أبي نصر بن ماكولا : الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ . |
| ١٦٩ | محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي : الثقات ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد . |
| ١٧٠ | محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، دار المدني ، جدة ، تحقيق محمود محمد شاكر . |
| ١٧١ | مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى بغداد . |
| ١٧٢ | ياقوت الحموي الرومي : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، تحقيق إحسان عباس . |
| ١٧٣ | ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، بيروت . |

فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| المقدمة | |
| أسباب اختيار الموضوع | ز |
| موضوع البحث | ز |
| حدود البحث | ز |
| مشكلات البحث | ز |
| الدراسات السابقة | ح |
| منهج وطريقة البحث | ط |
| التمهيد | ١ |
| القسم الأول : التعريف بابن منظور | |
| الفصل الأول : عصره | ٥ |
| المبحث الأول : الحالة السياسية والاجتماعية | ٥ |
| المبحث الثاني : الحالية العلمية | ٩ |
| الفصل الثاني : حياته ونشأته | ١٢ |
| المبحث الأول : اسمه ولقبه وكنيته ونسبه | ١٣ |
| المبحث الثاني : مولده ونشأته | ١٤ |
| المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه | ١٥ |
| الفصل الثالث : آثاره العلمية | ١٧ |
| المبحث الأول : مصنفاة | ١٨ |
| المبحث الثاني : عقيدته وأقوال العلماء فيه | ٢٠ |
| المبحث الثالث : شعره | ٢١ |
| المبحث الرابع : وفاته | ٢٢ |
| القسم الثاني : دراسة النصوص القرآنية | |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٤ | الفصل الأول : دراسة حرف الذال |
| ١١٢ | الفصل الثاني : دراسة حرف الراء |
| ٤١٩ | الفصل الثالث : دراسة حرف الزاي |
| ٥٤٠ | الخاتمة |
| ٥٤٢ | النتائج والتوصيات |
| | الفهارس العامة |
| ٥٤٤ | فهرس الآيات |
| ٥٦٥ | فهرس الحديث |
| ٥٧٣ | فهرس الشعر |
| ٥٧٦ | فهرس المفردات الغريبة |
| ٥٧٧ | فهرس البلدان |
| ٥٧٨ | فهرس التراجم |
| ٥٨٥ | فهرس المفردات الغريبة |
| ٥٩١ | فهرس المصادر والمراجع |
| ٦٠٧ | فهرس الموضوعات |